مجموعة
الدكتور
أسد رستم
٢٢

كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى

للدكتور اسد رستم
مؤرخ الكرسي الانطاكي



الجزء الثالث

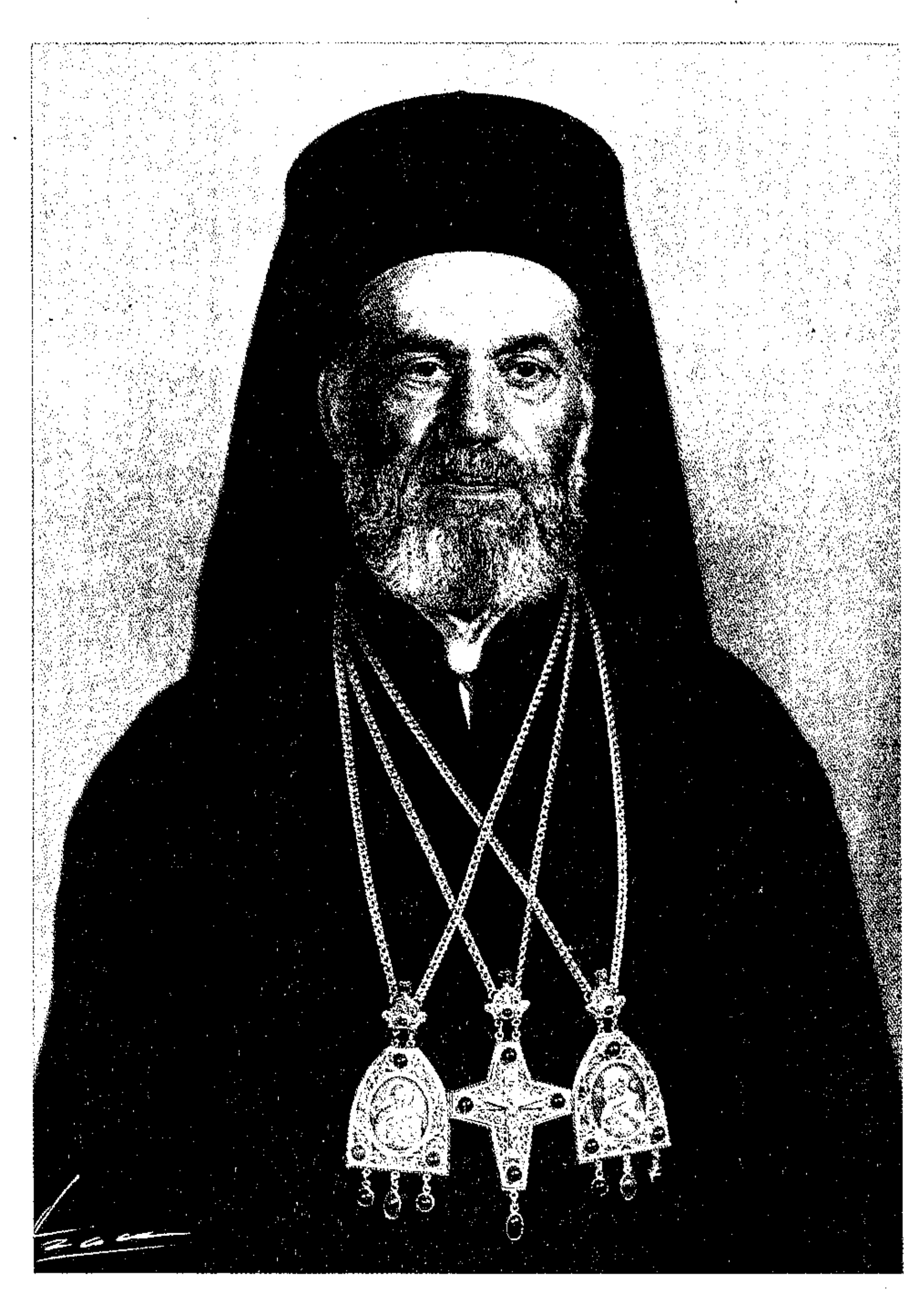
١٤٥٣ - ١٩٢٨م

منشورات المكتبة البولسية

طبعة ١٩٨٨

*

منشورات المكتبة البولسية
شارع لبنان - بيروت - ص.ب: ٤٤٥٩-١١ لبنان
هاتف: ٤٤٤٩٧٣ - ٤٤٨٨٠٦ - ٤٤٩٨٠١
شارع القديس بولس - جونيه - ص.ب: ١٢٥ لبنان
هاتف: ٩١١٥٦١ - ٩٣٣٠٥٢



صاحب الغبطة البطريرك أغناطيوس الرابع بطريرك انطاكية وسائر المشرق

محتويات

الجزء الثالث

الباب الرابع

النصرانية في دار الإسلام

١٤٥٣ - ١٩٢٨

الفصل السادس والاربعون

الفتح العثماني

سقوط القسطنطينية : (١٤٥٣) وفي اذار السنة ١٤٥٢ بدأ محمد الثاني السلطان العثماني بانشاء قلعة بالقرب من القسطنطينية أطلق عليها اسم « روم ايلي حصار » ليهدد بها الإبحار من مرفأ القسطنطينية . فقامت هذه القلعة في الساحل الاوروبي مقابل كوزل حصار التي كان بايزيد قد أنشأها على الشاطىء الاسيوي. فأرسل قسطنطين الحادي عشر وفداً يحتج على ذلك . فأمر محمد بهم فقطعت رؤوسهم !

فرمم قسطنطين الاسوار وذخر المؤن وراسل يوحنا هونيادي والفونز الخامس ولوح بامتيازات هامة لكل من البندقية وجنوا وكتب الى البابا نيقولاووس الخامس . ولكنه لم يتلق من الغرب شيئاً سوى شخص اسيدورس الذي كان قد أصبح كردينالا ، فانه جاء من رومة موجباً اعلان اتحاد الكنيستين في كنيسة الحكمة الالهية وذكر البابا في الذبتيخة . فضغط الفسيلفس على بعض كبار الاكليروس واقام في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٤٥٢ قداساً حافلا في كنيسة الحكمة الالهية بموجب الطقس اللاتيني . وما ان فعل حتى ضجت المدينة بالاحتجاج . وتزعم سكولاريوس هذه المعارضة وقال نوتاراس الدوق الكبير قوله المشهور : « عمائم الشيوخ ولا تيجان الكرادلة » ! وبدأ الحصار وظل قسطنطين يسعى لاستدرار المعونة من الغرب . ولكنه لم يلق سوى سبع مئة محارب بقيادة يوحنا الجنوي . وألح سفير البندقية والكردينال اسيدورس على الاميرال تريفيزانو الذي كان قد واكب الكردينال ان يبقى في مياه القسطنطينية ولكن ربابنة البوارج آثروا الخروج على البقاء . وحذا حذوهم اهل الحل والربط من رجال الجالية الجنوية فقالوا بأن بقاءهم على الحياد يكون في صالح الروم !

ويستدل من افضل المراجع الأولية على ان عـدد المحاربين الروم لم يتجاوز الـ ٤٩٧٣ رجلا وان عـدد الاجانب المقاتلين معهم تراوح بـين الالفين والثلاثة الاف وان سلاح هؤلاء كان ابيض وانـه لم يكن لديهم سوى بعض المدافـع المتوسطة الحجم وان القوة البحرية كانت مؤلفة من سبع بوارج وان الذخيرة لم تكن كافية وان الفسيلفس اضطر ان يسك النقود مـن فضة الكنائس (١) .

وفي الثاني مـن نيسان سنة ١٤٥٣ مـدّ الروم السلسلة العظيمة فأقفلوا بها مـدخل القرن الذهبي . وفي الخامس منه وصل محمد الثاني بستين الف مقاتل وبعدد كبير من الدراويش والتجار والفلاحين الـذين استهواهم النهب والسلب . وفي السابع انـذر السلطان الفسيلفس بوجوب تسليم المدينة فرفض فبدأ الحصار . وفي الثامن عشر من نيسان أمر السلطان بهجوم عـام ولكنه نكص على اعقابه . وحاول اقتحام مداخل القرن الذهبي باسطوله الكبير فلم يفلح .. وفي العشرين من نيسان اطـل اسطول غربي مؤلف من اربع بوارج وثلاث ناقلات كبيرة . فأمر السلطان بصدهم عـن الوصول الى القسطنطينية . ونشب القتال بـين الطرفين وانتصر الاسطول الجنوبي ووصل الى القرن الذهبي ناقلا حبوباً من صقلية الى المدينة الخالدة . وقام السلطان في السابع من ايار وفي الثاني عشر منه بهجومين عنيفين ولكنه اخفق في المرتـين . ورأى البطريرك المسكوني والوجهاء ان يغادر الفسيفلس العاصمة ليجيش الروم في المورة وغيرها ويستدر المعونة من الغرب . ولكن قسطنطين الحادي عشر آثر الموت مـع قومه في الدفاع عن النفس . وفي الثالث والعشرين من ايار أوفد السلطان امير سينوب يفاوض الفسيلفس في تسليم المدينة مقابل خروجه منها وخروج من رغب في ذلك فلم ير قسطنطين في ذلك سوى فخ منصوب فرفض . وفي التاسع والعشرين عاد الاتراك الى الهجوم . وكان قد تهدم السور الخارجي بالقرب من باب ادرنة فتسلل الانكشاريون من هذه الثغرة الى السور الداخلي . وعلموا من اعوانهم

1) *Phrantzes, III, 338 ; Léonard de Chio, Lettre au Pape Nicolas V, P. G., Vol. 159, Col. 934 - 936.*

في داخل القسطنطينية ان الباب الخفي الصغير كيركوبورته الـذي كان يطل على الخندق في هذا القاع كان مهملا . فاقتحموه ونفذوا منه الى داخل المدينة فدب الذعر في العاصمة . وكان القائد غوسطنياني قـد جرح فنقل الى جزيرة خيوس وتوفي لـدى وصوله اليها وتابع قسطنطين الجهاد وما فتىء يحارب حتى خرّ صريعاً في ميدان الشرف . وأباح السلطان المدينة ثلاثة ايام بلياليها . ثم دخلها وذهب تواً الى كنيسة الحكمة الالهية فعلا الأمبون وصلى وجعل الكنيسة مسجداً ثم استقر في القصر المقدس (١) .

امتيازات البطريرك المسكوني : ودخل الروم في «ذمة» الفاتح فدفعوا الجزية وأمنوا على دمائهم وعرضهم واموالهم . وتوقع الفاتح مقاومة البابا وامراء أوروبة الغربية والوسطى وملوكها وخشي حرباً صليبية جديدة فتهيأ وتجهز ورأى من الحكمة ان يظل الشقاق قائماً بـين الكنيستين اليونانية واللاتينية (٢) . وكان والده مراد الثاني قد اتبع الخطة نفسها فلم يرضَ عن مفاوضات فراري فلورنسة كما سبق واشرنا .

وتوفي غريغوريوس الثالث (مماس) موالي رومة في السنة ١٤٥٣ فرأى الفاتح ان يوصل الى السدة البطريركية شخصاً معارضاً لا يرضى عن الاتحـاد . وكان جاورجيوس سكولاريوس قد تزعم هـذه المعارضة بعد وفاة مرقس متروبوليت افسس (٣) . فانتخب المجمع سكولاريوس في ايار او حزيران السنة ١٤٥٣ (٤) وأعلنه بطريركاً مسكونياً باسم جناديوس الثاني (١٤٥٣ ــ ١٤٥٧) . وحل الفاتح محل الفسيلفس فاعترف به بطريركاً مسكونياً قائلا : « كن بطريركاً

1) *Critobule d'Imbros, Hist., I, 68 ; Doukas, Chron., P. G., Vol. 157, Col. 1112 ; Annales Sultanorum Othomanidarum, P.G., Vol. 159, Col. 573-650 ; Pears, E., Destruction of the Greek Empire, 1903 ; Amantos, C., La Prise de Constantinople, Athens, 1953 : Babinger, F., Mehemed der Eroberer und seine Zeit, Munich, 1953 ; Guerdan, R., Vie, Grandeur et Misères de Byzance, Paris, 1954, 205 - 247.*
2) *Paparrhigopoulos, C., Istoria Ellenichon Ethnous, V, 504, 522 ; Elliot, Sir Charles, Turkey in Europe, 242 ff.*
3) *Petit, L., Oeuvres Complètes de Scholarios, III, 117 ff.*
4) *Papadopoulos Kerameus, Ereuna peri Chronias, Nea Hmera, 1910, 1851 ; Papadopoulos, Th., Hist. of Greek Church and People, 2, n. 1.*

حرسك الله وسأوليك عطفي . وتمتع بجميع الحقوق التي مارسها سلفاؤك » (١) .
وزار السلطان البطريرك في دير الباما كاريستوس *Pammakaristos* وحدثه في الدين المسيحي. ثم اعد البطريرك بياناً في الدين المسيحي جاء في عشرين فصلا (٢) وقدمه الى السلطان . فسر السلطان به وعطف على « الامة المسيحية » وأمر بحمايتها (٣) .

ويرى رجال الاختصاص ان السلطان الفاتح أصدر براءة ضمن فيها احترام شخص البطريرك وعدم التعدي عليه واعفاءه من جميع الضرائب واستقراره في كرسيه وحريته وانتقال امتيازاته الى خلفائه من بعـده وامتداد سلطته لتشمل الرؤساء الدينيين الخاضعين له (٤) .

واعتبرت السلطات العثمانية البطريرك المسكوني مسؤولا عن الملة المسيحية فخولته سلطة زمنية على المسيحيين علاوة على سلطته الروحية . فأصبح من حقه النظر في « الخصومات التي قد تنشأ بين الروم من رعايا السلطان وان يستمع الى الشهود ويجري الاقسام وينهي المشاكل » . وأمسى من واجبه جمـع الضرائب المفروضة على الروم وكنائسهم ومن واجب الموظفين المدنيين تسهيل اموره (٥). وقول بعض رجال البحث ان صلاحيات البطريرك انحصرت في امور الاكليروس الارثوذكسي قول ضعيف لا يتفق وصراحة النصوص (٦) .

وعاد عدد كبير من الروم الى القسطنطينية واستقروا حول البطريركية . وكان لهم من ثروتهم القائمة على التجارة ومن براعتهم في السياسة ما ضمن لهم مركزاً رفيعاً في مختلف العهود .

البلقان في حوزة الاتراك : وهـدد المجر الفتوحات العثمانية في البلقان فتحتم القضاء على استقلال الصرب فقام محمد الثاني بنفسه الى بلغراد وضرب

1) *Souvorov, N., Manuel de Droit Ecclésiastique, 78 ; Papadopoulos, Th., op. cit., 2, n. 2.*
2) *Confessio Fide, Pol. Ist. Kunst., Petit, L., Oeuvres, III, 434-452,453 - 484.*
3) *Turcograeca, 120.*
4) *Phrantzis, Chronicon, III, 11 ; Papadopoulos, Th., op. cit., 4 - 7 ; Papadopoulos, C., Les Privilèges du Patriarcat Oecuménique dans l'Empire Ottoman, 24.*
5) *De Testa, I., Recueil, V, 162 - 170.*
6) *Mathieu, H., La Turquie et ses Différents Peuples, II, 104.*

الحصار عليها . فاندفع هونيادي عـبر الدانوب على رأس جيش مختلط مـن الصليبيين فوفق الى القضاء على هجوم العثمانيين واضطر محمد الى الانكفاء (١٤٥٦) . وتوفي هونيادي ثم مات ملك الصرب واصطرع وارثوه فنهض محمد الفاتح في السنة ١٤٥٨ الى بلاد الصرب فحطم المقاومة واخضع السكان وادخل البلاد في حوزته.

وقضى السلطان في هذه الآونة نفسها على امارتي الروم في المورة وعلى دوقية اثينة اللاتينية فأمست بـلاد اليونان في معظمها ولاية عثمانية . وفي السنة ١٤٦٤ استولى السلطان على امبرطورية طرابزون الرومية الكومنينية . وكان خان التركمان اوزون حسن قد شيد دولة فتية في ارمينية وضم اليها فارس والجزيرة الفراتية . فلما دخـل محمد الفاتح في حرب طاحنة ضد البندقية حالف البنادقة اوزون حسن وزجوا خصمهم العثماني بين نارين ولكن الفاتح خرج منتصراً على خصميه في آسية واوروبة .

وبعد فتح القسطنطينية انطلق الاسطول العثماني الى بحر ايجه فاستولى على جزائر تاسوس وسموتراقية وايمبروس ولمنوس وفوقة الجديدة بالقرب من ازمير. اما رودوس فانها صمدت في وجه هذا الاسطول واكرهته على التراجع (١٤٨٠) وامر السلطان باعادة الكرة في العام التالي فعاجلته المنية وقضى نحبه في معسكره في اسية الصغرى في الثالث من ايار سنة ١٤٨١ .

وأوصى محمد بالخلافة لابنه الاصغر "جم" فثار الانكشاريون واندلعت نيران الفوضى فاضطر بايزيد اكبر الامراء سناً ان يغفر لهم فظائعهم ويزيد في اعطياتهم . واقترح جم على اخيه بايزيد اقتسام الامبراطورية فلم يرض بل هجم عليه وهزمه عند يني شهر . فالتجأ جم الى قايتباي سلطان المماليك وحاول قلب الحكم في آسية الصغرى بالتعاون مع قرمان اوغلو قاسم بك فاخفق فالتجأ الى رودوس حيث حاول التحالف مع فرسانها وبعض دول اوروبة. وفي السنة ١٤٨٨ اسلم الفرسان هـذا الامير التركي الى البابا انوشنسيوس الثامن لاهتمامه بصليبية جديدة . وحاصر شارل الثامن ملك فرنسة رومـة واستولى على جم . وكان

بايزيد قد حرض البابا على قتل اخيه فمات جم مسموماً في نابولي في شباط السنة ١٤٩٥ .

واصطفى بايزيد (١٤٨١ ـ ١٥١٢) ابنه احمد وأحب ان يتخلى له عن العرش فطالب ابنه سليم بأن يتولى ادارة احدى ولايات اوروبة بدلا من طرابزون وكان جندياً بالفطرة شجاعاً مقداماً فأحبه الجنود . وفي السنة ١٥١١ هدد ادرنة على رأس خمسة وعشرين الفاً . ثم هزم بايزيد ابنه سليماً واكرهه على الفرار فالتجأ الى خان القرم . وعاد في السنة ١٥١٢ فظهر امام ابواب القسطنطينية فاستقبلته الحامية استقبالا حماسياً فاكره والده على التنازل وأمر به فدس له السم فتوفي في هذه السنة نفسها .

العثمانيون والمماليك : (١٥١٦ـ١٥١٧) وكان سليم الاول (١٥١٢ـ١٥٢٠) من اعظم سلاطين العثمانيين واكثرهم انتصاراً وفتحاً . وتنازعت فرنسة والنمسة السيادة في اوروبة واندلعت نار الشقاق الديني بين الكاثوليكيين والبروتستانت فانتهز العثمانيون هذه الفرصة السانحة واتجهوا بفتوحاتهم شطر آسية .

وكان على عرش فارس حينئذ الشاه اسماعيل الصفوي الشيعي فطمع في مناطق الحدود بينه وبين الاتراك العثمانيين وحرض الشيعة في آسية الصغرى . فعزم سليم على غزو فارس وخرج في السنة ١٥١٤ بجيش عظيم ماراً على ديار بكر وكردستان . فتراجع الفرس الى وادي جلديران قرب تبريز . ولكنهم لم يقووا على مقاومة الانكشارية والمدفعية العثمانية فانهزموا . فدخل السلطان تبريز حاضرة الفرس آنئذ . ثم اضطر الى التراجع لتمرد الانكشاريين عليه واكتفى بضم ديار بكر وكردستان .

وصادق السلطان الظاهر برقوق (١٣٨٢ ـ ١٣٩٢) معاصره السلطان يلدرم بايزيد العثماني . ودامت هذه الصداقة حتى ايام بايزيد الثاني ابن محمد الفاتح . ودارت بين سلاطين الطرفين رسائل الوداد وعقود المهادنة . وكان ما كان من امر الامير جم ففر الى الاشرف قايتباي (١٤٦٨ ـ ١٤٩٨) ملتجئاً فأجاره . وطلب بايزيد تسليمه فلم يجبه قايتباي فحقد بايزيد . وانضم هذا الحقد الى نزاع

حول امارة ابناء ذي الغادر . وكانت هذه الامارة تركمانية قائمة في ارمينية وكردستان وكان لا يتولى امير فيها الا باذن صاحب مصر . وكانت الدولة العثمانية قد تدخلت في شؤون هذه الامارة وادعت حمايتها . وبلغ بايزيد ان قيتباي اخذ من رسول ملك الهند هدايا كان ارسلها الى السلطان العثماني . فجهز بايزيد جيشاً وتوغل في ارض المماليك حتى مداخل حلب . فصمد المماليك في وجهه وهزموه . فأتبعه بايزيد بجيش آخر فكانت عاقبة وخيمة . فزحف المماليك عبر الحدود العثمانية فالتقوا بجيش عثماني جديد فكانت الحرب سجالا ثم انتهت بالصلح ولكن الطرفين أصبحا في تنافس وتزاحم على النفوذ والزعامة في العالم الاسلامي .

ثم اخذ العثمانيون يحرضون القبائل والامارات الخاضعة لمصر على التخلص من سيادتها وبدأوا يضعون العراقيل في سبل تجارتها مع فارس وما وراءها مما جعل ورود الصوف ومنسوجاته وانواع الفراء نادراً . ومنعوا تجار الرقيق من اخذ المماليك الشراكسة الى مصر . فكان عملهم هذا شديداً على سلاطين المماليك لان المماليك الشراكسة كانوا آنئذ مادة الجيش المصري ورجال الحكومة فيها . واخذ سلاطين المماليك يجيرون كل من التجأ اليهم من ابناء السلاطين العثمانيين والامراء والاعيان الفارين من وجه الدولة العثمانية . واسترسلوا في هذه السياسة فهبوا يوادون من عادى العثمانيين امثال اوزون حسن ثم بعده الشاه اسماعيل وغيرهما . وحاول الشاه الصفوي تحويل هذه الموادة الى محالفة فلم يفلح للفرق في المذهب . واستطار شرر هذه الاحقاد بسماح قانصو الغوري (١٥٠١ ـ ١٥١٦) بأن يمر الوفد الفارسي المفاوض في سورية بطريقه الى البندقية ليعرض عليها اتحاداً ضد الاتراك العثمانيين وبأجارة السلطان الغوري للامير قاسم ابن اخي السلطان سليم الاول العثماني واجارة الشاه اسماعيل للامير مراد اخي قاسم . واراد السلطان سليم قتل هذين الاميرين فطلبهما فلم يجيباه . وخشي سليم تحول المودة بين مصر وفارس الى حلف فأعلن الحرب على فارس كما سبق واشرنا ثم على مصر . ولما زحف سليم على فارس اتلف الشاه اسماعيل كل ما خلفه في مدنه وقلاعه من المؤونة والذخائر وانتظر سليم ورود غيرها من بلاده فعلم ان قبائل التركمان وامارة الغادرية التابعة

لمصر قد اغارت على قوافله ومنعت وصولها اليـــه . فاضطرب جيشه فحرمه ثمرة انتصاره في جلديران !

وعاد سليم من فارس الى بـــلاده فانتقم من امارة الغادرية فقتل اميرها علاءالدين وضم الامارة الى ملكه . واحتج السلطان قانصوه الغوري على ذلك فقابل سليم احتجاجه بارسال رأس علاءالدين اليـــه : فعلم الغوري ان الحرب واقعة .

وكانت مملكة البرتغال قد قطعت طريق التجارة الهندية الشرقية على مصر فنضبت اهم موارد الثروة . وكان الفساد قد دبّ في اخلاق المماليك وقل ولاؤهم وكان قد جرّأهم على ذلك ميل الغوري الى مماليكه الذين جلبهم لنفسه. فلما اراد ان يستجمع كل ما عنده من قوة تخاذل المماليك القدماء وتعللوا بقلة النفقة . وبعد تساهل من الطرفين تمكن الغوري في شتاء السنـــة ١٥١٥ ــ ١٥١٦ من اعداد جيش يخرج به الى حدود العثمانيين . وجمع في هذا الجيش قوة مصر الادبية فخرج فيه الخليفة العباسي وقضاة المذاهب الاربعة واشياخ الطرق وكبار العلماء والاعيان ورؤساء المغنين والموسيقيين وارباب الصناعات . وبلغـــه ان الاسطول العثماني يقصد الاسكندرية فعزز حاميتها وحصّن قلاعها بنحو مئتي مدفع . وأناب عنه الدّودار الكبير طومان باي ابن اخيه . وخرج جيش المماليك من القـــاهرة في صيف السنة ١٥١٦ فقاسى الجنود الشدائد في اجتياز صحراء سيناء . ثم دخلوا دمشق وحماه وحلب .

وخرج السلطان سليم الاول من القسطنطينية بجيش بلغ مئـــة وخمسين الفاً مسلح بكثير من الاسلحة النارية بالمكاحل والمدافع والبندقيات. فما صار على حدود المماليك استمال خير بك نائب حلب وجان بردي الغزالي نائب حماة ووعد الاول بولاية مصر والثاني بولاية سورية . وعرف الغزالي اللبنانيين وما تحلوا به من شجاعة وبأس وحذق في أساليب القتال فاستمال المعنيين ومن شد أزرهم من المشايخ والأعيان . وأراد سليم ان يخدع الغوري ويصرفه عن القتال فأرسل اليه بتوسط نائب حلب رسالة يعتذر فيها عما فرط ويعده بالخير . ثم أرسل الى حلب وفداً

يؤكد اخلاص السلطان شرط الا يتدخل الغوري في النزاع القائم بـــين العثمانيين والصفويين . فأكرم الغوري أعضاء هذا الوفد وأرسل يعرض توسطه في الصلح بين سليم واسماعيل . فغضب سليم وهمّ بقتل الرسول . ثم قال : قل لاستاذك ان اسماعيل الصفوي خارجي وانت مثله وسأبدأ بك قبله وموعدنا مرج دابق على بعد يوم عن حلب . والتقى الجحفلان في مرج دابق وكاد الغوري ينتصر . فعمل خير بك والغزالي والامير فخر الدين المعني على تثبيط الهمم فتحـــول النصر الى انهزام وفُلج الغوري لساعته وسقط عن جواده . وشاع موته فتفرق جيشه .

وانتظر أهل حلب قدوم السلطان سليم فسلموه المدينة وخطبوا باسمه في مسجدها فجعلوه حامي الحرمين الشريفين فاغرورقت عينـــاه بالدموع ونهض لساعته وخلع على الخطيب فألبسه فراءه ! وانضم الى العثمانيين خير بك والغزالي والامير فخر الدين وغيرهم . واستولى السلطان على دمشق وجميع مدن سورية . ورجع المنهزمون الى مصر فكابد طومان باي المشقات في جمع شتاتهم . وكانت موقعة غزة فالريدانية ١٥١٧ فدخلت مصر ايضـــاً في حكم الأتراك العثمانيين وكذلك الحجاز .

نظام الحكم : وبعد ان أتم السلطان العثماني فتح مصر ووضع نظـــاماً لادارتها عاد الى دمشق ليعنى بتنظيم الادارة في سورية ولبنان وفلسطين . فأبقى على نظام النيابات وعين على نيابة حلب حاكماً تركياً ثم جعل سائر النيابات في يد جان بردي الغزالي . وعطف على الأمير فخر الدين المعني فعزز سلطته على لبنان وحط من قدر غيره من الأعيان. وابقى القديم على قدمه فجاء فتحه يسيراً . وأخلص الغزالي الولاء لسليم فضرب البدو والحرافشة وغيرهم ممن عاون المماليك في اثناء اعمال الفتح ووطد السلطة والامن في البلاد .

ثم مات سليم في السنة ١٥٢٠ فأعلن الغزالي استقلاله في الجامع الأموي في دمشق متخذاً لنفسه لقب الملك الاشرف. فأنفذ السلطان سليمان حملة لتأديبه بقيادة فرهاد باشا . فكانت موقعة القابون في السابع والعشرين من كانون الثـــاني سنة ١٥٢١ وكان تأديب على طريقة التتر وتيمورلنك. فاستغنت السلطات التركية عن

خدمات كبار الموظفين المحليين وأسندت اعمالهم الى اتراك عثمانيين . ولا نعــلم بالضبط متى ألغت الحكومة العثمانية النيابات القديمة وما تبعها من انظمة . ولكن تقارير قناصل الدول الاجنبية تشير الى باشاويات ثلاث تم تنظيمها قبل نهايــة القرنالسادس عشر وهي باشاوية حلب وباشاوية دمشق وباشاوية طرابلس.وجاء في تقرير رسمي يعود الى عهد السلطان احمد (١٦٠٣ ـ ١٦١٧) ان هذه الباشاويات كانت مقسمة الى سناجق اهمها في جنوب البـــلاد سناجق غزة والقدس ونابلس وتدمر وصيدا وبيروت . ومنها في الشمال سناجق طرابلس وجبلة وحمص والسلمية. وشملت باشاوية حلب تسعة سناجق مماثلة . وانشأت الدولة العثمانية باشاوية صيدا في السنة ١٦٦٠ للاشراف على لبنان ومراقبته !

وجاء على رأس كل باشاويــة والٍ يعينه السلطان لسنة واحدة . وكان ينوب عن الوالي في كل مدينة حاكم اداري يدعى متسلماً . اما الريف فانه كان مقسماً الى زعامات وتيارات وموزعاً على ضباط عسكريين مدة حياتهم . وكان على هؤلاء ان يلبوا الدعوة للحرب بشروط معينة وعلى نفقتهم الخاصة وان يقوموا باعباء الحكم في مقاطعاتهم .

وكان يحيط بالباشا في عاصمة الباشاوية (الايالة) رؤساء الجند وهم قواد الفرق التي كانت تشكل حامية الباشاوية. وتألف من اجتماع هؤلاء الرؤساء ديوان الوالي . وكان لهذا الديوان سلطة واسعة اذ لم يكن في وسع الوالي ان يبرم امراً هاماً الا بموافقة الديوان . وكان اذا وقـــع خلاف بينه وبين الديوان رفعه الى الاستانة للفصل فيـــه . وكان للديوان ان يطلب عزل الوالي اذا شاء . واحاط الباشا نفسه في غالب الاحيان بعدد من الجنود غـــير النظاميين « باش بوزق » يتناسب ومقدرته على الانفاق منهم الكردي والكريتلي والاناضولي والارناؤوطي والمغربي .

وقضت قوانين الدولة بأن يقترح « قاضي عسكر » الاناضول تعيين من تتوفر فيهم الشروط اللازمة لتولي القضاءفي باشاويات آسية فتصدر بذلك فرمانات رسمية . فكان يعين في كل سنة « مولى خلافه » من علماء الاتراكفي كل من حلب

ودمشق وطرابلس والقدس . وكان يعين هذا المولى خلافه بدوره نواباً عنه في سائر مدن الباشاويـة التي ولي القضاء فيها . وكان يتولى الافتاء في كل من حلب ودمشق مفتون اربعة من المذاهب الاربعة يجيبون عمـــا يلقى اليهم من المسائل المشكوك في احكامها .

مذهب الدولة : وقال السلطان العثماني بالمذهبالحنفي فأصبح هذا المذهب هو المذهب السائد يحق للمتداعين ان يطلبوا تطبيقـــه اذا رأوا في تطبيق غيره اجحافاً بحقوقهم . واقبل العلماء على درس هذا المذهب وصنفوا فيه . واشهر ما صنف من هذا القبيل في القرن السادس عشر كتاب الملتقى للشيخ ابراهيم الحلبي مفتي السلطان سليمان القانوني .

الشرع والقانون : وخضع السلطان العثماني للشرع الشريف واعتز بحكمه واحكامه . ولكنه قال في الوقت نفسه بالعادة والعرف والقانون . والعادة هي ما استمر الناس عليه عند حكم العقول وعادوا له مرة بعد اخرى . والعرف هو ما استقر في النفوس من جهة شهادات العقول وتلقتـــه الطباع السليمة بالقبول . والعرف عنـــد الأتراك العثمانيين كان ارادة السلطان السنية . وهو من المعاني الخصوصية التي انفردوا بها (١) . والقانون هو العرف المدون بأمر السلطان او هو مجموعة الارادات السلطانية المدونة . وهذه الارادات السنية كانت لا تصدر قبـــل مشاورة العلماء المقربين من السلطان العارفين المطلعين الذين كانوا يحاورون السلطان في فتاويهم للمحافظة على المصلحة السياسية والاجتماعيـــة ومقتضى الظرف . ومن هنا هذه الامتيازات التي خص بها محمد الفاتح وخلفاؤه بطاركة القسطنطينية .

البطريرك المسكوني والبطاركة : وكانت قرارات المجامع المسكونية قد قضت بتقدم بطريرك القسطنطينية على بطاركة الشرق الثلاثة وباعتباره الثاني بعد بطريرك رومة . وكان قد سبق لهؤلاء البطاركة الثلاثة ان اعترفوا بهذا التقدم

1) *Hammer, Joseph von, Staatsverfassung, 30 ; Heidborn, A., Mannel de Droit Public et Administratif de l'Empire Ottoman, 37 ff ; Fehmi, Y., Hist. de la Turquie, 237 ; Lybyer, A., Government of Ottoman Empire, 152 - 159.*

في الكرامة . وكان بطريرك القسطنطينية قد اتخذ لنفسه لقب البطريرك المسكوني بمعنــاه البيزنطي اي بطريرك الامبراطورية فوافق بطاركة الشرق على ذلك واعترضت رومة . وكان بطريرك القسطنطينية قد حاول في الربــع الاول من القرن الحادي عشر ان يصبح ذا سلطة شرعيــة على بطاركة الشرق فطلب الى رومة الاعتراف بذلك فكادت تعترف ثم أبت . وقد سبق الكلام في هــذا الموضوع عند الكلام عن بدء الانشقاق . ثم وقع الشقاق ووسعتــه الحروب الصليبية وثبتته الحملة الصليبيــة على القسطنطينية فخسرت رومةُ ما تبقى من نفوذها في الشرق .

واستولى الاتراك على القسطنطينية ثم على جميع ابرشيات البطريركيات الشرقية فأصبح بطريرك القسطنطينية بطريرك عاصمة الدولة العثمانية يفاوض باسم البطريركيات الاخرى ويسهل امورها في عاصمة الدولة ويدافع عن حقوقها امام السلطة العثمانية العليا . وكان من الطبيعي جداً ان تعترف السلطات العثمانية بتقدم بطريرك العاصمة على بطاركة الولايات وان تمنحه امتيازات ادارية يتميز بها على اقرانه . فقد جاء في براءة سلطانية صادرة في اواخر ايلول سنة ١٨٥٥ موجهة الى البطريرك كيرلس خلف افتيميوس انــه اذا امّ القسطنطينية بطاركة البلدان الاخرى لترتيب امورهم يتوجب عليهم ان يفعلوا ذلك بواسطــة البطريرك المسكوني والمطارنة (١). وجاء في قرار اتخذه في السنة ١٧٦٧ البطريرك المسكوني صموئيل انه عملاً بالامتيازات القديمة التي تخوله حق الرئاسة (*Ephoros*) والاشراف (*Epistates*) على عرش احد البطاركة لدى وفاته وعملاً برئاسته واشرافه في جميع كنائس المسيح وبصفته رأس الجسم كله ونظراً لطلب كيريوس فيليمون الخطي بأن يخلفه على كرسي انطاكية كيريوس دانيال ولما كان اخوه في النعمة كيريوس افرايم بطريرك اوروشليم يرى الرأي نفسه وكذلك مجمع الاساقفة المقدس فانــه يعلن حق كيريوس دانيال بتولي العرش الانطاكي (٢) . ولكنه جاء ايضاً في قرار أصدره البطريرك المسكوني نيوفيطوس في العاشر من كانون الثاني سنة ١٧٩٢ ان

1) *De Testa, I., Recueil, V, 170.*
2) *Appendix I, Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, 194.*

رعاية مصالح البطريركيات الاخرى واجبة ولكن التعدي على حقوقها امر مشجوب لا يجوز التفكير به ولا يليق بالمقام البطريركي (١) .

آل عثمـــان

سليم الاول	١٥١٢ ـ ١٥٢٠
سليمان الاول	١٥٢٠ ـ ١٥٦٦
سليم الثاني	١٥٦٦ ـ ١٥٧٤
مراد الثالث	١٥٧٤ ـ ١٥٩٥
محمد الثالث	١٥٩٥ ـ ١٦٠٣
احمد الاول	١٦٠٣ ـ ١٦١٧
مصطفى الاول	١٦١٧ ـ ١٦١٨
عثمان الثاني	١٦١٨ ـ ١٦٢٣
مراد الرابع	١٦٢٣ ـ ١٦٤٠
ابراهيم	١٦٤٠ ـ ١٦٤٨
محمد الرابع	١٦٤٨ ـ ١٦٨٧
سليمان الثاني	١٦٨٧ ـ ١٦٩١
احمد الثاني	١٦٩١ ـ ١٦٩٥
مصطفى الثاني	١٦٩٥ ـ ١٧٠٣
احمد الثالث	١٧٠٣ ـ ١٧٣٠
محمود الاول	١٧٣٠ ـ ١٧٥٤
عثمان الثالث	١٧٥٤ ـ ١٧٥٧
عبد الحميد الاول	١٧٥٧ ـ ١٧٨٩
سليم الثالث	١٧٨٩ ـ ١٨٠٧
مصطفى الرابع	١٨٠٧ ـ ١٨٠٨
محمود الثاني	١٨٠٨ ـ ١٨٣٩
عبد المجيد	١٨٣٩ ـ ١٨٦١
عبد العزيز	١٨٦١ ـ ١٨٧٦
مراد الخامس	١٨٧٦
عبد الحميد الثاني	١٨٧٦ ـ ١٩٠٩
محمد الخامس	١٩٠٩ ـ ١٩١٨
محمد السادس	١٩١٨

* * *

1) *Ibid. 196.*

الفصل السابع والاربعون

طمع واضطراب ووجل

الولاة والجنود : ومـــا كاد الاتراك العثمانيون يستولون على ابرشيات انطاكية حتى دخلوا في دور من الانحطاط دام طويلا . فانهم بلغوا اقصى مجدهم وعظمتهم في عصر سليمان . وبعد وفاته في السنة ١٥٦٦ ابتدأوا في انحطاط مستمر اللهم الا فترات كانوا ينتعشون فيها ويظهرون بعض علامات القوة والنشاط .

وترجع اسباب انحطاط الاتراك العثمانيين الى اسباب داخلية وخارجية . وأهم الاسباب الداخلية انـــه جاء بعد سليمان القانوني عدد من السلاطين الضعفاء الذين لم يكن لهم هم سوى الانغماس في الملذات . فلما أصبح الجنود بـــلا سلطان شجاع يقودهم الى النصر في ساحات الوغى سقطت هيبـــة السلاطين من اعينهم وشعروا بما لهم من حول وقـــوة فبدأوا يعزلون ويولون من يشاءون متطلبين الاعطيات الجزيلة مبتزين الاموال الكثيرة .

وادى استئثارهم بالسلطة على هذا الوجه الى الانغماس في الترف والفساد ففقدوا صفاتهم الحربية القديمة واصبحت ترقياتهم مشروطة بما يبذلونه من الرشوة لولاة الامور منهم ولبطانة السلطان . وعمت الرشوة مصالح الحكومة بأسرها وأصبحت جميع الوظائف تباع وتشرى . فاضطر الولاة ان يبتاعوا وظائفهم . وكان الواحد من هؤلاء لا يوفق الى تجديد مدة ولايته دون ان يرسل الى عاصمة الدولة ما يرضي به رؤساءه فيضطر والحالة هذه ان ينظر الى وظيفته كوسيلة لابتزاز المال. واصبحت مناصب القضاء ايضاً تبـــاع وتشرى وتعرض في اسواق المساومة فترسو على من يدفع الثمن الاعلى . وكان المولى خلافة لا يعرف العربية فيتكل في استماع المرافعة الى مترجم يصبح هو صاحب القول الفصل في بعض الاحيان .

واستوطن الانكشاريون والسباهيون حلب ودمشق وطرابلس فصيدا واستقروا بها فصار لهم صبغة محلية وكثرت مظامعهم ومشاكلهم ولجأوا في غالب الاحيان الى القوة للوصول الى ما كانت تصبو اليـــه نفوسهم . وكانت تغلق الحوانيت ويجري الدم فيضطر كل صاحب مهنة ان يأخذ أسلحته معه الى محـــل عمله . وأصبح « اهل الذمة » بحالة يرثى لها يتكيسون باصحاب السطوة من المسلمين لصيانة انفسهم او يفرون الى لبنان ليعيشوا فيه احراراً معززين .

بطاركة القرن السادس عشر : ويختلف الرواة في اسماء البطاركة وفي تسلسل سلطتهم ومدة رئاستهم . وليس لدينا من السجلات الرسمية ما نستعين به لاثبات هذه الحقائق التاريخية الاولية . فحوادث السنة ١٨٦٠ في دمشق قضت على كل ما كان قد تجمع في البطريركية من اوراق وسجلات واحرقت ما كان قد تبقى من كتب طقسية وذيبتيخات في الكاتدرائية البطريركية !

ويقول قسطنديوس القسطنطيني ان دوروثيوس الثالث تولى السدة البطريركية الانطاكية من السنة ١٥١١ حتى السنة ١٥٢٣ وان يواكيم الرابع خلفه في السنة ١٥٢٤ فساس الكنيسة ثلاثين عاماً وان ميخائيل الخامس جلس اثنتي عشرة سنة (١٥٥٥ ــ ١٥٦٧) وان يواكيم الخامس ظل متولياً من السنة ١٥٦٧ حتى السنة ١٥٨٥ وان دوروثيوس الرابع خلفه فتوفي بعـــد اثنتي عشرة سنة اي في السنة ١٥٩٧ (1) .

وجاء في كتاب الأرج الزكي مثل ما جاء في لائحة قسطنديوس حتى نهاية عهد ميخائيل الخامس في السنة ١٥٦٧ . ثم جاءت بطريركية يواكيم الخامس سنة واحدة تلتها رئاسة يواكيم السادس فدامت سبع عشرة سنة (١٥٨٥) ثم بطريركية دوروثيوس الرابع حتى السنة ١٦١٠ . وأضاف صاحب الارج الزكي ان الارشمندريتي بولس ابو عضل تكرم عليه بالسلسلة البطريركية وان غريغوريوس متروبوليت طرابلس (البطريرك فيما بعد) نظر فيها واجازها .

واذا ما قابلنا هاتين اللائحتين بما صنفه البطريرك مكاريوس (زعيم) وابنه

1) Neale, J. M., *Patriarchate of Antioch*, 179 - 180.

بولس (١) وبما جبَّره الخوري ميخائيل بريك « الخلاصة الوافيـــة في تاريخ بطاركة انطاكية » (٢) هالنا التناقض وأرهبنا . وليس في ما ظهر في مجلة المنار الارثوذكسية بقلم غطاس قندلفت او في ما اورده الاب كرالفسكي في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسي ما يسكن روعنا ويخفض جأشنا. ولولا جهود المغفور له السيد خريسوستومس (بابا ذوبولوس) رئيس اساقفة اثينة (٣) وصبر الاب الارشمندريتي جوزف نصرالله (٤) لما تمكنا من رسم الخطوط الرئيسية التالية . وأملنا ان يقوم بعدنا من يعنى بجمع جميع ما تبقى من الآثار الخطيـــة في اللغتين العربية واليونانية ليتسنى لخلفائنا الوصول الى استنتاجات سليمة كاملة .

البطريرك دوروثيوس الثالث : (١٤٩٧ — ١٥٢٣) وجاء لبولس ابن الزعيم ان دوروثيوس (ابن الصابوني) كان يسوس الكنيسة الانطاكية في ايلول السنة ٧٠٠٦ للخليقة (١٤٩٧). وجاء ايضاً في ذيل انجيل خطي في السابع والعشرين من اذار سنة ١٥٢٣ تصديق لدوروثيوس يفيد ان هذا الانجيل اصبح آنئذ وقفاً على كنيسة دير عطية (٥) . فنرانا مضطرين والحالة هذه ان نجعل مـــدة رئاسة دوروثيوس الثالث تشمل هذه السنوات كلها . ولكنه ليس في نص بولس ما يمنع القول بابتداء هذه الرئاسة قبل السنة ١٤٩٧ . وقد جاء للمغفور له خريسوستومس رئيس اساقفة آثينة في كتابـــه في تاريخ كنيسة الاسكندرية ان يوا كيم بطريرك الاسكندرية تسلم عكـــاز البطريركية المرقسية في دمشق في السادس من آب سنة ١٤٨٧ . وهو يستند في قوله هذا الى مازاراكي ومالبشيفسكي (٦). وجاء لدوسيثيوس في تاريخه « جلاء الابصار من غشاء الاكدار » ان دوروثيوس الانطاكي اشترك مع زميليه فيليتيوس الاسكندري ويوا كيم الاوروشليمي في شجب اعمـــال مجمع

1) *Patrologie Orientale, Vols, 22, 24, 26.*

٢) وقد داعبها ولعب بنصها سليم قبعين في كتابه الحقائق الوضيعة في تاريخ الكنيسة الارثوذكسية . ثم نقل هذا النص الممسوخ الى اليونانية بورفير اوسبنكي فنشره في ترودي اكاديمية كيف سنة ١٨٧٤ .

3) *Papadopoulos, Ch., Istoria Ecclesias Antiocheias, Athena, 1951.*

4) *Nasrallah, J., Chronologie des Patriarches d'Antioche, Proche - Orient Chrétien, 1956, 293 - 311, 1957, 26 - 43, 207 - 217*

5) *Nasrallah, J., Chronologie, Proche - Orient Chrétien, 1957, 28 - 29.*

6) *Papadopoulos, Chrys., Ist. Ecc. Alex., 591.*

فلورنسة في القسطنطينية في السنة ١٤٨٤ . ويرى الاب نصرالله ان ما ينسب الى دوروثيوس قبل السنة ١٤٩٧ هو من اعمال سلفه ميخائيل. والواقع انه لا يجوز البت في شيء من هذا ومراجعنا الاولية لا تزال على ما هي عليه من نقص وغموض .

البطريرك ميخائيل الخامس : (١٥٢٣ — ١٥٤١) ولنا في تاريخ تجليد مخطوطة المتحف البريطاني رقم ٤١٨ وفي تصديق وقفية الانجيل الخطي الذي قدمه جرجس ابن الياس الملاتي الى كنيسة القديس حنانيـــا في دمشق (١) وفي اخبار مجمع قارة الذي التأم في السنة ١٥٣٩ وفي كلام بولس ابن الزعيم ووالده البطريرك مكاريوس (٢) ما يجعلنا نرجح الحدين ١٥٢٣ و١٥٤١ لرئاسة ميخائيل الخامس كما ورد اعلاه . ويلاحظ هنـــا ان لا اساس لفترة الخلو بين السنة ١٥٠٠ والسنة ١٥٢٣ التي قال بها الاب اسحق ارملة في مقاله في مجلة المشرق سنة ١٩٣٦ وان لا صحة لما رواه الاب قسطنطين الباشا عن بطريرك انطاكي اسمه ميخائيل جاء في مخطوطة الفاتيكان رقم ١٤٧ بتاريخ ١٩ اذار سنـــة ١٥٢٢ (٣) . والبطريرك ميخائيل الخامس هو ابن الماوردي الذي زار الاماكن المقدسة تبركـــاً في السنة ١٥٣٩ . وهو الذي ترأس مجمع قارة .

مجمع قارة : (١٥٣٩) ونشأ خلاف في السنة ١٥٣٩ حول حساب عيـــد الفصح . فاجتمع حول السيد البطريرك الانطاكي ميخائيل في قارة عدد من رجال الاكليروس بينهم يوحنا اسقف يبرود ويوحنا اسقف صيدنايا وجرمانوس اسقف بعلبك واسقف الزبداني وجماعة من الخوارنة والقساوسة والشمامسة . « ولم يعرفوا كيف يمسكوا من الحدود الذي من العاد الى مرفع اللحم . واشتبه الحساب عليهم بسبب زود الدقائق الزائـــدة » . فارسلوا الى الشماس ابراهيم عطنط في بيروت يستشيرونه في الامر فأجاب : « وانا اختلف الحساب علي » ! وعندئذ « احضرني الشيخ ابراهيم ابن العكيكة فبرهنت لهـــم حساب الدقائق وزودها . وجمعت لهم الزود الى سنة سبعة عشر وسنة ثمانية عشر وتسعة عشر تكون تجعل ايـــام الخليقة

1) *Vat. Arab., 52.*

2) *Vat. Arab., 689, Fol. 127, Voyage, 23, (Nasrallah, J., Chron. P. O. C., 1957, 29).*

٣) نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس ص ٢٢

سبعة حتى صح لهم الحساب . لانهم لم يكونوا في زمان الاول يؤرخوا لنسا سنة الغلطة . وحسبت لهم ان يرفّعوا في تسعة ايام من شباط . وظهر لهم الحق والعيد في ستة ايام من نيسان .

« اما طوائف الاراطقة فانهم اكلوا اللحم جمعة النقية اول جمعـة الصوم وصاموا جمعة الفصح المجيد وبرطلوا النقاش امين كنيسة القدس بألف دينار فأشعل لهم من القنديل . واخذتني الغيرة فاخرجت لهم من شبكة يوحنا الدمشقي من سنة سبعة الاف وسبعة واربعين الى سنة سبعة الاف وماية وسبعة وثلاثين برهنت فيها كم يكون فيها العيد العظيم وكم تكون القاعدة الشمسية وكم تكون عـدة صوم الرسل » (١) .

ويلاحظ هنا ان المشادة نشأت بين الارثوذكسيين وبين اليعاقبة والارمن والاحباش والموارنة وان الكرج والافرنج والاقباط وافقوا الارثوذكسيين على موقفهم من حساب الفصح . ويلاحظ ايضاً ان وجه الصواب التبس على الاب كارالفسكي فظن في مقاله عن انطاكية في قاموس التاريخ والجغرافية الكنسي ان المشادة المشار اليها وقعت حول اختلاف بين البطريرك ميخائيل ويواكيم متروبوليت بيروت (٢) .

البطريرك دوروثيوس الرابع : (١٥٤١ ـ ١٥٤٣) ولا نعـلم الشيء الكثير عن دوروثيوس الرابع قبل وصوله الى السدة الانطاكيـة . ولعله كان قسطنطيني المولد والنشأة والترهب . ولعلّ اسمه في الرهبنة كان يوحنا .

اتصاله بالموارنة وخلعه : وجاء في رحلـة البطريرك مكاريوس ان دوروثيوس أحب ان يتفقد شؤون الرعية فقام بجولةفي ابرشيات الكرسي الانطاكي وجاء طرابلس فاتصل ببطريرك الموارنة في قرية داريا من منطقة الزاوية وفاوضه في نوعمن التعاون بين الطائفتين فاقترح تبادل الخدمات الروحية بين الكهنة والسياح

١) مأخوذ بتصرف من مخطوط مجهول المؤلف وجده الاب لويس شيخو في حمص في السنة ١٩٠٢ فأضافه الى مجموعة المكتبة الشرقية في جامعة الآباء اليسوعيين في بيروت . المشرق ١٩٠٢ ص ٩٥١ ـ ٩٥٢ .

2) *Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 30 - 33.*

بالتزاوج بـين الطائفتين مع الاحتفاظ بالعقائد القديمة . ويضيف كاتب الرحلة : « وقد وجدنا هذا كله مدوناً في قلايتنا في حلب . ووجدنا ايضاً الرسالة العربية التي وجهها يواكيم البطريرك الاسكندري الى دوروثيوس التي حرمـه فيها من ممارسة الاسرار المقدسة . وجاء في هـذه السنة نفسها ارميا الثاني البطريرك القسطنطيني (١٥٢٢ ـ ١٥٤٥) اوروشليم فاجتمـع بجرمانوس بطريركها (١٥٣٤ ـ ١٥٧٢) ويواكيم بطريرك الاسكندرية فحكموا بخلـع البطريرك الانطاكي وشرطنوا يواكيم متروبوليت بيروت بطريركاً محله (١) .

وليس في المراجع المارونية الباقية اي صدى لهـذا الحادث . والبطريرك الماروني المعاصر هو البطريرك موسى العكاري (١٥٢٤ ـ ١٥٦٧) . وجـاء هنالك خبر الرسالة التي ارسلها هذا البطريرك الى البابا بولس الثالث التي يرجو فيها ارسال ستة كهنـة من رهبان القديس فرنسيس « لينشأوا مدرسة في لبنان لتعليم بعض الشباب اللغة اللاتينية لانه منذ مدة طويلة لم يأت احـد من قبل الحبر الروماني لزيارتهم ولا استطاع هو ان يرسل احداً يعرف اللغة الى قداسته » (٢) . وهنالك رواية اخرى تفيد ان سمعـان اسقف طرابلس لم يتمكن من الاقامة في طرابلس لما حلّ بالكاثوليكيين فيهـا من اضطهاد (٣) . وهنالك ايضاً ما يفيد بمشادة نشأت في عكار بين الروم والموارنة حول بعض الاوقاف (٤) . وجاء في رسالة وجهها البابا بيوس الرابع الى البطريرك موسى العكاري بتاريخ اول ايلول سنة ١٥٦٢ « ان يحل البطريرك جميع الهراطقة والمشاقين والمارقين سواء كانوا من الموارنة او من اية ملة كانت » (٥) .

البطريرك يواكيم الرابع : (١٥٤٣ ـ ١٥٧٦) وهو يواكيم ابن جمعة أبصر النور في دمشق ولبس الاسكيم فيها ثم انتخب مطراناً على بيروت وساس

1) *Voyage, Vat. Arab., 689, Fol. 127, (Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 34).*

٢) الجامع المفصل في تاريخ الموارنة المؤصل للمطران يوسف الدبس ص ٢٨٦ ـ ٢٨٧

٣) المرجع نفسه ص ٣١٥

٤) المرجع نفسه ص ٣١٧

٥) المرجع نفسه ايضاً ص ٢٨٦

هذه الابرشية احدى عشرة سنة . وجاء لبولس ابن الزعيم ان يواكيم ابن جمعة ظل بطريركاً ستين سنة . وجاء له ايضاً ان ابن جمعة تولى الرئاسة ثلاثـة وثلاثين سنة (١) . ويرى الاب نصر الله ان ليس في هذين القولين تناقضاً اذ يجوز ان يكون ابن جمعة قد انتخب بطريركاً في القسطنطينية في السنة ١٥١٦ فلم يتمكن من الوصول الى الكرسي قبل خلع دوروثيوس الرابع (٢) .

ويتفق مكاريوس البطريرك المؤرخ وابنه بولس ابن الزعيم على ان يواكيم تحلى بالفضيلة والصلاح وانـه ساس البطريركية بالعدل والاتقان (٣) واشترك يواكيم الرابع في اعمال مجمع القاهرة في السنة ١٥٥٧ فتعاون مع زميليه الاسكندري والاوروشليمي في حل مشكلة كنيسة سيناء . وعاد الى القضيـة نفسها في السنة ١٥٧٥ فاعترف مـع ارميا القسطنطيني وجرمانوس الاوروشليمي بامتيازات هذه الكنيسة (٤) .

ونازعه الرئاسة مكاريوس ابن هـلال اسقف قارة . وانقسمت الرعية حزبين فكان يواكيم وجماعته يصلون في كنيسة كبريانوس ويوستيني ومكاريوس واتباعه يصلون في كنيسة حنانيا . ودام هـذا الشقاق سبع سنوات . ثم مرض مكاريوس فارسل في طلب يواكيم وسألـه الصفح وتوفي . فعادت الالفة الى صفوف الارثوذكسيين وأصبح يواكيم وحده بطريركاً (٥) .

نقد البنات والارامل : « وكان من عـادة الدمشقيين ان يكثروا نقد بناتهم . فكان الخطيب مهما قدّم الى خطيبته لا يقنع به اهلها بل يطلبون المزيد . وكان في حارة حنانيا رجل غني له ابنة مخطوبة . وكان خطيبها قد قدم لها اموالا وهدايا كثيرة . فلم يقنع ابوها ومنـع زواجها حتى يرضيه . ولما تمادى الامر على ذلك حجزت البنت . وكان لهم جار جندي فأرسل اليها وخدعها مع امرأة على ان تتزوج به . فرضيت وخرجت الى الحاكم فأسلمت . وعقد لها على ذلك الجندي.

1) *Voyage, 34, 36 ; Vat. Arab., 689, Fol. 128.*
2) *Chronologie, P. O. C., 1957, 38.*
3) *Vat. Arab., 689, Fol. 128.*
4) *Cheikho, L., Les Evêques de Sinaï, 414, (Mel. Fac. Or. II).*
٥) الحقائق الوضية (تاريخ الآباء بطاركة انطاكية للخوري ميخائيل بريك) ص ٥١ – ٥٢

ثم احضرت اباها الى المحكمة واخذت منه نقدها سبعة الاف غرش .

« وحينئذٍ ارسل البطرك فجمع رؤساء كهنة الابرشيـة وعقدوا مجمعاً مكانياً في داخل دمشق . واوجبوا ان يكون نقد البنات والارامل اربع طبقات . الطبقة الاولى عشرة غروش صاغ ويتبعها غرشان . والثانية عشرون غرشاً يتبعها اربعة غروش . والثالثة ثلاثون غرشاً يتبعها ستة غروش . والرابعة اربعون غرشاً يتبعها ثمانية غروش وهي الهدايا والاعياد وغير ذلك . وكتب هـذا القانون على الحجر المشهور بباطن كنيسة دمشق كما يرى الى يومنا هذا . وكان ذلك سنة ١٥٧٣ ومكث هذا البطريرك في الكرسي ثلاثاً وثلاثين سنة وتوفي سنة ١٥٧٦ » (١) . وكتب يواكيم الى زملائه بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واوروشليم يطلب الموافقة على قرار مجمع دمشق فوافقوا (٢) .

البطريرك ميخائيل السادس : (١٥٧٧ – ١٥٨١) ولدى وفـاة يواكيم الرابع التـأم المجمع الانطاكي المقدس ففوض غريغوريوس متروبوليت حلب ومكاريوس متروبوليت افخائيطة (٣) ودوروثيوس متروبوليت طرابلس أمر انتقاء البطريرك الجديد . فآثر غريغوريوس الراحـة في حلب على متاعب البطريركية فرشح مكاريوس متروبوليت افخائيطـة . فاضطر دوروثيوس ان يوافقه على ذلك . ففاز مكاريوس بالبطريركية بالاجماع . وصدق المجمع على هذه اللجنة فسيم مكاريوس بطريركاً على انطاكية في مطلع السنة ١٥٧٧ واتخـذ لنفسه لقب ميخائيل السادس (٤) وحرر رسائل الجلوس الى اخوتـه البطاركة فاعترفوا به (٥) .

وهو مكاريوس ابن وهبة ابن عيسى الصباغ . أبصر النور في حماة ونشأ

١) المرجع نفسه ص ٥٢
2) *Vat. Arab., 689, Fol. 128.*
٣) ابرشية عامرة في العصور الوسطى مركزها محردة . ثم تضاءلت فضم قسم منها الى ابرشية حماة والقسم الآخر الى ابرشية حمص . وهي ليست افخائيطة غلاطية كما توهم صاحب الارج الزكي .
٤) الحقائق الوضية ص ٥٢ والمجموع اللطيف لمكاريوس ص ٦٢١
5) *Crusius, Turco - Graecia, IV ; Lequien, Or. Christ., II, Col. 771.*

وترعرع فيها. ثم سيم على ابرشية افخاثيطة المجاورة فاذابه يجيد العربية والسريانية واليونانية (١) ويتقن الخط فينسخ عدداً من المخطوطات لا يزال بعضها باقياً حتى يومنا هذا (٢). وافخاثيطة اسم يوناني اطلق على بلدة حناك. وقد ذكرها مكاريوس الحلبي فجعلها قرب معرة حلب. وشملت ابرشيتها محردة ومعلقا وافيون والبيا ويسارين. ونقل مكاريوس عن احد كهنة حماة الشيوخ انه كان على زمانه في محردة اربعة الاف انسان وكان يقيم فيها مطران افخاثيطة وان اخر من شرطن عليها ملاشيا. وتمر السنوات الاربع الاولى من بطريركيته هادئة خالية من كل ما يقلق البال فيطيب خاطر البطريرك الجديد ويهتم بشؤون الكنيسة الجامعة خارج ابرشيته. فيشترك في السنة ١٥٧٩ مع زميله ارميا القسطنطيني لحل نزاع نشأ في اوروشليم بين جرمانوس البطريرك الاوروشليمي ورهبان دير القديس سابا وانطوشه مار ميخائيل في اوروشليم وبين يواكيم متروبوليت بيت لحم. ويقوم بمهمة التدقيق والتحقيق دوروثيوس متروبوليت طرابلس بالنيابة عن البطريرك المسكوني وسياون اسقف صيدنايا بالنيابة عن البطريرك الانطاكي (٣).

وفي السنة ١٥٨٠ تحامل على البطريرك ميخائيل قوم من رعيته فاتهموه بإثم قبيح ورفعوا امرهم الى القاضي وجاءوا براهب فشهد عليه بذلك « واوجبوا عليه السقوط من كهنوته وكتبوا عليه صكاً بذلك ». فخرج من دمشق ورجع الى حماة واقام فيها. وعلم غريغوريوس متروبوليت حلب بذلك فلام البطريرك «على نزوله عن بطريركيته بغير حق وبغير مجمع بطاركة». فندم ميخائيل واحتفل بالقداس الالهي مع جماعة من رؤساء الكهنة والكهنة وحرم الدمشقيين (٤).

واقام الدمشقيون دوروثيوس متروبوليت طرابلس بطريركاً (١٥٨١) باسم يواكيم الخامس. فانقسمت الرعية وتراشق الطرفان بالحرم. وأيد ميخائيل

1) *Zygomolas, Th., Lettre à Crusius, Lequien, Or. Chr., II, Col 772.*
2) *Vat. Arab. 54 ; British Museum, Syr. 418 ; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 208 - 209.*
٣) هامش المخطوط في تفسير سفر التكوين ليوحنا الذهبي الفم الذي قدمه البطريرك غريغوريوس الرابع الى القيصر نقولا الثاني. راجع المشرق ١٩٢٤ ص ٦٧٣ ــ ٦٨٥.
٤) الحقائق الوضية ص ٥٢ ــ ٥٣

اساقفة الشمال وشد ازر يواكيم اساقفة الجنوب. « فكان بين الفريقين شقاق عظيم وغرامات لا تحصى. واضطر البعض الى جحد ايمانهم لشدة ما نزل بهم من الضيق وقتل اناس في هذه الفتنة ظلماً » (١).

واضطر ميخائيل ان يلجأ الى السلطات العليا. فأقام غريغوريوس متروبوليت حلب نائباً عنه وألبسه الصاكون لاول مرة. « ولم يكن اسقف حلب يلبس الصاكون». وسار ميخائيل الى القسطنطينية وشكا امره الى زميله البطريرك المسكوني. فنظر المجمع القسطنطيني في المشكلة الانطاكية وحكم لميخائيل. فاستصدر البطريرك المسكوني ارميا اوامر سلطانية بتأييد ميخائيل واعاده الى حلب معززاً بالقوة العسكرية. فتفاقم الشر واستطارت الفتنة وكثر الاعتداء وتنوعت المصادرات. « فعاد ميخائيل الى القسطنطينية (١٥٨٥) فحكم عليه بالنزول عن كرسيه وبالعودة الى مركزه في ابرشية افخاثيطة ». فعاد في البحر. ولدى وصوله الى جزيرة رودوس توفي فيها يوم عيد الميلاد سنة ١٥٩٢ (٢). وندم الراهب المفتري واعترف بذنبه امام يواكيم واستغفر. فأرعشت يدا يواكيم واصطكت ركبتاه وصاح لساعته: كل خامس يحرم. وانا يواكيم الخامس (٣).

رومة تواصل وتحادث: (١٥٨١ ــ ١٥٨٤) وضرب لوثيروس ضربته المؤلمة وصارح غيره كنيسة رومة وكاشفها بالخروج. فانجلت الشبهات وتنادى الآباء الغربيون وشحذوا للامر عزيمتهم واجتمعوا في تريدنتوم في التيرول سنة ١٥٤٥ وفي غيرها واتخذوا قرارات من شأنها اصلاح الكنيسة ودرء الخطر البروتستانتي عنها. ولم تنته اعمالهم المتقطعة قبل السنة ١٥٦٣. فأصدروا في السنة ١٥٦٤ بياناً بالعقيدة الكاثوليكية الصحيحة عرف فيما بعد بالبيان التريدنتي. وتريدنتوم هي ترانت الحديثة.

وفي السنة ١٥٥٩ اتصل اللاهوتي الالماني ميلانكتون بالبطريرك المسكوني يواصاف الثاني (١٥٥٥ ــ ١٥٦٥) ودعاه الى ابداء رأيه في المشادة اللاهوتية القائمة

١) المرجع نفسه ص ٥٣
2) *Note, Bodleian Collection, Ms. 92, (Nasrallah, J., Chron., 1957, 211).*
٣) المجموع اللطيف ص ٦٢٣

بـين البروتستانت والكاثوليك . وكان ميلانكتون يعطف على لوثيروس كثيراً ولكنه كان يسعى لتوحيد الصفوف . فأرسل البطريرك يواصاف شماسه ديمتريوس الى ويتنبرغ *Wittenberg* للبحث والتدقيق . وعاد الشماس حاملا بيان اوغزبورغ *Augsburg* الشهير . وما ان اطلع البطريرك عليه حتى نفر فأعرض وابتعد. وعاد علماء ويتنبرغ الى المواصلة راغبين في تأييد الكنيسة الارثوذكسية . فكتبوا في ذلك الى البطريرك المسكوني ارميا الثاني (١٥٧٢ ـ ١٥٩٥) فألف في الرد رسائل طويلة طافحة بالتعاليم الصحيحة المشتركة بـين فرعي الكنيسة الجامعة . فخيب املهم واثبت وحدة الاعتقاد بين الكنيستين اليونانية واللاتينية في مـا انكره لوثيروس واتباعه .

وأدى هـذا كله الى تيقظ رومة . فأصدر البابا يوليوس الثالث (١٥٥٠ ـ ١٥٥٥) في الثالث من تمـوز سنة ١٥٥٣ البولة *Cum Praesertim* فأمر بموجبها الرهبانية اليسوعية بفتح ثـلاث مدارس في الشرق في اوروشليم والقسطنطينية وقبرص « لترميم جدران الكنائس الشرقية واعادة رونقها القديم » (١). وجاء البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢ـ١٥٨٥) فانشأ مدرسة القديس اثناسيوس اليونانية في رومـة في السنة ١٥٧٧ لقبول الطلبة الروم . وعزم على تجديد العلاقات الودية مـع الموارنة فأوفد في السنة ١٥٧٨ الاب اليسوعي يوحنا اليانو للقيام بهذه المهمة . وكان الاب اليانو يجيد العربية والسريانية فجال جولة موفقة في ربوع الموارنـة ووضع تقريراً ضافياً في الحالة الدينية الراهنة آنئذ (٢) وعاد الى رومة فأثنى البابا على غيرته وفطنته وطول اناته واكد انه سيبذل الجهد لتنفيذ توصياته وانه مصمم على ايفاده ثانية الى لبنان. وعاد الاب اليانو ورفيق له اسمه الاب برونو في منتصف ايار سنة ١٥٨٠ ووصلا الى قنوبين في التاسع من تموز. وكان مجمع في قنوبين وكان احتفال رائع بزيارة القاصدين . وقضى الابوان سنة كاملة (آب ١٥٨٠ ـ ايلول ١٥٨١) يطوفان في ربوع لبنان ساعيين لنشر قرارات مجمع قنوبين وتعميمها . وفي خريف السنة ١٥٨١ ابحر المرسلان من طرابلس الى

1) *Lammens, H., Cum Praesertim, Etudes, Jan. 1897.*

٢) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية للاب لويس شيخو ص ١٣ ـ ٣٢

يافـه لزيارة القبر المقدس والتبرك بمشاهدته . وعادا الى لبنان في اواسط كانون الاول عن طريق البر ليزورا الموارنة في دمشق ويتصلا بالبطريرك الانطاكي كما اوصاهما الكردينال سان سفرينو.

ولدى وصول الابوين المرسلين الى دمشق كتب احدهما الاب اليانو الى البطريرك يواكيم الخامس ان يسمح له بزيارته مع الاب برونو باسم حبر رومـة غريغوريوس الثالث عشر وباسم الكردينال سان سفرينو «محامي الطائفة اليونانية». فعين البطريرك الانطاكي يوماً استقبلهما فيه مع اعيان الطائفة ورحب بهما . فدار الحديث عن محبـة غريغوريوس الثالث عشر لطوائف الروم واليونان وعن المدرسة التي انشأها في رومة لتخريج الشباب الروم ثم عن رغبة حـبر رومة في اتحاد الكنائس . فأجاب البطريرك الانطاكي انـه لا يستطيع ان يفعل شيئاً قبل الاتصـال بالبطريرك المسكوني . وكتب رسالة الى غريغوريوس الثالث عشر شكر له فيها لطفه وذكر سروره بمشاهدة المرسلين وشفعها برسالة ثانية للكردينال سان سفرينو (١) . وفي صيف السنة ١٥٨٢ قام الاب اليانو الى حلب لزيـارة الموارنة فيها. وكان بطريرك اليعاقبة اغناطيوس نعمة الله المارديني قد وقع في جدل مع بعض علماء المسلمين فاتهموه بالكفر واصدروا عليه الحكم بالاعدام. فحمله خوفه على الخروج وتظاهر بالاسلام . وكان قـد وخزه ضميره ففر من ديار بكر الى رودوس ومنها الى رومة سنة ١٥٧٨ وكان قد اعلن توبته ووعد برد طائفته الى العقيـدة الكاثوليكية . فاتصل الاب اليانو بداود شاه اخي البطريرك الجاحد والنائب البطريركي اليعقوبي فسوفه داود ووعده وعوداً عرقوبية. واجتمع الاب اليانو في اثناء اقامته في حلب بالبطريرك ميخائيل السادس مناظر البطريرك يواكيم الخامس وفاتحه كلاماً في اتحاد الكنائس «فاكتفى ميخائيل ببعض الوعود الطيبة» (٢).

وفي السنة ١٥٨٣ سام غريغوريوس الثالث عشر الاب ليوناردو آبـل المالطي اسقفاً شرفياً على صيدا وأنفذه الى الشرق ليعمل في سبيل الاتحاد ويدعو

١) الطائفة المارونية ايضاً ص ٦٢ ـ ٦٣

٢) المرجع نفسه ص ٦٨

للتقويم الغريغوري الجديـــد . ووصل الاسقف ليوناردو الى طرابلس واتصل ببعض الارثوذكسيين فيها ثم قام الى حلب وجالس ميخائيل البطريرك الصاحب وفاتحه كلاماً في أمر الاتحاد . ويقول ليوناردو ان ميخائيل شكا الظلم الذي لحق به والحيف الذي جره عليه بطاركة اليونانورجا المعونة من الكرسي الرسولي وانه لاجل هـــذا يرسل بياناً بايمانه مرفوقاً بالرسائل اللازمة (١) . وجاء في هامش سفرة البطريرك مكاريوس الحلبيالتي نشرها الخوري قسطنطين الباشا سنة ١٩١٢ ان الاب قسطنطين وجـــد في مكتبة الفاتيكان تحت الرقم ٤٨ من المخطوطات العربية نص الرسالة العربية التي وجهها البطريرك ميخائيل الى الكردينال سفرينو. واليك قراءة الاب قسطنطين :

« الحمد لله دائماً : لحضرة الاب الكردينال سنتا سافرينا وكيل ومدبر الشرقيين بمدينة رومة . اقبل الطلعة الاقدسية الخاشعة الماسكية الناسكية العالمة العاملة فخر الملة المسيحية الاب الاقدس والاناء غير المدنس الاب الكردينال سانتا سافرينا وكيل ومدبر جميع الشرقيين بمدينـــة رومية العظمى ادام الرب الاله رياسته وسني حياته ويرحم ضعف الحقير بمقبول صلواته امين .

« بعد تقبيل الطلعة الاقدسية واهداء السلام الروحاني والوحشة الزائدة اليها قرب الاله الاجتماع بها بخير وعافية وسلامة فانه على كل شيء قدير . ليس بخافي عن محبـــة قدسكم حضور المحب الكامل العالم العامل المحقق المدقق فريد دهره ووحيد اهل زمانه وعصره الاسقف كير ليونارضو اسقف مدينة صيدا الى البلاد وانه انشأ محبة وسلاماً وصلحاً مثل الرسول بولس. وكل ذلك لاجل اتضاعه ومنطقه الحلو . ولاجل محبته الزائدة آثر الحقير ان يصحبه مسافراً معه الى عند قدسكم ويشاهد طلعة قدس اب الاباء كير سيسطوس البابا الجزيل قدسه بمدينة رومية العظمى وقدسكم ايضاً . وما قطعنا عن السفر الا الضعف في مدينة حلب وشيء من الشيخوخة وعدمالقوة وشيء من عدم قوة الباصرة . ونرجو من الله ان يكون في العمر فسحة ويريد الله ان نحضر بين ايديكم ان شاء الله تعالى وبركة صلواتهم آمين .

« ونطالع قدسكم لا تسل عما جرى على هـــذا الحقير من الامتحان والشدائد . واخذني الروم مرتين بشاويش . وصار على الحقير شيء ما صار على الشهدا . ولكن الشهدا جرى عليهم من الملوك عباد الاصنام واما نحن صار علينا هذا من ابنا جنسنا وعشيرتنا من جماعة الروم . وقدس الاخ الاسقف يعلم ذلك . وفي مطالعةالاب البابا مسطر ذلك . وصبرنا علىذلك جميعه وقبلناه بشكر وشكرنا الله عليه ونحن اضعف عباده . وفي التواريخ كما في شريف علمكم جرى على آباء وقديسين كانت اشباحهم تقيم الموتى . وكل ذلك سمح الله به لاجل خطايانا وقلة محبتنا لبعضنا بعض وتعدينا على النواميس المقدسة اذ صارت البطركية والكهنوت ينباعوا بالمال ويوخذ عليهم الرشا . ويا ليت

1) *Rev. Or. Chrét., 1898, 5 - 6*

ينباعوا من النصارى بل من الامة الغريبة. وجميع ما كتبناه وعرفنا به قدسكم من تعدي النصارى ما هو قيراط من اربعة وعشرين . ونعرف قدس الاب ان من عظم ما عملوا مع الحقير انه لم يعد يقدر على القوت واللباس بشهادة الله .

« بعد تقبيل طلعة قدس الاب ثالثاً وطلعة من يلوذ بالولاية والاماكن المعمورة والمحلات السعيـــدة . زمان طويل . . . بشفاعة سيدتنا السيدة البتول والقديس مار بطرس الرسول صاحب الكرسي الروماني وجميع القديسين آمين . سطر في تاريخ شهر ايار سنة ١٥٨٥ الحقير البطريرك ميخائيل » (١) .

ويلاحظ انه ليس في هذا النص ما يخولنا القول ان ميخائيل دخل في طاعة رومة او انه قال قولها في أمر الانبثاق وغيره من الامور التي بحثها مجمع فلورنسة . ويلاحظ ايضاً ان رسالته الى البابا ضائعة وانه ليس لدينا من الروايات ما يثبت خضوع ميخائيل ودخوله في طاعة البابا سوى رواية الاسقف ليوناردو. ورواية ليوناردو فريدة في بابها ضعيفة في عدلها .

وقصد الاسقف البطريرك الجالس يواكيم الخامس للتفاوض معه في أمر الاتحاد فوجده قابعاً في عيتا البقاع مبتعداً عن السلطات العثمانية المحلية . فتحدث اليه في أمر الاتحاد فأرجأ البطريرك البحث الى اجتماع آخر يعقد في طرابلس بعد حين . وشددت السلطات على البطريرك في أمر المال المطلوب فانتقل من عيتا الى صيدا ومنها الى القسطنطينية في طلب المعونة .

وعاد الاسقف ليوناردو الى طرابلس فالتف حوله كل من يوحنا ابن الياس النحوي ويوحنا ابن نصرالله وسليمان ابن مرتيه وثلاثة آخرون ميخائيل وفضل الله ووهبة فوافقوه على الاتحاد وكتبوا بذلك الى حبر رومة غريغوريوس الثالث عشر مؤكدين الطاعة مستمدين البركة :

« والذييطالع به قدسسيدنا هو ان الابالاقدس والاناء المقدسابينا وسيدنا كير دون ناردو اسقف صيدونيا خبرنا عن جميع احسان قدسكم وحنوكم ومراحمكم والخير الذي تفعلوه مع ساير الطوايف المسيحيين وبالاكثر لطايفتنا عبيدك الملكية . وبعدها سافر من عندنا السيد كير دونلردو المشار اليه من طرابلس الى حلب ثم رجع الى مدينة الشام واجتمع مع سيدنا وبطريركنا كير يواكيم البطريرك الانطاكي بطريرك الملكية في قرية من قرا الشام تدعى عيتا . واتفق معه انه يجتمع عندنا

١) النخبة المشار اليها هامش الصفحات ٣٣ — ٣٥

في طرابلس في بيت الحقير تلميذكم . وكان الاتفاق بين سيدنا البطريرك وبين كير دوللردو ان « يكون » تمام المحبة والطاعة الى الكرسي البطريركي الرومافي على ما رتبوه الآباء القديسين الثلاثماية وثمان عشر في مدينة نيقية وايضاً على ما رتبوه الآباء القديسين في مدينة فرنسيا وعلى ان الاتحاد يكون واحد والامانة واحدة وهي الامانة المستقيمة الكاثوليكية الارثوذكسية تكون واحدة والمحبة واحدة . وايضاً خبرنا عن سبب القاعدة الجديدة التي صارت في كنيسة رومة المقدسة وهي قاعدة الاعيـاد والمواسم تكون عند جميع الطوايف .

« ولكن ما قسم نصيب في الاجتماع في هذه المدة لكون ان سيدنا البطريرك كير يواكيم صار عليه حيف كثير وخصر خصاير كثير وتدين مبلغ له صوره . وليس له قدرة على وفاء دينه وخشي من اصحاب الديون لا يحبسوه فما قدر ان يحضر الى طرابلس فنزل في البحر وسافر الى مدينـة القسطنطينية الى عند بطرك القسطنطينية شكى حالته وضرورته الى اخوته الاساقفة والاراخنة والكهنة لعل يجمعوا له شيء يوفي به دينه . وعن قريب ان شاء الله تعالى يحضر الى عندنا ونتكلم معه وتتمم ما في خاطركم وما رسمتم به » . (١) .

ويلاحظ هنا ان يواكيم البطريرك الجالس لم يفعل ما فعله مناظره ميخائيل البطريرك المخلوع ولم يكتب شيئاً الى رومة وانه ارجأ البحث مع الاسقف ليوناردو الى موعد آخر وسافر الى القسطنطينية قبل الاجتماع به مرة ثانية . ولعله رأى من المصلحة الملحة ان يكتب غيره الى رومة كتابة لطيفة تجعل حبرها يؤجل الاعتراف بميخائيل . لعـل هؤلاء الطرابلسيين كتبوا بدون استشارته . ويلاحظ ايضاً ان انسطاسيوس متروبوليت طرابلس الذي ساس آنئـذ ابرشيات طرابلس وبيروت وصيدا وصور صنف في السنة ١٥٨٣ نفسها رسالة رد فيها على ما جاء في رسالة البابا الى البطريرك يواكيم وان هذا الاسقف لم يكن يونانياً بل وطنياً نشأ وترعرع في مرمريتا في وادي النصارى (٢) . ويلاحظ كذلك انه على الرغم من هذا كله نرى الاب اليسوعي بوسيفينو *Possevino* رسول البابا غريغوريوس الثالث عشر الى القيصر الروسي ايفان الثالث يستبق ما جرى في حلب في السنة ١٥٨٤ فيؤكد في السنة ١٥٨١ ان بطريرك انطاكية اعترف بسلطة البابا وطلب تثبيته ! (٣) .

البطريرك يواكيم الخامس : (١٥٨١ ــ ١٥٩٢) ووصل يواكيم الى

1) *Rabbath, A., Documents Inédits, I, 183 - 186.*
2) *Tornberg, C., Codices Arabici, (Upsala, 1849), 489; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 213.*
3) *Musset, H., Hist. du Christ., II, 48 ; Nasrallah, J., op. cit., 213.*

القسطنطينية في السنة ١٥٨٤ فوجد حبرهـا ارميا منفياً الى رودوس ووجد خلفه باخوميوس طماعاً شرهاً لا يرى في الرئاسة الا وسيلة لجمع المال . فتابع السير الى كييف ومنها الى موسكو . ولدى وصوله الى عاصمة الروس جابهه صاحبها القيصر فيدور بوجوب الاعتراف ببطريركيـة روسية والسعي لدى سائر البطاركة لتأييد هذا الاقتراح . ثم زار يواكيم روثينية ونظر في شؤون الكنيسة فيها فأسس رهبانية ونهى الكهنة عن الزواج بعـد وفاة زوجاتهم (١) . وعاد الى مولدافية في السنة ١٥٨٧ فاتصل باسقفها جاورجيوس (موغيلة) واهداه ايقونة لا تزال محفوظة في دير سوكيفيتة حتى يومنا هـذا (٢) . وقام يواكيم من مولدافية الى تسالونيكية فابحر منها الى طرابلس فدمشق (٣) .

ويشير الاب نصرالله الى عبارة وردت في تاريخ المخطوطة الخامسة والثلاثين من مجموعة دير مار يوحنا الشوير جاء فيها ان ميخائيل اسقف طرابلس والكورة انتهى من نسخها في ١٣ نيسان سنة ٧٠٩٤ يـوم كان في اميون ينظر في قضية البطريرك يواكيم نقول يشير الى هذا كله فيظن ان الامور لم تكن على ما يرام في اثناء غياب يواكيم في روسية (٤) .

بطريركية موسكو : (١٥٩٠ ــ ١٥٩٣) وضعف نفوذ المغول وازداد نفوذ امراء موسكو . وفي السنة ١٤٨٠ تجرأ ايفان الثالث امـير موسكو على قتل رسول المغول الذي كان مكلفاً بطلب الضرائب . وعندئـذ شرع امراء موسكو في التغلب على امراء الروس الآخرين وجمع السلطة في ايديهم الى ان كوّنوا مملكة عظيمة متحدة الكلمة .

وفي السنة ١٥٤٧ والسنة ١٥٤٩ التأم في موسكو مجمعان روسيان للبحث في امور وامور اهمها مسح ايفان الرابع «القاسي» فسيلفساً واعتبار موسكو رومة ثالثة . وتم المسح في السنة ١٥٤٧ ونودي بايفان فسيلفساً بـدون استئذان

1) *Ecclesiasticos Pharos, Alexandrie, 1924, 308 ; Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 216, n. 40.*
2) *Radu, B., Patr. Or. XXII, 36.*
3) *Kratchkovsky, I., Izvestija Kavskogo Istoriko - Archeologichekogo Instituta, 1927, 21 - 30.*
4) *Nasrallah, J., Chron., P. O. C., 1957, 217.*

البطريرك المسكوني . ثم طلب ايفان الرابع الى البطريرك المسكوني يواصف الثاني الاعتراف بما تم . فوافق هذا البطريرك في السنة ١٥٦٢ ولكنه اعترض على طقس المسح (١) . وفي السنة ١٥٨٦ فاتح القيصر فيدور البطريرك الانطاكي يواكيم كلاماً في رفع متروبوليت موسكو الى رتبة بطريرك كما سبق واشرنا . ثم عاد ارميا الثاني البطريرك المسكوني الى كرسيه في السنة ١٥٨٨ فوجد الخزينة فارغة والاملاك مصادرة . فأم موسكو في طلب المعونة . فطلب فيدور اليه ما كان قد طلبه من يواكيم البطريرك الأنطاكي . فوافق ارميا ونصّب في السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٥٨٩ ايوب متروبوليت موسكو بطريركاً على موسكو . وفي ايار السنة ١٥٩٠ التأم مجمع في القسطنطينية اشتركت فيه الكنائس الرسولية الاربع . وبعد البحث في قضية البطريركية الروسية تقرر الاعتراف بايوب بطريركاً على موسكو والاعتراف بحق المجمع الرومي في انتخابه واعتباره الخامس رتبة بعد البطريرك المسكوني وسائر البطاركة الارثوذكسيين ووقع هذا القرار كل من ارميا بطريرك القسطنطينية ويواكيم بطريرك انطاكية وصفرونيوس بطريرك اوروشليم (٢) . ولم يرض فيدور عن رتبة بطريركه وساءه ان بطريرك الاسكندرية لم يوقع قرار القسطنطينية فعاد البطاركة الى الاجتماع في شباط السنة ١٥٩٣ وجددوا القرار السابق ووقعه كل من ارميا الثاني البطريرك المسكوني وصفرونيوس بطريرك اوروشليم وملاتيوس بطريرك الاسكندرية بالاصالة عن نفسه وبالنيابة عن بطريرك انطاكية (٣) . وكان يواكيم قد توفي في السابع من تشرين الاول سنة ١٥٩٢ .

البطريرك يواكيم السادس : (١٥٩٣ ـ ١٦٠٤) وهو الملقب بابن زيادة « وكان مطراناً على حمص فأقاموه بطركاً ومكث احدى عشرة سنة . وفي ايامه خرج واحد من ابناء دمشق يعرف بابن الكباب فتزيا بزي راهب وجعل يطوف في البلاد حتى انتهى الى بلاد الكمخ (٤) وما والاها من بلاد المشرق . وادعى انه مطران مرسل اليهم من قبل بطرك انطاكية وكانت معه كتب مزورة

1) *Regel. Analecta Byzantino - Russica, LIII - LVI.*
2) *Ibid., 98 - 100.*
3) *Dositheos, Tomos Agapes, Jassi, 1698, 541.*
٤) ولعل المقصود بلاد الكرج

عن البطرك فقبلوه عندهم واكرموه . واقام يقدس عندهم وجعل منهم كهنة وشمامسة ورهباناً . وعمل كل مايعمله رؤساء الكهنة . ونمي امره الى البطرك فاغتاظ غيظاً شديداً ولا سيما حين علم انه قد جمع منهم مقداراً جزيلا من المال . وكان النصارى في تلك الناحية يعادلون بقية النصارى في سائر الكرسي الانطاكي . فأرسل مكاريوس ابن خلف مطران حلب بكتاب منه الى غريغوريوس بطريرك القسطنطينية يعلمه بالأمر . فاستعان بطرك القسطنطينية بالوزارة وبعث فاشخص ابن الكباب الى هناك ورافعه الى مقام الوزارة وطالبه بالمال المجموع فجحد ايمانه واعتصم بالاسلام . فلم يحصل البطرك منه على طائل . ولشدة ما ناله من الغيظ مرض وتوفي . واما الكهنة والشمامسة الذين اقامهم ابن الكباب فحكم البطرك ومجمعه في دمشق ان تعاد شرطونيتهم لان ذلك المحروم لم تكن عليه شرطونية » (١) .

ومن اخبار هذا البطريرك انه طبخ الميرون المقدس وكرسه كالعادة يوم الخميس الكبير سنة ١٥٩٤ وانه وافق على تقسيم ابرشية افخائيطة في السنة ١٥٩٧ بين مطراني حمص وحماة (٢) . ومن اخباره ايضاً انه تدخل في شؤون كنيسة قبرص وطالب بخضوعها الى الكرسي الانطاكي متذرعاً بما اسماه القانونين السابع والثلاثين والثاني والاربعين من قوانين المجمع المسكوني الاول مبرزاً نصاً عربياً قديماً بذلك . فأقنعه زميله الاسكندري البطريرك ملاتيوس (بيغاس) بأن هذه النصوص مدسوسة على قرارات نيقية . وكان السبب في تدخله في شؤون قبرص الاضطراب الذي نشأ فيها من جراء الاختلاف بين مجمعها المقدس وبين رئيس اساقفتها اثناسيوس (١٥٩٢ ـ ١٥٩٨) (٣) .

دير البلمند : (١٦٠٣) وبقي دير البلمند خراباً بعد خروج الصليبيين حتى اوائل القرن السابع عشر . فقد جاء في كراس قديم بخط سيميون القس الراهب الذي اشترك في حفلات افتتاحه ثانية ما نصه :

« بسم الله الخالق الحي الازلي الناطق . لما كان بتاريخ شهر ايلول المبارك

١) ميخائيل بريك : الحقائق الوضية لسليم قبعين ص ٥٣ ـ ٥٤
٢) نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي لخوري قسطنطين الباشا ص ٣٥ و٢٦ـ٢٧ هامش
3) *Chrysostomos, (Papadopoulos), Ist. Ecc. Autiocheia, 1001 - 1002.*

سنة سبعة الاف وماية واحد عشر لكون العالم (١٦٠٣) اتفق على بركةالله وحسن توفيقه تاريخ فتوح دير ستنا السيدة ومار جرجس المعروف بدير القالمند باشارة السيد المطران ايواكيم مطران محروسة طرابلس . وانه اعتنى واشار بعمارته وانه طلع لعند الحقير مكاريوس الديراني الذي كان سابقاً رئيساً على دير ستنا السيدة الذي يعرف بدير كفتون . وانه أجاب الاب الحقير باشارة السيد المطران كير ايواكيم مطران ثغر بيروت براي المشايخ ابو صالح والحاج سليمان ياضجي يوسف باشا سيفا ومشايخ قرية فيع الحاج فرحات والحاج بطرس . وابتدينا بفتوحه لانه كان خراب داشر من زمان دخلوا الاسلام الى البلاد وهو تاريخ ثلاث ماية وثلاثين سنة » (١) .

حرص يباعد : وعُني البابا غريغوريوس الثالث عشر (١٥٧٢–١٥٨٥) بالمؤمنين في الشرق عامة وخصّ الموارنة برعايتـه فاستقصى اخبارهم واستجلى غوامضهم . ثم أوصى وأمر بالتنفيـذ . وحـذا حذوه اقليمس الثامن (١٥٩٢ ــ ١٦٠٥) فأعـاد البحث وكرر التوصية . وغالى الحبران في العناية وتطرفا في الحرص فنفّرا الارثوذكسيين وزادا الانشقاق اتساعاً .

« والاغلاط التي كانت لا تزال تعزى الى الموارنة هي قولهم ان في المسيح طبعاً واحداً ومشيئة واحـدة وفعلا واحداً وان الروح القدس ينبثق من الآب وحده وان التقديسات الثلاث (تريساغيون) تدل على صلب الثالوث بجملته وان لا وجود للمطهر ولا للخطيئة الاصليـة وان النفوس لا تنال ثواباً او عقاباً قبل الدينونة وانـه يجوز انكار الايمان ظاهراً وان سرّ التثبيت لا يمتاز عن المعمودية وانه يلزم خلط الميرون بغير البلسم ايضاً وانـه يلزم التقديس على الخمير وان المسحة تكون بالزيت الذي يباركه الكاهن لا الذي يباركه الاسقف وان طلاق الزوجة لعلة الزنى والمرض جائز وان صور الاسرار ناقصة وانها ابتهالية » (٢) .

والتدقيق في هذه الامور وغيرها تم على يد الآباء اليسوعيين اليانو وراجيو في السنة ١٥٧٨ ودنديني وبرون في السنة ١٥٩٦ . وأوصى هؤلاء الآباء باشياء

١) مطبعة دير البلمند لعيسى زريق : المنار ١٩٠٢ ص ٢٦٣ – ٢٦٤ وتاريخ سورية لجرجي يني ص ٣٩١ .

٢) كتاب المجمع اللبناني : الذيل ص ٩ وتاريخ سورية الدبس ج ٧ ص ١٤٠ — ١٤١

واشياء ووافقت رومة على معظم هذه التوصيات . والتأم مجمع ماروني في قنوبين في السنة ١٥٨٠ وفي السنة ١٥٩٦ فكـان اجماع على القول بالطبيعتين والمشيئتين وعلى حذف العبارتين « يامن وُلدت لاجلنا يامن صلبت لاجلنا » من التريساغيون وعلى تحريم جحد الايمـان (١) وكان بالتالي تقارب من الارثوذكسيين . ولكن هذه التوصيات الرومانية أوجبت على الموارنة القول بالانبثاق من الاب والابن والاكتفاء بذكر كلمات السيد لاجل الاستحالة والابتعاد عن مناولـة الاطفال وحظرت زواج المارونيات من « المشاقين » والبحث عن كتب المشاقين وحفظها عند البطريرك في مكان مغلق وعـدم السماح بمطالعتها الا للعلماء فتجانبت وباعدت (٢) . ثم جاءت السنـة ١٦٠٦ فأمر البطريرك يوسف الرزي باتباع الحساب الغريغورياني فعيـد الموارنة في طرابلس والجبة والبترون وجبيل مع الافرنج وقبل الطوائف الشرقية بعشرة ايام ! ثم اتبع باقي الموارنة هذا الحساب في دمشق وحلب وسائر المدن والقرى . اما موارنة قبرص فانهم اصروا على اتباع الحساب القديم واستمروا في ذلك مدة اخرى من الزمن (٣) .

مدرسة الموارنة في رومة : (١٥٨٤) وأحس بطاركة الموارنة بحاجة طائفتهم الى كهنة مثقفين فبدأوا يرسلون منذ السنة ١٥١٥ الى رومـة احداثاً يتعلمون اللاتينية ويدرسون تعاليم الآباء . ومن هؤلاء بعثة البطريرك شمعـون الحـدثي سنة ١٥١٥ وبعثة البطريرك ميخائيل الرزي سنة ١٥٧٨ فبعثة اخيه سركيس سنة ١٥٨٣ .

وفي السنة ١٥٨٤ بلغ عـدد الاحداث الموارنة المرسلين الى رومة لتلقي العلوم الاكليريكية فيها عشرين طالباً . فأفرد البابا غريغوريوس الثالث عشر داراً وكنيسة لهم . وفي الخامس من تموز من هذه السنة نفسها وافق على نظام تدريس هؤلاء الطلبة بالبولة *Humana sic ferunt* . وقد جاء في هذه البولة ما حمل البابا

١) والاشارة هنا الى فرقة البياضية من الموارنة الذين سكنوا العرقوب وقالوا بالنصرانية باطناً وتظاهروا بالاسلام وتعمموا بعمائم بيضاء . الدبس ايضاً ج ٧ ص ١٣٤ .

2) *De Clercq, Ch., Hist. des Conciles, XI, 3 - 27 ; Dib, Mgr. P., Les Conciles de l'Eglise Maronite de 1557 à 1644, Paris, 1926.*

٣) تاريخ سورية للدبس ج ٧ ص ١٣٣

على افراد المنزل السابق للطلبة الموارنة وجعله مدرسة ومـــا كان يتوقعه منها من الفوائد . ثم عـــدد المداخيل وشروط الالتحاق وغـــير ذلك من النظم . وجعل المدرسة تحت نظام محامي الطائفة المارونية . وكان هـــذا آنئذ الكردينال كرافة . ولا تزال قوانين هذه المدرسة محفوظة في سجلات الرهبانية اليسوعية التي تعود الى ذلك العهد . وقد نقل الاب شيخو شيئاً منها الى اللغة للعربية (١) .

البطريرك دوروثيوس الخامس : (١٦٠٤ ــ ١٦١١) وشاخ يواكيم السادس وذهب ضؤ عينيه فامتنع عليه امر الادارة واعجزه وأعياه . فطلب اليه اعيان الطائفة في دمشق ان يرسم اسقف قلاية يقوم بتدبير امورهم . فسام عبد العزيز ابن الاحمر شماساً في السنة ١٥٩٥ ثم قساً ثم خورياً ثم اسقفاً على قـــلاية البطريركية ودعاه دوروثيوس . وقام الاسقف دوروثيوس باعماله الادارية خير قيام وأصبح هو البطريرك . وذهب يواكيم الى السيسانية مسقط رأسه في منطقة حصن الاكراد . ثم عول على العزلة في دير القديسة كاترينة في طورسينا فقام من السيسانية الى مصر . ولدى وصوله الى القاهرة لبى دعوة ربـــه فيها في السنة ١٦٠٤ فنقل جثمانه الى طورسينا ودفن فيه . فخلفه دوروثيوس (٢) .

وجاء في التختيكون للقس يوحنا العجيمي ان دوروثيوس لم يكن مـــن ذوي العلم الواسع ولكنه كان غيوراً شجاعـــاً . فرمم دار البطريركية في دمشق ووسعها ورفع الضرائب عن الكهنة والرهبان وخفف وطأة البلص والظلم . وجعل جباية الاموال الاميرية من النصارى الارثوذكسيين بيد جباة ارثوذكسيين . وصمد في وجه الطغاة من الحكام وقاومهم . وذهب الى الاستانة نفسها ليقتص من متسلم انطاكية وعاد منها حاملا امراً عالياً بعزله من منصبه ! وذكر بالاماس صاحب تاريخ مدينة اوروشليم اليوناني (٤٨٨) ان دوروثيوس الخامس زار اوروشليم في ١٦٠٨ فاشترك مع كيرلس البطريرك الاسكندري في تنصيب ثيوفانس البطريرك الاوروشليمي (٣) . وخرج من دمشق ليتفقد شؤون النورية (ابرشيات الكرسي)

١) الطائفة المارونية والرهبانية اليسوعية للاب لويس شيخو ص ٦٩ ــ ٨٠

٢) الحقائق الوضية ص ٥٤ ونخبة من سفرة البطريرك مكاريوس للخوري قسطنطين الباشا ص ٥٥

٣) اسرة آل فرعون للخوري قسطنطين الباشا ص ٤١ ــ ٤٤ والحقائق الوضية ص ٥٥

ولدى وصوله الى حاصبيا أقام قداساً وشرطونية . وحين خروجه من القداس توفي فجأة فدفن في حاصبيا .

البطريرك اثناسيوس الثالث : (١٦١١ ــ ١٦١٩) واختلفت الآراء في من يخلف دوروثيوس . وكثر عدد «المنتدبين» . وكان خلاف وكانت «مشاحة» شديدة . ثم برز اثناسيوس (ابن الدباس) متروبوليت حوران وطلب البطريركية لنفسه . ووعد بأنـــه « يؤدي عنهم في كل سنة ما يتبقى من جوالي المسيحيين . فرضوا وكتبوا عليه خطاً في ذلك» واقاموه بطريركاً عليهم (١) . وكانت حوران آنئذ تغذي الجالية الارثوذكسية في دمشق بالرجال والانفس . فكثر عدد الحورانيين في المركز البطريركي ونفذت كلمتهم . وكانت اسرة بيت الدباس من اعز الاسر النصرانية في دمشق . فرحب الروم بالبطريرك الجديد وعقدوا به حبل امانيهم . ثم خرج البطريرك في جولة رعائية فزار حمص وحماه وحلب وادنـــه . وسار الى القسطنطينية لمحاكمة ملاتيوس مطران حلب . وعاد الى دمشق . وحان اجل الجوالي فأدى الدمشقيون وغيرهم ما تيسر منها وطالبوا البطريرك بالباقي بموجب الاتفاق الخطي . فامتنع عن ادائه . فشكوا امرهم الى الوالي فحكم على البطريرك بالحبس في القلعة . فافتدى البطريرك نفسه بمبلغ من المـــال . وخرج الى نواحي طرابلس وتوفي هناك في الصوم الكبير ودفن في دير كفتين (٢) .

البطريرك اغناطيوس الثالث : (١٦١٩ ــ ١٦٣٤) وبعد وفاة اثناسيوس الثالث حضر اخوه كيرلس متروبوليت حوران الى طرابلس . واستعان بالحاج سليمان النصراني كاخية يوسف باشا سيفا حاكم طرابلس ووجهائها فأسعفه بما طلب وأرسل جماعة من الجند فأحضروا سياون متروبوليت حمـــاة وعازر متروبوليت حمص وديونيسيوس اسقف الحصن واكرههم على تنصيب كيرلس بطريركـــاً . ففعلوا ونصبوه في اميون . واقام في طرابلس يسانده يوسف باشا .

وكان اهل دمشق قد انتدبوا الى البطريركية لدى وفاة اثناسيوس الثالث

١) الحقائق الوضية ص ٥٥

٢) المرجع نفسه وسفرة البطريرك مكاريوس ص ٣٦

اغناطيوس (عطية) متروبوليت صور وصيدا . وكان اغناطيوس قد سافر الى القسطنطينية على رأس جماعة من الاعيان. فاستقبله بطريركها تيموثاوس بكل ترحاب وأقامه بطريركاً على انطاكية في اليوم نفسه الذي تسلم فيه كيرلس عكاز الرعاية في اميون . وعاد اغناطيوس الى دمشق حاملا براءة سلطانية فاستقبله الدمشقيون بفرح واحتفال عظيمين .

وارسل كيرلس ابن عمه جرجس الى القسطنطينية فأخرج له امراً عالياً بعزل اغناطيوس ونفيه الى قبرص . فدفع اتباع اغناطيوس اموالا طائلة فأبقوه في كرسيه . فقصد كيرلس سميه كيرلس (لوكارس) بطريرك الاسكندرية وشكا الدمشقيين اليه. فكتب هذا الى الدمشقيين يلومهم فأجابوه جواباً جافياً ولم يسمعوا له في ذلك قولا . وجاء لغطاس قندلفت انهم قالوا: «لا نريد كيرلس ولا نرضاه واما انت فانظر الى حالك وليس لك ان تلزمنا وتحكم علينا في شيء لا نرضى به » (١) . وازداد التعصب والشر وتوفي ابن سيفا حاكم طرابلس . فهرب كيرلس من طرابلس خوفاً من ابن معن . وقام الى حلب ونزل في دار المطران ملاتيوس . واقام هناك اثنين واربعين يوماً . ولم يدعه المطران الى القداس ولا شارك احدهما الآخر في ذلك .

ثم خرج كيرلس من حلب الى القسطنطينية . وكان كيرلس بطريرك الاسكندرية قد أصبح بطريركاً مسكونياً . وكان جراسيموس قد خلفه في كرسي مرقس . ففرح كيرلس الاسكندري بمقدم كيرلس الانطاكي وارسله الى بلاد الفلاخ والبغدان وأصحبه برسائل منه الى اكابر تلك البلاد فأكرموه . ثم عاد الى القسطنطينية واستخرج امراً سلطانياً بعزل اغناطيوس . فتجددت الغرامات في دمشق وانفق اهلها اموالا جزيلة واستخرجوا امراً بعزل كيرلس. ففعل هذا مثل ذاك وهكذا حتى اضمحلت احوال المسيحيين في الابرشية كلها ولا سيما في دمشق. وتكاثر الضغط والضيق فاضطر الكثيرون الى الاختفاء . وتوارى الكهنة عن الانظار . وتوفي احد الاكابر فلم يجدوا كاهناً يتولى دفنه . وكان اغناطيوس في

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين : المنار ج ١ ص ٢٣١

هذه المدة كلها في بيروت وصيدا .

وعاد كيرلس من القسطنطينية الى حلب في السنة ١٦٢٤ فنزل في دار احد اكابر الارمن لان ملاتيوس لم يقبله في دار المطرانية. وأدب كيرلس مأدبة فاخرة ودعا اليها اكابر المدينة من الاشراف والجند (الانكشارية) وبطريركي الارمن والسريان وكانا يومئذ في حلب مع حاشيتها واكابر الافرنج وغيرهم . فأرسلوا واحضروا ملاتيوس من قلايته وحضوه على مشاركة كيرلس في القداس فأبى وانصرف وتمارض . فأرسل كيرلس يطالبه بواسطة مجلس الحاكم بمال اثني عشرة سنة . فأمر الحاكم فجلد ملاتيوس ثمانين جلدة وحمل على بساط وحبس اثني عشر يوماً . ففدى نفسه بمال كثير وخرج واختبأ في بيت احد شيوخ المسلمين . وفي السنة التالية جمع كيرلس مجمعاً عظيماً آخر وخاطب ملاتيوس في شركة القداس فأبى وانصرف الى القسطنطينية . فتبعه كيرلس اليها وجرت بينهما مخاصمات كثيرة . ثم عاد ملاتيوس الى حلب وعاد كيرلس ايضاً اليها في السنة ١٦٢٨ . وترافعا الى الحاكم . فحبس الحاكم ملاتيوس في القلعة وسجن سبعة وعشرين من اتباعه في سجن المتسلم . وغرمهم بمال كثير .

مجمع رأس بعلبك : (١٦٢٨) وسار كيرلس بعد ذلك الى دمشق. فلم يقو الدمشقيون على مقاومته . فأرسل يسأل ابن معن ان يأمر بعقد مجمع من رؤساء الكهنة لينظر في المشكلة القائمة بينه وبين اغناطيوس . فأجابه الامير الى ذلك. وقام اغناطيوس سنة ١٦٢٨ الى قرية رأس بعلبك الى دير السيدة بجوارها وتوافد رؤساء الكهنة ايضاً . ولكن كيرلس توانى فأحضره الامير بالقوة . ونظر الاساقفة في أمره فأجمعوا على قطعه وافرازه « لانه صار بغير رضى اهل ابرشيته ولكثرة اذاه وضرره » وثبتوا رئاسة اغناطيوس . وغضب فخر الدين ابن معن على كيرلس فنفاه الى مغارة الراهب بالقرب من الهرمل « وفيها كان قبره » .

ووضع الرؤساء المجتمعون في رأس بعلبك قوانين كيفية انتخاب البطاركة والمطارنة وانتداب الكهنة. وحرموا بعض العادات بين المسيحيين تتعلق بالزيجات والاعراس والأديار . وجعلوا قوانينهم في عشرين مادة . وكان عدد رؤساء

الكهنة احد عشر وهم سمعان متروبوليت حمــاة ويواكيم متروبوليت حمص وملاتيوس متروبوليت حلب ومكاريوس او مرقس متروبوليت صور وصيدا ونقولاووس متروبوليت حوران وابيفانيوس متروبوليت بعلبك ويواكـيم متروبوليت طرابلس واغناطيوس متروبوليت باياس من اعمال قيليقية وسمعان اسقف صيدنايا ويواكيم اسقف الزبداني ويواصف اسقف قارة . وكان يحيط بهم عدد من وجهاء الملة . وكان ذلك في حزيران السنة ١٦٢٨ . وجاء لبولس ابن الزعيم ان الرؤساء كتبوا بذلك «صورة» حفظوها في خزانة كتب البطريركية وانه كان لديه نسخة عنها . وجاء لغطاس قندلفت انه عرف هذه الأحكام وانه سينشرها في مقال عن تاريخ نظام الكنيسة (١) .

« اولا : كان للمسيحيين عادة ردية اذا مات البطرك يحضر رئيسي كهنة او ثلاثة ويصلوا عليه بغير حضور باقيهم فن الان لا يجوز ان يصير بطرك الا بحضور رؤساء كهنة الابرشية جميعهم والمتروبوليت الاكبر وان صار بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« ثانياً : كان لهم عادة يصير بطرك بغير قرعة حسبما يامر في النواميس المقدسة فن الان لا يجوز ان يصير بطركبلا قرعة وبغير رضىالشعب بل اذا حضر جميع روسا الكهنة ينتخبوا ثلاثة منهم يكونوا تربوا بالعفة والبتولية والذي تقع عليه القرعة من الثلاثة يصير بطرك وان صار بخـلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« ثالثاً : كان لهم عــادة ردية يصيروا بطرك بغير مشورة وبسبب ذلك يصير انشقاقات وشرور وفتن فن الان لا يجوز ان يصير بطرك بغير مشورة بــل يكون برضى الشعب لان البطرك خليفة المسيح والمسيح هو فخر السلامة وان صار بطرك على غير ذلك وعمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« رابعاً : كان لهم عادة ردية ان اعوام المسيحيين وبعض كهنة يدخلوا في امر البطركيــة ويعملوا بطرك على مرادهم وشهوتهم فن الان لا يجوز لاحد من العوام المسيحيين ولا من الكهنة ان يتدخلوا في امر البطريرك بالكلية بل ان كان في امره شغب فليؤخذ راى الاكثر منهم ومن عــمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« خامساً : كان لهم عادة ردية اذا مات البطريرك قبل ان يلتم روساء الكهنة يعملوا بطرك ويصلوا عليه ويحتجوا بخدمة الحاكم فن الان لا يجوز فعل ذلك بــل يمهلوا الحاكم حتى يحضروا

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : مجلة المنار ج ١ ص ٢٣١ وسفرة البطريرك مكاريوس للخوري قسطنطين الباشا ص ٣٨ والحقائق الوضية ص ٥٥ ـ ٥٨ .

روسا الكهنة كلهم واذا حضروا كافتهم يرموا قرعة ويصلوا على واحد ويصيروه بطرك وهو يعطي الخدمة كالعادة ومن عمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« سادساً : كان لروساء الكهنة عادة ردية اذا مات البطرك يسبق واحد منهم حتى يعمل بطرك بامر الحاكم قبل مــا يجوا رفقته ويكون غير مستحق البطركية واخر يتأخر عن الحضور خوفاً من التعب والنصب فــن الان لا يجوز لاحد ان يسبق لياخذ البطريركية بامر الحاكم ولا يجوز لاحد ان يتاخر كسلا منه وتهاوناً بالجمع . وهذه المهلة التي يحضروا فيها روسا الكهنة شهر من الزمان والكثير شهرين وان زاد عن ذلك ثلاثة شهور على مــا في الناموس المقدس ومن عمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« سابعاً : كان لهم عادة رديــة ان البطرك ياخذ على الشرطونية من الروسا الكهنة وروسا الكهنة ياخذوا من الكهنة والشمامسة فن الان لا يجــوز لبطرك ولا لمطران ولا لاسقف ياخذ على الشرطونية ولا احد يعطي على الشرطونية لان ذلكفي الشرطونية خطيئة واصلة الى الله وهي كالتجديف على الروح القدس واعظم من تسليم يوضاس للمسيح واكثر كفر من ابوليناريوس واعظم تجديف من مكدونيوس فن اخذ على الشرطونية فجماعة السينودس تحرمه .

« ثامناً : كان لروساء الكهنة عادة رديةاذا جاء اليهمانسان ليرتسم كاهن وكان مشهور بالاسم ما يبحثوا عنه ولا عن سيرته بل يشرطنوه بغير فحصويعتقدوا ان الشرطونية تغفر الخطايا الكبيرة فن الان لا يجوز ان يصير كاهن بغير فحص لئلا يكون سقط في خطيئة من الخطايا التي تمنع الكهنوت بل يكون حر طاهر من بيت احرار ولا يكون امي بل كامل بالعلم والعمل وكل من عمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« تاسعاً : كان لهم عادة رديــة ياخذوا رشوة على الزيجة الحرم سواء كانت جسدانية او روحانية بالشبونية وتكون ناقصة وجه ويسموا الرشوة قانون ويقولوا نعطيه للفقراء فن الان لا يجوز لاحد ان يحلل الزيجة الناقصة وجه لا جسدانية ولا روحانية اعني الشبونية لان قراية الميرون الروحانية اعظم من القرابــة الجسدانية فكل من رشى او ارتشى وعمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« عاشراً : كان لهم عادة ردية ان في عماد اولادهم يهدوا لهم اشابينهم هدية اما ذهب واما فضة واما قماش او غير ذلــك ويعملوا يوم العماد ويوم الاسبوع ولائم وضيافات للاكل والشرب والسكر والمصيبة الكبيرة انهم يطلقوا للاشابين ان يكون راهن من غير مانع فن الان لا يجوز فعل ذلك جميعه ومن عمل بخلاف ناموس الله فجماعة السينودس تحرمه .

« حادي عشر : كان لهم عادة ردية يغلوا صداق البنت وياخذوا في عربون الخطبة اما اساور ذهب واما مبلغ له صورة او غير ذلك من المتاع وكذلك في الصداق يطلبوا مال كثير حتى ان البنت كانت تقوم مقام النسا ولم تخطب والرجل يشيب ولم يتزوج فلذلك عملنا للبنات صداق حــد محدود فحددنا لروس الطبقات اربعون غرشاً وعربون اربعــة غروش والحد الاوسط ثلاثين غرش وعربون

ثلاثة غروش والحد الذي دونه عشرين غرش وعربون غرشين واقل ذلك عشرة غروش وغرش عربون واما الهدايا في الاعياد تكون بالقناعة بغير حيف على العريس مدة الخطبة ثلاث سنين كما في الناموس ومن خالف ذلك فجماعة السينودس تحرمه .

« ثاني عشر : كان لهم عادة ردية ان الكهنة يدخلوا الى الاعراس التي فيها الطبل والزمر ويجلسوا في الولائم والعزائم ويشربوا الى ان يسكروا بالخمر فمن الآن لا يجوز لكاهن من الكهنة ولا لشماس من الشمامسة ان يفعلوا مثل هذه الافعال المذمومة لئلا يبكتهم الكتاب القائل « اذ كان الطعام في أفواهم طلع عليهم رجز الله وقتل اكثرهم وعرقل مختاري اسرائيل » والكتاب الآخر القائل « لا تشربوا الخمر لئلا تنسوا الحكمة » والرسول الالهي قال ان السكيرين بالخمر لا يدخلون ملكوت الله ومن سكر وعمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« ثالث عشر : كان لهم عادة ردية انهم يكللوا العريس والعروس من المسا وفي الليل برا الكنيسة ويكون الكاهن فاطر والعريس والعروس فاطرين وينقشوا يديها ورجليها بالماشطة مثل الامم ونسيوا ان الاكاليل مثل القداس الالهي وجهلوا ايضاً انه لا يجوز الاكليل الا في الكنيسة ويكون الكاهن صائم والعروس والعريس صائمين وغير مزينة بالماشطة حتى يحل عليهم الروح القدس فمن الآن لا يجوز ان يصير اكليل برا الكنيسة الا من ضرورة ويكون الكاهن صائم والعريس والعروس صائمين وغير مزينة بالماشطة فمن عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« رابع عشر : كان لهم عادة ردية ان الكهنة يكتبوا الحروز والعوام يعلقوا الحروز والتعاويذ على رؤوس اولادهم ويقرأوا صلاة السيدة ويعلقوها على اولادهم وكثير من المسيحيين ويصدقوا المنجمين والرقائين وربما انهم يرقوا رقوات مثل الامم ويفتحوا الفال ويمضوا الى عند السحرة فمن الآن لا يجوز فعل ذلك لان الكتاب الالهي يقول لا يكون فيكم من يفتح الفال ولا من يقول بالرقا ولا من يكتب الحروز ومن فعل ذلك ان كان كاهن يقطع من كهنوته وان كان علماني يفرز من بيعة الله فمن عمل بخلاف ناموس الله جماعة السينودس تحرمه .

« خامس عشر : كان لهم عادة ردية ان الرجال يناموا في ديورة النساء والراهبات يختلطن في الرجال فمن الآن لا يجوز فعل ذلك لان الشيطان له مدخل عظيم في مثل هذا الامر فمن تعدى ذلك وعمل بخلاف ناموس الله جماعة السينودس تحرمه .

« سادس عشر : كان لهم عادة ردية بغير معرفة وجهلا منهم يدخلوا كتب الاراتقة الى الكنيسة ويظنوها كتب الارثوذكسيين ويقروا منها قصص واخبار وميامر وغير ذلك فمن الآن لا يجوز فعل ذلك على ما يأمر به الناموس المقدس فمن عمل بخلاف الناموس فجماعة السينودس تحرمه .

« سابع عشر : كان لهم عادة ياخذوا على التوبة والاعتراف دراهم ويسموها قانون ويحتجوا حجج بليدة ويقولوا ما ناخذ لنا بل صدقة للفقراء او ثمن قداسات او ثمن خام للمحتاجين. فمن الآن لا يجوز لمعلم اعتراف ان يعمل سوى صوم وصلاة ومطانيات وان امر بصدقه للتائب او بقداسات فيقول للمعترف ان يعطي ذلك للفقراء من يده الى يدهم وعلى يد معلمه ومن عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« ثامن عشر : كان لهم عادة ردية الرهبان المرسومين على دير ينتقلوا الى دير غيره والرهبان الكهنة والرهبان العامية يدوروا في المدن والقرى ويقبلوا اولاد من المعمودية ومنهم اناس يلموا دراهم ويأخذوا نذورة على اسم كنيسة قديس من القديسين او على اسم دير من الديورة ويكون معهم كتب من غير منشور بطرك الابرشية فمن الآن لا يجوز فعل ذلك ومن عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« تاسع عشر : كان لهم عادة ردية ان البطرك يرسم شماس او قس من غير ان يكون معهم منشور من رئيس كهنتهم ولا كتاب في خطوط ايادي اهل بلدهم بانهم مستحقين الكهنوت . واشر من ذلك ان بعض كهنة يكونوا مرسومين على كنيسة فيتركوها وينتقلوا الى كنيسة غيرها . فمن الان لا يجوز فعل ذلك . وكل من عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« العشرون : كان لهم عادة ردية انهم يعملوا في كل موضع مرتشي لاجل قبض البرطيل الذي سموه قوانين الذي ياخذوها على زيجات الحرام ويسموا المرتشي وكيل البطرك . والمصيبة العظيمة يكون الوكيل عامي من اعوام الناس ويدخل في امور الكهنوت ويعترض على رئيس كهنة البلد في امور الدين . فمن الان لا يجوز يكون مثل هذه العادة الردية . ولا يصير وكيل بطرك في بلد التي فيها رئيس كهنة . فمن عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه .

« الخاتمة : ولتعلم جماعة المؤمنين ان اعراس المسيحيين لا يجوز فيها الطبل والزمر والدق والرقص ولا الاكل والشرب والسكر وغير ذلك . وبالجملة ان الكلفة على مثل ذلك حرام وبفعله يسخط الله . وقد بطلنا هذا جميعه واقصيناه ورذلناه . ونوصيكم بحفظ جميع هذه السنن وبحفظ جميع وصايا الله وان لا تحيدوا عن الناموس لان الاحادة عن الناموس تقفر الارض كلها وافتعال الشر ينقض كراسي المقتدرين. الى ههنا انتهى كلامنا فمن عمل بخلاف الناموس جماعة السينودس تحرمه » .

البطريرك افتيميوس الثالث : (١٦٣٥ ــ ١٦٣٦) وعاد اغناطيوس الى دمشق ودار دفة الرئاسة سبع سنوات متتالية . وتوفي مرقس متروبوليت صيدا ١٦٣٤ وكان اغناطيوس البطريرك في بيروت فقام الى صيدا ليرأس الصلاة عن نفس مرقس . ثم عاد الى بيروت ليلا بزي تتري لان الحرب كانت قد اندلعت بين فخر الدين وبين الاتراك العثمانيين . وكان رجال الامير قد علموا ان تترياً قدم الى صيدا حاملا بريد السلطان الى الوزراء. فكمنوا لهذا التتري في السعديات. ومر البطريرك فظنه هؤلاء التتري المنشود . فأطلقوا عليه النار فوقع عن فرسه فتقدموا لسلبه فدهشوا واسفوا . ثم حملوا البطريرك الى الشويفات . فدفن فيها (١) .

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٣٩ . طائفة الروم الملكية للخوري قسطنطين الباشا جـ ١ ص ٨٩ ــ ٩٠ .

وكان ملاتيوس متروبوليت حلب قد رعي ابرشيته بالتقوى والحكمة متمسكاً بالقانون مناضلا في سبيل الايمان الارثوذكسي . فلما بلغ الدمشقيين خبر اغناطيوس ارسلوا وفداً من اكابرهم ووجهائهم الى حلب يرجون ملاتيوس القبول بالبطريركية . ثم اتوا بـه الى دمشق بوافر الاكرام والاحترام واحتفلوا بدخوله الى مركز البطريركية احتفالا شائقاً. ودعي افتيميوس الثالث ولقب بابن كرمة .

وولد ملاتيوس في مدينة حماة سنة١٥٨٦ من ابوين تقيين حوران وسعادة. وتوفي والده وهو لا يزال صغيراً . فعنيت والدته بـه عناية مسيحية فشب على التقوى وزار اوروشليم فقـدم النذر في دير القديس سابا ودعي افتيميوس . ثم استدعاه سمعان متروبوليت حماة فرسمه شماساً ثم قساً وعينه واعظاً . فأحرز محبـة الجميع بشدة تقواه وكثرة فضائله . وتميز في غيرتـه على اعمال البر والاحسان . وتراكمت الاموال الاميريـة على المسيحيين فارسله سمعان الى حلب ليسترحم من واليها تخفيفها فاستجاب الوالي التماسه . واقام افتيميوس في حلب مـدة من الزمن يعلم ويقضي فأحبه الحلبيون . وكانت ابرشيتهم قد ترملت فانتدبره مطراناً عليهم وطلبوا الى اثناسيوس الثالث السيد البطريرك ان يوافق على ذلك . ففعل وسامه مطراناً على حلب في دمشق ودعاه ملاتيوس وذلـك في السنة ١٦١٢ . وعاد ملاتيوس الى حلب فرعى ابناءها في مراعي الخلاص « واغنى فقر نفوسهم بالغنى الروحاني واسعدهم بحسن تدبيره الجسداني فاقبل المؤمنون على حلب وغرسوا بها فاينعوا واثمروا وزادوا وتكاثروا » . وانشأ ملاتيوس منزلا في قلايـة المطرانية « متقن البنيان عالي الجدران » بديعاً متيناً ووقفه على من بعده من رؤساء الكهنة. ونقل الى العربية كتاب القنداق والافخولوجيون والسواعي والسنكسار وغيرها من الكتب الكنسية . وسعي لطبعها في رومة مركز الطباعة العربية آنئذ (١) .

وقد قال رحمه الله في مقدمته لكتاب التيبيكون : « اما بعد فاني لما رأيت اختلاف كنائس المسيحيين في الترتيب والطقس والنظام وما دخل على اهلها من

١) سفرة البطريرك مكاريوس ٣٩ — ٤٠ والحقائق الوضية ص ٥٨ — ٥٩

النقص في السجود والركوع والصيام وما قـد ابطلوه من فرائض الكتب المحققة الصادقة وما قد اثبتوه من عوايد المخالفين وسنن الاراتقة . . . فلم ازل افحص عن اصل مخالفتهم فحصاً شافياً وابحث عن علـة تعديهم بحثاً كافياً حتى وجدت اصل هذا الغلط . وعلته عدم وجود تيبيكون رومي قديم . . . . فلـما وجدت تيبيكون تأليف القديس سابا العظيم الذي كمّلـه القس يوحنا الدمشقي الحكيم فبالغت أنا الحقير ملاتيوس بالكد والجهد والطلب وانا يومئذ مطران مدينة حلب فاخرجته من اللغة الرومية الى لغة الاعراب وذلك بتاريخ سنة ٧١٢٠ لكون الدنيا الموافق ١٦١٢ لتجسد سيدنا يسوع المسيح » . وجاء في مقدمـة كتاب الافخولوجي « اجهدت نفسي في ترجمتها وتفسيرها واخرجتها الى اللغـة العربية وانا يومئذ مطران في مدينة حلب وحررتها بتاريخ سنة ١٦٣٤ لسيدنا يسوع المسيح » (١) .

وشرطنه رؤساء الكهنة بطريركاً في اول شهر ايـار فازداد حرصاً على التعاليم الالهية واندفاعاً في سبيل المؤمنين . وحث الشعب على التعرف الى الله وعلى العمل الصالح . واثمر وعظه في دمشق فرد الخطاة الى الله وجعلهم آنية طاهرة . وشرطن في حياته بابا غفرائيل الفاضل مطراناً على باياس. وبعد مدة يسيرة مرض فاستدعى الكهنة والاكليروس وباركهم وانتدب في حياته بابا ملاتيوس الصاقزي بطريركاً انطاكياً. وانتقل الى الرب بسلام في اليوم الاول من شهر كانون الثاني(٢).

البطريرك افتيميوس الرابع : (١٦٣٥ — ١٦٤٨) وآثر بابا ملاتيوس ان يحمل اسم سلفه . فقلده عصا الرعايـة كل من فيلوثيوس متروبوليت حمص وسياون اسقف صدنايا ويواكيم اسقف الزبداني ودعي افتيميوس الرابع . وبابا ملاتيوس بدأ حياته الروحية راهباً في دير القديس سابا وبرع في رسم الايقونات. فلما تبوأ افتيميوس الثالث السدة البطريركية استدعاه الى دمشق وطلب اليـه ان يزين الكنيسة الكتدرائية فيها . واقتدى افتيميوس الرابع بسلفه الصالح فكان مثال الوداعة والتقوى . وطاف الابرشيات مراراً واعظاً مرشداً مدبراً .

١) حياة البطريرك افتيميوس كرمه بقلم تلميذه البطريرك مكاريوس الحلبي لناشرها الاب لاونديوس كلزي مجلة المسرة ١٩١٣ ص ٨٦ — ٨٨ .
٢) المرجع نفسه ١٩١٣ ص ١٤٣ — ١٤٤

وأهم اخباره انه أيد ملاتيوس سيريغوس *Sgrigos* في موقفه من مصنف بطرس موغيلة متروبوليت كييّف في العقيدة الارثوذكسية فاستمسك بالابيلكيسيس في سر الاستحالة وامتنع عن القول بالمطهر واشترك مع اخوته البطاركة الثلاثة سنة ١٦٤٣ في قبول مصنف موغيلة بعد هذا التنقيح (١) . ومن اخباره ايضاً انه وكل تثقيف ابن اخته الذي أصبح فيا بعد البطريرك نوفيطوس الى الاب اليسوعي ايرونيموس قيروط وذلك في السنة نفسها التي أكد فيها موقفه من بعض نقاط الاختلاف بين العقيدتين الكاثوليكية والارثوذكسية (٢) .

الكثلكة تنحصر في الموارنة : وكانت كنيسة رومة قد بدأت منذ السنة ١٦٢٧ تعمل في اوساط اليعاقبة والارمن والارثوذكسيين في حلب لتدخلهم في طاعـــة البابا فوكلت أمر اجتذابهم الى الآباء الكبوشيين اولا ثم الى الآباء اليسوعيين والكرمليين (٣) . وكانت الكثلكة آنئذ لا تزال محصورة في الأوساط المارونية دون سواها (٤) . وتذرع الآباء المبشرون بالتطبيب وبالوعظ الفردي والاقناع السري . ثم لجأوا الى المدرسة والتعليم ليبثوا في صدور الأحداث تعاليم رومة وموقفها من الأرثوذكسيين وغيرهم (٥) . ثم استغلوا القحط والجوع والفقر ونفوذ فرنسة للغاية نفسها (٦) .

وجاء في تقرير وضعه الأب يوحنا اميو *Jean Amieu* اليسوعي في السنة ١٦٥٠ ان هنالك مجالا لتثبيت أواصر « الصداقة » مـــع بطريرك الروم الذي « يدعي انه بطريرك انطاكية » وان سلف هذا البطريرك توفي كاثوليكياً وانه يظن ان بعض رهبان الروم دسوا له السم لانه جهر بطاعته للبابا . وجاء ايضاً ان افتيميوس الرابع اكد لهذا الأب اليسوعي انه يعترف بالبابا ويدين له بالطاعة ولكنه لا يجرأ ان يجهر بذلك خشية ان يحل به ما حلّ بسلفه (٧) . ويلاحظ هنا

1) *Moghila, Confession de, Dict. Théol. Cath., X, Col. 1070 - 1081.*
2) *Besson, P., La Syrie Sainte, 68 ; Nachi, Lettres Edifiantes, 226.*
3) *Relation de la Mission d'Alep, Rabbath, A., Doc. Inéd., I, 451.*
4) *Philippe de la T. S. Trinité, Rabbath, A., op. cit., I, 445, 446.*
5) *Alexandre de Saint - Sylvestre, Rabbath, A., op. cit., 434.*
6) *Relation de la Mission d'Alep, op. cit., 452 - 458.*
7) *Ibid., I, 401 - 402.*

ان رواية السم ضعيفة ينقصها شيء كثير من العدالة والضبط وبالتالي فانه لا يجوز اثباتها والقول بها ويلاحظ كذلك ان الاب اميو نفسه لم يرَ في افتيميوس الرابع سوى صديق مصادق وان افتيميوس الرابع نفسه جهر في السنة ١٦٤٣ بتمسكه بالعقيدة الارثوذكسية كما سبق واشرنا . بيد انه لا بد من الاشارة هنا الى تساهل هذا البطريرك في أمر المدرسة التي انشأها الآباء اليسوعيون في دمشق والى سيطرة هؤلاء على عقول الأحداث وما نشأ عن ذلك من استعداد في بعض الأوساط الارثوذكسية للدخول في طاعة رومة في الربع الاول من القرن الثامن عشر .

* * *

الفصل الثامن والاربعون

البطريرك مكاريوس الثالث

البطريرك مكاريوس الثالث : (١٦٤٨ — ١٦٧٢) ومرض افتيميوس مرضة شديدة . وأثخنته وأوهنته . فاجتمع الاكليروس حوله وعملوا لــه زيتاً مقدساً واستشاروه في أمر خلفــه . فقال : « ان كنتم تريدون اصلاح اموركم وتوفيق احوالكم فلا تجعلوا غير مطران حلب بطريركاً عليكم » . فكتب الاكليروس بذلك الى مكاريوس متروبوليت حلب وعرضوا الكتابة على البطريرك فعلّم عليها بيده . ووجهوا بها ساعياً وحثوه على السير . ووصل الساعي الى حلب ولكنه لم يجد مطرانها لانــه كان فرّ من جور واليها قره حسن باشا والتجأ الى المعرة وكلس . وما فتىء الساعي يسعى حتى اتصل بمكاريوس وسلمه الرسالة . فاعتذر ولم يحضر . فاغتاظ البطريرك وهدد بالقطع . فقام مكاريوس الى الشام يرافقــه ابنه الشماس بولس . ولدى وصولهما الى حماة التقيا بساع ثالث يحمل خبر انتقال افتيميوس في الحادي عشر من تشرين الاول سنة ١٦٤٧ والحاح الاعيان بوجوب الاسراع الى دمشق لتسلم عكاز الرعاية وتدارك ما قد ينجم عن التأجيل والتأخير من اختلاف في الرأي وتفرق في الكلمة .

ووافق كل من ملاتيوس متروبوليت حماة وفيلوثيوس متروبوليت حمص على ارتقاء مكاريوس ورافقاه الى دمشق . وانضم اليهما اسقف قارا يواصاف . ولدى وصولهم الى دمشق وجدوا فيها غريغوريوس متروبوليت حوران. فنصبوا البطريرك الجديد في الثاني عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٤٧ . وتشاور الآباء في الديون التي خلفها افتيميوس فوجدوها ستة الاف غرش . وبلغ مجموع مــا انفق على دفنه و « حشره » وما قــدم الى الباشا محمد كوبرلي لاستصدار البيورلدي باسم البطريرك الجديد اربعة الاف غرش . فرهنوا التيجان الاربعة القديم والكبير

والحلبي والاستانبولي وبقية البدلات والاواني المقدسة . ثم وجد رسائل الجلوس « وارسل البركــة والدعاء الى سائر البلاد » . وشرطن الخوري ميخائيل ابن القسيس بشارة الحلبي مطراناً على حلب ودعاه متروفانس وسام ابنــه بولس ارشدياكوناً على مدينتي دمشق وحلب وسائر بلاد العرب (١) .

وهو يوسف ابن الخوري بولس ابن الخوري عبــد المسيح البروطس المشهور « ببيت الزعيم » . ولد في حلب ونشأ فيها . وتلقى علومه الاكليريكية على البطريرك افتيميوس الثالث . وتزوج من امرأة ناموسية فرزق اولاداً . ثم ترمل فرسم قساً . ولما رقي معلمه افتيميوس الثالث السدة البطريركية سامه خلفاً له مطراناً على حلب .

« واما ما كان من امر اهل حلب فانهم يوم عيد الصليب افتتاح السنة ٧١٤٤ للعالم (١٦٣٥) اجتمعوا في قلاية المطرانية الكهنة والأراخنة والاكليروس مع باقي المسيحيين واستخاروا الخوري يوحنا والدي ليكون عليهم مطران . وارسلوه صحبة القفل الى الشام ووجهوا معه رفقة من كهنة واعوام . وبعد ان وصل بالصحة والسلامة شرطنه الاب السيد البطرك افتيميوس المذكور مطراناً على حلب سابع وعشرين يوم خلت من شهر تشرين الاول يوم الاحد . ولكثرة وده له ورعايته لخاطر المرحوم معلمه ووصيته له جعله كاثوليك مشرفاً على سائر نوريته وصيره اكسرخوساً اي وكيلا وناظراً على بلاد آمد وما يليها وانطاكية التي هي كرسي البطركية ونواحيها . واذن له ايضاً ان يقدس فيها اذا مضى اليها » (٢) .

وساس مكاريوس ابرشية حلب اثنتي عشرة سنة « مقتفياً في ذلك آثار السادة السالفين متمماً وصايا الله تعالى بغير انتقاص فازداد بنيان الجماعة واستعمارهم عما سلف » . واشترك في السنة ١٦٣٩ في استقبال السلطان مراد الرابع الذي ام حلب استعداداً للزحف على بغداد وضرب قزل باش الذي امتنع بها . وفي التاسع من آب سنة ١٦٤٠ زاره في حلب البطريرك افتيميوس الرابع وشرطن فيهــا الخوري يوسف الحلبي مطراناً على عكار ورحبة واوفده الى « بلاد المسيحيين حد بلاد المسكوف » . واقام البطريرك مئة يوم في حلب استوفى في اثنائهــا النورية . وخرج منها في الثاني عشر من تشرين الثاني فرافقه مكاريوس وابنــه

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٥١ — ٥٥
٢) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٤٣ — ٤٤

حتى حماة : وفي السنة ١٦٤٢ قام مكاريوس لزيارة الأماكن المقدسة على رأس جماعة من الحجاج الحلبيين . واقام في دير القديس سابا يومين وشاهد بام عينه الوف القلايات المنقورة في الصخر . وعاد الى حلب يوم خميس الصعود (١) .

جولة بطوركية رعائية : (١٦٤٨ ـ ١٦٤٩) ولما كانت الديون قد تراكمت على الكرسي تقرر ان يخرج مكاريوس ويطوف في ابرشيات الكرسي الانطاكي لتفقد شؤون الرعية وجمع التبرعات والحسنات . وبعد ان زار العذراء في صيدنايا تبركاً والتماساً عاد الى دمشق . وفي السادس من تموز سنة ١٦٤٨ خرج منها الى الديماس وعيتا والقرعون ومشغرة وكفرملكي فصيدا . وخرج من صيدا الى عـبرا ووادي الليمون وبرتي وكفر بيت وكفرحتا وبسري وعنبال . ثم زار الامير ملحم ابن معن في بعقلين وعاد الى عنبال وغريفة والمزرعة وعين قنيـة وعماطور وباتر ونيحا ثم بعذران والخريبة والمعاصر وبتلون والفريديس والباروك وعين زحلتا وبصين وبريح وعين وزيه والسمقانيـة ودير القمر والشويفات . وقدس في الشويفات الاحد الثالث عشر بعـد العنصرة . وانتقل الى بيروت في الحادي والعشرين من آب وخرج منها في الحادي والعشرين من ايلول . وصعد الى بكفيا والمحيدثة وقدس في كنيستها نهـار الاحـد الاول من لوقا . وزار دير مار الياس والشوير وبسكنتا وقدس في كنيستها . وقام منها الى كفرعقاب . فكرس كنيستها بعـد تهدم هيكلها وقدس فيها . وعاد الى بيروت في السادس عشر من تشرين الاول . وفي الثامن عشر منه اقلع بحـراً الى طرابلس يرافقه يواصف متروبوليت بيروت . فاستقبله في ميناء طرابلس يواكيم مطرانها وجميع المسيحيين . فصلى ثم قدس . وزار كفتين في التاسع عشر من تشرين الثاني وقدس فيها وشرطن فيها الخوري الياس المرمريتي مطراناً على صور وصيدا وسماه ارميا . وفي العشرين من الشهر نفسه قام الى دير القديس يعقوب المقطع وقدس فيه عيد دخول السيدة الى الهيكل . ثم زار دير البلمند وقلحات وفيع وبطرام المشهورة بنساخها ثم دير سيدة الراس وبدبا واميون المشهورة بعلمائها واقام فيها اسبوعاً . وخرج منها الى

١) المرجع نفسه ص ٤٥ ـ ٥١

كفرعقا وكوسبا ودير حماطورة وديرمار جرجس وقرية كفرقاهل فدير مار الياس النهر فالبلمند فدير الناطور ثم انفة وحامات وسيدة النورية والبرج . وعاد الى طرابلس وقدس عيـد الميلاد والغطاس (١٦٤٩) . ثم خرج الى البترون وعبرين وكفرحلدا والكفور حيث اعشاش النسور . وفيها اصطادوا له نسراً فاستخرج دهنه . ثم قام الى دوما وتولا « قريـة المقدم علي » ومنها الى بخعاز وغرزوز وشيخان وجبيل وغزير . وعاد الى طرابلس وخرج منها نهار الخميس من الجمعة الثانية من الصوم وتوجه الى بقرزلا وعرقة وجبرائيل « ذات الكنيسة اللطيفة التي يخرج من تحت مائدة هيكلها ماء تجري في وسطها الى خارجها تبري المرضى » . ثم قام الى خنيقة ورحبة وبـقي فيها اسبوعين وخرج منها عياث وعين يعقوب وبزبينا « وكانوا خراباً » .

وفي يوم الاثنين من الجمعة الخامسة من الصوم ذهب الى السيسنية والبويضة وصافيتا وقدس فيهـا في كنيسة مار ميخائيل «المعظمة» في البرج . ثم ذهب الى تنورين ومرمريتا والحصن وتفرج على قلعتها « نجمة الصبح » وقام منها الى عناز . وقدس احـد الشعانين في مار جرجس الحميرة . ويوم الاثنين الكبير ذهب الى رباح وافيون .

وفي الحادي والعشرين من اذار سنة ١٦٤٩ دخل حماة وعيد فيها عيـد الفصح . وفي الخامس والعشرين من نيسان شرطن الخوري عطاالله الآمـدي مطراناً على آمد وما يليها وسماه ثيودوسيوس وذلـك « بحسب استيهاله واختيار ورضى اهلها وارسالهم اياه » . وكان خبر الاختلاف بين متروفانس متروبوليت حلب وبين رعيته قد فشا وتفشى . وكان البطريرك قد قطعه ثم حرمه . فلما وصل البطريرك الى حماة قصده متروفانس وطلب عفوه وكتب «تمسكاً بخط يده وحلف عن الخمر والمسكر وعن سائر ما نقل عنه» واستغفر عما صدر منه فباركه البطريرك وحله وصفح عنه . وقام البطريرك الى حلب واقام فيها الى ان هدأ الهياج . ثم خرج منها يوم عيد دخول المسيح الى الهيكل . ووصل الى دمشق في الحادي عشر من شباط سنة ١٦٥٠ .

« وحاسب البطريرك الكهنة والاعيان والاكليروس على ما اورده في هذه الدورة فبلغ ستة الاف غرش . فدفعوا جانباً من اصل الدين والباقي قدموه رباء ومكاسب » (١) .

مكاريوس ومشكلة الجحود : وجاء في تقرير رفعه تلميذ مكاريوس المطران افتيميوس الصيفي الى مجمع انتشار الايمان (٢) انه فتش عن الخلل الذي ادى الى دخول النصارى في دين الاسلام في زمن مكاريوس وكيرلس فوجـده ناجماً عن الفقر وقلة المعاش ومخالطة الامم وكثرة الاصوام . ومما جاء في هـذا التقرير قوله ان الاصوام بلغت في ذلك العهد ثلاثة ارباع السنة : اولا الاربعاء والجمعة على مدار السنة وثانياً الصيام الكبير المقدس وثالثاً صوم الرسل ورابعاً صوم العذراء وخامساً صوم الميلاد وسادساً صوم الصليب وسابعاً صوم القديس ديمتريوس وثامناً صوم رئيس الاجناد وتاسعاً نسكيات سكان البراري والرهبان وقد الزم العوام بها . ويؤكد افتيميوس ان هذه الاصوام العديدة دفعت الوفاً من الارثوذكسيين في قيليقية الى الدخول في الاسلام والوفاً غيرهم من الارثوذكسيين في بر حماة الى النكران والخروج . ولعل هؤلاء هم قبيلة الصليب كما ارتأى الاب انستاس الكرملي (٣). ويفيد افتيميوس انه «من مدة خمسة وخمسين سنة وانـا في الشام صار غلا عظيم وكان في قرية عين التينه مقدار خمس مايه نفس نصارى فمن شدة الغلا وفقرهم طلبوا من البطرك مكاريوس جد البطرك كيرلس ان يطلق لهم اكل الالبان في زمان الصيام وراجعوه مرات فما امكن يسمح لهم وكان مـد القمح بقرش . فمن اجل هذه الضيقة العظيمة والقساوة الظالمة مضى كهنة الضيعة اربعة مع رعاياهم كلها ودخلوا في دين محمد . والكهنة صاروا لهم خطباً وعملوا كنيستهم جامعاً . وهذا نظرته بعيني ما عدا الذين يفعلون ذلك بالافراد والتدريج من ضيق العيشة وغير اسباب » .

وقصد جماعةمن أهل غزة مكاريوس وشكوا تثاقل ضريبة الخراج فقالوا

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٥٩ ــ ٦٥
٢) جـ ٧٥ عدد ٣٨٨
٣) المشرق جـ ١ ص ٦٧٣

انها كانت تفرض على اربع مئة وخمسة وثمانين رجلا وان معظم هؤلاء « خرجوا من الديانة » وانه لم يبق من المسيحيين في قريتهم بـين مسكين وغائب وحاضر اكثر من ثلاثين وان السلطات لا تزال تفرض عليهم خراج الاربع مئة والخمسة والثمانين ! «واعلنوا للبطريرك بأنه ان لم يتحنن عليهم ويخفف ويسقط هذه الاسماء الزائدة والا يرحلوا ويتركوا مواطنهم او يخرجوا من دينهم حسبما فعل غيرهم » . فتحنن البطريرك وخشي ان تستولي الامم على كنيستهم الرومانية القديمة التي عمرها القديس بورفيريوس مطرانها . فاستعطف الوالي بشير باشا واعتمده فأجاب سؤله واسقط عن هؤلاء مئة وواحداً واربعين اسماً . واتفق البطريرك لهذه الغاية الفين غرش . فقال اهل الشام نحن اولى لاننا رعيتك . فجد واجتهد واسقط مايـة وعشرين اسماً عنهم وخمسة عشر اسماً عن اهل قارا وثلاثين عن اهل يبرود وخمسة وثلاثين عن اهل دير عطية (١) .

بيروت وبعلبك والزبداني : (١٦٥٠ ــ ١٦٥١) وشرطن مكاريوس في الثالث عشر من تشرين الاول سنة ١٦٥٠ الخوري فرح البيروتي مطراناً على بيروت وسماه فيليبوس . وسام في العاشر من كانون الثاني سنة ١٦٥١ الخوري عازاريا الطرابلسي مطراناً على بعلبك ودعاه انطونيوس ورسم في السادس عشر من ايار من السنة نفسها تلميذه جراسيموس مطراناً على الزبداني والفرزل. واقام الخوري سليمان ابن الخوري فرج الله الحلبي كاثوليكاً على القلايـة البطريركية في دمشق ودعاه سيليفستروس (٢) .

السفر الى بلاد المسيحيين : (١٦٥٢ ــ ١٦٥٩) وبلاد المسيحيين في عرف مكاريوس وابنه هي بلاد البلقان وروسية بلاد الارثوذكسيين المستقيمي الرأي . وكانت الديون لا تزال متراكمة. وكان امراء الفلاخ والبغدان (رومانية) قد وفوا ديون الكرسي الاوروشليمي وكرسي القسطنطينية والكرسي الاسكندري . فلـما كتب باسيلي بن امير البغدان الى مكاريوس يستدعيه اليـه آدى البطريرك للسفر

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٦٥ ــ ٦٧
٢) المرجع نفسه ص ٦٧

رامياً هذا الامير الارثوذكسي بآماله . وبعد ان اقام سيليفستروس كاثوليك القلاية البطريركية نائباً ووكيلا خرج من دمشق في الحادي عشر من شباط سنة ١٦٥٢ طالباً حلب . وما ان وصلها حتى بلغه خبر وفاة نائبه بالطاعون ففوض تلميذه جراسيموس متروبوليت الفرزل والزبداني تدبير شؤون البطريركية في اثناء غيابه . وسام قبل خروجه من حلب الخوري ناصر الحموي مطراناً على عكار ورحبة وسماه نيقولاووس . وبعد ذلك بثلاثة ايام رسم الخوري ميخائيل مهنا الحلبي مطراناً على طرابلس وسماه ملاتيوس (١) .

وفي اليوم الخامس من آب سنة ١٦٥٢ خرج مكاريوس من انطاكية قاصداً القسطنطينية ووصل الى الاسكندرونة ليلة عيد التجلي . فاستقبله القبارصة وحضر الاغربنية في كنيستهم . وعند الايصوذن دخل الكهنة واخذوا الكيرون و«داروا في الايصوذن حسب عادتهم مصلين ايها النور البهي» . وقدس البطريرك قداس السحر ثم خرج الى باياس وقدس فيها الاحد الثامن بعد العنصرة . وبلغ القسطنطينية في العشرين من تشرين الثاني وزار كنائسها وآثارها القديمة .

وفي السابع من كانون الثاني سنة ١٦٥٣ خرج من القسطنطينية الى ياسي عاصمة البغدان واقام فيها تسعة اشهر ضيفاً على باسيلي بك . وكانت الحرب قد اندلعت بين البغدان والقوزاق فلم يوفق البطريرك لنيل ما تمنى . فذهب الى طرغشته عاصمة الفلاخ الصيفية واقام فيها نصف سنة ضيفاً على اميرها متى . ثم قام الى كيّف عاصمة القوزاق ومنها الى موسكو . فاستقبله القيصر الكسيوس ميخائيلوفيتش بكل ترحاب واحترام وساعده كل المساعدة في احتياجاته . فعاد الى رعيته في السنة ١٦٥٩ ووفى قسماً كبيراً من الديون التي كانت على الكرسي .

يوداص الثاني وقطعه : (١٦٥٩) ويوداص الثاني في نظر مكاريوس وابنه بولس هو اثناسيوس متروبوليت حمص نسيب متروفانس متروبوليت حلب فقد جاء في اخبار سفرة مكاريوس المشار اليها ان الدمشقيين دعوا اثناسيوس متروبوليت حمص ليكون بينهم نائباً بطريركياً في اثناء غياب البطريرك وانه ما

١) المرجع نفسه ص ٦٩ — ٧٠

كاد اثناسيوس يصل الى كرسي النيابة حتى « قدس في الكرسي البطرسي في الصاكو وشرطن ووقف في الكاتدرا وزوج زيجات حرام وفعل قبائح عظيمة اكبر من قبائح ابن حماه مطران حلب . ولما سمع بقدوم سيدنا البطرك خزي لانه كان يصيت علينا بأننا متنا كلنا وبأن ما بقي يجي قطعاً وانه هو يتبطرك عليهم . وجاء ايضاً ان اثناسيوس خرج من دمشق قبل وصول البطريرك اليها وانه اقام في صيدنايا «وارسل عوانات للحكام لاجل ضرر الدمشقيين المسيحيين » (١) .

ولما وصل مكاريوس الى حمص خرج اثناسيوس لاستقباله . فضمه البطريرك الى حاشيته واخذه معه الى دمشق وعاتبه في الطريق وذكر له قبائحه واحدة واحدة . فانكر اثناسيوس وتململ . ولدى دخول البطريرك الى دمشق في اول تموز وفى خمسة عشر الف غرش . وقدم للباشا ولبقية الاكابر ما قيمته ثلاثة آلاف غرش .

وفي الثامن والعشرين من آب سنة ١٦٥٩ التأم المجمع الانطاكي المقدس للنظر في قضية اثناسيوس ابن عميش فثبت عليه انه وقف في الكاتدرا وانه بدل في الترتكس مع « طون ذسبوتين » وانه شرطن كهنة وشمامسة وانه رهب راهبة بعد وفاتها لاجل متخلفاتها وانه كان يقول « انا بطرككم وانه زوج زيجات حرام في المدينة والبر لقبض الدراهم . فحكم عليه المجمع بالقطع من كهنوته والحرم الى ان يتوب . وكتب استاتيكوناً بذلك واذاعه في ابرشيات الكرسي . واليك نصه :

« المجد لله دائماً : مكاريوس برحمة الله البطريرك الانطاكي وسائر المشرق انه لما كان بتاريخ نهار الاحد ثامن وعشرين شهر اب سنة ٧١٦٧ لكون العالم (١٦٥٩) الموافق اول شهر ذي الحجة الحرام سنة ١٠٦٩ للهجرة الاسلامية صار مجمع مقدس بحضور الحقير الواضع خطي وعلامتي اعلاه وادناه وبحضور رؤساء كهنة ابرشية النورية الانطاكية الواضعين خطوطهم ادناه بمدينة دمشق الشام في كنيسة القديس نقولاوس . وكان اجماعهم ودعواهم على اثناسيوس مطران حمص بأنه جا الى دمشق وتوطا كرسي البطريركية بغير امر البطريرك وبغير شورهم

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٨١ — ٨٢

ورضاهم وانه قدس في كنيسة البطريركية ولبس بدلته خارجاً في النرتكس وانه شرطن قسوس وشمامسة بغير اذن صاحب الكرسي وانه وقف في الكاتدرا التي لا يصعد عليها غير البطرك وانه حمل على اخوته رؤساء الكهنة بالافتراء وانهزوج زيجات حرام في المدينة والبر وحلل ذلك بقبض الدراهم . وبعد اثبات ذلك في وجهه واحدة فواحدة بحضور المجمع المقدس وكهنة البلد ووجوه الاكليروس واعيان الشعب وايضاً انه مضى الى دير صيدنايا وطلع الى الكرسي وقدس بغير اجازة بعد ان ارسلوا له الكهنة والاكليروس واعيان الشعب وانهوه عن ذلك فلم ينتهي . وقد ظهرت عليه قبل ذلك قبائح كثيرة مدونة في دفاتر عليه وثبتت عليه في وجهه .

فبموجب ذلك قد حكمت عليه انا الحقير مكاريوس البطريرك الانطاكي حالا بموجب ما تأمر الشريعة المسيحية بأمر الرحمان والسلطان ان هـــذا الرجل المدعو اثناسيوس المذكور فيكون مقطوعاً من سائر درجات الكهنوت وليس له تصرف في قداس ولا في غيره ولا ان يضع بطرشيل في عنقه . وان تعدى مـــا حددناه فيكون محروماً مفروزاً من مجد الآب والابن والروح القدس ومن المجامع المقدسة الى ان يرجع ويتوب ويخلص نفسه وذمته مما اختلسه لنفسه من البطريركية والكنيسة والوقف والقوانين من الاحيا والاموات .

« وعلى هـــذا الاصطاتيكون وقد فصلناه من مجمعنا المقدس المحرر في اليوم الاحـــد ثامن وعشرين شهر آب المبارك لشهور سنة ٧١٦٧ للعالم الموافق للهجرة الاسلامية سنة ١٠٦٩ وبالله التوفيق .

« المجد لله دائماً : ملاتيوس مطران طرابلس فيلبوس مطران بـــيروت غريغوريوس مطران حوران ارميا مطران صيدا جراسيموس مطران الزبداني ناوفيطوس مطران الـــلاذقية نقولاوس مطران عكـــار الارشدياكون الشماس بولس » (١) .

طبخ الميرون : (١٦٦٠) وقلّ الميرون المقدس الذي طبخـــه يواكيم السادس البطريرك الانطاكي ولم يبق منه سوى زجاجة واحدة . فكتب مكاريوس

(١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ١٠٤ — ١٠٧

انواع الأدوية والعقاقير في دفتر وأمر بجمعها . وارسل الى مصر لاستحضار دهن البلسم . وسجد الارشدياكون بولس لوالده البطريرك واستمد البركة وشرع في اعداد المواد اللازمة . ثم دقها في الهاون وجعلهـــا خمس طبخات . ووضع كل طبخة في ورقة كبيرة وكتب عليها اسمها وحفظها حتى جمعة الشعانين .

« وهذه اجزاء الطبخة الاولى : دار شيشعان وهو نوار اي زهر القندول ماية وعشرون درهم وعود سليخة حمرا ستون درهم وحماما ياقوتية ستون درهم واصول السوسن ثلاثون درهم وقصب الذريرة ثلاثون درهم . ثم اننا رضينا منها ما وجب رضه كما يعين في الكتاب . وتنقع بماء مقدس وخمر عتيقة بمقدار ما يغمرها وازود باصبعين او ثلاثة في وعاء نظيف الى عشية احد الشعانين لتطبخ في الغد . ففي نسخة الاصل يعين جزءاً واحداً اي مثلا من زهر القندول اربعون درهماً فنحن جعلناه ثلاث مثاله اي ماية وعشرون درهم . ومثل ذلك من غيره . وعلى هذا فقس . وسيأتي ذكر بقية الطبخات بعد هذا » .

وفي يوم الجمعة قبل سبت العازار قام البطريرك ورؤساء الكهنة والكهنة بعد صلاة السحر الى كنيسة مار نقولاوس فصلوا على الموقد وعلى الاجيازموس والموقدين القائمين في وسط الكنيسة الموجهين نحو الشرق . ووضعوا على الموقدين ماعونين نحاسيين كبيرين مبيضين . وصباح الاثنين العظيم وضع البطريرك حوائج الطبخة الاولى في الماعون الكبير وافرغ عليها ثمانية وعشرين رطلا من الزيت الصافي وخمراً عتيقاً وماء مقدسة . وكان كلما وضع جزءاً من الاجزاء يترنم ويقول على اسم الآب والابن والروح القدس اله واحد . ثم وضع ورق الغار وورق الآس وورق الحصلبان وكمشة من الحصلبان الذكر فالخمر العتيق والماء المقدسة . ثم تناول سيدنا البطريرك ثلاثة عيدان وثلاثة اعواد من القنب وثلاث شمعات مشتعلة ووضعهم في الموقد . وبلّ جانباً من الحطب بماء مقدسة سخنة . وألهب النار وجلس أحد الكهنة مقابل الموقد يوقد ويبلّ الحطب بالماء السخنة ويوقده قليلا قليلا . وكان يحرك الزيت بمغرفة من الخشب ويضيف شيئاً من الماء السخنة وكان البطريرك لابساً بطرشيله والاموفوريون وكذلك رؤساء الكهنة . ولبس الكهنة كل بطرشيله والشمامسة زنانيرهم . والجميع مكشوفو الرؤوس يرنمون الرسائل والنبوات والمزامير والشمامسة يروحون بالمراوح .

« بيان اجزاء الطبخة الثانية من الميرون المقدس : قسط مر جيد ستون درهم . وورد احمر عراقي او جوري منزوع الاقماع ستون درهم . وصندل مقاصيري ستون درهم . ولادن وبخور جاوري وزنجبيل وقرفة القرنفل وعيدانه من كل واحد ستون درهم وقسط يابس ثلاثون درهم . يرض الجميع ويبالغ في رض الصندل . ويصب عليها من الماء المقدس ما يغمرها . ونقعناه من ظهر يوم الاثنين العظيم الى سحر الثلاثا . ثم اننا جبناه ووضعناه على الزيت الذي طبخ بالامس . واوقد البطريرك النار كما ذكرنا اولا والتحريك عمال وكان يزداد اذا احتاج قليلا من الماء المقدس . وطبخ اربع ساعات زمانية . ثم نزلناه وتركناه الى العصر حتى برد وصفيناه . ورؤساء الكهنة والكهنة يصلون والشمامسة بالمراوح يتباذلون الى النهاية . وكنا قد نقعنا حوائج الطبخة الثالثة من سحر هذا اليوم واتينا بها ووضعناها فوق الزيت المصفى واوقد البطريرك النار ثانياً .

« بيان اجزاء الطبخة الثالثة : زرنب ستون درهماً . وقشور السليخة الحمراء المختارة احد وعشرون درهم . وجوز طيب خمسة عشر درهم . وسنبل الطيب العصافيري الجيد ثلاثون درهم . وقرنفل جيد عشرون درهم . وبسباسة ثلاثون درهم . وطبخناها من عصر الثلاثاء الى العشا . فنزلناه عن المستوقد الى ان برد وصفيناه سحر الاربعاء كالعادة . وعزلنا الافاده ناحية بعضها على بعض . وكنا قد دقينا اجزاء الطبخة الرابعة من يوم الثلاثاء .

« بيان صفة الطبخة الرابعة : دار صيني طيب عال او قرنفل ثلاثون درهم . مر احمر جيد عربي ستون درهم . عود هندي خالص وهو بخور العود ثلاثون درهم . زعفران شعري عراقي جيد ثلاثون درهم . ثم رضينا منها ما وجب رضه . وصبينا عليها من الماء ما غمرهـا وزيادة ونقعناها ليلة الاربعاء في ماء مقدس ايضاً الى سحر الاربعاء . ووضعناها فوق الزيت المطبوخ ثلاث مرات . وطبخناها بنار لينة كالعادة من سحر الى الظهر . والطقس الاول عمـال من القراءة والمراوح وغير ذلك . ونزلناه عن النار الى ان برد . وصفيناه وعزلنا الافادة على بعضها بعض . ثم جمعنا اجزاء الطبخة الخامسة .

« بيان صفة الطبخة الخامسة : الاصطراك الجيد الاحمر الفلكي ماية وعشرون درهم وضعناها في الزيت المطبوخ مع ثلاثة ارطال عسل منزوع الرغوة وماء مقدس ايضاً . ووضعناه في الزيت على النار بعد ظهر يوم الاربعاء الى المسا حتى ذهبت منه رطوبة الماء جميعها وهديت عنه البقبقة بالكلية وطابت رائحته . وعلامة تجربة ذلك هو ان الحكيم الذي كان يدبر هذا العمل جاب فتيلة قطن وغطها في الزيت المطبوخ وقدمها للشمعة فلم تطشطش . فعلمنا حينئذ ان الرطوبة قـد ذهبت . ثم نزلناه من النار . وفي اثناء ذلك كنا قد دقينا اجزاء الطبخة السادسة .

« بيان صفة الطبخة السادسة : دار صيني اي القرفة مايـة وثمانون درهماً . ومن سنبل الطيب الجيد العصافيري ستون درهم . ومن قشور السليخة الحمراء الجيـدة ثلاثون درهم . ومن البسباسة اربعة وعشرون درهماً . ومن العود الهندي القاقلي خمسون درهم . وسحقنا الجميع ونخلناهم في كريشة حرير . ووضعهم البطريرك في الزيت المطبوخ ودافهم به . ثم اضاف الحكيم دهن البلسان

وكان نحو من ماية وخمسون درهم في وعاء من نحاس على نار حتى ذاب . واضاف معه اربعة عشر مثقال من المسك الخالص المسحوق ومن العنبر الجيـد ايضاً الى ان اختلط في بعضه بعض . وحصة من الميرون القديم ووضعه البطريرك على الزيت المطبوخ ايضاً : وحرك الجميع وغطيناه الى الغد .

« وفي هذه الليلة ظهر سر برهان عظيم من بعض الايقونات التي على باب هيكل هذه الكنيسة . وذلك انهم من اول الليل نضحوا حيل كان يزرب منهم كساقية واندهلنا . وضحوة نهار الخميس حضر البطرك وبدا يعي الميرون في اواعي الزجاج الجدد ولم يكن وضع فيهم شيء . والجميع مكشوفو الروس مترنمين بالطروباريات الرب يرعاني فلا يعوزني شيء وغير ذلك . وعزلناهم على حدة » .

ونقل البطريرك والاساقفـة والكهنة والشمامسة الميرون المقدس بباعوث ورتلوا ارحمني يا الله بتمامها . ودخلوا الى الكنيسة المريميـة ووضعوا الميرون على المائدة المقدسة وابتدأوا بصلاة القداس . وعند دورة الجسد حمل الكهنة الميرون امام الجسد وداروا به واعادوه الى المايدة . وأحنى البطريرك رأسه وتلا الافاشين المعينة . وبعد القداس وضع الميرون تحت المايدة الى سحر الفصح المجيد . ثم نقل الى خزانة الميرون في الكنيسة المريمية (١) .

عودة الى بلاد المسيحيين : (١٦٦٦ ــ ١٦٦٩) وتولى نيقون في السنة ١٦٣٢ رئاسة كنيسة موسكو وتوابعها . فحض المؤمنين على العمل الصالح والاستمساك بالانجيل وقوانين الرسل وقرارات المجامع المسكونية . وقال باستقلال الكنيسة عن الدولة . ثم ذهب الى ابعد من هذا فأجاز للبطريرك التدخل في شؤون الدولة بشكل غير مباشر لما لشؤون الدولة من علاقة مع الدين وخلاص النفوس . ونسبة الكهنوت للدولة في نظره كنسبة النفس للجسد والشمس للقمر . وحاول نيقون الانتقال مـن القول الى الفعل فاصطـدم بمقاومـة القيصر الكسيوس ميخائيلوفيتش . وادت المشادة بـين هذين الكبيرين الى تـدخل البطاركة . وتفصيل ذلك ان القيصر وجه الى البطاركة خمسة وعشرين سؤالا يستفتيهم في امر نيقون وموقفه من السلطات الزمنية . فاتخذ المجمع القسطنطيني المقدس قراراً قضى بتكليف باثيسيوس البطريرك الاسكندري ومكاريوس البطريرك الانطاكي القيام الى موسكو لمعالجة الموقف .

---

١) سفرة البطريرك مكاريوس ص ٩٢ ــ ١٠١

ووفد البطريرك الاسكندري على اخيه الانطاكي فقاما الى ارضروم في السنة ١٦٦٦ وانتقلا منها الى بـلاد الكرج . فتفقد مكاريوس شؤون الرعية الانطاكية وعلم ان الكهنة كانوا قـد اكتفوا بالميرون في ممارسة سر العمادة فأعاد تعميد الكرجيين جماعات جماعات بالمـاء والميرون وباسم الآب والابن والروح القدس. ووصل الكبيران الى موسكو بطريق استراخان واتصلا بالاساقفة الروس واشتركا في اعمال مجمع موسكو في السنة ١٦٦٧ . فأقر المجمع استقلال الكنيسة ولكنه لم يرضَ عن تدخلها في شؤون الدولة وأوجب تنحي نيقون عن الكرسي البطريركي (١) .

النظم والقوانين : وجاء في رسالة صغيرة اعـدها مكاريوس نفسه ونشرها كل من الاب نيوفيطوس ادلبي وحبيب الزيات (٢) ان كنيسة انطاكية شملت في عهد مكاريوس الابرشيات التالية : حلب وصور وصيدا واللاذقية العظمى وطرابلس وآمد وحوران وحمص وحماة وبيروت وباياس وبعلبك وعكار والزبداني وصيدنايا وارضروم. وجاء ايضاً ان ترتيب هذه الابرشيات هو «بمقدار المدينة وكثرة اهلها» وان تغيير هذا الترتيب جائز كما جرى في كنيسة القسطنطينية. ولا يخفى ان ابرشية عكا سلخت عن كنيسة انطاكية وضمت الى كنيسة اوروشليم في عهد البطريرك اغناطيوس في اوائل القرن السابع عشر .

ويقول مكاريوس ان لكل بطريرك مديحاً غير مديح الآخر وان مديح بطريرك انطاكية هو هكذا : « سنيناً كثيرة يمنحك الرب الاله ايها الكلي الغبطة والجزيل القداسة سيدنا ومعلمنا اب الآباء وراعي الرعاة وريس الرؤساء وثالث الاثنا عشر رسولا الاب السيد البطريرك كـير فلان بطريرك مدينة الله العظمى انطاكية وكافة النواحي الثغرية وساير البلاد الشامية وكل الاقاليم الكرجية وجميع الاقطار الشرقية سيدنا ومولانا فلان لكيما يحرسك الرب الاله سنيناً كثيرة ايهـا

1) *Gedeon, M., Kanonikai Diataxeis, I, 341 - 368 ; Delicanis, Patriarchika Eggrapha, III, 92.*
اطلب وصف صليب مكاريوس في مجلة النعمة : كانون الاول ١٩١٠ ص ٣٩٦ — ٣٩٧
2) *Les Sièges Episcopaux du Patriarcat Melkite d'Antioche en 1658, Proche - Orient Chrétien, 1953, 341 - 350.*

السيد في الارتقاء والرفعـة الالهية بغير مرض ولا سقم ناجياً من الاسواء معافى سنيناً جزيلة مكرماً ممدوحاً معتوقاً من ساير افعال الشياطين متغالباً وظافراً بأعداه المنظورين والغير منظورين. والله تعالى لاجل صلواتك وطلباتك المغبوطة والجزيلة قداستها يخلص ويشدد كافـة المطارنة المحروسين من الله والاساقفة المحبين لله والكهنة في الرهبان الروحانيين والقسوس الموقرين والاكليروس المكرمين والشمامسة المبجلين وذوي الحسب والاراخنة والاكابر المنتخبين وساير الشعب الارثوذكسيين شعب المسيح محفوظين سنيناً عديدة . ثبت الله الامانـة المستقيمة الى الابد آمين آمين آمين » .

ويوجب البطريرك الهتاف بعد هذا بالعبارة «اسبولا اتي ذسبوطا» ثلاث مرات وسجود القارىء للبطريرك وتقبيل يمينه ثم السجود له ثانية فالرجوع «فطرح الذوكسا» وجعلها استيخونات بين الخوروسين كل استيخن في خورس دفعـة واحدة فقط ثم اكمال التاسعة والمكارزمي كالعادة .

وقال مكاريوس ان التيبيكون قضى ببوليخرونيون للمتقدم وان هذا كان « معدوماً في عصره بالجملة » وان الآباء الالهيين أوصوا به . واضاف ان لكل رئيس كهنة مديحاً وانه اجتهد وتعب وعمل لكل رئيس كهنة « من رؤساء كهنة بلادنا » مديحاً لائقاً بكرسيه وابرشيته . ثم اثبت نصوص هذه المدائح هكذا :

« حلب : فلان المتكامل قدسه والمطيقي مطران المدينة المقدسة حلب الفائق الاكرام المتسلط على ابرشية سيريا الاولى الضابط لمدينة منبج وكافة البلاد الفراتية بولا طا اتي » (١) .

اما القاب ساير المطارنـة فهي هكذا : « المسلط على ساير ابرشية بار الياس » (٢) لمتروبوليت صور وصيدا و « المسلط على ساير ابرشيـة ثيودوريادوس » لمتروبوليت اللاذقية و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الاولى » لمتروبوليت طرابلس و « المسلط على ساير ابرشية ارمينية الرابعة والضابط لمدينة الرها وبين النهرين» لمتروبوليت آمد و « المسلط على ساير ابرشية فوسطرا ارابية »

١) وجاء باليونانية مثله تماماً مـع اللقبين اكسارخوس سورية الاولى وتوبوتيريش هيرابوليس وكافة البلاد الفراتية .
٢) *Paralias* الساحلية اي فينيقية الاولى وهي الساحلية

لمتروبوليت « المدينة المقدسة حوران » و «المسلط على ساير ابرشية فينيكي الثانية» لمتروبوليت حمص و «المسلط على ساير ابرشية سوريا الثانية والضابط لمدينة ابامية الشام » لمتروبوليت حماة و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الاولى » لمتروبوليت بيروت و «المسلط على ساير ابرشيات كيليكيا الاولى والثانية والضابط لمدينة سلفكية ايصورية » لمتروبوليت باياس و « المسلط على ساير جبل لبنان » لمتروبوليت بعلبك و « المسلط على ابرشية جبل لبنان والضابط لمدينة عرقا » لمتروبوليت عكار و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الثانية » لمتروبوليت الزبداني و « المسلط على ساير ابرشية فينيكي الثانية » لمتروبوليت صيدنايا و «المسلط على ساير بلاد ارمينية الكبرى » لمتروبوليت مدينة ثيودوسيوس اي ارضروم .

وتدل اخبار هذا البطريرك على ان متروفانس ترأس ابرشية حلب وارميا ابرشية صور وصيدا ونيوفيطوس ابرشية اللاذقية وملاتيوس ابرشية طرابلس وثيوفانس ابرشية آمد وغريغوريوس ابرشية حوران واثناسيوس ابرشية حمص وملاتيوس ابرشية حماة وفيلبوس ابرشية بيروت وجبرائيل ابرشية باياس حتى السنة ١٦٤٤ وانطونيوس ابرشية بعلبك ونيقولاوس ابرشية عكار وجراسيموس ابرشية الزبداني ولاونديوس ابرشية صدنايا ومكاريوس ابرشية ارضروم .

انتقاء الكهنة والاكليروس : وتفيد الآثار التي خلفها مكاريوس وابنه بولس ان المبادرة في انتقاء الكهنة خدمة الرعيـة كانت بيد الشعب . فلم يكن البطريرك او المطران يرسم كاهناً الا بموافقة من كان يخدم من الشعب . وكان المرشح لهذه الرتبة يقدم صكاً من قومه يشهدون له فيه بالسيرة الصالحة والتقوى واستقامة الايمان والعلم الكافي ويتعهدون له بالطاعة والدخل اللازم لمعيشته . وكان الكاهن ينتقى في غالب الأحيان من أبناء الوجهـاء والأعيان تشريفاً له ولاسرته . وكان بيته يعتبر بيت الطائفة وديوانها فيه يجتمع أعيانها ومنه تصدر القرارات في الملمات والظروف الاستثنائية . وكان المطران او البطريرك يجهز الكاهن لدى رسامته ببيان يذكر فيه اسم الكنيسة التي ارتسم فيها واسم الكنيسة التي ارتسم لخدمتها ووجوب تقديم الطاعة له والاحترام . وكان هذا البيان يدعى

ستاتيكوناً يتلوه الكاهن في كنيسته لدى وصوله اليها وتسلمه الرعاية فيهـا . وقضت التقاليد الموروثة ببقاء هذا الكاهن في القرية التي رسم لها وعليها وبعدم عزله قبل محاكمته بموجب الناموس والقوانين المقدسة .

اما المبادرة في انتقاء الاكليروس فانها كانت في يد البطريرك او مطران الابرشية . فقد يلاحظ هذا السيد ان احد الشبان يداوم على حضور الصلوات ويشترك فيها بالقراءة والترتيل فيتثبت من رصانته وتقواه ويقربه ويرغبه بالكهنوت . فاذا ما وثق من رغبة أكيدة عُني بأمر تعليمه اما بذاته او بواسطة من يعتمد عليه ثم رسمه اناغنوسطاً وألبسه الصاية السوداء والقلنسوة الصغيرة . ويظل هو حراً في أمر البقاء في الخدمة او تركها .

وقد يتميز احد الوجهاء من ابناء الطائفـة بالتنزه عما يُعاب ويصون العرض من الدنس وبعفة اليد واللسان وبالاندفاع في سبيل الكنيسة فيمنحـه البطريرك او مطران الابرشية لقب شماس الكنيسة فيزداد هو بهذا اللقب وجاهة وكرامة . وقد يسعى البعض لنيل هذا الشرف رغبة بما يناله من اجر وثواب . وكان الشمامسة نوعين شمامسة قلاية وشمامسة بيت واعمـال . وكان على شمامسة القلايـة ان يعيشوا فيهـا ويقوموا ببعض الخدمات الادارية والكنسية لابسين الثوب حافظين العفاف . وكان بامكان هؤلاء ان يخلعوا الثوب ويتزوجوا زواجاً ناموسياً قبل ترقيتهم الى رتبة شماس انجيلي . اما شمامسة البيوت والاعمال فانهم كانوا يزاولون صناعاتهم وتجاراتهم واعمالهم العادية كسائر افراد الشعب ولا يأتون الى الكنيسة الا للاشتراك بالصلوات والاحتفالات الدينية .

ولم يذكر بولس ابن مكاريوس في اخبار الزيارة الرعائية التي قام بها والده سنة ١٦٤٨ من الاديرة في سورية سوى دير صيدنايا ودير مار جرجس الحميرة . وذكر ديري مار تقلا ومار سركيس في جوار معلولة ولكنه لم يذكر ان والده قدس فيها . وليس هنالك اي ذكر لدير مار يعقوب قارا . وجاء في اخبار هذه الرحلة ان البطريرك زار دير السيدة في كفتين ودير مار يعقوب دده ودير السيدة في البلمند ودير سيدة الراس ودير مار الياس شويا (الشوير) وانه

قدس فيها جميعها . وجاء ايضاً ان البطريرك زار دير سيدة حماطورة ودير سيدة النورية ودير مار الياس كفرقاهل ولكنه لم يرد ذكر لاقامة القداس فيها . واغفل الشماس بولس ذكر مار يوحنا الشوير ومار سمعان كفرعقاب . ولعل السبب في اهمال ذكر بعض الاديار وفي عدم اقامة القداس في غيرها انها كانت قد اهملت فأمست غير لائقة بزيارة البطريرك او باقامة القداس فيها . والواقع الذي لا مفر من الاعتراف به هو ان الاضطرابات وقلة الامن وشدة الفقر كانت قد زعزعت الحياة الرهبانية في معظم هذه الاديار وان الديرين الوحيدين اللذين نالا شيئاً من العناية كانا دير صيدنايا ودير البلمند . ولا يخفى ان الاول كان ملجأ الدمشقيين المسيحيين والبطريرك والكهنة في اثناء الضيق والاضطراب وقبلة انظار الارثوذكسيين في جميع انحاء الكرسي الانطاكي لما اشتهرت به سيدته من الحماية والمعونة وان الثاني كان ملجأ الطرابلسيين وقد رعاه بعنايته يواكيم متروبوليت طرابلس فجدد بناءه في السنة ١٦٠٣ .

المدارس الاكليريكية : ولم يكن هنالك مدارس اكليريكية عالية . وأمست قلايات المطارنة والبطريرك افضل المدارس لرجال الاكليروس والكهنوت فكان الاناغنوسطس القائم في القلاية يدرس في مدرسة الطائفة التابعة لها . فيقرأ الاسفار المقدسة وتفاسيرها المعربة عن اليونانية ويعنى عناية خاصة بمواعظ القديسين يوحنا الذهبي الفم وباسيليوس الكبير . ثم يعكف على تفهم كتاب المنطق ليوحنا الدمشقي او غيره ويتفهم عرض هذا القديس لقضايا الايمان القويم فيجده في كتاب « المئة مقالة » . وكان عليه ان يلم باللغة اليونانية قراءة وكتابة وباللغة العربية وان يجيد كتابتها وان يتعلم الطب ويمارسه لخير الرعية . ولكي ينال الحظوة والترقية في درجات الكهنوت كان عليه ان يكون سالماً من كل عاهة بلا عيب جميل المناقب حلو الشمائل رخيم الصوت يجيد الترتيل باليونانية والعربية ليسبح الله في كنيسته ويذكر امجاده بين المؤمنين. واذا ما توفرت فيه هذه الشروط او معظمها واعظمها رقي الى درجة شماس انجيلي ثم الى درجة رئيس الشمامسة اي ارشدياكون .

انتقاء الاساقفة : ويتضح من اخبار الاساقفة الذين تمت سيامتهم في هذا

القرن السابع عشر ان عدداً كبيراً منهم جاؤوا من صفوف الكهنة المترملين فكانوا عاديين بعملهم وفضائلهم. وكان بعضهم غير لائق لتسنم العرش الاسقفي. ونخص بالذكر من هؤلاء اثناسيوس متروبوليت حمص ونسيبه متروفانس متروبوليت حلب . وكانت المبادرة في انتقاء الاساقفة بيد البطريرك والشعب . فاما ان يختار البطريرك مرشحاً ويتصل بأعيان الابرشية التي يريده اسقفاً عليها او ان يتقدم الاعيان من البطريرك بمرشح يريدونه اسقفاً عليهم . وكان لا بد من اتفاق الطرفين على المرشح . وقد يكون هذا المرشح كاهناً مترملا وقد يكون راهباً من رهبان القلايات او الاديار المهمة في الكرسي الانطاكي او في فلسطين او قبرص او احدى الجزر اليونانية او اي بلد ارثوذكسي اخر. ويلوح لنا ان الكلمة الاولى والاخيرة في انتقاء المرشح كانت للبطريرك نفسه . وانه كان لا بد من اشتراك البطريرك في الرسامة متعاوناً في ذلك مع بعض الاساقفة كما قضت شروط الشرطونية في جميع الكنائس . وكان لا بد من اصدار براكسيس بالسيامة يتضمن ذكر الرسامة وتاريخها والمذبح الذي تمت عليه والمذبح الذي اجريت لاجله .

انتخاب البطريرك : والبطريرك في عرف الكنائس الشرقية هو خليفة الرسل الاطهار ورئيس الكنيسة المحلية . وهو ايضاً رئيس العشيرة بكاملها اي زعيم الطائفة التي يرأس كما يدل على ذلك معنى اللقب نفسه وكما تؤكد المراجع التاريخية . وكان البطريرك ايضاً اسقف كنيسة مدينة انطاكية نفسها . فكان لا بد والحالة هذه من اشتراك ابناء مدينة انطاكية في انتخاب البطريرك الجديد ولا بد من موافقة اعيان الطائفة جمعاء . وبانتقال المركز البطريركي من انطاكية الى دمشق اصبح البطريرك الانطاكي اسقف انطاكية واسقف دمشق ايضاً .

ولم يجر اي انتخاب بطريركي انطاكي بدون اشتراك المطارنة اصحاب الابرشيات الخاضعة لانطاكية . فهؤلاء هم الذين نصبوا البطريرك الجديد في عرشه وهم الذين سلموه عكاز الرعاية . وهم الذين تولوا سيامته اسقفاً على الكتدرا البطريركية اذا كان كاهناً او شماساً .

وكان على البطريرك الجديد ان ينال اعتراف السلطات الزمنية برئاسته

ليمارس الحقوق التي نصت عنها امتيازات محمد الثاني العثماني وكان هذا الاعتراف السلطاني يصدر ببراءة سلطانية يعهد لها البطريرك المسكوني ويسهل الحصول عليها. وكانت السلطات تتقاضى بعض الرسوم والهدايـــا . فلما دب الفساد الى اداة الحكم تعاظمت هـــذه الرسوم والهدايا وتنوعت . فاضطر البطريرك الجديد ان يتحملها لدى وصوله الى العرش وان يأخذها فيما بعد من واردات الكرسي فنشأ عن هذا كله نوع من الدفع والقبض عرف في الاوساط الاكليريكية الارثوذكسية بالسمعانية نسبة الى سمعان طرابزون اول من تعاطى بها (١) . وهي غير السيمونية التقليدية التي نبذتها الكنيسة منذ ايام الرسل الاطهار . وادى طمع الحكام في المال وطموح بعض الاساقفة الى الشغب على البطريرك الجالس ومحاولة خلعه واجلاس غيره محله والى غير ذلك من ظواهر الشر والفساد (٢) .

سر الاعتراف : وترادفت الاسقام وتوالت الانصاب « فتخطى » الكهنة بعضهم بعضاً « ودفنوا وعمدوا وقندلوا » بدون اذن صاحب الجمعة . فنعهم مكاريوس عن ذلك . ومنع الكهنة الغرباء عن قضاء مصالح اهل المدينة . وكان المسيحيون يهجمون على تناول الاسرار في الاعياد الكبيرة بدون اعتراف فصدر أمر البطريرك بوجوب اعطاء كل معترف بالخطايا ورقة تنبىء باعترافه يظهرها في الكنيسة لدى تقدمه من جسد الرب ودمه (٣) .

مكاريوس والتعاليم البروتستنتية : واشتد الجدل في فرنسة في منتصف القرن السابع عشر بين اتباع كلوينوس وبين ابنـــاء الكنيسة الغربية . وأنكر الكلوينيون اسرار الكنيسة وسلطتها وغير ذلك من العقائد الكاثوليكية الغربية . ثم انحصر الجدل في حقيقة وجود المخلص في سر القربان الطاهر واستحالة الخبز والخمر الى جسد سيدنا ودمه . ودار الجدال مدة حول آيات الكتاب فافحم الكاثوليكيون الغربيون الكلوينيين . فادعى هؤلاء ان هذه العقيدة جديدة في

1) *Papadopoulos, Th., Hist. of the Greek Church and People under Turkish Domination, 29, n- 2.*

2) *Ibid., 30 - 31, 122 - 158.*

٣) سفرة البطريرك مكاريوس ص ١١٢

الكنيسة اخترعتها رومة منذ سنين معدودة . ثم اختلفوا في تعيين زمن الاختراع فحصره بعضهم في القرن السابع وآخرون في التاسع . وقال غيرهم ان القول بالاستحالة لم يعرف قبل القرن الثالث عشر . وزعموا ان آباء كنيستنا الارثوذكسية الجامعة وآباء الكنائس الشرقية الاخرى ينكرون وجود المسيح وجوداً حقيقياً في سر الافخارستية ويرذلون استحالة جوهر الخبز والخمر الى جسد يسوع ودمه . فسعت الأوساط الكاثوليكية الغربية لدى السلطات الروحية الشرقية في تحصيل شهادات رسمية في معتقد هذه الكنائس الشرقية . فهب هؤلاء للدفاع عن هـــذا السر المقدس وقدم بطاركة الأقباط والأرمن واليعاقبة ما أثبت اشتراكهم مع رومة في قول واحد بسر الافخارستية (١) .

ودبج مكاريوس في الخامس عشر من تشرين الثاني سنة ١٦٧١ رسالة في الرد على « الاراتقة الحديث ظهورهم الموجودين في بلاد غاليـــا اي الفرانسا وغيرها من البلاد الافرنجيـــة المقول لهم القلوينيين الذين أنكروا سائر تقليدات الكنيسة الشرقية وغيروا وأبطلوا سائر ما وضعه الرسل الالهيين والآباء القديسين اصحاب المجامع السبعة المسكونية وأنكروا عادات الكنيسة الشرقية ونقضوا منها ثلاثة عشر اعتقادات صالحة » . ولا تزال مكتبة باريز الوطنية تحفظ نسخة رسمية عن هذه الرسالة ولعلها بخط صاحبها (٢) . وقد نشرها الاب انطون رباط في مجلة المشرق ١٩٠٧ (٣) . واليك خلاصة هذه الرسالة بلغة واضعها (٤) .

« الراس الاول : قولهم عن الاسرار الطاهرة بأنها بعد تقديم الكاهن لها على المذبح وقوله عليها الكلام الجوهري بأنها تصير شبه جسد المسيح ودمه وليس هي بالحقيقة جسده ودمه . واعلم ان الانجيلية الاربعة كل واحد منهم أخبر بالهام الروح القدس بعض عجائب المسيح وجزء من وصاياه واما عن هـــذه الاسرار المقدسة فانهم كلهم أخبروا عنها بافصاح وانه قال عن الخبز والخمر الذي قدمه

١) الآثار الشرقية في مكاتب باريز للاب انطون رباط اليسوعي : المشرق ١٩٠٣ ص ٥٠٢ـ٥٠٤

2) *Cat. Mss. Arabes, 224, p. 57.*

٣) الطوائف الشرقية وبدعة الكلوينيين ص ٧٦٦ ـ ٧٧٣ و٧٩٥ ـ ٨٠٢

٤) وتوقيع حفيده كيرلس الثالث كما جاء في مـــتن رسالة كيرلس الى البابا اقليمس الحادي عشر بتاريخ ٢٠ آب سنة ١٧١٦ . وسيرد نصها كاملا في الفصل الآتي .

لهم بأن هما جسده ودمه الخاصيان بالحقيقة. فكيف يكون شبه جسده . فالقائلين هذا الكلام قــد كذبوا وكذبوا انجيل سيدنا يسوع المسيح . وكذبهم فهو تلقين الشيطان وهو ظاهر مثل الشمس .

« الراس الثاني : وقالوا بأن الخبز والخمر في تمام الذبيحة ليس ينتقلان ولا يستحيلان من جوهرهما الخاصي . فأعلم ان السيد المسيح لم يقطع لحماً من جسده ولا أخرج منه دماً وأعطاه لتلاميذه لكنه قدم لهم خبزاً وخمراً وقال لهم بأن هذا هو جسدي وهذا هو دمي . فليخزوا اذاً القائلين عن هذه الأسرار بأنها شبه جسده ودمه .

« الراس الثالث : ثم ذكروا هولاي المخالفين ان عمل القداسات ليس فيه منفعــة للاحياء والأموات . فاعلم بأن الآباء القديسين أمرونا بأن نذكر الأحياء والأموات في كل صلاة وقداس وجعلوا قداسات ايام السبوت كلهــا لأجل نياح الراقدين . وقد أمرنا بذلك ديونيسيوس قاضي العلماء وباسيليوس الكبير وغريغوريوس الثاولوغوس ويوحنا فم الذهب واثناسيوس الكبير . فمن فعلها كان تابعــاً لهؤلاء القديسين والذي ينكرها فهو من الأراتقــة المخالفين .

« الراس الرابع : ثم قالوا هؤلاء الأراتقة بأن من يتناول الأسرار المقدسة ليس يتناوله بتمامه حقيقاً . فاعلم بأن قد تقلدنا بأن الكاهن يتناول سائر مــا قدمـــه ذلك اليوم . والعلماني الذي يتناول من الأسرار جزءاً يسيراً فان هما قد تناولا جسد المسيح ودمه بتمامه وليس جزءاً منه . ومن يتنــاول شيء يسير من جسد المسيح ودمه يتناول المسيح بتمامه كمثل من ينظر وجهه في المرآة ينظر جسده وصورته بتمامه . وكذلك اذا قطع تلك المرآة فانه ينظر في قطعــة منها صورته بتمامها . والكاهن يقول قبل تناول الأسرار نفصل ونقسم حمل الله تقسيماً ونأكل منه كل حين وهو غير منتقصاً .

« الراس الخامس : ثم ان هؤلاء الاراطقـــة ينكرون سائر الأصوام المفروضة علينا من الله. فاعلم يا هذا بأن اول وصية امر الله بها لابينا آدم قوله من هذا كل ومن هذا لا تأكل . فمن ها هنا أبان فريضـــة الصوم . وموسى صام اربعين يوماً وايليا صام اربعين يوماً ودانيال صـــام ثلاثة سوابيع . ثم سيدنا يسوع المسيح اعتمد وصعد الى الجبل وصام اربعين يوماً وعلمنا بأن كل معتمد يجب عليه في كل سنة بأن يصوم اربعين يوماً . وهكذا رسله القديسين بعــد صعوده الى السماوات عملوا مجمع مقدس في اوروشليم ووضعوا فيه قوانين كثيرة مشهورة ومن جملتها امروا المسيحيين بأن يصوموا في كل اسبوع يومي الاربعاء والجمعة وان يصوموا الصيام الكبير في كل سنة مثل ما صام سيدنا يسوع المسيح. وكذلك الآباء القديسين وضعوا في المجامع المقدسة قوانين كثيرة شرعت لنـــا الأصوام المقدسة وهكذا قلدوا اولاد البيعة الأرثوذكسيين جيل بعـــد جيل ان يحفظوا ذلك الى انقضاء العالم .

« الراس السادس : ثم ان هؤلاء الاراطقـــة يقولون ان لا يجب تكريم القديسين لأنهم لا ينفعون احداً من الذين يكرموهم اصلا بالتجائه وتضرعه اليهم. فاعلم يا هـــذا بأنه اذا كان تكريم القديسين ليس هو بواجب فلماذا كرمهم الله تعالى في العتيقة وصنع على ايديهم المعجزات العظيمة وقال عن داود اعضد مدينة اوروشليم لأجلي ولأجل داود عبدي . وكيف لا يجب اكرامهم وهم أحباء المسيح وورثاؤه وكيف لا ننشيء هيا كل لله باسمهم ونقرب النذور لهـــم ونكثر التوسل اليهم ولا سيا سيدتنا العذراء والدة الاله مريم رجاء الذين ليس لهم رجاء .

« الراس السابع : ثم ان هؤلاء الاراطقـــة يحاربون الايقونات المقدسة ويدعونها اصنام . فاعلم بأن سيدنا يسوع المسيح شمس العـــدل استبانت صورة وجهه المقدسة بألوان من الاصباغ على السبنيّة التي ارسلها ابجر ملك الرها وظهر منها عجائب لا ترام ولا تحصى . وايضاً بعد صعود السيد المسيح عمل لوقا ايقونة سيدنا يسوع المسيح ثم ايقونتين الرسولين بطرس وبولص ثم زوق ثلاث ايقونات على اسم سيدتنا والدة الاله . وبعد تكميلهم ذهب الى عند والدة الاله لأنها كانت

بعد بالحياة واخبرها بما فعله وطلب اليها ان تمضي معه وتشاهدهم وتباركهم فذهبت وحين نظرتهم تبسمت ثم باركتهم وقالت : النعمة التي خرجت مني وكانت فيّ تكون عليهم وفيهم . واكرام الصورة واصل الى عنصرها الاول كما قال القديس باسيليوس الكبير. والآباء القديسين اصحاب المجمع السابع المسكوني قد افرزوا كل من لا يسجد للايقونات المقدسة وأحرموا الذين يزعمون ان المسيحيين يألهونها .

« الراس الثامن : ويقولوا هؤلاء الاراطقة بأنه لا يجب ان يكون في الكنيسة طغمة الكهنوت . فاعلم بأن الكنيسة تدعى سماء ارضية . وكما انه في السموات طغمات الملائكة تسعة يخدمون الله ويسبحوه فهكذا في كنيسة المسيح التي على الأرض طغمات الكنيسة المقدسة يخدمون الله ويمنحون نعمة الكهنوت . وهم منصوبين بأمر الله وينيلوا المواهب للمؤمنين . والقديس باسيليوس يقول في قداسه اذكر يا رب الكهنة خدام المسيح و كل طغمات الكهنوت .

« الراس التاسع : وقال ايضاً هؤلاء الاراطقة بأن ليس يجب ان يكون في الكنيسة اسقفاً. فاعلم ان درجة الاساقفة ضرورية ولازمة في البيعة الارثوذكسية لأجل تدبير المسيحيين لان الأسقف تفسيره المشرف والراعي للرعية . والسيد المسيح يقول عن نفسه أنا هو الراعي الصالح . وهو الذي قبل آلامه سام يعقوب الرسول ابن يوسف وجعله اول اسقف على اوروشليم وهو الذي بعد قيامته المقدسة قال لبطرس ارعَ خرافي. وبولص الرسول يقول تيقظوا لانفسكم وللرعية الذي اقامكم الله عليها اساقفة .

« الراس العاشر : وقالوا هؤلاء الاراطقة بأن كنيسة المسيح قد أخطت وما اصابت بحيث انها افرضت ووضعت قوانين لا يجب حفظها . اعلم بأن بيعة المسيح الكاثوليكية لم تخطي اصلا . وهي منظورة دائماً على الارض وعادمة للضلالة . وهي اساس الحق وعمده ومعها المسيح الى انقضاء العالم . وفيها البارقليط وثابت معها الى الأبد . وهو الذي ألهم ونطق على السن الرسل الالهيين والآباء القديسين بأنهم وضعوا فيها

نواميس والقوانين والسنن والفرائض . ولم يخطوا بذلك لكنهم اصابوا وكانت جميع اقوالهم بالشريعة والحقيقة والطريقة . والقديس باسيليوس الكبير يقول في قداسه نحو الرب : وايضاً نطلب منك يارب ان تذكر كنيستك المقدسة الجامعة من اقصى المسكونة الى اقصاها التي اصطنعتها بدم مسيحك الكرم وسلمها و ثبت هذا البيت المقدس الى انقضاء الدهر .

« الراس الحادي عشر : وقالوا هؤلاء بأن اسرار الكنيسة السبعة ليس هم حقيقة : فاعلم بأن الانبياء والرسل تكلموا فيهم وذكروا عن سبعة ارواح الله وبعضهم دعاهم مواهب وبعضهم نعم . وبالحقيقة انهم سبعة مواهب : العماد والميرون والاسرار المقدسة والاعتراف والزيت المقدس للمرضى واكليل الزواج والكهنوت .

« الراس الثاني عشر : ثم ان هؤلاء الاراطقة لم يعتقدوا بتحقيق في الكتب المقدسة كلها . فاعلم بأن الكتب المقدسة هي الاساس الى امانتنا . وليعلم هؤلاء المخالفين اننا نقبل كافة الكتب المقدسة الالهية التي ذكرها في مجامع البيعة الارثوذكسية وفي سائر الكتب التي للآباء القديسين . ومنها الابوكاليبسيس ورسالة يعقوب اخو الرب وطوبيا ويوديت وسفر حكمة سليمان وسفر الجامعة وباروخ النبي والمكابيين . فجميعهم نقبلهم ونقرأهم في الكنيسة المقدسة الطاهرة الارثوذكسية .

« الراس الثالث عشر : ثم ان هؤلاء الاراطقة يشنعون عنا لاجل اننا متمسكون بتقليدات الكنيسة الارثوذكسية المقدسة المقدم ذكرها . اعلم ان هذه الرؤوس المقدم ذكرها قد تسلمناها من الرسل الالهيين والآباء القديسين . ولمعرفتنا بأنها اعتقادات صالحة محقة اعتقدنا فيها اعتقاداً كلياً من صميم القلب وبصدق اللسان . وليخزوا القائلين كذباً عن كنيستنا الطاهرة المقدسة انها تمسكت باعتقادات رومية فلتخرس السنهم . ونحن حين وكدنا الحق كتبناه بخط يدنا وختمناه بمدينة دمشق المحروسة انا الفقير ماكاريوس بطريرك مدينة الله انطاكية العظما في اليوم العشرون من شهر تشرين الاول سنة ١٦٧١ مسيحية الموافق لسنين

ابونا آدم سبعة الاف ومائة وثمانين وللهجرة الف واثنين وثمانين . ونحن بالله نستعين له المجـــد سرمداً . المجد لله دائماً ماكاريوس برحمـــة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق .

« وهذا الاعتقاد المفسر بلسان سيدنا البطريرك فهو اعتقادنا نحن جماعة الروم وشهرت به أنا الحقير غريغوريوس باسم مطران بصرى وحوران وانا الحقير يواكيم مطران حمص أقر واعترف بهـــذا الاعتقاد وانا الخوري يوحنا ابن طاشات وأنا ايضاً الخوري يوسف ابن صيدح وأنا الخوري عبد العزيز هلال وانا الخوري مخاييل علم وأنا الخوري مخاييل نقاش أقر واعترف بهـــذا الاعتقاد . أقر واعترف بهـــذا الاعتقاد بقلبي وفمي أنا الحقير في الكهنة الخوري يوحنا المكنى بابن الذيب وأنا الخوري جرجس أقر واعترف بهذا الاعتقاد بقلبي وفمي ونيتي وأنا القسيس موسى وأنا القسيس يوسف» .

« باسم الآب والابن والروح القدس الاله الواحد . وان بعـــد وضع ختمنا وخط يدنا على ما شرحنا اعلاه من الرؤوس السابق ذكرها سمعنـــا عن هؤلاء المخالفين المذكورين انهم قد زادوا في تجديفهم المتقدم قولنا عنـــه وبطلوا رسم الصليب على جبهاتهم ولم يعلموا ان هذه عادة مأخوذة من زمن سيدنا يسوع المسيح لأنه كان حين يكسر الخبز كان يختمه شكل الصليب على ما تقلدنا ذلك من باسيليوس الكبير وغيره من القديسين ، وكذلك كانوا يفعلوا رسل المسيح وهكذا القديس اغناتيوس المتوشح بالله بطريرك مدينة انطاكية امر المسيحيين ان يفعلوا هكذا ومنه اشتهر هذا الأمر في سائر المسكونة . فمن هذه الجهـــة صار رسم الصليب لازماً لسائر المسيحيين ان يرسموه على جبهاتهم واجسادهم ليتقدسوا به وتنطرد عنهم الشياطين .

« الراس الثاني : من أجل الرهبنـــة وشروطها ونذورها وقالوا هؤلاء المخالفين بأن الشيطان قد ابدعهـــا . فاعلم ان قبل مجيء سيدنا يسوع المسيح استساروا بهذه السيرة ايلياس النبي ويوحنا المعمدان . وحين حضر سيدنا يسوع المسيح فأراد ان يثبت هذه العادة الصالحة فقال من أراد ان يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني .

« الراس الثالث : وقالوا هؤلاء المخالفين بأن ليس لاحد من البطاركة ورؤساء الكهنة المعظمين سلطة بأن يمنـــح لأحد المسيحيين استغفارات لخطاياه

وتكون نافعة للاحياء والأموات الذين فعلوا جنايات وعليهم قوانين . فاعلم بأن ربنا له المجد في اماكن كثيرة قال لرسله القديسين كلما ربطتموه على الأرض يكون مربوطاً في السماء ومهما حللتموه على الأرض يكون محلولا في السماء . وثم انه بعد قيامته نفخ في وجه تلاميذه وقال لهم اقبلوا الروح القدس ان تركتم لقوم خطاياهم تترك لهم ومن امسكتموها عليهم فلتمسك .

« الراس الرابع : ثم قالوا هؤلاء المخالفين بأن الله وضـــع على الناس وصايا ثقيلة لا يقدرون على فعلها وانه لا يساعدهم بنعمته ومعونته الكافيـــة . والجواب قال تعالوا الي ايها المتعبين والثقيلين الأحمال وانا اريحـــكم احملوا نيري فانه صالح وحملي خفيف .

« الراس الخامس : وقالوا هؤلاء المخالفين ان المسيح ليس مات عن جميع الناس بل عن بعض منهم فقط لأنه لم يريد خلاص الكل . فاعلم بأن هـــذا الكلام مخالف للشريعة المسيحية لأن بولص الرسول يقول لما كانوا جميـــع الناس خطـــأة مات المسيح عنهم ليخلصهم . وقال هو تعالى اسمه ما اتيت لأدعو الصادقين بل الخطأة الى التوبة .

« الراس السادس : وقالوا هؤلاء المخالفين بأن زيارة الأماكن المقدسة باطلة . فكيف أمر الله موسى بأن يأمر بني اسرائيل بأن يزوروا اوروشليم وكيف كان رسل المسيح يطوفوا المسكونة ويعودوا الى اوروشليم ويسجدوا فيهـــا . واكثر القديسين المعظمين ذهبوا الى هذه الأماكن المقدسة وسجدوا بها وحظوا بنعمة الروح القدس .

« الراس السابع : وذكروا هؤلاء المخالفين بأن الزيجة مسامح بها للرهبان والاساقفة وليس عليهم بذلك خطية . فاعـــلم بأن كل هؤلاء الاساقفة والرهبان قبل ان يلبسوا الاسكيم الملائكي كانوا قد نذروا على نفوسهم باختيارهم من غير اكراه ولا اغتصاب بانهم قد اوقفوا اجسادهم هياكلا لله . ثم ان رسل المسيح والآباء القديسين جميعهم امروا الاساقفة والرهبان بعـــدم الزيجة واستعمال العفة والطهارة .

« الراس الثامن : ثم قال هؤلاء الاراطقة بأنه ليس يجوز للمسيحيين بأن يصلوا في كنائسهم بالفاظ غريبة لايعرفها اهل البلاد . فاعلم بأن الرسل القديسين تكلموا في سائر اللغات وخلفوا لنا بأن نصلي بأفضلها وان الشعب تتقدس مسامعه بتلاوة هذه الالفاظ الطاهرة اذا سمعوها الملائكة يحضروا والشياطين يهربون من قوتها ولاجل ذلك نستعمل اللسان اليوناني والسرياني في كنائسنا ومنازلنا .

« ومهما شرحناه في هذه الروس فهو من اعتقادنا القويم رأيه ووكدنا حقه بخط يدنا وختمناه في مدينة دمشق المحروسة في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٦٧١ مسيحية الموافق لسنين أبونا آدم سنة ٧١٨٠ الحمد لله دائماً ماكاريوس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق . هكذا آمنت أنا الحقير غريغوريوس مطران بصرى وحوران . وأقر أنا المطران يواكيم بهذه الامانة » .

امولوغية دوسيثيوس او رسالة البطاركة : (١٦٧٢) وعني دوسيثيوس بطريرك المدينة المقدسة (١٦٦٩ ــ ١٧٠٧) بترميم سقف كنيسة المهد . فلما انتهى من عمله هذا دعا في اوائل السنة ١٦٧٢ الكنائس الى الاشتراك معه في التدشين. فاجتمع في بيت لحم في العشرين من آذار واحد وسبعون اكليريكياً عالياً بينهم البطريرك والمتروبوليت ورئيس الاساقفة والاسقف . وتفاوض المجتمعون في شؤون الكنيسة الجامعة فأقروا اموراً اهمها الرد على ما كان قد ذهب اليه كيرلس (لاسكارس) البطريرك القسطنطيني في موقفه من كلوينوس وبعض آرائه الدينية الفلسفية . وأعد هذا الرد دوسيثيوس البطريرك الاوروشليمي فنسب اليه وعرف فيما بعد بامولوغية *Omologia* دوسيثيوس . وجاء في ثمانية عشر بنداً تتلوها اجوبة اربعة على اربع مسائل . ثم تبنى البطاركة في مجمع عقدوه في القسطنطينية في السنة ١٧٢٣ هذه الامولوغية في ما ارسلوه الى الروس وما دعوه الاكثيسيس الارثوذكسي *Ekthesis* . واشترك في توقيع هذا الاكثيسيس كل من ارميا بطريرك القسطنطينية واثناسيوس بطريرك انطاكية وخريستثوس بطريرك المدينة المقدسة وعدد من اعضاء المجمع القسطنطيني المقدس . واطلق الرؤساء الروحيون في روسية على هذا الاكثيسيس الاسم رسالة البطاركة فعرف به ايضاً منذ ذلك

الحين (١) . واليك تعريب الامولوغية كما أعده الشماس غفرائيل كرابتاكيس في السنة ١٩٠٤ وأقره البطريرك الاوروشليمي ذاميانوس في التاريخ نفسه :

القضية الاولى : نؤمن باله واحد حق ضابط الكل لا حدّ له آب وابن وروح قدس آب غير مولود وابن مولود من الآب قبل كل الدهور ومساو له في الجوهر وروح قدس منبثق من الآب ومساو للآب والابن في الجوهر . وهذه الاقانيم الثلاثة نسميها ثالوثاً اقدس في جوهر واحد تباركه البرايا بأسرها في كل حين وتمجده وتسجد له .

القضية الثانية : نؤمن بأن الاسفار الالهية موحى بها من الله . ولذلك يجب علينا ان نثق بها غير مرتابين ونصدقها دائماً على حسب ما فسرتها وسلمتها لنا الكنيسة الجامعة الارثوذكسية . نعم ان اصحاب البدع الرجسة يقبلون هم ايضاً الاسفار الالهية ولكنهم يحرفون فيها الكلمات عن مواضعها بادعاء ترادف الكلمات والتأويل والسفسطة بمقتضى حكم العقل والحكمة البشرية خالطين في ما لا خلط فيه ومتلاعبين في ما لا يباح التلاعب فيه . فلو صح ذلك وانفرد كل واحد بالرأي لما كانت كنيسة المسيح الجامعة حاصلة ، مع تمادي الأيام الى يومنا هذا ، على وحدة الرأي من جهة الايمان والثبات الدائم بدون تزعزع في اعتقاد واحد ولما كانت الكنيسة عمود الحق وقاعدته ولا خالية من الدنس والعيب بل كانت تنشق بالبدع الى فرق شتى فتصبح مجتمع اشرار خبثاء . وهو ما صارت كنائس الهراطقة والحال ظاهرة بلا اشكال . وهؤلاء مع كونهم قد تعلموا من الكنيسة الجامعة فانهم يرفضونها عن خبث ورداءة . اما نحن فاننا نعتقد ان شهادة الكنيسة الجامعة ليست اقل من شهادة الأسفار الالهية لأن مبدعها واحد هو الروح القدس. واذا كان مصدر شهادة الكنيسة اي التقليد الشريف وشهادة الأسفار الالهية واحداً فلا مشاحة في ان تعليمها ايضاً واحد . ثم انه اذا تكلم انسان اياً كان من عنده فمن الممكن ان يخطىء ويَضل ويُضل . اما الكنيسة الجامعة فاذ كانت لم تتكلم

1) *Papadopoulos, Ch.. Dositheos, Nea Sion, 1907, 97 - 168; Hardouin, Acta Conciliorum, XI, 179 - 274; Florovsky, G., The Orth. Churches and the Ecumenical Mvt., 182 - 188.*

قط ولا تتكلم ابداً من تلقاء نفسها بل انها تكلمت وتتكلم من الروح القدس «الذي يغني المعلّم ايضاً الى الدهر» فلا يمكن اصلا ان تخطىء او تضل او تُضل بل هي متفقة مع الكتاب الالهي . وهي ثقة على الدوام في ما تعلمه .

القضية الثالثة : نؤمن بأن الله الفائق الصلاح منذ الأزل قد اختار البعض فعينهم للمجد ورفض آخرين فسلمهم للدينونة . ولكنه لم يشأ تبرير الاولين ولا دينونة الآخرين على بسيط الحال وبدون علة فان ذلك لا يليق بالله جلّ شأنه ابي الكل الذي ليس عنده محاباة الوجوه ان جميع الناس يخلصون والى معرفة الحق يقبلون (تيموثاوس ٢ : ٤) بل نظر ان الأولين يستعملون حريتهم حسناً والآخرين رديئاً فأنال اولئك ما عينهم له وقضى على هؤلاء . ونحن انما نفهم باستعمال الحرية ان النعمة الالهية المنيرة التي ندعوها اعدادية الموهوبة بفرط الصلاح الالهي نوراً للموجودين في الظلام الذين يريدون ان ينصاعوا لها لانها انما تنفع من يريد لا من لا يريد وان يرتضوا بما توصي هي به مما هو ضروري للخلاص نقول ان هذه النعمة تمنحهم نعمة خصوصية تساعدهم وتقويهم وتجعلهم ثابتين في محبة الله اي في ما يريد الله ان يفعلوه من الخير مما فرضته النعمة الاعدادية وتكملهم وتبررهم وتجعلهم معينين للخير بسابق التحديد . اما الذين لا يريدون ان ينصاعوا للنعمة ويرتضوا بها ومن ثم لايعملون بما يريد الله ان يفعلوه بل يستخدمون الحرية التي نالوها من الله لاستعمالها طوعياً في فعل الخير ويستعملونها في الحركات الشيطانية فهؤلاء يدفع الله الى الدينونة الابدية .

اما ما يقوله الهراطقة من ان الله تعالى يسبق فيحدد البعض للخلاص والبعض للدينونة بقطع النظر عن اعمال كل منهم فاننا نعتبره قولا شنيعاً مردوداً دنساً جداً . فلو كان ذلك صحيحاً لنا قضت الاسفار الالهية بعضها بعضاً لانها هي تعلم ان المؤمن يخلص بالاعمال وان الله تعالى انما هو السبب بمنحه النعمة المنيرة قبل الاعمال لكي توضح للانسان حقيقة الالهيات وتعلمه ان ينصاع لها ان شاء ويفعل الخير وما هو مرضي عند الله فينال الخلاص . فالطاعة لله او عدم الطاعة له لا تقتضيان ارادة الانسان او عدم ارادته . او ليس هوساً بل جنوناً الزعم بأن

الارادة الالهية هي علة للاعمال تفعل عفواً او بدون داع . او لا يكون هذا الزعم وشاية بحق الله جلّ شأنه وتظلماً وتجديفاً عليه تعالى . فاننا نعترف بأن الله بريء من الشر يريد خلاص الجميع على السواء وانه لعدله يسمح بدينونة للذين ضلوا بسوء ارادتهم وصلابة قلوبهم وعدم توبتهم خطاة دنسين . فلا نزعم البتة بكون الله القائل انه يكون فرح في السماء بخاطىء واحد يتوب سبباً للعذاب الابدي وينبوع قساوة وعدم تحنن ومقت للبشر معاذ الله ان نؤمن بمثل ذلك او يتبادر فهمنا اليه ما دمنا غير فاقدي الشعور واننا نوثق الذين يقولون مثل ذلك ويعتقدون به بالحرم الأبدي ونعترف بأنهم اقبح كل الكافرين » .

القضية الرابعة : نؤمن بأن الله المثلث الاقانيم الاب والابن والروح القدس هو خالق كل ما يرى وكل ما لا يرى . ونعني بما لا يرى القوات الملائكية وكل النفوس الناطقة والشياطين . « على انه من المعلوم ان الله لم يخلقهم شياطين بل هم من تلقاء ارادتهم أمسوا كذلك .

وبما يرى نعني السماء وكل ما تحتها . ولما كان الخالق سبحانه وتعالى كلي الصلاح بالطبع صنع كل ما صنعه حسناً جداً ولا يمكن ان يكون خالق الشر اصلا . فان رأينا في الانسان او الشيطان شراً ما اي خطيئة حادثة على خلاف الارادة الالهية فيكون ذلك صادراً اما عن نفس الانسان او نفس الشيطان . فانه لا شر في الطبيعة مطلقاً . وهي قاعدة صادقة ثابتة ان الله ليس بخالق الشر وبالتالي فلا يحق ان يحكم على الله بخلق الشر .

القضية الخامسة : نؤمن بأن كل المخلوقات منظورة كانت أم غير منظورة تسوسها العناية الالهية . فالشرور كيف ما كانت يسبق الله فيعرف ويسمح بحدوثها ولكنها لا تحدث عن عناية له اذ ليس هو خالقها ولكنه عملا بصلاحه الالهي يحولها احياناً بعد حدوثها الى شيء افضل على قدر طاقة البشر . ولذا فانه يفرض علينا والحالة هذه ان نحمل العناية الالهية لا ان نبحث في احكامها المكنونة وغير المعلنة لنا البتة بل كل ما سلمتناه الاسفار الالهية عن هذه العناية الالهية يجب علينا ان نبحث فيه بطيب خاطر وسلامة ضمير لانه يجدي نفعاً للحياة

الابدية وبالتالي فانه يجب ان نقبل المعاني الاولية على الله سبحانه وتعالى بدون شك ولا ارتياب فيها .

القضية السادسة : نؤمن بأن الانسان الاول المخلوق من الله في الفردوس سقط بغواية الحية وخالف وصية الله فنتجت الخطيئة الجدية بالتسلسل فلم يولد احد بدون ان يكون حاملا على عاتقه هذا العبء ويشعر بعواقب هذه الخطيئة في هذا الدهر . وبقولنا عيثاً وعواقب لا نعني الخطيئة كالكفر والتجديف والقتل والعداوة وما شاكل ذلك مما يضاد مشيئــة الله لحدوثه لا حدوثاً طبيعياً بل عن خبث ارادة فان كثيرين لم يكونوا قد ارتكبوا ما اشبه تلك الزلات كالاجداد والانبياء وغيرهم وكثيرين لا يحصون عــدداً ممن عاشوا في شريعــة الظــل شريعة الحــق مثل يوحنا السابق الالهي ولا سيما مريم ام كلمة الله الدائمة بل بقولنا عيثاً وعواقب نعني اقتراب الشر منا وكل ما نال الانسان بالمعصيــة من قبل العدل الالهي قصاصاً له كعرق التعب والضيقات والأمراض الجسدية والمخاض الولادة والعيشة بالشقاء والأتعاب في دار الغربة هــذه واخيراً الموت الجسدي .

القضية السابعة : نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح ابن الله قد احتمل الاخلاء أعني انه قبل في اقنومه الخاص البشرة اذ حُبل به من الروح القدس في بطن الدائمة البتولية مريم وتأنس وولد دون ان يسبب وجعاً او مخاضاً بمن صارت امه بالجسد او ان ينزع بتوليتها . وانه تألم وقبر وقام بمجد في اليوم الثالث على ما في الكتب وصعد الى السماء وجلس عن يمــين الله الآب . ونحــن ننتظر مجيئه الثاني ليدين الاحياء والاموات .

القضية الثامنة : نؤمن بأن ربنا يسوع المسيح هو الوسيط الوحيــد وانه بذل نفسه فداء عن الكل واجرى بدمه الخاص المصالحة بــين الله والناس وانه يعتني بخاصته فهو المعزي والكفارة عن خطايانا . ونعترف ايضاً بأن القديسين هم شفعاء في صلواتهم وتوسلاتهم الى الرب ولا سيما ام كلمة الله الكلية الطهارة والملائكة القديسين الذين نعتبرهم شفعاء لنا والرسل والانبياء والشهداء والابرار

وكل الذين مجدهم الله جل جــلاله لكونهم خداماً امناء له . ونحصي في مصافهم رؤساء الكهنة والكهنة ايضاً لكونهم اشخاصاً دأبهم المثول امام المذبح الالهي . وكذلك الرجال الصديقون المختارون بفضائلهم . وذلك لاننا نتعلم من الاقوال الالهية ان نصلي بعضنا من اجل بعض وان صلاة الصديق تقتدر كثيراً وان الله يستجيب للقديسين اكثر مما يستجيب للمنغمسين في الخطايا . ونعترف ايضاً بأن القديسين لا يكونون وسطاء وشفعاء وهم في دار الغربة هذه فقط بل بعد الموت ايضاً وخاصة متى تخلصوا من المرآة فصاروا يشاهدون عياناً الثالوث الأقدس الذي بنوره الغــير المحدود تنجلي لاذهانهم معرفة شؤوننا لاننا كما لا نرتاب بأن الانبياء وهم بالاجساد يعلمون الامور السماوية وبه يوحون الى الناس المستقبلات كذلك لا نشك بأن الملائكة ايضاً ومن أصبحوا كالملائكة من القديسين يعلمون امورنا بواسطة ذلك النور الالهي الذي لا حد له بل بالاحرى نؤمن نحن بذلك ونعترف به من دون ادنى ارتياب .

القضية التاسعة : نؤمن بأن لا احــد يخلص بدون ايمان . والايمان في عرفنا هو الاعتقاد القويم بالله ولاباالهيات . فهذا الايمان عندما يفعل بالمحبــة اي بالوصايا الالهية يبررنا لدى المسيح . وبدونه لا يمكن ان نسترضي الله .

القضية العاشرة : نؤمــن بــأن الكنيسة الجامعة المقدسة الرسوليــة الارثوذكسية التي تعلمنــا ان نؤمن بها تضم في احضانها كل المؤمنين بالمسيح عموماً اي الموجودين في دار الغربــة هذه ولم ينتقلوا بعد الى الوطن السماوي . فبعض الهراطقة يتوهمون اننــا نخلط بين الكنيسة التي في دار الغربــة هذه والتي في الوطن وذلــك لان اعضاءهما هم خراف الله رئيس الرعــاة وانهم يتقدسون بالروح القدس الواحد . ولكن زعمهم هذا لا محل له وهو غــير ممكن . فالاولى من الكنيستين لا يزال تجاهد الى الان وهي في الطريق والثانيــة قد حازت الظفر ونالت الجائزة واستقرت في الوطن . ولما كان غير ممكن للانسان المائت ان يكون رأساً ابدياً لهذه الكنيسة الجامعة كان من الواضح ان رأسها هو ربنا يسوع المسيح نفسه القابض بيمينه على ادارتها ومدبرها بالآباء القديسين . ومن

ثم جعل الروح القدس لكل كنيسة على حدة من الكنائس التي يحق ان تدعي كنائس . وهي مؤلفة من اعضاء حقيقيين مدبرين ورعاة هم رؤساء على وجه الحقيقة لا المجاز ينظرون الى راس خلاصنا مكمله واليه وحده يعزون اتمام الفعل المختص بالرئيس . ان الهراطقة قد اضافوا الى بدعهم الشنيعة اعتقادهم بأن الكاهن ورئيس الكهنة هما واحد لا فرق بينهما وانه يمكن على ذلك ان يستغني بالاول عن الثاني وان الكنيسة تساس بواسطة بعض الكهنة فقط وان كاهناً يمكنه ان يشرطن كاهناً وان عدداً من الكهنة يشرطنون رئيس كهنة .

وعن خبث يزعمون متشدقين بأن الكنيسة الشرقية تشاركهم بهذا الاعتقاد اما نحن فاستناداً الى رأي الكنيسة الشرقية منذ القديم نعترف بأن رتبة رئيس الكهنة هي بهذا المقدار ضرورية للكنيسة حتى انه بدونه لا يمكن وجود كنيسة ولا وجود مسيحي او تسميته بذلك . فان رئيس الكهنة بصفته خليفة للرسل وبنواله على التسلسل من الرب بوضع الايدي واستدعاء الروح القدس موهبة الحل والربط الممنوحة لهم انما هو صورة لله حية على الارض وبمساهمته كمال فعل الروح القدس هو مصدر لجميع اسرار الكنيسة الجامعة التي بها ننال الخلاص . فأصبح وجوده في الكنيسة والحالة هذه ضرورياً بمقدار ما التنفس ضروري للانسان والشمس للعالم . ولذلك حق لقوم ان يقولوا في مديح رتبة رئيس الكهنة انه كما يعتبر الله في كنيسة الابكار السماوية والشمس في العالم كذلك يعتبر كل رئيس كهنة في كنيسته على حد سوى لأن الرعية تتلألأ به وتزهر وتصير هيكلا لله .

ومن الواضح ان سر الاسقفية العظيم ودرجتها يمنحان بالخلافة الى يومنا هذا . فان الرب بقوله انه سيكون معنا الى الابد ، مع كونه معنا على طرق لنعمته واحساناته غير هذه متنوعة ، انما يقصد انه يختصنا بذاته ويكون معنا بواسطة شرطونية الاسقفية وانه يتحد بنا بواسطة الاسرار المقدسة التي يتممها بواسطة الروح ويرأس حفلتها الاسقف الذي لا يدع ان نسقط في الهرطقة . ولذا قال يوحنا الدمشقي في رسالته الرابعة الى اهالي افريقية ان الاساقفة عموماً قد ائتمنوا

على الكنيسة بأسرها وان كليمنضوس اول اساقفة رومة وافذويوس اسقف انطاكية ومرقس اسقف الاسكندرية يعترف بكونهم خلفاء بطرس . والقديس اندراوس اقام استاخيس خليفة له في كرسي القسطنطينية . وفي اوروشليم المدينة العظمى المقدسة اقام السيد له المجد يعقوب خليفة وبعد يعقوب قام اسقف آخر ثم آخر وهكذا حتى يومنا هذا . وعلى ذلك دعا في رسالته الى بابيانوس كل الاساقفة خلفاء للرسل . وافسابيوس الملقب بمفيلس يشهد بخلافة الاساقفة للرسل وبكون منزلتهم وسلطانهم رسوليين . ويشهد بذلك الآباء القديسون ايضاً عموماً الذين لا حاجة الى تعدادهم وتؤكدها العادة الجارية منذ القديم في الكنيسة الجامعة .

ومن الواضح ايضاً ان درجة الاسقف تمتاز عن درجة الكاهن البسيط . فان الكاهن يشرطن من الاسقف . واما هذا فلا يشرطن من الكاهن بل اتباعاً للقانون الرسولي يشرطن من رئيسي كهنة او ثلاثة . والكاهن ينتخب من الاسقف واما رئيس الكهنة فلا ينتخب من الكهنة اي القسوس ولا من ذوي المناصب والرتب المدنية ولو امتازوا بالفضيلة بل من مجمع الكنيسة الكبرى التي في الاقليم الواقعة فيه المدينة المراد اقامة اسقف لها او على الاقل من مجمع الابرشية التي يقام لها الاسقف . فان حدث احياناً ان تنتخب مدينة ما اسقفاً فلا يتم ذلك بمجرد انتخابها لان الانتخاب يعرض اذ ذاك على المجمع . فاذا رأى الانتخاب قانونياً يشرطن المنتخب بوضع ايدي الاساقفة واستدعاء الروح القدس عليه والا فينتخب المجمع من يشاء فيشرطن ويرقى الى درجة الاسقفية . ثم ان الكاهن يحفظ في نفسه فقط سلطان الكهنوت ونعمته التي حصل عليها . واما رئيس الكهنة فيهبها لغيره ايضاً . ومن نال من رئيس الكهنة رتبة الكهنوت فله يحق ان يتمم سر المعمودية المقدسة وصلاة الزيت المقدس والذبيحة غير الدموية ومناولة الشعب جسد ربنا يسوع المسيح ودمه الاقدسين ومسح المعمدين بالميرون المقدس وتكليل الذين يتزوجون زواجاً شرعياً من الحسني العبادة والصلاة من اجل المرضى ومن اجل خلاص كل الناس واقبالهم الى معرفته . وبخاصة من اجل ترك وغفران خطايا الحسني العبادة من احياء واموات . وان

امتاز بالخبرة والفضيلة فبعد ان يأخذ السلطان عن الاسقف يسوغ له ان يصالح من يقصده من المؤمنــين ويقودهم الى سبيل الفوز بالملكوت السماوي . ويقام واعظاً في البيعة المقدسة . اما رئيس الكهنة فعــلاوة على تتميمه كل ما يتممه الكاهن ، لانه مصدر للاسرار الالهية ومواهب للروح القدس كما تقدم القول ، يحق له وحده ان يصنع الميرون المقدس وله وحده يحق ان يشرطن ويمنح الرتب والدرجات الكنسية. وله وحده يحق على وجه خاص ومن باب اولى ان يربط ويحل. وحكمه حسن القبول عند الله حسب قول الرب وتعليم الانجيل المقدس . وهو يناضل عن الايمان المستقيم ويطرد المخالفين من حظيرة الكنيسة كوثنيين وعشارين ويرشق الهراطقة بالحرم والاناثيما ويبذل نفسه عن الخراف . ومما تقدم يتضح لنا جلياً الفرق بين الكاهن البسيط ورئيس الكهنة وعدم مقدرة كل كهنة العالم على رعاية كنيسة الله وتدبيرها بدون رئيس كهنة .

وقد أحسن أحد الآباء بقوله انه ليس بأمر هين ان نجد هرطوقياً حكيماً عاقلا . فان الهراطقة بتركهم الكنيسة تركهم الروح القدس فلم يبق عندهم حكمة ولا نور بل ظلام وصلابة قلب . ولولا ذلك لما اعترضوا على اوضح الامور التي منها سر الاسقفية العظيم حقاً . وقد علمتنا عنه وأثبتته وأكدته لنا الاسفار الالهية وكل التواريخ الكنسية والآباء القديسون في مؤلفاتهم . ولا تزال الكنيسة الجامعة تتعاطاه وتعترف به .

القضية الحادية عشرة : نؤمن بأن اعضاء الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية انما هم المؤمنون كلهم الذين يعتقدون اعتقاداً لا يخامره ريب بايمان مخلصنا يسوع المسيح الذي لا عيب فيه . وهذا الايمان قد أعلنه المسيح نفسه والرسل الاطهار والمجامع المسكونية المقدسة ولئن كان بعضهم قد سقط تحت طائلة خطايا متنوعة لأن مثل هؤلاء لو لم يكونوا اعضاء للكنيسة لما كانت الكنيسة تحكم عليهم . والآن فاذا كانت الكنيسة تحكم عليهم وتدعوهم الى التوبة والندامة وتقودهم الى اتباع الوصايا الخلاصية فانهم لعدم قنوطهم وقطع رجائهم ولمثابرتهم على الاعتصام بايمان الكنيسة الجامعة القويم مع كونهم مدنسين بالخطايا لا يزالون اعضاء للكنيسة الجامعة وهكذا تعرفهم هي .

القضية الثانية عشرة : نؤمن بأن الكنيسة الجامعة انما تتعلم من الروح القدس فانه هو المعزي الحقيقي الذي يرسله المسيح من عنــد الآب ليعلم الحق ويطرد الظلام عن اذهان المؤمنين . وتعليمه يزين الكنيسة بواسطة آباء الكنيسة الجامعة القديسين ورؤسائها . فانه كما ان الاسفار الالهية بأسرها هي كلام الروح القدس ، وهكذا تدعى لا لأن الروح القدس نطق بها رأساً بل بواسطة الرسل والانبياء ، كذلك الكنيسة تتعلم من الروح القدس المحيي وذلك بواسطة الآباء القديسين ومعلمي الكنيسة الــذين من المقرر ان دستورهم هو المجامع المسكونية المقدسة . ولا أزال اكرر ذلك مراراً كثيرة . ولذلك قــد اقتنعنا بأن الكنيسة الجامعة لا يمكن ان تخطىء او تضل او تؤثر حيناً ما الكذب على الصدق بل نقر معترفين بصدق اقوالها وصحتها لا محالة . فان الروح القدس الــذي يفصل دائماً بواسطة الآباء القديسين والرؤساء الخادمين بأمانة يقي الكنيسة من كل ضلال .

القضية الثالثة عشرة : نؤمن بأن الانسان لا يبرر بمجرد الايمان بــل بالايمان المقرون بالمحبة اي بالايمان والاعمال . واما الزعم بأن الايمان الخالي من الاعمال يتم به تبريرنا بالمسيح فنبلغ الخلاص فمثل هذا الامر نعتبره بعيداً عن كل صحة في الاعتقاد وحسن العبادة . فلو كان الايمان على هذه الصفة لكان شائعاً لكل الناس وكان الكل يخلصون . وهذا كذب محض فنحن نؤمن بأننا لا بالايمان وحده نبرر بالمسيح بل بالايمان المقرون بالاعمال . وهذه الاعمال ليست بشهود تثبت ميلنا بل هي أثمار قائمة بذاتها وبها الايمان يأخذ صورة عمله ظاهرة لينال كل واحد من المؤمنين حسب الوعد الالهي ما يقتضيه عمله وهو في الجسد خيراً كان ام شراً .

القضية الرابعة عشرة : نؤمن ان الانسان قد تهور بعصيانه فماثل البهائم واشبهها اي انــه شوه صورته وسقط من رتبة الكمال وعدم التألم . ولكنه لم يجرد عن الطبيعة والفاعلية اللتين نالها من الله الكلي الصلاح لانه لو تجرد منهما لم يكن بعد ناطقاً بل لم يكن انساناً . ولذا نؤمن بأنــه حائز على تلك التي بها خلق وعلى فاعليتها . وهي الحرية حية فعالة الى درجة انه يقدر بطبيعته ان يختار

الخير ويكره الشر ويهرب منه. فلا يليق بنا والحالـة هذه ان نزعم ان الطبيعـة الصالحة المخلوقة من الله الكلي الصلاح هي عادمة الفاعلية الصالحة لاننا بزعمنا هذا نعتقد بأن الطبيعة رديئة . فان فاعلية طبيعة الانسان تكون على ذلك معلقة . واما طبيعة الخالق فلا ولئن اختلقت الطريقـة . اما كون الانسان يستطيع ان يعمل الخير من تلقاء طبيعته الذاتية فان السيد له المجد اشار الى ذلك بقوله ان الوثنيين ايضاً يحبون الذين يحبونهم . وبولس الرسول علّم بذلك في رسالتـه الى رومة (١ : ١٩) وفي مواضع اخرى حيث قـال ان الامم الذين ليس لهم ناموس يعملون بالطبيعة بما في الناموس . فيتضح من ذلك ان الخير الذي يعمله الانسان لا يمكن ان يكون خطيئة لان الخير لا يمكن ان يكون شراً . على ان الخير عندما يجري بمجرد الطبيعة ويخلو بتعاطيه جسدياً لا روحياً لا يفيده شيئاً، وهو مجرد بدون ايمان، لاجل الخلاص ولا يفضي بالانسان الى الدينونـة لان الخير ان كان خيراً فحاشا ان يكون مصدراً للشر . وهذا الخير عند الذين اعيدت ولادتهم بالنعمـة يجعل من يفعله بالنعمـة كاملا اهلا للخلاص . فالانسان اذا يستطيع قبل اعادة ولادته ان يميل بطبيعتـه الى الخير وان يختار ويفعل الخير الادبي . ولكنـه بعد اعادة ولادته فلكي يعمل الخير الروحي، وانما نسمي اعمالا روحية اعمال المؤمن المسببة الخلاص المفعولة بنعمة خارقة الطبيعة ، يلزمه ان تسبق وتدركه النعمة كما قلنا آنفاً في كلامنا عن سابق التحديد بحيث لا يستطيع الانسان من تلقاء نفسـه ان يعمل عملا يكون به اهلا للحياة المسيحية ولكنـه يستطيع على ارادة الرضوخ للنعمة او عدم ارادة ذلك .

القضية الخامسة عشرة : نؤمن بأن الاسرار الانجيلية في الكنيسة انما هي سبعة وان عددها في الكنيسة لا ينقص عن ذلك ولا يزيد . وما خالف هذا العدد في الاسرار هو بدعة هوس شنيعـة . وهذه الاسرار السبعـة قد اشترعها نفسه كسائر عقائد ايمان الكنيسة . فان المعمودية المقدسة قد فرضها الرب بقوله اذهبوا وتلمذوا كل الامم معمدين اياهم باسم الاب والابن والروح القدس (متى ٢٨:١٩) وبقوله من آمن واعتمد يخلص ومن لم يؤمن يدان (مرقس ١٦:١٦) .

وسر الكهنوت سلمه بقوله اصنعوا هذا لذكري (لوقا ٢٢:١٩) وقوله كل ما تربطونـه او تحلونـه على الارض يكون مربوطاً او محلولا في السماء (متى ١٨ : ١٨) .

وسر الذبيحـة الافخارستية الغير الدمويـة فقد سلمنا اياه بقوله خذوا كلوا هذا هو جسدي . واشربوا منها كلكم لان هذا هو دمي الذي للعهد الجديد (متى ٢٦ : ٢٦ ــ ٢٨) وبقولـه ان لم تأكلو جسد ابن البشر وتشربوا دمه فلا حياة لكم في انفسكم (يوحنا ٦ : ٥٣) .

وسر الزواج سلمـه بذكره ما قيل عنه في العهد القديم بقوله تثبيتاً لذلك ما جمعه الله فلا يفرقـه انسان (متى ١٩:٦) وبولس الرسول يدعوه سراً عظيماً (افسس ٥:٣٢) .

وسر التوبة الذي حليفـه سر الاعتراف سلمـه لنا بقوله : من غفرتم خطاياه تغفر له ومن أمسكتم خطاياه امسكت (يوحنا ٢٠:٢٣) وقولـه ان لم تتوبوا فجميعكم كذلك تهلكون (لوقا ١٣:٣)

وسر الزيحـة المقدس المعروف باليونانيـة بافشيليون قد ورد ذكره في مرقس البشير (٦:١٣) واثبته يعقوب اخو الرب في رسالته جلياً (٥:١٤و١٥) .

اما الاسرار فهي مؤلفة من شيئين طبيعي وخارق الطبيعة. وليست هي علامات بسيطة لمواعيد الله بل نعترف بأنها اثر للنعمـة نافذة بالضرورة ومؤثرة في من يتلقن معرفـة الاسرار . ونرفض الزعم بأن كمال السر يقتضي تناول المادة الطبيعية . ونعتبر ذلك غريباً عن التعليم المسيحي لانه مناقض لسر الافخارستيـة الذي سن بماقاله المخلص نفسه وتقدس باستدعاء الروح القدس فكملت به استحالة الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه . وهـذا الكمال يتقدم على التناول لانه لو لم تكن الاستحالة كاملة قبل التناول لما كان من اساء في التناول يأكل ويشرب دينونة لنفسه متناولا خبزاً وخمراً بسيطين فبتناوله اياهما بدون استحقاق انمـا يأكل ويشرب دينونة لنفسه . فالسر اذاً يكمل لا حين التناول بل قبله. وكذلك نرفض الزعم بأن السر يخسر كماله بتناوله بقلة ايمان وننبذ ذلك نبذ قذارة ورجاسة . فان

المراطقة الذين بعد رفضهم بدعهم وانضامهم الى الكنيسة الجامعة تقبلهم الكنيسة مع عدم كمال ايمانهم تعتبر معموديتهم كاملة بحيث لا تعيد معموديتهم متى كمل ايمانهم .

القضية السادسة عشرة : نؤمن بأن المعمودية المقدسة المأمور بها من الله التي تتم باسم الثالوث الاقدس هي من اعظم الضروريات فانه ليس احد يستطيع ان يخلص بدونها حسب قول الرب : « ان لم يولد احد من الماء والروح فلا يقدر ان يدخل ملكوت السماوات » (يوحنا ٣ : ٥) . وهي على ذلك ضرورية للأطفال ايضاً لانهم هم ايضاً تحت طائلة الخطية الجدية وبدون المعمودية لا يمكنهم ان ينالوا المغفرة عنها . والرب تأكيداً لذلك لم يستعمل التقييد في كلامه في ذلك بل الاطلاق والتعميم قائلاً من لم يولد أعني كل الذين يدخلون بعد مجيء مخلصنا المسيح الى ملكوت السماوات يجب ان يولدوا ثانية . فإن كان الاطفال بشراً وكانوا محتاجين الى الخلاص فانهم محتاجون الى المعمودية ايضاً . ومن لا يتعمد منهم فهو لعدم نواله المغفرة عن الخطيئة الجدية لا يزال تحت قصاص الخطيئة الابدي اللازم عنها وعلى التالي لا خلاص له بدون المعمودية . ومن ثم كان من باب الضرورة ان يعمدوا . وقد ورد عن خلاص الاطفال قول متى البشير : « ومن لا يعتمد لا يخلص » . فمن الضروري على ذلك تعميد الاطفال . وقد ورد ايضاً في اعمال الرسل (١٦ : ٣٣) قوله ان البيوت برمتها كانت تعتمد اي باطفالها . وقد شهد بذلك الآباء القديسون شهادة صريحة . منهم ديونيسوس في مؤلفه المعنون « في الرئاسة الكهنوتية » ويوستينوس في المطلب السادس والخمسين حيث يقول صريحاً عن الاطفال انهم يستحقون ما يترتب على سر المعمودية من الخيرات بايمان مقدميهم الى المعمودية . وافغوستينوس يقول : « ان من التقليدات الرسولية ان يخلص الاولاد بالمعمودية » وفي موضع آخر يقول : « ان الكنيسة تجعل للأطفال ارجل الغير لكي يأتوا اليها وقلوب الغير لكي يؤمنوا وألسنة الغير لكي يَعدُوا » . ويقول ايضاً : « ان الأم الكنيسة تمنح اولئك قلوب امهات » .

وسر المعمودية انما يجري بالمواد بالماء الصافي لا بسائل آخر ويتم على يد

كاهن وعند الضرورة القصوى يجوز ان يتم على يد انسان غيره علماني شرط ان يكون ارثوذكسياً قاصداً الغاية الملائمة لجوهر المعمودية المقدسة .

اما فوائد المعمودية فهي بالاجمال هذه : اولا مغفرة الخطيئة الجدية وكل ما يكون قد ارتكبه المعتمد من الخطايا . ثانياً النجاة من العقاب الأبدي الذي يكون مقتضياً به عليه اما بسبب الخطيئة الجدية او الخطايا المميتة التي يكون قد ارتكبها . ثالثاً منح غبطة الخلود لان المعمودية تبرر الانسان من الخطايا السالفة وتجعله هيكلا لله فلا يسمح لنا والحالة هذه بان نقول ان الخطايا التي يكون الانسان قد ارتكبها قبل المعمودية لا تحل كلها بل تلبث ولكنها لا تقوى . فان هذا الزعم مفعم من معظم الكفر وهو مناف لحسن العبادة على خط مستقيم . بل نقول ان كلّ خطيئة سبقت المعمودية او ارتكبها الانسان قبلها تضمحل بها وتعتبر كأنها لم تكن او لم تحدث . لان الرمزين الدالين على سرّ المعمودية وكل العبارات المقبولة التي تدل على كل منها تجعل السرّ كاملا وتشير الى كمال التطهير .

ثم ان اسماء المعمودية ايضاً تظهر وتوضح ذلك . فان كانت معمودية بالروح والنار فمن الواضح ان التطهير للجميع يكون كاملاً لان الروح يطهر تطهيراً كاملا . وان كان نور فالظلام ينحل وان كان اعادة ولادة فالقديم يزول . وليس هذا القديم الا الخطايا . وان كان المعتمد ينزع الانسان العتيق فيكون بذلك قد خلع الخطيئة ايضاً . وان كان يلبس المسيح فيكون قد اصبح بالفعل بواسطة المعمودية بلا خطيئة لان الله بعيد عن الخطاة . وبولس الرسول يعلم باجلى بيان قائلاً لانه كما انه بمعصية انسان واحد جعل الكثيرون خطاة كذلك بطاعة واحد يجعل الكثيرون ابراراً . فان كنا ابراراً فنحن معتقون من الخطيئة لانه من المستحيل اجتماع الحياة والموت . وان كان المسيح قد مات حقاً فالمغفرة بالروح هي ايضاً حقيقية . فمن ثم يتضح ان كل الاطفال الراقدين بعد تعميدهم يخلصون لا محالة لانهم قد اعدوا لذلك من ذي قبل بموت المسيح . فان عرّي الاطفال من كل خطيئة من الخطيئة العمومية تخلصهم بواسطة الحميم الالهي ومن الخطايا الخاصة لتعذر ارتكابهم شيئاً منها وهم لا ارادة لهم فعلا . فلا ريب

بأنهم يخلصون . ثم ان للمعمودية تأثيراً لا يمحى . فان من اعتمد مرة معمودية صحيحة لا يمكن ان تعاد معموديته ثانية ولو ارتكب خطايا لا يحصى عددها بل لو اتصل الى جحود الايمان نفسه. فانه ان اراد اذ ذاك الرجوع الى الرب لنال بواسطة الندامة التبني الذي يكون قد اضاعه .

القضية السابعة عشرة : نؤمن بان سر الافخارستيـة الكلي قدسه الذي جعلناه فيما تقدم رابعاً في تعداد الاسرار هو ذاك السر بعينه سلمه الرب في الليلة التي فيها اسلم نفسه فداء عن حياة العالم. فانـه أخذ حينئذ الخبز وبارك وأعطى تلاميذه الرسل القديسين قائلا : « خذوا كلوا هذا هو جسدي » . وأخذ الكأس وشكر وقال : « اشربوا منها كلكم لان هـذا هو دمي الذي يهرق عنكم لمغفرة الخطايا » (متى ٢٦:٢٦ ــ ٢٧) . ونؤمن أنه في تكميل هذا السر يحضر ربنا يسوع المسيح لا على وجـه رمزي او على سبيل التشخيص او بفرط نعمة كما يحضر في باقي الاسرار وانه لا يحضر حضوراً مجرداً كما قال بعض الآباء عن حضوره في سر المعمودية ولا على سبيل الامتزاج بحيث يتحد لاهوت الكلمة بخبز الافخارستية اقنومياً كما يعتقد اتباع لوثيروس عن جهل وغرور بل حضوراً حقيقياً فعلياً حتى انه بعد تقديس الخبز والخمر ينقلب ويستحيل ويغدو اما الخبز فنفس جسد الرب المولود في بيت لحم من الدائمة بتوليتها مريم والمعتمد في الاردن والمتألم والمدفون والناهض من بين الاموات والصاعد الى السماء والجالس عن يمين الآب والمزمع ان يأتي على سحب السماء . واما الخمر فيستحيل ويغدو نفس دم الرب الحقيقي الذي اريق عن حياة العالم على عود الصليب .

ونؤمن ايضاً انه بعد تقديس الخبز والخمر لا يبقى جوهرهما المادي بل يغدوان نفس جسد الرب ودمه تحت هيئة الخبز والخمر .

ونؤمن ايضاً بأن جسد الرب ودمه الطاهرين يناولان ويدخلان في افواه ومعد المشتركين فيهما سواء حسنت عبادتهم ام ساءت غير انهما يمنحان من يتناولهما عن حسن عبادة واستحقاق مغفرة الخطايا والحياة الابدية ومن يتناولهما عن سوء عبادة وغير استحقاق دينونة وعذاباً ابدياً .

ونؤمن ايضاً بأن جسد الرب ودمه يجزأان ويفصلان ولكن ذلك يجري عليهما على سبيـل العرض العارض للخبز والخمر اللذين نظن بأنهما منظوران وملموسان غير انهما يلبثان بنفسهما غير منقطعين ولا مقسمين البتة . ولذلك تقول الكنيسة الجامعة : « يفصل ويجزأ حمل الله الذي يفصل ولا ينقسم الذي يؤكل دائماً ولا يفرغ ابداً ولكنه يقدس المشتركين باستحقاق » .

ونؤمن ايضاً بأن كل جزء وقطعة من الخبز والخمر المستحيلين مهما كان صغيراً ليس هو بجزء من جسد الرب ودمـه بل هو كل السيد المسيح بجملته هو هو بنفسه ولاهوته الهاً تاماً وانساناً تاماً ومن ثم فباقامته قداديس عديدة في ساعة واحدة في المسكونة كلها لا يكون اجساد متعددة للمسيح بل يحضر المسيح نفسه الواحد حضوراً حقيقياً فعلياً ويكون كلا جسده ودمـه واحداً في كل كنائس المؤمنين المتفرقـة الاماكن . ولا نقصد بكلامنا هذا ان جسد السيد الموجود في السماوات ينزل ويحل على المذابح بل ان خبز التقدمـة المقدم في كل الكنائس المتفرقـة الاماكن يستحيل ويتبدل بعـد التقديس فيصير نفس جسده الذي في السماوات لأن جسد الرب في كل الاماكن المتعددة هو واحد لا متعدد . ولذلك كان هذا السر عجيباً . ويدعى عجيباً وانما يدرك بالايمان لا بسفسطات الحكمة البشرية التي ديانتنا الحسنة العبادة والمسلمة من الله ترفض ميلها الباطل الناشيء عن جهل وغباوة الى استطلاع الامور الالهية والتنقيب عنها بنور العقل البشري .

ونؤمن ايضاً بوجوب تكريم جسد الرب ودمه اللذين في سر الافخارستية مزيـد الاكرام وان نسجد لهما سجود عبادة . فان السجود للرب ولجسد ودم الرب واحد: ونؤمن بأنه ذبيحة حقيقية تكفيرية تقرَّب عن كل المسيحيين الحسني العبادة الاحياء والاموات ومن اجل منفعة الجميع كما ورد في صلوات هذا السر المسلمة من الرسل الى الكنيسة عن امر الرب الصادر لهم .

ونؤمن ايضاً بأن الخبز المقدس المحفوظ في مستودعات الهياكـل لمناولة المشرفين على الموت بعد تقديسه وقبل تناوله هو ايضاً نفس جسد الرب الحقيقي لا يفرق عنه اصلا بحيث يغدو بعـد التقديس وقبل مناولته وحال تناوله وبعـد تناوله نفس جسد الرب الحقيقي بكل الوجوه .

وبحسب اعتقادنا لا نعني بكلمة استحالة الكيفية التي بها يتقلب الخبز والخمر الى جسد الرب ودمه فأن ذلك يتعذر ادراكه اصلا على الجميع ما عدا الله تعالى وينسب الى المعتقدين به الجهل والكفر بل انما نعني بها ان الخبز والخمر بعد تقديسهما يتحولان الى جسد الرب ودمه لا على وجه الرسم ولا على سبيل التشخيص ولا بفرط النعمة ولا بشركة لاهوت الله الوحيد او حضوره فقط ولا بطريق العرض اي عرض الخبز والخمر يغدوا عرضاً لجسد المسيح ودمه على سبيل التحويل او التبديل بل يغدو حقيقة وفعلا وجوهرياً اما الخبز فنفس جسد الرب واما الخمر فنفس دمه كما تقدم .

ونؤمن ايضاً بأن سرّ الافخارستية المقدس انما يتم على يد كاهن حسن العبادة مشرطناً قد منح درجة الكهنوت من اسقف قانوني حسن العبادة على مقتضى تعليم الكنيسة الرسولية . فهذا رأي الكنيسة الجامعة واعترافها الصادق وتقليدها القديم جداً في هذا السرّ ايضاً على وجه الايجاز . ولا يجب ان يشوّه مطلقاً على اي وجه كان من قبل حسني العبادة عن رغبة في الاحداث وميل الى بدع الهراطقة الرجسة وانتحالها . بل يجب ان يحفظ التقليد المفروض المسلم سالماً ثابتاً غير متزعزع لان الكنيسة الجامعة ترفض وتحرم كل من يخالفه .

القضية الثامنة عشرة : نؤمن بأن نفوس الراقدين هي اما في الراحة او في العذاب بمقتضى عمل كل منهم . فانها بعد انفصالها عن الاجساد تنتقل في الحال اما للفرح والسرور واما للحزن وتنفس الزفرات . ومن المقرر ان لا الفوز يكون اذ ذاك كاملا ولا الدينونة . فان كل واحد ينال ما يستحقه بفعله من الجزاء كاملاً بعد القيامة العامة حين تتحد النفس بالجسد الذي سلكت وهي فيه سلوكها الحسن او الردي .

اما الذين فسدوا بخطايا مميتة ولم يرقدوا على اليأس بل نادمين في حال حياتهم وهم في الاجساد بعد ولكنهم لم يلحقوا ان يأتوا بشيء من ثمار التوبة كذرف العبرات والسهر في الصلوات والحزن وتعزية الفقراء واخيراً اظهار المحبة لله وللقريب بالفعل، فنؤمن ان نفوس هؤلاء ايضاً تذهب الى الجحيم حيث تكابد

القصاص عما ارتكبته من الخطايا ولكنها تشعر بمستقبل النجاة منه . ونؤمن ايضاً بأن هذه النفوس تخلص بفرط الصلاح الالهي بواسطة صلوات الكهنة والصدقات التي يعملها أقارب المتوفي من أجله ولا سيما الذبيحة الغير الدموية التي تقدمها الكنيسة الجامعة الرسولية خصوصاً عنه وذلك بطلب اقاربه وعموماً عن الجميع كل يوم . ومن المعلوم ان زمن النجاة غير معلوم عندنا . ولكننا نعلم ونؤمن ان عتق مثل هذه النفوس من عذاباتها يكون قبل القيامة والدينونة العامة جاهلين تعيين وقته .

هل يباح لكل من المسيحيين عموماً ان يقرأ الكتاب المقدس ؟ : كلا !
لاننا نعرف ان الكتاب المقدس بجملته موحى به من الله ومفيد . وهو بهذا المقدار ضروري بحد نفسه حتى انه بدونه لا يستطيع الانسان ان يحسن عبادته على وجه ما ولكننا لا نرى ان الجميع يمكنهم قراءته بسهولة قراءة تفيدهم بل الذين بالبحث اللائق يتعمقون في معاني الروح ويعرفون كيف يبحث في الكتاب المقدس وكيف يقرأ بوجه الاجمال . ومن ثم كان من المسموح لكل انسان حسن العبادة ان يسمع تعليم الكتاب المقدس لكي يؤمن بالقلب للبر ويعترف بالفم للخلاص . ولكنه يحظر عليه ان يقرأ بعض مواضع من الكتاب المقدس لا سيما العهد العتيق للأسباب السابق ذكرها وما اشبهها . وتوصية عديمي الخبرة بعدم قراءة كل الكتاب المقدس هي موازية تماماً لتوصية الأطفال بعدم اتخاذ قوت قوي .

هل الكتاب المقدس واضح المعنى لكل من يقرأه من المسيحيين ؟ :
لو كان الكتاب المقدس واضح المعنى لكل من يقرأه من المسيحيين لما كان الرب له المجد سمح بالبحث عنه للراغبين في نوال الخلاص ولكان باطلا قول بولس الرسول ان موهبة التعليم قد جعلت في الكنيسة ولما قال بطرس الرسول عن رسائل بولس الرسول ان فيها ما يعسر فهمه . فيتضح جلياً ان من المعاني ما هو عويص وسام جداً وان البحث فيه يختص برجال متألهي الالباب وذوي علم قانون لادراكه على وجه الحقيقة ولمعرفته معرفة صحيحة وفهمه فهماً مطابقاً لكل فحاويه ولمقصد مبدعه الروح القدس . وبناء على ذلك فان الذين قد اعيدت

ولادتهم وان كانوا معتصمين بالايمان بالثالوث الاقدس وعاملين ومعترفين بتجسد ابن الله وآلامه وقيامته وصعوده الى السماء وما قيل عن تجديد الكون والدينونة مما لم يحجم كثيرون منهم عن احتمال الموت لأجلها لا يلزمهم بل يتعذر عليهم ان يعرفوا تلك الامور ايضاً التي انما كشفها الروح القدس للذين تمرنوا بالحكمة وتروضوا بالقداسة .

كيف يجب ان نعتقد بالايقونات المقدسة وبالسجود للقديسين ؟ :

لما كان القديسون ، كما قلنا في القضية الثامنة ، شفعاء ، وهكذا تعتبرهم الكنيسة الجامعة ، صح لنا ان نقول اننا نكرمهم كأصفياء لله مبتهلين من أجلنا الى اله الكل . ونحن نكرمهم على نوعين : الواحد ندعوه فرط العبودية وهو تكريم ام كلمة الله . فان والدة الاله ، وان تكن امة للاله الواحد فهي امه لولادتها احد أقانيم الثالوث بالجسد . وعلى ذلك تسبح كفائقة على كل الملائكة والقديسين بغير قياس . ومن ثم نقدم لها سجود فرط عبودية . والثاني اكرام مجرد عبودية نقدمه ساجدين للملائكة والرسل والانبياء والشهداء وكل القديسين عموماً .

وكذلك نسجد لعود الصليب المحيي الكريم الذي تألم عليه مخلصنا لخلاص العالم . وكذلك لرسم الصليب المحيي وللمذود بيت لحم الذي به خلصنا من البهيمية ولموضع الجلجلة والقبر المقدس المانح الحياة ولسائر المزارات المقدسة والاناجيل الشريفة والاواني المقدسة التي بها تتم الذبيحة غير الدموية . ونكرم ايضاً القديسين مبجلين اياهم بتذكارات سنوية وأعياد حافلة عامة وبناء هياكل شريفة وتقديم نذور الهية. ونسجد ايضاً ونكرم ونقبل ايقونة ربنا يسوع المسيح ووالدة الاله الفائقة القداسة وكل القديسين بل ايقونات الملائكة القديسين ايضاً مصورين اياهم على هيئة ظهورهم لبعض الاجداد والانبياء . ونصور كذلك الروح القدس على هيئة حمامة كما ظهر .

فان قال البعض عنا اننا نعبد اوثاناً بسجودنا للقديسين وصورهم وباقي ما ذكر آنفاً فاننا نعتبر قولهم افكاً وبهتاناً لاننا انما نعبد الله

المثلث الاقانيم لا سواه . اما القديسون فاننا نكرمهم لسببين الاول نسبتهم الى الله لاننا من اجله نكرمهم والثاني نسبتهم الى انفسهم لانهم صور لله حية . وتكريمنا لهم بالنسبة لانفسهم يدعى تكريم عبودية كما تقدم . اما تكريمنا الايقونات المقدسة فهو تقريم اضافي يتجه الى الاصل الذي تمثله الايقونة . فان من يسجد للايقونة انما يسجد للاصل الذي تمثله . وشرف الايقونة ومن تمثله واحد لا يتميز وذلك كما يكون شرف السفير الملوكي ومن يرسله .

اما ما يتمسك به مثل هؤلاء من آيات الكتاب المقدس لاثبات رأيهم بأن اتخاذ الايقونات وتكريمها احداث فلا يجديهم نفعاً كما يرغبون بل بالاحرى يظهر ملائماً لنا . فنحن لدى قراءتنا الكتاب المقدس نبحث عن الوقت والشخص وعن المثل والمرادف والسبب فنرى ان الله الأحد تارة يقول : « لا تصنع لك تمثالا ولا صنماً ولا تسجد لها ولا تعبدها » وأخرى يأمر بصنع شاروبيم . وعند معاينتنا ثيراناً واسوداً في الهيكل ولا نتعصب في فهم معناها ، فانه لا ايمان في التعصب ، بل نعتبر الزمان وباقي ما يلزم اعتباره فنفوز بصحة المعنى والرأي. فقوله لا تصنع لك صنماً ولا تمثالا هو في اعتقادنا مرادف تماماً لقوله لا تسجد لآلهة غريبة اعني لا تعبد الاوثان. ومن ثم جرت العادة في الكنيسة من عهد الرسل بالسجود للايقونات المقدسة سجوداً نسبياً يكون محفوظاً به سجود العبادة لله وحده . وكلام الله غير متناقض . واذ كانت الوصية انما تتعلق بعبادة الاوثان فانك ترى انه قد صنع قديماً شاروبيم وكذلك صور اي تماثيل للملائكة تمثلهم على هيئة ظهورهم وكانت تكرم ويسجد لها .

ومن يذكرهم الاضداد من القديسين مدعين انهم قالوا انه لا يسمح بالسجود للايقونات فانهم بالاحرى يعضدون معتقدنا . فان القديسين المنوه عنهم اطلقوا كلامهم في نضالهم على المقدمين للايقونات سجود عبادة الذين احضروا صور اقربائهم المتوفين لتعليقها في الكنائس فأوجبوا عليهم الاناثيما لا على السجود الصحيح للقديسين وللايقونات وللصليب الكريم وباقي ما تقدم ذكره ولا سيما وان الذين ذكروا وجاهروا في مؤلفاتهم بوجود الايقونات

المقدسة في الكنيسة وبالسجود لها من عهد الرسل هم كثيرون . وقد شاركهم في ذلك في ما بعد المجمع السابع المسكوني المقدس الذي اشهر كل احداث للهراطقة في ذلك خازياً ممقوتاً .

ولما كان هذا المجمع المقدس قد أفهمنا صريحاً كيف يجب ان نسجد للايقونات المقدسة وأوضح كل ما سبق ذكره آنفاً وأوجب الاناثيما على الذين يسجدون للايقونات سجود عبادة او ينسبون الى الارثوذكسيين عبادة الأوثان بسجودهم للايقونات فاننا نوجب نحن ايضاً مع الاناثيما على الذين يسجدون لقديس او ملاك او ايقونة او صليب او عظم قديس او اناء مقدس او انجيل او شيء آخر مما في السماء فوق وما في الأرض وفي البحر سجود عبادة . ونقدم سجود عبادة لله وحده المثلث الأقانيم ونوجب الاناثيما على الذين يزعمون ان السجود للايقونات هو عبادة لها فلا يسجدون لها ولا يكرمون الصليب والقديسين كما قلدتنا الكنيسة .

ونحن نسجد للقديسين وللايقونات على المنوال الذي تقدم الكلام عنه ونصورها لزينة الهياكل ولكي تكون اسفاراً للاغبياء وموضوع قدوة لهم بفضائل القديسين وذكرى وواسطة لنمو شغفهم بهم وتنبيههم الى السجود للرب دائماً كسيد واب . وللقديسين كعبيد له ومساعدين وشفعاء لنا .

على ان الهراطقة يقبحون نفس صلاة الحسني العبادة الى الله ولا نعلم كيف يخصونها بالنساك فقط . اما نحن فنعترف ونقر بأن الصلاة هي مناجاة الله وطلب للخيرات الملائمة التي نرجو نوالها منه تعالى والارتقاء بالعقل نحو الله واتجاه الفكر نحوه تعالى عن حسن عبادة وطلب السماويات وعون للنفس المقدسة وعبادة مكرسة لله وعلامة توبة ورجاء وطيد لا ريب فيه . وهي تتم اما بالعقل فقط او بالعقل والصوت معاً . ويعتبر فيها صلاح الله ورحمته وعدم استحقاق الطالب المصلي وشكره وموعد خضوعنا لله في المستقبل . وهي تتضمن ايماناً ورجاء وثباتاً وحفظاً للوصايا ولا سيما السماويات . ولها ثمار كثيرة لا حاجة الى تعدادها . وتقام على التواتر بالانتصاب وباحناء الركب . ومنفعتها عظيمة

جداً حتى انها تعتبر قوتاً وحياة للنفس . وكل ذلك يستنتج من الكتاب المقدس واضحاً حتى ان من يطلب برهاناً عليه يشبه الجاهل او الاعمى الذي يحاول انكار وجود نور الشمس في رابعة النهار .

واما الهراطقة فاذا أرادوا ان لا يدعوا شيئاً مما أوصى به المسيح بدون تهشيم تطاولوا على الصلاة ايضاً . ولكنهم لا يخجلون من ان يسيئوا العبادة قاصدين بذلك ان يجعلوا البسطاء يبغضونهم ويعتبرونهم كدنسين ومحدثين ولا يطيقون ان يتعلموا منهم عقائد الايمان الحسن القويم . فان خصمنا الشيطان حكيم في الشر وبصير في الاباطيل ولذلك لا يحلو لاتباعه ، ومنهم هؤلاء الهراطقة خاصة ، ان يحسنوا العبادة بمقدار ما يتوقون ويهتمون بأن يتهوروا في هوات الشرور ويتهشمون في اماكن لا يفتقدها الرب .

والان فلنسألهم ما هي صلوات الرهبان على زعمهم . فان قالوا مثبتين ان الرهبان انما يفعلون من تلقاء انفسهم اموراً غريبة لا تتلاءم وديانة المسيحيين القويمة ننضم الى رأيهم فلا نعتبر الرهبان رهباناً بل لا نعتبرهم مسيحيين ايضاً . ولكن اذا كان الرهبان يذيعون مجد الله وعجائبه في الارتقاء العقلي ويعظمونه على الدوام بلا انقطاع وفي كل حين على قدر الطاقة البشرية وذلك بأناشيد التسبيح والتمجيد المتواصلة تارة مرتلين بعض آيات الكتاب وطوراً مقتبسين التسابيح منه فيصدعون ناطقين بما يوافقه نقر ونعترف انهم بذلك يعملون عملاً رسولياً ونبوياً وبالاحرى ربانياً .

وعلى ذلك فنحن ايضاً بترتيلنا في كتاب المعزي والتريودي والمناون لا نعمل عملاً غير لائق بمسيحيين لان مثل هذه الكتب تتكلم عن اللاهوت كلاماً اجمالياً ومفصلاً . ونرتل بها تسابيح منها ما هو مقتطف من الكتاب المقدس بقصد ان تكون عباراته العبارات الملائمة المؤمنين اكثر ملاءمة وأسهل فهماً . ولكي يتضح جلياً اننا نرتل دائماً محاوي الكتاب المقدس نردف كل طروبارية مما نرتل بآية ، استيخن ، من الكتاب المقدس . واذا كنا نرتل ونقرأ ما لثيقارا من الصلوات وما وضعه غيره من الآباء القدماء فليقل لنا المضادون اي تجديف واي شيء

مناقض لحسن العبادة اتى به هؤلاء حتى ننبذه ونرفضه معهم .

فان اقتصر المراطقة على القول ان مواصلة الصلاة بدون انقطاع مضر بهم وبنا فليخاصموا المسيح . وقد قال مثل القاضي الظالم في وجوب مواصلة الصلاة وعلمنا ان نسهر ونصلي لكي ننجو من الضيقات ونتمكن من الوقوف امام ابن البشر . وليخاصموا ايضاً الرسول لما قاله في الاصحاح الخامس عشر من رسالته الاولى الى اهل تسالونيكي وفي مواضع اخرى كثيرة غيره . واني أدع زعماء الكنيسة الجامعة الالهيين من عهد المسيح الى عهدنا يتكلمون فانه يكفي الاضداد خزياً بمتابعة ومواصلة الاجداد والرسل والانبياء للصلاة .

ولما كانت اعمال الرهبان بمثابة اعمال الرسل والانبياء بل بمثابة اعمال الآباء القديسين واجداد المسيح انفسهم كان من الواضح ان صلواتهم هي اثمار الروح القدس فاتح المواهب . اما ما احدثه المراطقة مجدفين في ما يتعلق بالله والالهيات ومفسرين الكتاب المقدس على خلاف معانيه الصحيحة ومحرفين فيه فهو من سفسطات الشيطان واختراعاته .

ثم لا فائدة مما يقوله المراطقة في ان لا يمكن الكنيسة ان تأمر بالاصوام والامتناع عن بعض المآكل بدون اضطرار ولا اغتصاب فالكنيسة تقصد اماتة الجسد وكل اهوائه وقد احسنت جداً بأمرها بالصلاة والصوم اللذين صار الآباء القديسون قدوة لنا فيهما وبهما . ومع النعمة التي من العلى يضمحل خصمنا الشيطان وكل جنوده وقواته بسهولة ويتم الطريق الموضوع لحسني العبادة . ولما كانت الكنيسة الجامعة قد بنت أراءها في ذلك فهي لا تضطر ولا تكره احداً بل تعزي وتنصح وتعلم تعاليم الكتاب المقدس وتقنع بقوة الروح القدس » .

مكاريوس ورومة : ويختلف الباحثون من اخواننا الروم الكاثوليكيين في موقف مكاريوس من رومة واسقفها. فيرى صديقنا المرحوم الخوري قسطنطين الباشا ان مكاريوس اعترف بسلطة رومة وقال قولها. ويجادله في ذلك صديق آخر هو المرحوم حبيب الزيات فيرى ان مكايروس قال قول رومة واتحد معها ثم عاد الى الانشقاق وتوفي غير كاثوليكي .

وتنحصر أدلة الخوري قسطنطين الباشا في ما يلي : ١) ان طائفة الروم لم تكن في عهد مكاريوس منقسمة الى طائفتين كما هي اليوم بل كانت واحدةوكان مكاريوس وحده بطريركها لا شريك له فيها . ٢) ان طائفة الروم لم تجهر آنئذ بالانشقاق والانفصال ولم يناقض احد من ابنائها تعليم الكنيسة الرومانية في تأليف او رسالة . ٣) ان الاشتراك في القدسيات مع الروم لم يكن ممنوعاً في ذلك العهد بل كان مباحاً جارياً بالفعل . ٤) ان كنيسة الروم كانت كاثوليكية بتعليمها وصلواتها وسائر طقوسها بخلاف باقي الطوائف الشرقيةمن ارمن وسريانواقباط وكلدان وان هؤلاء هراطقة مشهورون محرومون من شركة الكنيسة الكاثوليكية ولم يكن قد دخل الى كنيسة الروم الانطاكية عيد فوطيوس ولا عيد غريغوريوس بالاماس . ٥) ان احبار رومة لم يمنعوا الكاثوليك عن الاشتراك مع الروم الا بعد ان امتازت كل فئة من هذه الطائفة عن اختها باكليروسها وصورة ايمانها وتعليمها بشأن قضايا الخلاف . ٦) ان الكاثوليك لم يستطيعوا المجاهرة آنئذ باتحادهم مع رومة . ٧) ان السلطات العثمانية اعتبرت الروم وحدهم اهل الذمة واعتبرت الكاثوليك اعداء الاسلام لكثرة الحروب التي شنها ملوك اوروبة الكاثوليكيون على السلطنة . ٨) ان البطريرك مكاريوس كان كاثوليكياً على هذا الوجه وان اشترك في القدسيات مع الروم جرياً على العادة القديمة . فانه لم يشاركهم في انفصالهم بل بعكس ذلك كان بسلوكه وكلامه وكتاباته كاثوليكياً تماماً على ما تقتضيه احوال تلك الايام . فانه أمضى صورة الاعتراف بالايمان الكاثوليكي بخط يده امام شهود ثقاة وهي محفوظة في سجلات مجمع انتشار الايمان . ثم اعلن ذلك مصرحاً بصحة هذا الايمان في مواقف رسمية في كنيسته امام بطاركة ومطارنة وقناصل ومرسلين من شرقيين وغربيين او افرنج كانوا من معارفه واصحابه الذين عرفوه تمام المعرفة (١) .

ولا حاجة الى تفنيد هذه التعميمات التي تفتقر الى التدعيم بالنصوص المعاصرة الكاملة العدالة والضبط . بيد انه لا بد من الاشارة الى ان المسلمين لم

١) نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس بقلم ولده الشماس بولس،عني بطبعها وتعليق حواشيها الخوري قسطنطين الباشا : الملحق ص ١١٩ — ١٢٣ .

يفرقوا في الاعتراف باهل الذمة بين ارثوذكسي وكاثوليكي بـل اطلقوا هذا الاصطلاح الفقهي على جميع النصارى واليهود وعلى غيرهم ايضاً . ولا بد كذلك من القول ان اقرب دول اوروبة الى الدولة العثمانية آنئذ كانت دولة فرنسة « ابنة الكنيسة البكر » وابعدها واشدها عداوة كانت روسية الارثوذكسية .

ويستطرد الخوري قسطنطين الباشا فيقول : «ولازالة كل ريبة ينبغي لنا ان نورد هنا ما بلغ اليه بحثنا من هذه الشهادات الشافية بنصها :

١) « قال الاب ميخائيل نو اليسوعي في الفصل السابع من الجزء الرابع من الكتاب الذي ألفه بالعربية سنة ١٦٧٠ ، وعنوانه « احتجاج كنيسة الروم على صحة ايمانها » ، رداً على من يعترض فيقول ان البطاركة على خلاف مـع البابا : « من الذي اخبرك عن رأي البطاركة وافعالهم وهل اعترفوا عندك بكل سر خفي. فقد سمعتُ وقرأتُ ان بعضهم بعدوا عن هذا الرأي الردي ورموا الطاعة للبابا على الطريق الممكن لهم » .

ونحن نقول ان شهادة الاب اليسوعي ميخائيـل نو ناقصة في العدالة والضبط وانها ضرب من الدعاية قصد بها صاحبها اجتذاب القراء الى طاعة رومة وانها غامضة مبهمة لا تذكر البطريرك مكاريوس ولا تعينه .

٢) « ان رئيس الرسالـة اليسوعية في الشام الاب يوحنا اميو قال في السنة ١٦٥٠ : وبطريرك الروم المقيم هنـا في دمشق الذي يلقب بالانطاكي ليس متعذراً اتحاده مع رومية نظير اسلافه . وهو رجل صالح يحسن الوعظ وان لم يكن قد تعلم الفلسفة واللاهوت . وهو يحبنا لان آباءنا ساعدوه وشفوه من مرضه اذ كان مطراناً على حلب . وعندما زار صيدا قابلني فيهـا احسن القبول . ومن دأبه ان يعظ جماعته بأنه ينبغي ان نحب الافرنج كأنهم اخوتنا في المسيح ولا يجوز لنا ان نتجنبهم . وكان لكلامه هـذا نتيجة حسنة عند الروم . وهكذا فعل في طرابلس حيث سمعت بذاتي وعظه في كنيستهم . فلو كان متعلماً لكان احسن » .

ونحن نرى ان الاب قسطنطين تصرف في الترجمة فجاءت غير صالحـة للاعتماد عليها . ومثال ذلك قولـه بالعربية « الذي يلقب بالانطاكي » والصحيح

ان النص الافرنسي يقول « الذي يدعي انه بطريرك انطاكية » ! وكذلك عبارة الاب قسطنطين : « ليس متعذراً اتحاده مـع رومية » والاصل الافرنسي ينص « الذي يمكن جعله صديقاً لرومة » ! (١) . والواقع انـه ليس في هذا النص ما يخولنـا القول ان مكاريوس كان « كاثوليكياً تماماً » كما يريده الاب الباشا . وجل ما يجوز استنتاجه ان هـذا البطريرك اعترف بفضل الرهبان عليه في حلب فلاطفهم وانه اعتبر الرومانيين الكاثوليكيين اخوة لـه في المسيح فلم يرضَ عن مقاطعتهم .

٣) « ان رؤساء الرسالات الكاثوليكية في حلب قالوا انه اذ نظر هذا بطريرك الروم اضطر ان يقر ان الدين الحق هو مذهب الرومانيين او الافرنج ولهذا دعـا القنصل المذكور والمرسلين لحضور قداس حافل في كنيسته ثم اعلن فيه لشعبه ان الافرنج سالكون حقاً الطريق المستقيم . ولما عرف ان القنصل عازم على السفر الى رومية وفرنسة ارسل معه رسالة الى البابا يعترف فيها بأنه هو الحبر الاعظم العام على الكنيسة الارثوذكسية وانه سيبذل جهده في سبيل اخضاع طائفته كلها للكنيسة الرومانية » .

وهنا ايضاً يسيء الاب قسطنطين التعريب . وكان اجدر به ان ينقل خلاصة الفقرة السابقة فيصف الضيق الذي حلّ بالمسيحيين في حلب في شتاء السنة ١٦٦١ واضطهاد الحكام وان يذكر المساعدات الماديـة التي قدمها المرسلون الرومانيون فيقول « ولما رأى بطريرك الروم هـذا اضطر ان يعترف بأن الدين الحقيقي كان عند الرومانيين وانه دعا القنصل والمرسلين لحضور القداس في كنيسته حيث اظهر لشعبه بأن الافرنج كانوا سالكين طريق الخلاص . ثم بعد ذلك علم ان القنصل سيضطر الى السفر الى رومة وفرنسا فجاءه برسالة ورجاه ان يسلمها الى يـد صاحب القداسة واعلن في هـذه الرسالة انه عرف ان البابا هو سيد الكنيسة القويمة الرأي وانه سيبذل جهده لاعادة وصل ملته بالكنيسة الرومانية بعـد ان فصلتها العجرفة عنها » (٢) . ويلاحظ ان مكاريوس احب ان يعترف بفضـل

1) *Rabbath, A., Doc. Inéd., I, 401, 402.*
2) *Rabbath, A., op. cit., I, 459*

القنصل والمرسلين على فقراء الروم في حلب فأقام قداساً نوه فيه بأثر الدين الحقيقي في نفوس الرومانيين وابـــان لشعبه ان هؤلاء سلكوا طريق الخلاص وكتب الى البابا يأسف على الانفصال الذي حل بالكنيسة ويعد انه سيسعى لازالته !! .

ويُطلق الاب الباشا عنان الهوى فيستعين بغير هـــذه النصوص ولكنه يستمر في التسكع في بيداء الغواية . والى القارىء باقي الادلة التي يتذرع بها هذا المؤرخ نوردها على سبيل الاحاطـــة وننصح بالتيقظ والتربص . فهو يدعي في المرتبة الرابعة ان مكاريوس خضع لرومـــة وقال قولها لانه « كان من اكبر المساعدين لانتخاب اندراوس اخيجان بطريركاً على السريان الكاثوليك» ولانه، في المرتبة الخامسة ، شرب نخب البابا في وليمة قنصـــل فرنسة « وسماه رأس الكنيسة العام » . والنص الافرنسي يقول انـــه شرب نخب البابا وقال « لصحة الاب الأقدس زعيم الكنيسة واني اتوسل الا يكون سوى راع واحـــد وقطيع واحد كما كان في الماضي » . ويورد في المرتبة السادسة اتحاد البطاركـــة الثلاثة واعلان طاعتهم للحبر الروماني ولا يذكر مـــا قاله بطريرك السريان الكاثوليك في هذا الصدد عن مكاريوس : « ان بطريرك الروم ومعظم شعبه قد بدأوا يعرفون الحقيقة » (١) . ويهمل ملاحظة الاب رباط نفسه وشكه في موقف مكاريوس من الاتحاد المزعوم (٢) . ويرى مؤرخنا في المرتبة السابعة ان مكاريوس اتحد مع رومة لانه قال في رسالته الى لويس الرابع عشر : « يا اصيل في حسن العبادة والديانة . ونحن من هذا الجنس الاصيل في حسن العبادة من سلالتكم الطاهرة» . ويلاحظ الاب رباط خلو هذه الرسالة من اللفظ « كاثوليك » فيشك في قناعة مكاريوس واخلاصه . اما الاب قسطنطين فانه يرى في هذا النص ان البطريرك الارثوذكسي اراد ان يقول انه كاثوليكي مثل لويس ! وهكذا دواليك الى ان يقول في الصفحة ١٣٠ من النخبة المشار اليها انه وجد في مكتبة الفاتيكان نسخة من السواعي تحت الرقم ٦١٨ من المخطوطات العربية وقـــد كتب عليها هكذا : « وقد طبعت في مدينة رومية في عهد مكاريوس الجزيل قدسه بطريرك انطاكية

1) *Ibid.*, 470
2) *Ibid.*, 470, *n.* 1.

من جود واحسان سيدنا البابا الكسندروس السابع ذي الفضائل الكلية ثبت الله وجود احسانه ونعمه للانام وشيد معالي فضائله وفواضله للخاص والعام واجزاه عن فعلـــه بالجوائز الفاخرة بسمو المقام في الدنيا والاخرة بتاريخ سنة ١٦٦٢ للتجسد الالهي » . ونحن لا نرى في هذا النص اي دليل على خضوع مكاريوس لالكسندروس ولا سيما وان كاتب هـــذه العبارة مجهول . ويورد الاب الباشا ان الكسندروس كتب في ٢٢ تمـــوز سنة ١٦٦٢ الى مكاريوس يقول : « علمنا من مكتوبك ومن ولدنا فرنسيس بيكت (قنصـــل فرنسة في حلب) انك ليس فقط تابعاً للايمان الارثوذكسي بل انك تبذل جهدك حتى تجمع كل الشعب الذي تحت سلطتك الى الكنيسة الرومانية رأس كل الكنائس » (١) ويخلص الباشا الى القول انه ليس بعد نص هذه الشهادة اوضح دلالة او اعلى مقاماً . وعندنا انه لا يجوز قبول هذا النص او رده مـــا دامت رسالة مكاريوس الى البابا ضائعة لا نعلم ما جاء فيها .

ويلاحظ لهذه المناسبة ما يلي : ١) ان مكاريوس ظـــل محترماً مكرماً في جميع الاوساط الارثوذكسية الاكليريكية العالية طوال اسقفيته وبطريركيته . ٢) ان هذا البطريرك تعاون مراراً مع سائر البطاركة الارثوذكسيين في امور تتعلق بالكنيسة جمعاء . ٣) انه ما فتىء يذكر البطاركة في الذبتيخة طوال عهده ولم يروَ عنه انه ذكر بابا رومة مرة واحدة . ٤) ان ابنه بولس يطلق التعبير بلاد المسيحيين على البلدان الارثوذكسية . ٥) ان مكاريوس نفسه يشير الى الكنيسة التي اليها ينتمي باللفظ الارثوذكسية وحيناً يستشهد بالمجامع المسكونية يجعلها سبعة فقط . ٦) انـــه يطلق اللفظ كاثوليكي على الكنيسة الشرقية فيقول الكنيسة الشرقية الكاثوليكية ويقصد بذلك الكنيسة الجامعة التي يرأس هو احدى فروعها والتي يسميها ارثوذكسية ايضاً . ٧) يحتمل كثيراً ان يكون مكاريوس اوسع صدراً من زملائه في الشرق والغرب فيعتبر الكنيستين اللاتينية واليونانية كنيسة واحدة جامعة « كاثوليكية » ويرحب باخلاص بكل ما يؤدي الى تقريب القلوب والرجوع الى ما كانت عليه الحال قبل الانشقاق. ولكن هذا لا يعني انه دخل في طاعة رومة. ٨) لا يوجد في محفوظات رومة اي اعتراف بطاعتها يمكن عزوه الى مكاريوس(٢) .

1) *Arch. Vat., 1662, Alex. VII, Breves ad Principes, 224.*
٢) حبيب الزيات : المشرق ١٩٣٢ ص ٨٨١

مصنّفات مكاريوس : وقد خلف هذا السعيد الذكر عدة مؤلفات منها : ١) سلسلة البطاركة الانطاكيين و٢) سيرة البطريرك نيقون الروسي وسياسته و٣) سيرة البطريرك افتيميوس الثالث و٤) شرح الخبر عن ابتدا بدعة محاربي الايقونات و٥) الرد على الكالوينيين و٦) عجائب العذراء و٧) اخبار القديسين و٨) اخبار المجامع المسكونية السبعة و٩) التاريخ الرومي العجيب من عهد آدم الى ايام قسطنطين و١٠) الـــدر المنظوم في اخبار ملوك الروم من زمن قسطنطين الى السلطان مراد الرابع و١١) كتاب النحلة وفيه اخبار متفرقة دينية وادبية وتاريخية و١٢) كتاب الكنوز في الاعياد السيدية و١٣) رحلته الى روسية بقلم ابنه الشماس بولس.

وجاء في تاريخ قسطنطين باشا ان سلسلة البطاركة الانطاكيين ترجمت الى اليونانية بقـــلم الخوري ميخائيل بريك وان مكاريوس الف في اثناء رحلته الاولى الى روسية خمسة كتب في مواضيع مختلفة مفيدة جـــداً وعشرة في رحلته الثانية وجميعها في اليونانية فنقلها الخوري مخائيـــل بريك الى العربية . والخوري مخائيل بريك نفسه في سيرة البطريرك مكاريوس يحسب هذه المصنفات من ترجمة البطريرك لا تأليفه . فقد قال : « وله اتعاب كثيرة من جملتها كتب بخطه في الغيبة خمسة كتب وفي الغيبة الثانية عشرة كتب . وكلها لا اصل لها في اللغة العربية بل هو نقلها من الرومي الى العربي . وهي معروفة عند اخوتنا اولاد العرب وفيها فوايد عظيمة لاني انا الفقير اجتمعت بجانب منها بخطه وبغير خطه نسأل الله ان يجمعنا بالباقي » (١) .

ونقل بلفور الانكليزي اخبار الرحلة الى الانكليزية ونشرها في مجلدين بين السنة ١٨٢٩ والسنة ١٨٣٦ ثم نقلها جرجي مرقس الى الروسية في مجلدات خمسة وذلك بين السنة ١٨٩٦ والسنة ١٩٠٠ . وقام الاب انطون رباط اليسوعي فنشر رسالة مكاريوس في الرد على الكالوينيين في مجلة المشرق في السنة ١٩٠٤ تحت العنوان الطوائف الشرقية وبدعة الكالوينيين . ثم نشر الخوري قسطنطين الباشا « نخبة » من رحلة البطريرك مكاريوس سنة ١٩١٢ . وتولى في السنة ١٩١٣ الاب لاونديوس كلزي حياة البطريرك افتيميوس كرمة فنشرها في اعداد مجلة المسرة .

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لنطاس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤٧ — ٢٤٨

الفصل التاسع والاربعون

الرّوم الكاثوليك

نيوفيطوس وكيرلس : (١٦٧٢ — ١٧٢٠) وتوفي مكاريوس الثالث في الثاني عشر من حزيران سنة ١٦٧٢ كما نص بذلك حجر منقوش عرفه الخوري ميخائيل بريك في كنيسة كبريانوس ويوستينة في دمشق . وقيـــل ان اناساً من اشرار محلة الميدان ائتمروا فسقوه سماً فانتقل الى جوار ربه (١) .

وبعد وفاة هذا السعيد الذكر فضل الدمشقيون قسطنطين حفيد مكاريوس على غيره احتراماً لقدر جده واكراماً لورع والده الخوري بولس واعتباراً لصفاته الممتازة . فقد كان فصيحاً لبيباً ذكياً نبيلا فاضلا . وقـــد ذكره قسطنديوس القسطنطيني بقوله : « واما الدمشقيون فنظراً لميلهم ومحبتهم للمغبوط مكاريوس وقياماً منهم بحق الشكر وعرفان الجميل والمنـــة لفضله الوافر في نجاح الكرسي وتقدمه انتخبوا حفيده بصوت واحـــد وهو ابن الخوري بولس ابن البطريرك مكاريوس السعيد الذكر . ودعوه كيرلس في شرطونيته وارتقائـــه الى السدة البطريركية . ومع حداثة سنه فانـــه كان فصيحاً لبيباً متصفاً بتعقل الشيوخ وحكمتهم » (٢) .

وجاء لصاحب تاريـــخ ابرشية بيروت (٣) ان الدمشقيين استصدروا براءة لكيرلس فلـــما وصلت شرطنه بطريركاً كل من غريغوريوس متروبوليت حوران وورومانوس متروبوليت الزبـــداني ولاونديوس متروبوليت صيدنايا وجرمانوس متروبوليت بعلبك وذلك في الثاني من تموز سنة ١٦٧٢ . وان قيل

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لنطاس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤٧

2) *Constantius, Patriarchs of Antioch; Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, 183.*

٣) ولعل هذا المؤرخ المجهول هو عبدالله ميخائيل طراد

كيف ان اساقفة الكرسي وآل دمشق اختاروا هذا الرجل الحدث السن جداً مع انه كان يومئذ في ابرشية الكرسي الانطاكي اكثر من عشرين اسقفاً ألعله لم يكن بينهم كفوء" للبطريركية الا هـذا الحدث السن . فنجيب بلى انما انتدب هذا وشرطن لثلاثة اسباب : اولا احتراماً لقدر جده البطريرك مكاريوس الذي جاهد جهاداً عظيماً بوفاء ديون كثيرة وانتظمت في ايامه الابرشية كلها اكثر من ايام سلفائه . ثانيـاً اكراماً لورع والده الخوري بولس . وكان هو وولده محبين للدمشقيين ومحبوبين منهم جداً. وكان هذان الفاضلان ملازمين للقلاية البطريركية، وكانت مداخيـل كراسي الابرشية بيد والده الخوري بولس مع جميع متخلفات جده . وليس لاحد سواه معرفة بذلك . ثالثاً ولئن كان كيرللس حدث السن الا انه كان كامل العقل متجملا بالفضيلة متأدباً فصيحاً لبيباً . فهذه الاسباب الثلاثة كانت تمنع البعض من الاساقفة وسائر المسيحيين وتبكمهم عن التكلم غير اللائق بحقه اذ كانوا مشمئزين منه لحداثة سنه .

نيوفيطوس : (١٦٧٤ ــ ١٦٨٤) ولم يرض آخرون، ولعلهم الاكثرية، عن الخروج على القانون والتقليد فطعنوا في حداثة سن كيرلس ونددوا بانتخابه غير الشرعي وقدحوا في شرطونيته غير القانونية وازدروا باقامته بطريركاً بصولة السلطات الزمنية . واتفق ان اجتاز دمشق في اثناء هذه المشادة البطريرك الاوروشليمي دوسيثيوس الثاني العالم الشهير والحبر الجليل ونزل ضيفاً على الدار البطريركيـة فتسنى له ان يتعرف الى كيرلس في اوائل عهده في البطريركية وتحقق بذاته دور الحداثة الذي كان كيرلس لا يزال فيه فقال عنه انه « الطفل الصغير » وانـه « بسطوة السلطة الغاشمة وجبروتها قد جلس على الكرسي » (١) .

واجتمع دوسيثيوس بنيوفيطوس متروبوليت حماة فأظهر له نيوفيطوس عدم الرضى عن شرطونية كيرلس وبطريركيته لمخالفتها القانون . وقدم المطارنة عريضة بالعربية الى الكنيسة المسكونية يشكون فيها أمر كيرلس ووصوله الى السدة

١) البطاركة الانطاكيون لدوسيثيوس في مجموعة المقتطفات من مخطوطات القبر المقدس لكرمفس ١ : ٢٨٦ (بطرسبرج ١٨٩١) .

الرسولية الانطاكية . فعقد البطريرك المسكوني ديونيسيوس الرابع في اوائل تشرين الثاني من السنة ١٦٧٢ مجمعاً برئاسته وبحضور البطريرك الاوروشليمي . وبعد ان اطلع المجمع على عريضة مطارنة الكرسي الانطاكي وعلى رسائل اخرى شتى اصدر بناء على قانون الرسل ٣٠ والمجمع المسكوني السابع ٣ ومجمع قيصرية ١١ ومجمع ترولو ١٤ قراره بالاجماع بخلع كيرلس وطرده من الكرسي الانطاكي (١) . ثم رشح مجمع القسطنطينية للسدة البطريركية الانطاكيـة الشاغرة كلا من نيوفيطوس متروبوليت حماة وغريغوريوس متروبوليت قيصرية وافجانيوس متروبوليت خريستيانوبوليس . واخيراً تم انتخاب نيوفيطوس بالاجماع . فطلب رجالات الكرسي الانطاكي الى نيوفيطوس ان يتوجه الى القسطنطينية ويتقلد البطريركية بموجب كتاب منهم كما ان المجمع نفسه استدعاه الى المدينة المتملكة . فقام نيوفيطوس الى القسطنطينية فاقيم فيها بطريركاً على انطاكية . وبعد انقضاء عام تقريباً على تنصيبه جاء الى دمشق وتولى زمام الكرسي البطريركي (٢) .

ثم قام كيرلس الى القسطنطينية واستصدر براءة سلطانية بالبطريركيـة وعاد الى دمشق . فانقسمت الرعية وتفاقم الشر وكثرت المغارم. فعاد نيوفيطوس الى القسطنطينية واستصدر براءة سلطانية جديدة ورجع الى دمشق وضبط الكرسي وبقيت الحال على هـذه المنوال تسع سنوات . وترتب على نيوفيطوس دين كبير فقال له كيرلس انا اقضي هذه الديون عنك واتخلى لك عن اللاذقية وتوابعها تقيم بها وتستأثر بدخلها . فرضي نيوفيطوس بذلك . ودخل اللاذقيـة واستراح فيها مدة . وكان يوقع « البطريرك الانطاكي سابقاً» وبعد اربع سنوات توفي ودفن في كنيسة القديس نقولاووس بهيكل مار موسى الحبشي (٣) .

ومن آثار نيوفيطوس اعتراف بالايمان المقدس لدحض اقوال كلونيوس.

١) السجلات البطريركية ٢ : ١٥٩ (نشأة الكثلكة لسيادة اغناطيوس متروبوليت البرازيل : الراعي الصالح جـ ٥ ص ٣٦ و٥٢) .
٢) مكتبة فوطيوس تصنيف جناديوس (ارایاتزغلوا) متروبوليت هيروبوليس وثيرون (١٩٣٥) ص ٤٩ و١٣٨ ــ الراعي الصالح جـ ٥ ص ١٨٦ .
٣) البطاركة الانطاكيون لغطاس قندلفت . المنار ١٨٩٩ ص ٢٦٧ . خريسوفرجي ص ٤٣

فان الأب ميخائيل نو اليسوعي قابل هـذا البطريرك في ايار السنة ١٦٧٣ وشكا اليه أمر الكلوينيين ورجاه تأييد الكاثوليكيين . فحرر نيوفيطوس اعترافاً بالايمان الارثوذكسي ووقعهمعه غريغوريوس متروبوليت حوران وانطونيوس متروبوليت بعلبك ورومانوس اسقف الزبداني واربعـة عشر كاهناً وستة شمامسة وعدد من الاعيان . ثم عرض الاب ميخائيل هذا الاعتراف على كل من ارميا متروبوليت صور وصيدا وفيليبوس متروبوليت بيروت فاشتركا في التأييد والتوقيع (١) .

بدء رسالة اليسوعيين وغيرهم : وكانت رومـة لا تزال تتطلب وحدة الكنيسة عن طريق الخضوع والطاعة لاسقف واحد اعتبرته اسقف الاساقفة. وكانت قد أرهفت لهذه الوحدة غرار عزمها في مجمع تريدنتوم *Trent* (١٥٤٥ — ١٥٦٣) واخذت تتجهز لها وتتذرع . فأصدرت في السنة ١٥٥٣ بولّـة بتأسيس كليات ثلاث في اوروشليم والقسطنطينية وقبرص . وكان غريغوريوس الثالث عشر قد أسس في السنة ١٥٧٦ كلية القديس أثناسيوس اليونانية في رومة . وكان قد انشأ في السنة ١٥٨٤ كلية للموارنة في رومة ايضاً . وكانت فرنسة قـد جعلت من اهدافها الرئيسية في الشرق حماية « الدين الكاثوليكي » في اراضي الاسلام وكشف الهم عن اتباعه « وردّ المسيحيين المشاقين الى الطاعة » (٢) .

وأحب اوربانوس الثامن ان يستغل الصداقة القائمة بين فرنسة والسلطنة العثمانية ففاتح حكومة لويس الثالث عشر كلاماً في رد المسيحيين « المشاقين » الى الطاعة فوافقت فأصدر امره الى الكرمليين والكبوشيين واليسوعيين بوجوب ارسال آبائهم الى الشرق الادنى ولا سيما سورية لرد ابنائها المسيحيين الى الطاعة . وأوصى لويس الثالث عشر بهؤلاء المرسلين فكتب الى سفيره في الآستانة المسيو ده سيزي *De Césy* وحرر هذا بدوره بالمعنى نفسه الى قناصل فرنسة في الاسكندرية وصيدا ودمشق وحلب . وبـدء المرسلون اعمالهم في حلب اهم مدن سورية ولبنان آنئذ واقربها الى اسية الصغرى والعراق وانشأوا فيها في السنوات ١٦٢٥ — ١٦٢٧ مراكز

١) تاريخ طائفة الروم الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٧٦ هامش ١

2) *Rey, La Protection diplomatique et consulaire, 305 ; Neuville, R., Heurs et Malheurs des Consuls de France à Jérusalem, Ronald Press, 1947.*

لاعمالهم متعاونين في ذلك مـع الآباء الفرنسيسكانيين مستبصرين بخبرتهم الطويلة وارشاداتهم . ثم انطلقوا من حلب فعملوا في دمشق وصيدا وطرابلس وخيوس وازمير وناكسوس (١) . « ومارسوا التطبيب مجانـاً وتداخلوا مع الاساقفة الكهنة وترددوا الى الكنائس الارثوذكسية والى بيوت المسيحيين متظاهرين بالمحبة والوداعة ووحدة الايمان ناشرين بين العامة ان معتقداتهم ارثوذكسية لا تختلف بشيء ابداً عن معتقدات الكنيسة الشرقية ما عدا بعض فروق ليست بذات اهمية . وكثيرون منهم كانوا يحامون ويدافعون عن امور كثيرة في المعتقدات والطقوس الشرقية يحسبها الغربيون اليوم خللا وشوائب . وكانوا يظهرون علناً انهم ينكرون اهم المعتقدات التي يتمسك بهـا غير الارثوذكسيين . وهذا ما حمل البطريرك افتيميوس الرابع الصاقزي ان يأوي البعض منهم الى دار البطريركيـة » (٢) . وسمح لهم ان يعلموا ابناء الطائفـة وان يمارسوا سر الاعتراف في الكنائس الارثوذكسية وان يزوروا منازل المسيحيين .

وألقى هؤلاء المرسلون بذار تعاليمهم بواسطة سر الاعتراف. فلم يطلبوا من السذج وجمهور المؤمنين الارثوذكسيين سوى ايمان آبائهم وقرارات مجامعهم . ولكنهم صارحوا المثقفين في ظروف معينة واوجبوا رجوعهم عن الخطأ . واليك ما كتبه احد الآباء اليسوعيين في السنة ١٦٥٠ عن طريقتهم في اجتذاب النفوس :

« عندما يأتي ارثوذكسي ليعترف عندنا نسأله اذا كان يؤمن بما علم به الآباء اليونانيون : باسيليوس واثناسيوس وغريغوريوس والذهبي الفم والدمشقي فيجيب نعم . فنسأله ما اذا كان لا ينبذ ويلعن كل تعليم لا يتفق وما علم به هؤلاء الاباء القديسون فيجيب نعم . ولما كان دستور ايمانهم لا يختلف عن دستور ايماننا الا بالكلمة «والابن» ولما كنا نحن نعتبر هذه الكلمة مجرد تفسير للدستور فاننا نسأله ما اذا كان لا يفهم الدستور كما فهمهم آباء الكنيسة والمجامع المقدسة فيجيب نعم . وعندئذ يتلو الدستور ونحله . وجميع الارثوذكسيين الاذكياء المتعقلين يعترفون بتقدم البابا لانهم يقرأون في كتبهم كيف التجأ الذهبي الفم في اثناء محنته الى البابا وكيف اعاده البابا الى كرسيه مهدداً الامبراطور والامبراطورة بالحرم . ويستنتجون عندئذ ان الارثوذكسيين والامبراطور نفسه خضعوا في عهـد الذهبي الفم الى البابا » (٣) .

1) *Jock, Th., Jésuites et Chouérites, 3 - 11 ; Goyau, G., François Picquet Consul de Louis XIV à Alep.*

٢) تاريخ البطاركة الانطاكيين : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٨ — ٢٧٩

3) *Les Jésuites dans le Levant vers 1650, L'Unité de L'Eglise, 1934, 64 ; Musset, H., Hist. du Christ, II, 131 - 133.*

وهكذا فانه بينما كان الرؤساء الارثوذكسيون يتخاصمون ويشقون الطائفة كان هؤلاء المرسلون اللاتينيون يعملون لتقريب العقول والقلوب من رومة وحبرها. وكان سفراء الدول الكاثوليكية وقناصلها يعضدونهم بكل ما امكنهم من الوسائل لتنفيذ رغبة رومة في «الكثلكة» !

اثناسيوس الرابع : (١٦٨٦ ــ ١٦٩٤) وترملت ابرشية حلب وجدّ ابناؤها في التفتيش عن اكليريكي لائق . فاهتم المرسلون اللاتينيون للامر ووجهوا الانظار شطر المدينة المقدسة مشيرين الى بروكوبيوس رئيس دير بيت لحم . وكان بروكوبيوس (او باثيسيوس) قد أبصر النور في دمشق من والدين ارثوذكسيين. فنشأ فيها باسم بولس الدباس وتعلم عند الآباء اليسوعيين فقال قولهم في الايمان ثم دخل معترك الحياة فاحترف الخياطة مدة من الزمن. وكان جميل الصورة «فخاف على عرضه من الاناس الاردياء» ورحل عن دمشق الى اوروشليم لينذر نفسه لله . فلبس الاسكيم في دير القديس سابا واتقن اللغة اليونانية والعلوم الدينية وسيم قساً ثم نصب رئيساً على دير الروم في بيت لحم. واتصل بالرهبان الفرنسيسيين «فتجدد فيه الايمان الروماني وتمكن منه بعد تراخيه من معاشرة المشاقين» (١). وأم اراخنة حلب المدينة المقدسة تبركاً واتصلوا بمرشح المرسلين فوجدوه وديعاً بشوشاً بارعاً في العلوم الدينية متضلعاً باللغتين العربية واليونانية فرغبوا في انتدابه لاسقفية حلب واقنعوه ان يترك الدير ويرافقهم ماراً بدمشق ليشرطن فيها . فلما وصلوا الى دمشق وبحثوا الامر مع البطريرك كيرلس رضي ثم عدل (٢). فحقد الحلبيون وتحرك الرهبان الفرنسيسيون «وارادوا ان يقيموا بروكوبيوس بطريركاً على انطاكية لاجل تمكنه في الايمان الروماني المقدس عوض كيرلس الذي كان مشاقاً . فسعوا له في ذلك واقاموه بطريركاً بأمر السلطان» (٣) . وكان لبروكوبيوس خال اسمه ميخائيل شامبذيم طرزي من ذوي الوجاهة (٤) فقام الى

١) ديوان البدع للمطران جرمانوس فرحات جليس اثناسيوس وعشيره في حلب : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٢٦ ــ ١٢٧ .

٢) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : المنار ١٨٩٩ ص ٢٦٨ والحقائق الوضية ص ٦٠.

٣) ديوان البدع ايضاً : تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٢٧

٤) الحقائق الوضية ص ٦٠

القسطنطينية حاملا محضراً موقعاً من وجهاء الطائفة في حلب وكتب توصية من بعض قناصل الدول الافرنجية في حلب الى سفرائهم في القسطنطينية . فلما وصل اليها عرض اوراقه على المجمع فعزل المجمع كيرلس واستصدر لبروكوبيوس اوامر سلطانية على ما جرت به العادة (١) . وعاد الخال الى دمشق واطلع حاكمها وقاضيها على الاوامر السلطانية . وكان كيرلس يطوف في الابرشية . فتم في غيابه انتداب بروكوبيوس بطريركاً على انطاكية يوم الاربعاء في ٢٥ آب سنة ١٦٨٦ بحضور ثلاثة من المطارنة هم لاونديوس مطران صيدنايا ويواصف مطران نابلس ومطران حوران . ودعي اثناسيوس . فلما نمي خبر ذلك الى كيرلس ارسل الى الاستانة واستحضر اوامر وبراءة سلطانية شريفة ودخل دمشق ووضع يده على دار البطريركية . واما اثناسيوس فسكن في امطوش مار ميخائيل ثم انتقل الى حلب .

وفي العاشر من نيسان سنة ١٦٨٧ كتب اثناسيوس الى سفير فرنسة في القسطنطينية يؤكد انه نشأ كاثوليكياً في دمشق بفضل الآباء اليسوعيين وانه ارسل منذ بضعة اشهر اعترافه بالايمان الكاثوليكي على يد الآباء الفرنسيسيين الى الحبر الاعظم . ثم يرجو السفير ان يكون بظل حماية ملك فرنسة وان يستمد هذه الحماية في وقت الضرورة وان يحظى بها حينما يطلبها . ويضيف انه يلتمس مراقبة خصومه خصوم الكنيسة الرومانية ومنعهم عن ايقاع الضرر به لدى الباب العالي (٢) .

وصورة اعتراف اثناسيوس بالايمان الكاثوليكي كتبت في الرابع من تموز سنة ١٦٨٦ قبل وصوله الى البطريركية بسبعة اسابيع . وعنوانها : «صورة اعتراف اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم» . واليك مقتطفات منها اثبتها الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفة الملكية نقلا عن الاصل المحفوظ في رومة .

١) المؤرخ البيروتي المجهول : تاريخ الطائفة الملكية ص ١٣٥ ــ ١٣٦ .

2) *Rabbath, A., op. cit., II, 106.*

« انا اؤمن ايماناً ثابتاً واعتقد بكلما تحويــه فصول الامانة المستعملة في الكنيسة المقدسة الرومانية . . . ثم بالمجمع القسطنطيني الرابع وهو الثامن من المجامع العامـة . واعتقد ان فوطيوس ارفض فيه وانحكم عليه بعدل وحق وان القديس اغناطيوس ارتد مكانه في الكرسي القسطنطيني . . . وبالمجمع الفلورنتيني واعتقد بجميع الامور المحددة فيه اعني الروح القدس هو ازلي من الآب والابن وله ذات وماكث مع الآب والابن معـاً وعلى الدوام وهو منبثق من الاثنين كن مبدأ واحد ونفخة واحدة . ولاجل ذلك ان القول من الابن قـد وضع في الامانة ضرورياً وحقيقة حتى يفسر الحق والضرورة العظمى . . . والآن بحريتي وحسن رضائي من كل قلبي اعتقد بها وبالحقيقة والصدق اتمسك بها سالمة من غـير عيب الى آخر نفس من حياتي بثبات بعون الله تعالى . واحفظها واعترف بها واحترص على ان تتمسك وتتعلم وتكرز من الذين هم تحت تدبيري ومن رعيتي والخاضعين لي . انا اثناسيوس البطريرك الانطاكي على جماعة الروم اوعد وانذر واحلف وهكذا الله يعينني والاناجيل المقدسة والسبح لله دائماً » (١) .

وقامت الشرور والفتن وتحزب قسم لهذا وقسم لذاك . وحرم كل منهم الاخر . وفي السادس من حزيران سنة ١٦٨٧ اعترفت رومة باثناسيوس بطريركاً على انطاكية « على الرغم من الشذوذ التي احاطت بانتخابه » (٢) « وانتدب سلفستروس الدهان لاسقفية بيروت فكره ان تكون اقامته على يد اثناسيوس وقال بطركنا افرنجي فلا ارض ان تكون اسقفيتي من يده » (٣) .

ونجم عن هذا الشقاق خسائر جسيمة واختباطات واضطرابات. وهدد بعض الاساقفة والاعيان بانتخاب بطريرك ثالث(٤). «فحزن اثناسيوس من هذه الامور ومن نفقات السياسة . واحب السلام والهدوء للكنيسة فتنازل لكيرلس في شهر تشرين الاول سنة ١٦٩٤ » (٥) . وتصالح الطرفـان على ان تكون البطريركية لكيرلس وان تعطى ابرشية حلب لاثناسيوس يقيم فيها ويعيش من دخلها ودخل ادلب وكلس وعلى ان يحتفظ بلقب بطريرك الى ان يتوفى احدهما فينفرد الآخر

1) *Scritture Originali riferite nelle Cong. Greci - melchite :*
تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٤٠ — ١٤١

2) *Dict. Hist. Géog. Ecc., III, Col. 644.*

٣) المؤرخ البيروتي : الطائفة الملكية ج ١ ص ١٣٦

٤) رسالة مطارنة بيروت وبعلبك واللاذقية وطرابلس الى مطران صيدا : الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ .

٥) كلام اثناسيوس نفسه كما جاء في تاريخ بطاركة انطاكيـة الذي اعده باليونانية : الطائفة الملكية ج ١ ص ١٣١ .

بالبطريركية ولا ينتخب لها غيره . وتقرر هذا كله في مجمع الاساقفة ووافق عليه عموم اهالي دمشق وحلب (١) . ولكن رومة لم ترضَ عن هذا الوفاق ولم يعترف حبرها انوشنسيوس الثاني عشر به بل حض اثناسيوس على العودة الى الكرسي البطريركي (٢) .

وبعد ان تم الصلح بين كيرلس واثناسيوس قام اثناسيوس الى القسطنطينية والبغدان والفلاخ يستعطف المسيحيين وذلك في شهر اذار سنة ١٧٠٠ وفي ايام الامير « الحسن العبادة » قسطنطين . فعطف الامير وقدم الهدايا . ولما عرف ان كتب الكنيسة الانطاكية لا تزال مخطوطة اخذته الغيرة فأمر بصنع حروف عربية وتشرفت الطباعة العربية بطبع الليتورجية الارثوذكسية وكتاب السواعي (٣) . ولما عاد اثناسيوس الى حلب اصطحب هذه المطبعة معه . ثم نقلت منها الى دير البلمند . والتقليد البلمندي يفيد ان هذه المطبعة انتقلت فيما بعد الى دير مار يوحنا الشوير مع من أمه من الرهبان الموالين لرومة (٤). اما التقليد الحناوي الشويري فانه يجزم بأن المطبعة الشويرية نشأت مستقلة بهمة الشماس عبد الله زاخر (٥) .

اصلاحات كيرلس الثالث : واستتبت الراحة بعد الصلح وساد السلام في دمشق ومعظم الابرشيات فوجه كيرلس انظاره الى تدبير امور الرعية . وكان صاحب نفوذ عنـد الحكام ومحبوباً عند الجميع من مسيحيين وغير مسيحيين فوسع الكنيسة الكتدرائية في دمشق وزينها وزاد في بنيان البطريركية . ورفع عن المسيحيين مظالم عديدة . واقـام عنده اثني عشر وكيلا علمانيين من الوجهاء واصحاب الدرايـة والغيرة ليشتركوا معه في النظر في شؤون الملة وتدبير احوالها ويهتموا في مساعدة الفقراء وفي العناية بالاوقاف والكنائس (٦) .

رومة تكمل رسالتها : واستمسك اثناسيوس بالصلح ولم يسع للعودة

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لقطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٩

2) *Musset, H., op. cit., II, 165.*

٣) كلام اثناسيوس : الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٣٢

٤) مطبعة دير البلمند لعيسى زريق : المنار ١٩٠٢ ص ١٣٣ – ١٣٦ و٢٦٢ – ٢٦٦ و٣٢٦ ــ ٣٢٧

٥) مطبعة دير الشوير لاحد ابناء الرهبنة الشويرية : المنار ١٩٠٢ ص ٤١٠ — ٤١١

٦) تاريخ البطاركة لقطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٧٩ .

الى الكرسي البطريركي . فقامت رومـــة تكمل خطتها وفي السنة ١٦٩٧ خص الاب اليسوعي فيرسو *Verseau* دير البلمند بعنايته لانـــه كان آهلا بالرهبان « وكان للشقاق شأن عظيم فيه بحيث يتناول كل ملة الروم». وحاول الاب فيرسو الدخول الى البلمند لايضاح الايمان الكاثوليكي مراراً ولكنه اخفق . ثم شعر اثنان من تلاميذ الآباء اليسوعيين بالدعوة الرهبانية واختارا البلمند لخدمـــة الله فيه . « فأخذ الاب فيرسو يزورهما ويرشدهما منبهاً الى ما في هذا الدير من خطر » . ثم تحقق انهما راسخان في الكثلكة فاتخذهما وسيلة للدعاية الرومانية بين الرهبان فاكثر من زياراتـــه للدير وتعرف بسائر الرهبان وصار يـــدخل ويشترك في اجتماعاتهم الديريـــة بدون مانع . « ولكي يرضيهم جميعاً » كان يمدح القديس باسيليوس الكبير ويتلو عليهم اخباره . ثم وضع بين ايادي صديقيه مؤلفات الاب كليسون *Clisson* والاب نو *Nau* (١) . وفي السنة ١٧٠٤ تقدم خمسة من رهبان البلمند بطلب وجهوه الى مجمع انتشار الايمان جاء فيه ما يلي :

« نعرض لجلالتكم البهية اننا نحن عبيدكم مقدار خمسة انفار من ملة الروم العرب رهبان من طريقة القديس باسيليوس الكبير قـــد تربينا منذ صبانا في الديانة الكاثوليكية خاضعون دائماً للحبر الأعظم الكلي قدسه . الا اننا في هذه الديارة لم نوجد اطلاق وعتق لتكميل السيرة لاجل خلاص النفس كما ينبغي في مذهب الرهبانية لعدم تركين البلاد وتسلط الامم عليها وعـــدم نظام احوال الديورة والرهبان . فاعرضنا حالنا على جلالتكم السنية حتى ان رسمتم تمنوا علينا وتأمرونا بأن نحضر لعندكم لذلـــك الطرف . نستمن فضلكم بأن تمنوا علينا من احسان الكنيسة المقدسة بمكان حقير نتآوى فيه وحدنا داخل رومية او خارجها وتتصدقوا علينا هناك بالقوت الضروري والشرب الزهيد كفاف الجسد اللطيف لا غير حتى نخدم الله بمكنتنا على الامكان وندعي لجلالتكم السامية البهية . سطر في دير البلمند من اعمال طرابلس الشام في اول تشرين الثاني سنة ١٧٠٤ . عبـــدكم مكاريوس الكاهن في الرهبان عبدكم جرمانوس الكاهن في الرهبان عبدكم الحقير حنانيـــا الكاهن في الرهبان عبدكم الحقير نصر الله الكاهن في الرهبان عبدكم جرجس الشماس في الرهبان » (٢) .

دير مار يوحنا الشوير : وفي هذه الآونة نفسها وصل الى البلمند شابان حلبيان راغبان في التبتل والزهد . فنصح لهما الاب نصرالله الحلبي « ان يذهبوا الى جبل لبنان ويفتشوا على مطرح خالي . وبعده نحن نجي الى عندكم ونعمل رهبنة

1) *Lettres Edifiantes , I , 235 .*

٢) تاريخ الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٥٠ ـ ٣٥١

قانونية . لان في هذا الدير الانسان ما يحسن يعيش في حرية الايمان لان فيه اناس معاندين وعشرتنا معهم لا تصلح . فسمعوا من شوره وراحوا حوشوا دير الذي يقال له مار يوحنا الشوير وارسلوا اخبروهم عنه » (١) .

وكان هذا الدير حقيراً في بدء عهده لا يشمل سوى كنيسة صغيرة على اسم يوحنا الصابغ وغرفة حقيرة أوى اليها زاهد من ابناء اسرة صوايا الشويرية. وكانت الشوير تئن من مشادة عنيفة بين اسرتيها الكبيرتين آل مجاعص وآل صوايا فلما نشب الخلاف بين البطركين اثناسيوس وكيرلس وتحزب قسم لهذا وقسم لذاك أيد آل مجاعص كيرلس فانبرى آل صوايا لمناصرة اثناسيوس . وشـــد ازر آل مجاعص معظم العائلات الشويرية فامتنع آل صوايا عن الصلاة في كنيسة السيدة كنيسة القرية واخذوا يصلون في كنيسة مار يوحنا المشار اليها. وهكذا فليس نسبة دير مار يوحنا الى مجرد وقوعه في خراج الشوير بل الى الزاهد الشويري المؤسس والى انسبائه الشويريين الذين اتخذوا من كنيسته معبداً لهم وحموا من التجأ اليه من الرهبان القائلين بطاعة رومة .

رجل رومة الاوحد : وواحد الآحاد في طاعة رومة والخضوع لاسقفها افتيميوس الصيفي متروبوليت صور وصيدا (١٦٨٢ ـ ١٧٢٣) . هو ميخائيل ابن موسى الصيفي . ولد في دمشق في حوالي السنة ١٦٤٣ ونشأ فيها . وتعلم في مدرسة الطائفة في دار البطريركية ولقي عطفاً خصوصياً من الخوري جرجس بريق فتشرّب الكثلكة في حداثته. وكان الخوري جرجس المذكور قد سافر الى رومة وتخمر فيها بالكثلكة . ولما شبّ ميخائيل تردد على دير الآباء اليسوعيين والكبوشيين فجذبوه اليهم وزادوه طاعـــة وخضوعاً . وتقرب الى نيوفيطوس الصاقزي النائب البطريركي فأخذ اليونانية عنه وفن الموسيقى الكنسي البسلطيكة . ولعل نيوفيطوس نفسه رسم ميخائيل شماساً انجيلياً في السنة ١٦٦٦ ثم كاهناً .

وتوفي ارميا متروبوليت صور وصيـــدا في حوالي السنة ١٦٨٠ فحضّ المرسلون اللاتينيون اعيان الروم في صيدا على انتداب الخوري ميخائيل صيفي .

١) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٥٢ اطلب ايضاً *Echos d'Orient , 1903 , 178*

ورضي البطريرك كيرلس الثالث فسماه مطراناً على صور وصيدا في السنة ١٦٨٢ ودعاه افتيميوس . واول عمل همّ به هذا الاسقف الجديد انه اسرع فارسل مع الاب اكورسيو الكبوشي صورة اعترافه بالايمان الكاثوليكي الى البابا انوشنسيوس الثاني عشر . والاب اكورسيو *Accursio* كان معلم اعتراف الاسقف الجديد في دمشق . ومما جاء في هذا الاعتراف ما يلي :

«لقد رفضت ضلال الروم وشقاقهم منذ زمان واعترفت بالايمان الكاثوليكي بين ايادي الرهبان المرسلين في دمشق . والان وقد صرت بنعمة الله مطراناً على كرسي صور وصيدا فيجب علي تقديم الطاعة الواجبة لحضرتكم والاتجاه الى كرسيكم المقدس اقتداء بالآباء القديسين اثناسيوس الكبير ويوحنا الذهبي الفم وسائر الآبـــاء القديسين الذين قبلتهم الكنيسة الرومانية وقت جهادهم واضطهادهم . ولا ينبغي ان اذكر مـــا احتملته من النفي والحبس والاهانة وخسارة الاموال والتعدي علي من الاسلام بسعاية البعض من الروم واكليروسهم ولا سيا بطريركهم المدعو كيرلس وذلك لاجل اعترافي بالايمان الكاثوليكي » (١) .

وكانت ابرشية صور وصيدا واسعة ولكنها غير عامرة . فعمل الاسقف الجديد على تعميرها بتشجيع النزوح اليها فانفق في ايار السنة ١٦٨٦ مـــع اعيان الروم في صيدا على ان يكتب الى من اراد من النصارى ليدعوهم للاقامة في صيدا واستكتب قاضي الشرع صكاً بذلك لا يزال محفوظاً حتى يومنا هذا (٢). ثم جدد بناء كنيسة صيدا بماله الخاص وحرر صكاً رسمياً بذلك في الحادي عشر من نيسان سنة ١٦٩٠ . ولا يخفى ان مثل هذا الصك كان ضرورياً لان الشرع الاسلامي حرّم تشييد الكنائس والصوامع واجاز ترميم القديم وابقاءه على قدمه (٣) .

وأهم ما قام به افتيميوس في هذه الفترة الاولى من ولايته انه انشأ الرهبانية المخلصية لنشر مبدأ الاتحاد مع رومة والخضوع لاسقفها . وبدأ هذا العمل في صيدا حيث جمع قبل السنة ١٧٠٠ عدداً من الرهبان ليعيشوا معـــه في مزرعة مشموشة

١) عن الترجمة الايطالية وعلى ذمـــة الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٠٥ - ١٠٦ . ويلاحظ انه لا يلزم من نص هـذا الاعتراف ان افتيميوس كان يجاهر بالايمان الكاثوليكي قبـــل انتخابه ورسامته مطراناً ولا عند رسامتـــه كما يتوهم المرحوم الخوري قسطنطين .
٢) المرجع نفسه ج ١ ص ١١٨ ـ ١١٩
٣) المرجع نفسه ص ١٢١ ـ ١٢٦

بالقرب من جون عيشة مشتركة قانونية. ويرى الاب قسطنطين الباشا المخلصي ان تلاميذ المطران كانوا في اواخر القرن السابع عشر لا يقلون عن عشرة وانهم لم يستطيعوا الاقامة في صيدا وجوارها بدون ان يتعرضوا لكل تهمة ولكل بلاء من الجند وسواهم فاستأجروا مزرعة مشموشة من صاحبها الشيخ قبـــلان القاضي ليقيموا فيها ويستغلوها . وما فتئوا كذلك حتى تمّ لهم بعناية المخلص اقامة ديرهم على اسمه في السنة ١٧١١ . ورتب افتيميوس لرهبانه قانوناً خصوصياً ذاع وشاع بين الناس في حياته حتى بلغ حلب . ولا تزال رسالته الى احد اصدقائه في حلب تحفظ بعض ما اصطلح عليه الرهبان المخلصيون في بداية عهدهم وبعض ما جاش في صدر افتيميوس من مبادىء . وكان صديق المطران قد كتب يعترض على ما اباحه المطران لرهبانه من اكل الزفر والسمك في الصيام . فأجابه :

« ليس خافياً عن معرفتكم ان كان تأملتم ورأيتم ضعف الملة وانحطاطها ثم افتقارها للمعارف الضرورية والعلوم الروحية . وقـــد رأينا الكثيرين من النحيفي المزاج ذوي غيرة صالحة ولهم بعض معارف ارادوا يصرفوا حياتهم بعيشة طاهرة مرتبة بحفظ الثلاث نذور التي هي اسس الرهبنات كلها لكي ينفعوا ملتهم بعلمهم وعملهم فاستمضوا الدخول الى الرهبنة لاجل خشونـــة معاشها الان عندنا وتخلفوا عن تكميل قصدهم الصالح . فلما تحققت انا الحقير ان هذا السبب الجزئي مانع لذلك الخير الكلي استعملت انا الحقير سلطان الحل والربط المعطى لي من الله ومن كنيسته لاطلاق امر بل لاطلاق جبر مفهوم عند الجميع بسبب وضعه ودخوله وذلك حتى تكون العبادة في هذا المعنى امراً اختيارياً لا اضطرارياً . وليس كما هو الان مستعمل من الاخرين جهراً ومرفوض من الاكثرين سراً . وحتى ايضاً لا نماثل قساوة بعض الرعاة السالفين الذين استعملوا سلطانهم بالربط لا بالحل واحرى ان اقول باللعنة لا بالبركة الذين صدق فيهم قول الله بلسان ميخا : « اكلوا لحم شعبي وكسروا عظامهم » . فلهذا نرى حالتهم وقد سببوا خسراناً عظيماً على هذه الطريقة الطاهرة وعلى الامانة المسيحية الفاخرة فانا ايضاً نيتي ان اتفق هكذا فيكون مثل هؤلاء مفترقين عن الرهبان الآخرين بسكنى والمعاش فقط ومتفقين معهم بحفظ الثلاث نذور وبقية القوانين الاخر اذا كانوا كلهم تحت طاعة رئيس واحد . وان لم يوجد من تكمل بهم نيتنا فتكون حجة الله على المتعنتين » (١) .

افتيميوس اسقف الخاضعين لرومة : (١٧٠٢) وأبى بعض الاساقفـــة الضيم الذي حل بالكنيسة من جراء الشقاق وعصفت في رؤوسهم النخوة فكتبوا الى افتيميوس في حوالي السنة ١٦٩٤ ليكون عليهم رئيساً فتصبح الرعيـــة لراع

١) تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٢١٨ ـ ٢١٩

واحـد (١) . ثم تمّ التفاهم بين اثناسيوس وكيرلس وأصبح كيرلس البطريرك الاوحد فطوى فؤاده على عرقلة اعمال المرسلين وعدم تسهيل امورهم . وامتنع عن اعطاء سلطان الاعتراف الى الكهنة الذين صادقوا المرسلين وعملوا بارشاداتهم. ودخل اثناسيوس في دور التراجع عما وعد رومة به في بادىء الامر. وتولى السدة الرومانيـة في السنة ١٧٠٠ اقليمس الحادي عشر (١٧٠٠ ــ ١٧٢٠) . فكتب افتيميوس يهنىء البابا الجديد ويجـدد خضوعه . وفي الرابع والعشرين من شباط سنة ١٧٠١ اعد رسالة ثانية اوضح فيها احوال البطريركية الانطاكية وطلب ان يكون « وكيل البابا في الشرق » ليعطي سلطان الاعتراف للكهنة الكاثوليكيين خارج ابرشيته. واشار الى رغبة المطارنة في تنصيبه بطريركاً على انطاكية وارفق الوثيقة التي وقعوها ولكنه قال انه قصير اليد واللسان لا يتمكن من اجابة طلبهم لانه يتعلق « بسلطان المسلمين » . ولذلك فأنه يطلب « سلطان الذمة » فقط (٢).

وبحث مجمع انتشار الايمان طلب افتيميوس في جلسة عقدها لهذه الغاية في السادس من كانون الاول سنة ١٧٠١ فأجاب طلب متروبوليت صور وصيدا لمدة سبع سنوات بقرار رفعـه الى البابا . واجاز اقليمس الحادي عشر قرار المجمع وأمر بالعمل بموجبه فوردت على افتيميوس الرسالة التالية :

« الى السيد افتيميوس مطران صور وصيدا والروم في كل البطريركية الانطاكيـة حيث لا يوجد اساقفة كاثوليك : نهار الاربعاء في ١٩ تموز سنة ١٧٠٢ في المقابلة العاديـة لحضرة الاب المحترم المساعد منح الاب الاقدس حسب ما عرض هذا عليه الطالب المذكور هذه الحقوق لمـدة سبع سنوات بحيث لا يستطيع ان يمارسها قطعاً خارج حدود البطريركيـة المذكورة ولا في الابرشيات التي يوجد فيها اساقفة كاثوليك » (٣) .

كتاب الدلالة اللامعة : (١٧١٠) وكان الاب ميخائيل نو Nau اليسوعي قد لجأ الى التأليف لاقناع الروم بالخضوع والطاعة لرومة وصنف في عهد البطريرك مكاريوس كتاباً اسماه « احتجاج كنيسة الروم المقدسة في استقامة ايمـانها وحسن اعتقادها » . فلم يقف الآباء الارثوذكسيون موقف القنوع ولا سيا رهبان القـبر

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٤٤ ــ ١٤٥ .
٢) تاريخ الطائفة الملكية ايضاً ج ١ ص ١٦٩ ــ ١٧٠
٣) المرجع نفسه ايضاً ج ١ ص ١٧٦

المقدس . فنقلوا الى العربية في مستهل القرن الثامن عشر رسالة زخريا أسقف ادنه في الدفاع عن التقاليد المقدسة وايضاح منهاج رومة وكشف المورّى من اساليبها . ثم وزعوه في ابرشيات انطاكية فاضطربت بـه الالسنة وتداولته الرواة . فكتب افتيميوس في العاشر من حزيران سنة ١٧٠٤ الى مجمع انتشار الايمان يقول : « ان اصحاب ابرشية اورشليم المشاقين احضروا كتاب زخريا جرغانو اسقف ادنه المفعم تجاديف ضد رأي كنيسة رومـة واخرجوه الى العربية وبثوه في بلادنا بابرشية الكرسي الانطاكي ليسقوا السم الذي هو داخله » . واضاف افتيميوس انه عُني بوضع كتاب « يرفع شرف الكنيسة الرومانية المقدسة ويخزي من عاكسها » ، وطلب امداده بمصنفي يوحنا كاريوفيلوس *Cariafili* في الرد على زخريا والرد على نيلس التسالونيكي وبكتب بساريون متروبوليت نيقيا (الكردينال اوبوسكولا) وكتب ديمتريوس خيدونس وكتاب بطرس الكورفوي في خدمة الاسرار والمطهر لانها لازمة له . وارسل افتيميوس مخطوطه الى رومة فوافقت عليه باشراف الكردينال بربريني فظهر « كتاب الدلالة اللامعة بين قطبي الكنيسة الجامعة المشتمل على اتفاق كنيسة الروم الارثوذكسية الشرقية مع كنيسة رومية الجامعة الغربية واتحادهما برأي واحد وامانة واحدة مسيحية » بنفقة مجمع الايمان برومة سنة ١٧١٠ (١) .

ووزع هذا الكتاب توزيعاً فهب ايكونوموس كنيسة حلب ورد عليـه برسالة في السنة ١٧١٢ بقيت خطية فيا يظهر . وهذا الايكونوموس كان في عرف افتيميوس « صاحب معرفـة وحافظاً لطقوس الروم بالكمال ومؤيداً لهـا ومناصراً » (٢) . ولفت كتاب الدلالة اللامعـة انظار البطاركة والمطارنـة الارثوذكسيين فأشاروا اليه في الحرم الذي وضعوه في السنة ١٧١٨ على افتيميوس ومن تـساه معه لانه « انشأ كتباً من ذاته واجتذب شهادات كما رأى ونسبها الى الكنيسة المقدسة الشرقية » (٣) .

تحفّز افتيميوس وتحزّمه : وفوّض افتيميوس أمره الى هواه فرأى في

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ١٨٠ ــ ٢٠٥
٢) رسالة افتيميوس الى الكرادلة : المؤلف نفسه ج ١ ص ٢٧٣
٣) مجموعة الآباء اليسوعيين في بيروت مخطوط رقم ٥٥٠

ايلول السنة ١٧١٣ ان « ابرشية انطاكية ارض صالحـــة بدها فلاحين » وان كيرلس بطريركها « رجل عادم العلم يبغض الكنيسة الرومانية » ولكنه لا يجرؤ على تقديم الطاعة قبـــل بطريرك القسطنطينية والاسكندرية . ورأى ان اسقف صيدنايا جراسيموس الشامي « رجل على باب الله قداسه برطل نبيذ ومـــا دام النبيذ في قلايته المسيح راضي عليه » وان اسقف معلولا وقارة « قبرصي هرطوقي معاند» وان اسقف بعلبك «قبرصي سالم من الغرض ان اسعده الله بمعلم ربما يوافق بكلما نريـــد » وان اسقف حمص « عاجز بالدين والدنيا » وان اسقف حماة «قبرصي قوي بالكفر وبسبب الدين للكنيسة ولنا . ومنذ سنتين حضر عندنا في اشغال له فاكرمناه واعطيناه احسان وافر ونصحناه بقدر الامكان . ومنذ ذلك اليوم ابطـــل المسبات ولكنه باقي على كفره » وان مطران بيروت « كان سابقاً يصدق بالكنيسة ويكرم ويمجـــد كنيسة الروم . ولأجل ذلك اسدينا اليه بعض احسانات وطلبناه الى صيدا وعرفناه النقص والغلط الذي وقعت فيه كنيسة الروم بعد الانشقاق » وان مطران طرابلس « كـــان سابقاً شهد لنا بعض رهبان من المرسلين انه كاثوليكي واما انا ما قشعت له علامات الكاثوليكية . وربما يكون اقر بالحق تحت رجاء . فلما انقطع الرجاء منكم عاد كالكلب الى قيه» . وان مطران اللاذقية « صاقزلي هرطوقي جاهل بالدين وبالهرطقة ينبح ويقروش بغير وعي» . وان بطريرك حلب « معروف عند رومة بأنه كاثوليكي ومعروف عندي بأنه مساقل » وان مطران ادنه « قبرصي عتي عـــدو الله وكنيسته » وان مطران ديار بكر كذلك قبرصي وان مطران ارضروم من ايالتها ومطران القرص من ايالة ارضروم (١) . ولا يخفى ان هذه البضاعة كانت رائجة في ذلك الزمان موجودة عند الطرفين .

وهكذا فيكون افتيميوس اسقف رومة الأوحد في ابرشيات انطاكية قد حاول اجتذاب المطارنة الى الكثلكة بأساليب قد لا يكون بعضها مشروعاً (٢) .

---

١) رسالة افتيميوس الى الكرادلة : تاريـــخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا جـ ١ ص ٢٧٢ — ٢٧٤ .

٢) رسالته الى البابا : المرجع نفسه جـ ١ ص ٢٨٣ — ٢٨٤

واما اليعاقبة فان جلبهم كان بعيداً في نظره «وانما بطريق القوة أقرب تناول» (١) ويلاحظ هنا ان الاتحاد الحقيقي لا يتم بالمال والقوة بل بالروح القدس والمحبة التي لا تطلب ما لنفسها ولا تظن السوء بل تتأنى وترفق وتصدق وتصبر .

كيرلس والكثلكة : وذكر افتيميوس ان كيرلس البطريرك الانطاكي كان عزيز الجانب لا تلين قناته لغامز فخاطبه في موضوع الاتحاد وجادله ولكن على غير جدوى . ثم ألح افتيميوس على قنصل فرنسة في صيـــدا المسيو بولارد *Boulard* ان يخاطب البطريرك في الموضوع نفسه ففعل . وكتب الاب لورنسيوس رئيس الآباء الفرنسيسيين في اوروشليم رسالة طويلة الى كيرلس اخبره فيها عما فعل باسم البابا لاعادة بطريرك الموارنة يعقوب عواد الى كرسيه واعادة كـــل حقوقه وشرفه . ثم اشار الى ما فعله احبار رومة للبطاركة والمطارنة الشرقيين من هذا القبيل . وذكّر كيرلس كيف تظلّم جده مكاريوس الى البابا الكسندروس السابع من جور الاتراك وصلفهم .

ثم اطلت السنة ١٧١٦ فاذا بحبر رومة نفسه يخاطب كيرلس ويدعوه الى الاتحاد فيقول بلغنا ان لاخوتـــك ميلا عظيما الى الاتحاد ففرحنا ورأينا ان نعظك بصوتنا الابوي ان لا تهمل هذا الالهام الصالح . وليكن محققاً عندك انك ما دمت مفترقاً عن الكنيسة الرومانية تبقى في خطر عظيم واكيـــد . ويجب عليك ان تعظ اخوتك الاساقفة وشعبك ليفعلوا مثلك . ومتى تحققنا انك اعتمدت على القبول الثابت لايمان الحبر الروماني نوضح لك حينئذٍ ما يجب عليك ان تفعل (٢) .

فأوضح كيرلس لرئيس الآباء الفرنسيسيين « ان الكنيسة الشرقية تمت ماسكة شروطها وفرائضها المرتبة منذ القديم . فبعد مدة لمـــا ظهرت طقوس وتراتيب غير موجودة في المجامع السبعة الكبار ولا في السبعة الصغار مثل الفطير والانبثاق والمطهر وحظوى القديسين . فلما رأت الكنيسة الشرقية هـــذه الامور وحضرة قدس اخونا البابا الذي أبدع هـــذه الامور وثبتها وليس هي مدونة في

---

١) الملحق لرسالته المشار اليها : المؤلف نفسه جـ ١ ص ٢٧٤ ــ ٢٧٥

2) *Mansi, Coll., Vol. 46, Col. 110* تاريخ الطائفة الملكية ايضاً جـ١ ص٣٠٤ــ٣٠٥

ناموس ولا في قوانين الآباء ولا في المجامع السبعة فسخت الكنيسة عن الكنيسة الغربية . ومن المجمع السابع الى الان الكنيسة الشرقية ماسكة شروطها وما تسلمته من الآباء القديسين وهم باقين على طقوسهم وترتيبهم القديم . واما قولكم من ميل جدنا المرحوم البطريرك مكاريوس بان مكتوبه مخطوط فيخزانة رومية فليس انه بعث يطلب التثبيت ولكن نحن نفهم انه بعث يخبر قدس عزيزنا واخونا البابا بسبب القنصل بيكيت ويشهد لـــه عما فعله من الخير في سنة الغلا الذي صار في حلب لأنه كان قد اصرف نحو سبعين كيس دراهم على الفقرا والمساكين . ونسأل الباري تعالى ان يلهمه (اي البابا) حتى يجمع اخوته واولاده الروحانيين ويخزي الشيطان « من الفريقين » (١) .

ثم وجّه كيرلس رسالة طويلـــة في العشرين من آب سنة ١٧١٦ الى اقليمس الحادي عشر اعتبرها بعض مؤرخي الكثلكة اعترافاً صريحاً بسلطة السدة الرومانية وقبولا واضحاً لجميع تعاليمها . ونحن لا نرى فيها سوى اعتراف بتقدم رومة شرط استمساكها بقوانين المجامع المسكونية السبعة . ولعل كيرلس تطرف في الملاطفة فاخذ كلامه على معنى أوسع مما أراد . ويلاحظ هنا انه لا بد من أخذ رسالته الى رئيس الفرنسيسيين بعين الاعتبار لأنها قريبة جداً من تاريخ الرسالة الى البابا . واليك نص رسالة كيرلس الى اقليمس :

« المجد لله تعالى دائماً : كيرلس برحمة الله تعالى البطريرك الانطاكي وسائر المشرق الى جناب حضرة الاخ الاقدس كير اكليمنضوس البابا الحادي عشر مشرف كنيسة رومية القديمة العظمى حرسه الله لنا زماناً طويلا .

« الى قداسة اب الآباء وسيد السادات قابل النعمة ومعطي البركة رأس رؤساء الكهنة الأبرار خليفة بطرس الرسول والاناء المختار فريد عصره الشائع ذكره بالاقطار قدوة النساك الأطهار وكنز التعليم وقطب الأربعة الأقاليم ابراهيم في سماحته واسحق في وداعتــه ويعقوب في طاعته ويوسف في عفته والياس النبي في غيرته واشعيا في فصاحتـــه ودانيال في طهارته وسليمان في حكمته وزخريا في كهنوته ويوحنا الثاولوغوس في أقواله ويوحنا المعمدان في كرازته وفم الذهب في تفسيره وانذاره .

« اما بعد فالذي نعرضه لقدسكم هو ان وصل الينـــا مكتوبكم الشريف وقرينـــاه

---

١) عن النص الكامل الذي نشره الخوري قسطنطين الباشا في كتابه تاريخ الطائفـــة ج ١ ص ٢٩٨ – ٣٠٢ .

وحمدنا الله تعـــالى على سلامتكم وان قدسكم بكل خير . وقد بلغكم من المرسلين بأننـــا غير رافضـــين شأنكم وذكركم غير منقطع عندنا في كل صلاة وقداس الهي . ونطلب من رب البرية ان يحقق المحبـــة الروحانية بين الخاص والعام لأن بلا محبـــة ليس سلام . لأن يعلم الله غاية قصدنا المحبة لان قد بلغنا من تلاميذ قدسكم ان كل قصدكم ان تكون المحبة والسلامة مع الاخوة والاولاد الروحانيين الى كنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية . ولكن باغض الخيرات دائماً لا يكف ولا يهدا عن تبلبل الكنيسة حتى انه من جملة أفعاله اظهر اسم الكنيسة الشرقية والغربية . ولكن في المجمع الاول المسكوني بحضور سلفستروس بابا رومة وضعوا نؤمن باله واحد . والمجمع الثاني المسكوني كان بحضور دماسيوس بابا روميـــة . والمجمع الثالث المسكوني كان بحضور كاليستينوس بابا رومية والمجمع الرابع المسكوني كان بحضور لاون بابا رومية والمجمع الخامس المسكوني كان بحضور فيجيليوس بابا روميـــة والمجمع السادس كان بحضور اغاتون بابا رومية والمجمع السابع كان بحضور بطرس وبطرس وكلاء ادريانوس بابا رومية ... ولم يكن يصير مجمع مسكوني بدون خاطر بابا رومية (١) . .

« ومن ذلك الزمان الى الآن الكنيسة الشرقية تطلب دائماً وتقول كل يوم : من اجـــل الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية من الرب نطلب . وما تقول كنيسة غربية وشرقية . بل دائماً تطلب السلام للعالم جميعه حتى للذين يبغضونا والذين يظلمونا . هـــذا كله مطبوع في كتب الكهنة عندكم . ونشكر الله تعالى على ان كنيستنا على ايماننا الذي نحن ماسكينه من السبعة المجامع المسكونية ونترحم على البابا افجانيوس الذي قصد المحبة والسلام في زمان المرحوم الملك يوحنا البالالوغوس وعمل المجمع الثامن وقصد به المحبة والسلام والهدوء . ولكن باغض الخيرات حرك الفتن والروم من طبعهم العناد ما قبلوا . وبعده حركت نعمة الروح القدس البابا نقولاوس ان كل ما تعب فيه وعمله البابا افجانيوس قد خربوه الروم وركب بذاته الى مقابل القسطنطينيـــة وارسل رسله الى الملك والاكليروس فما قبلوا كلامه حتى صار فيهم الذي صار ونحن رحنا بسببهم .

« نسأل الله المسيح بكل لغة ولسان ان يعطيك الرب الاله ان تجمـــع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم سيدنا يسوع المسيح بدمه الكريم الى صيرته الحقيقية . ثم ان جدنا المرحوم البطرك مكاريوس بعد حضوره من المصكوف كان غاية قصده الحضور الى رومية ليعمل محبة وسلامة ولكن بقي يقول ان الاخوة اذا تقاتلوا ما يبقي احد عاقل يصلح بينهم . وان رحنا الى رومية يقول الروم البطرك مكاريوس صار فرنجي . وسابقاً المرحوم جيقالا رئيس اساقفة قبرس لأجل حضوره الى رومية عملوه بأنه افرنجي . ربنا يهلك كل من أبدع هـــذه البدع وفرق الاخوة عن اخوهم الاكبر لان جميع الناس يقولوا الوعا الكبير يسع الصغير . ولكن كل من قرب اليكم بالظاهر يصير عند الامم الغريبة كافر . وربما بلغكم أخبار بطرك السريان كيف طائفته الاراطقة عملوا معه من المساوي ومات في المنفى وهو بلا شك من القديسين . والاساقفة والكهنة ما خلص منهم الا

---

١) والكتابة هنا غير واضحة كما صرح بذلك الاب قسطنطين الباشا : تاريخ الطائفـــة ج ١ ص ٣١٠ هامش .

القليل . ونحن كنا دايماً نرسل مكاتيب الى تلاميذنا الذين هناك بأن يحسنوا اليهم وهم في الحبس ويخدموهم اكراماً للكنيسة الرومانية . وقنصل فرنسة بحلب لو انه يعطي خمساية قرش ما كان صار فيهم هكذا .

«ولكن نحن بقوة المصلوب لما حضر القبجي لعندنا لدمشق وجابنا وقري علينا الخط الشريف وسألنا عن أتباع البابا عندنا وتوابعهم ردينا الجواب عن الجميع . وبقوة الله منعناه وما خليناه يتحرش في راهب ولا قسيس ولا كاثوليكي وخسرنا من كيسنا مبلغ عظيم ربنا يعرف حتى دفعنا الشر عنهم خوفاً من ان تجري العادات السيئة الجارية في غير بلاد . لكن في هذا الزمان جماعتهم خسيسين . الله يرحم القنصـــل بيكيت . في زمانه صار اندراوس بطرك على السريان هو وقف بعملته وتكلف تلك السنة نحو سبعين كيس على الفقراء لانها كانت سنة غلا شديد . ولما نظروا فعل الخير الذي صنعه ارسل جدنا البطرك مكاريوس واندراوس بطرك السريان وبطرك الارمن اخبروا قدس المرحوم البابا بالخير الذي صنعه . فان كان القنصل طيب ربنا يزيده بركة من فكم الطاهر وان كان تنيح الرب يجعل حظه مع الآباء القديسين . فهكذا كان القناصل يفعلوا الخير والناس تميل اليهم وتمجد خيرهم .

« وايضاً المرحوم سلطان فرنسا لما وقع بينه وبين طائفة الانكليز وقالوا له نحن تبع الكنيسة الشرقية بعث طلب اعتقاد الكنيسة الشرقية . فكتب له جدنا البطرك مكاريوس عشرين باباً في اعتقاد الكنيسة الشرقية . وفي اثنا ذلك توفي جدنا وانتخب الحقير مكانه والمكاتيب ما كانوا بعد توجهوا فبعثوها الينا فأمضيناها وحققنا قوله .

« وان شاء الله ما تكون الكنيسة الشرقية ناكرة كنيسة رومية ولا آخذتها بأنها محدثة . وهذا مدون في كتب الكنيسة عندنا وان بابا رومية هو الأخ الأكبر . وتذكارات الباباوات في أعيادهم الممتازة موجودة في الكنيسة الشرقية .

« ولكن هذه الامور الموجودة اليوم في هذا الزمان ما كانت في القديم لانه لما ظهر معلمين النجم والرصد فهذه العشرة ايام صار فيها شقاق عظيم اذ يكون مسيحي صائم ومسيحي فاطر . وطائفة الموارنة اعرضوا لديكم بأنهم قلائل والروم ما تجوزهم والامم ما يجوزوهم فلكونكم مباركين وما تعرفون الكذب صدقتموهم . فقالوا ان قدس البابا اعطانا دستور ان نتجوز على اربعة وجوه . وايضاً العلماني اذا ماتت حرمته يتجوز غيرها ويعملوه كاهن . وبهذه الأسباب وغيرها صرنا عاراً عند الامم والاراتقة لكون يبقى نصراني صايم ونصراني فاطر ونصراني متجوز على سبعة وجوه واخر على ثلاثة وجوه . وهم كذبوا عليكم ولكونكم ناس مباركين صدقتم قولهم وسودوا عرضكم وقالوا ان البابا اعطانا دستور بذلك . ونحن ما كنا نصدق بأن ينشر عن قدسكم هذا . وكل هذا صار سبب الافتراق وتسمية كنيسة شرقية وغربية .

« ولكن نحن معتقدين ومحققين بأن كنيسة رومية (ماسكة) السبعة المجامع الكبار والمجامع الصغار ورافعين شأنها لكونها كانت ام كنائس الدنيا ومقرين ومعترفين بكنيسة واحدة ومعمودية

واحدة ونبارك ما باركوه ونحرم ما حرموه . لكن الاميين لمـــا ينظروا صدرت هكذا امور غير مصدقة وليس لكم عنها خبر لهذا السبب ينفروا من ذلك وتقع الشكوك ويتم قول الانجيل المقدس الويل لمن تأتي الشكوك على يده .

« فاذا صار من قدسكم مرسوم برفع هـــذه الامور الموجودة الآن وارتفعت يكون الروح القدس حقيقة حاضر معكم لأننا صرنا عاراً عند الامم والاراتقة . ولو كان الاراتقة اراتقة ولو صيامهم وطقسهم وزيجاتهم ما غيروها بل هي بموجب الناموس المقدس . ونحن نسأل المسيح بكل لغة ولسان بأن يعطيك الرب الاله ان تجمع الاخوة والاولاد الروحانيين الذين اشتراهم المسيح بدمه الكريم الثمين الى صيرته الحقيقية ويعطي الرب الاله لكل من يريد السلام والمحبـــة كما قال السيد « سلامي اعطيكم سلامي اخلفه لكم » . فما قال فتنة وعناد وشرور . وناس تقول عملتم كذا . وناس تقول الحق معنا وانتم ما معكم حق . وتم فينا قول الانجيل المقدس : نترك الخشبة التي في أعيننا ونقول لاخونا اخرج العودة التي في عينك .

« وعند قراءتنا الكتب المقدسة نعدل عن السماع لها كقول يوحنا الانجيلي حيث يقول انك ان كنت تحب الله ولاخيك تبغض باطل قولك اذ كيف الذي تراه تبغضه والذي لا تراه تحبه . وسيدنا له المجد قال حبوا أعداكم واحسنوا لمن يبغضكم . ونحن الآن عملنا كله بخلاف ما اوصانا تعالى به .

« ونطلب من حنو مراحمه ببركة صلواتكم ان يجعلنا من السامعين الطائعين لما يرضيه ويفرحكم باجتماع الاخوة والاولاد الروحانيين لتقولوا هؤلاء هم الاولاد الذين اعطاني اياهم الله ادخلوا الى فرح ربكم . يكون ذلك لكم بشفاعة العذراء البتول ومار بطرس الرسول وجميع القديسين آمين . جرى ذلك وحرر في اليوم العشرين من شهر آب المبارك في سنة الف وسبعمايه وستة عشر بمحروسة دمشق الشام من اخيكم بالمسيح كيرلس البطريرك الانطاكي وسائر المشرق » .

واستنزل البطريرك الانطاكي بعد هذا غضب الله على كل من يزيد او ينقص واضاف انه مرسل مع البادري بلاسيوس والخوري ساروفيم « هدية » حقيرة عكازاً صدفاً « اذا مسكتموها في القداس الالهي تذكرون حقارتنا ومرتبان صيني داخل رطل دهن البلسم صافي » (١) .

ويلاحظ هنا ان البطريرك الانطاكي يخاطب الحبر الروماني كأخ ويشير الى البطاركة باللفظ « الاخوة » وانه يؤكد استمساك الكنيسة الارثوذكسية التي رأسها بقرارات المجامع السبعة ومثابرتها على الصلاة في كل يوم من أجل الكنيسة الجامعة . ثم يلمح الى الفتن التي أثارها الشيطان في مجمع فلورنسة واثر ذلك في الروم الذين من طبعهم العناد . ويشكر لاخيه البابا سعيه للاتحاد ويشير برقة ودقة

---

١) « عن اصلها المحفوظ في سجلات مجمع انتشار الايمان بكل ضبط وتدقيق » : نخبة من سفرة البطريرك مكاريوس الحلبي للخوري قسطنطين الباشا ص ١٣٩ ــ ١٤٧ .

الى موقف جده مكاريوس من قضية الاتحاد فيحبذ الدور الذي لعبه دور الوسيط المصلح بين الحبر الروماني وسائر الأحبار . ثم يصلي « لكل » من يريد السلام والمحبة ويقدم عكازاً من الصدف هدية للبابا . فأين الاعتراف بسلطة رومة والدخول في طاعتها ولا سيما اذا قرأنا هذا كله على ضوء ما جاء في رسالة هذا البطريرك نفسه الى رئيس أساقفة الآباء الفرنسيسيين . ويلاحظ ايضاً ان الفرق كبير جداً بين نص هذه الرسالة البطريركية وبين النص الذي أعده اثناسيوس واشرنا اليه سابقاً وبين ذاك الذي أعده جراسيموس مطران صيدنايا في منتصف تموز من السنة ١٧١٦ (١) .

وفي نظرنا لا يجوز القول بدخول كيرلس في طاعة رومة لمجرد تأكيد هذا الخبر في بعض رسائل افتيميوس لان افتيميوس له مصلحة فيما يروي وبالتالي فانه لا يعتبر شاهداً عدلا . ويستدل من رسالة اقليمس الحادي عشر الى كيرلس الثالث المؤرخة في ٢١ ايار سنة ١٧١٨ ان هذا الحبر لم يكتف بما نُقل اليه من أخبار افتيميوس ورسائل كيرلس فهو يقول ما يلي ، والعهدة في ذلك على المترجم الخوري قسطنطين : « على اننا نطلب من اخوتك ان تظهر علناً للجميع بكتابات متصلة واضحة انك متحد مع هذا الكرسي الرسولي بقلب صادق « بدون مراياة » وانك تعهدت بالخضوع له وللحبر الروماني » (٢) . وقول افتيميوس ان كيرلس وقع امانة اوربانوس الثامن وختمها بيده وأرسلها يبقى قولا ضعيفاً الى ان نعثر على هذه الوثيقة في محفوظات رومة . ويجب الا ننسى انه جاء في تقرير رفعه القس جبرائيل فينان الى كاتم أسرار مجمع انتشار الايمان بتاريخ ١١ تموز سنة ١٧١٩ انه اتصل بكيرلس وقدم له هدية البابا وأقام عنده وكلمه مراراً في أمر « الايمان الروماني المقدس » فكان تارة يذعن له وطوراً « يجادله جدالا خفيفاً » وكان يشكو من « عدم تكميل الكنيسة الرومانية طلبته في طبع الكتاب الافخولوجي ورفع ضرر القرصان وعودة التابعين للكرسي الروماني الى الحساب الشرقي في تعييد الفصح » . ويخلص الاب فينان الى القول ان ما ارسله كيرلس

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٢٠ - ٣٢١ .
٢) المرجع نفسه ج ١ ص ٣٣٩ .

الى رومة جاء اما عن طمع منه في أشياء عالمية او عن خوف من مشاغبة الكاثوليكيين في ابرشيته وان البطريرك « رسم مشاقاً على كرسي باياس » نزولا عند رغبة بطريرك اوروشليم (١) .

كيرلس وافتيميوس : ولجّ افتيميوس في كثلكته فامتنع عن تأدية مال النورية الى المقر البطريركي واكتفى بتقديم « سمكة بحرية او اربعين قالباً من الجبن القبرصي » . وبعد وفاة مطران بيروت اتصل بالامير حيدر شهاب واستأذنه في ضم بيروت وتوابعها الى ابرشيته وطمع في ابرشية عكة وحض المسيحيين في حوران وشرق الاردن على الدخول في طاعته (٢) . فشكاه بطريرك اوروشليم الى السادة البطاركة واطلعهم على « مكاتيبه ومراسلاته » فأرسلوا هذه الرسائل الى كيرلس وطلبوا ردع افتيميوس وادلاء النصح اليه بألا « يقارش » افتيميوس ابرشية القدس وقالوا « نحن ماسكين خاطرك » ! فأرسل البطريرك الانطاكي هذا كله الى افتيميوس وطلب اليه ان يمتنع عن هذه الافعال فلم يقتنع . وتساهل افتيميوس في امور الزواج مفسحاً من بعض الموانع وخالف بذلك الناموس الارثوذكسي فكان عندما يمنع البطريرك الزواج الحرام يجيزه هو « ويأكل البلعة » بكاملها (٣) . وجاء لغطاس قندلفت في تاريخ البطاركة ان افتيميوس اختلس امتعة تخص البطريرك (٤) .

البطاركة يحرمون افتيميوس : (١٧١٨) وأصر افتيميوس على موقفه فالتأم مجمع في القسطنطينية في خريف السنة ١٧١٨ برئاسة ارميا الثالث بطريرك « رومة الجديدة » ونظر في قضية افتيميوس فحكم عليه بالخروج على الناموس من أبواب سبعة : تحليل الزواج في الدرجة الرابعة وشرطنة اناس من غير ابرشيته وابطال عظات يوحنا الذهبي الفم في كنيسته وتحليل أكل السمك في الصوم

١) المرجع نفسه ايضاً ج ١ ص ٣٩٨ - ٣٩٩ . راجع ايضاً رسالة الخوري اسطفان عطاالله الى البابا في المرجع نفسه ص ٣٩٦ و٣٩٧ .
٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٣٦٩ - ٣٩٢
٣) رسالة كيرلس الى قنصل فرنسة في صيدا (٩ تشرين الثاني سنة ١٧١٩) المرجع نفسه ص ٤٠٣ - ٤٠٨ .
٤) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٨٠

وابطال بعض الترتيبات الكنسية وابطال « وضع الزاون ورفعــه من الوسط » ولبس الميترا وغيرها بدون اذن . ووافق على هــذا كله بطريرك اوروشليم والبطريركان القسطنطينيان السابقان اثناسيوس وكيرلس. فحرم المجمع افتيميوس وقطعه من درجات الكهنوت واستصدر فرماناً بنفيه . ونقلت هذه القرارات كلها الى العربيــة في بطركية اوروشليم ثم ارسلت الى الكرسي الانطاكي مع اصلها اليوناني .

ولدى اطلاع كيرلس على قرارات المجمع القسطنطيني أبلغ افتيميوس محتوياتها ونصح اليه ان يسترضي الرؤساء المسؤولين بنفسه او بواسطة شخص آخر يوفده لهذه الغاية . فأبى افتيميوس وامتنع . فسكت كيرلس سبعة أشهر فأقبل الرؤساء عليه باللوم وأتهموه بالتواطىء وقالوا له : « بذلك تخرب اربع ابرشيات البطاركة » . فاضطر البطريرك الانطاكي ان يذيع قرارات المجمع القسطنطيني في سائر ابرشيات انطاكية . وينقل البطريرك كيرلس هذا كله الى قنصل فرنسة في صيدا فيخلص الى القول : « لكن يا عزيزنا اذا كان عندكم في بلادكم واحــد كاثوليكي عمل مخالفة في امور الدين وحكموا عليه بالحرم فما يتمكنوا حرمه حتى ينظروا ايش يضمر من طاعته وتوبته وندامته وفي فهمكم كفاية كل أمر » (١) .

وجاء في رسالة كتبها افتيميوس نفسه الى مجمع انتشار الايمــان في آخر كانون الثاني سنة ١٧٢٠ ان كيرلس حرض البطاركة عليه وانه استعان بالبادري توما لاظهار خضوعه امامه فقام الى دمشق وقبّل يد البطريرك «وعمل له الطاعة» فباركه البطريرك واعلن ذلك في حاصبيا وبيروت وطرابلس ونصح اليه ان يترك صيدا ويختبىء في جبل الشوف (٢) .

حرم البطاركة : « ارميا برحمة الله رئيس اساقفــة القسطنطينية رومة الجديدة البطريرك الايكومينيكوس المسكوني الى حضرة اب الآباء المتقدس ورئيس الرؤساء كيرِ كيرلس بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق والى المطارنة ورؤساء الاساقفة المحبين لله الذين هم

١) تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٤٠٦ ــ ٤٠٨

٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٠٨ ــ ٤٠٩

تحت طاعة قداستكم موجودين محبين واخوة لنا بالروح منتخبين وشركائنا في الخدمة والاسرار الالهية والى الكهنة الورعين والى اولادنا الاحباء والاراخنة المكرمين والاعيان المبجلين مع بقية النصارى الارثوذكسيين الذين هم في ابرشية انطاكية قاطنين وموجودين اولادنا المحبوبين بالرب .

« فرحاً لكم وسلامة تشمل كافتكم ورحمــة من الله الضابط الكل ومن حقارتنا نعم لكم بركة وغفراناً كاملا يشمل كافتكم آمين .

« والذي نعلم محبتكم انه من باب الواجب يكون عند كل انسان منكم حفظ امانته غير متصدع ولا متزعزع عن تقليدات آبائنا الحسني العبادة المستقيمي الرأي وتحفظوها وتصونوها حفظاً وثيقاً حكم ما شرعت بــه شريعة الرسل القديسين والآباء الالهيين المتفوهين بالهام الروح القدس التي هي شرائع الكنيسة ونواميسها وحسب ما هو مسطر في الكتب الالهية . لاجل ذلك يجب علينا ان نحفظ اعتقادنا بكل حرص واجتهاد نقيين ومن الدرن سالمــين ومن الافكار الردية هاربين والى جميع خرافات العالم راذلين . (ويجب ان نحفظ) الامانة الارثوذكسية لامعــة بكل شهادة وتثبيت لان الانسان اذا كان مائلا في اعتقاده ويتمجد بذاته ويقول كلام مخالف غير لائق الذي هو كلام بدع وتجديف في التسليم السابق فذلك من الاباطيل . والكلام غير مسموع وطازه ومخالفته فيــه وتحققه لتلاف الناس وتشويش القلب اذ يقول لا تغيروا التقليدات الابوية . والقلب المشوش ليس فيــه راحة وهو بوق ظاهر وردي جداً . ومن يكون عنده مثل هذا التشويش فن كل بد هو فعل شيطاني واحادة عن المعرفة بمساعدة وطغيان باغض الحق الذي دائماً يسعى في المضادة فرحاناً ولا يسعى للذين مطابقين رأيه . لكن دائماً يجاهد في ضد المستقيمين الرأي ويضع لهم الشكوك . وهو مبغوض ومردود ومبعود مع من يتبع افعاله الشيطانية ومطرود من كنيسة الله لان الباري في البار يكون . والذي يريد ان يطرد عنه الخيالات الشيطانية فليفتكر في ذاته ويعرف الحق من الباطل . واما الذي يكون متموج وكذوب ومماحك وكلامه غير لائق ويدين غيره يضاد الحق ويبذر افكاره الشريرة ويلومها حتى لا يسع عقل احد معنى كلامه .

« فمثل هذا تباين وظهر عندنا طغيانه وتجديفه . وتحقق عندنا ذلك من مكاتيبه ورسائله ومن اناس شهود ثقاة صادقين ومن المكاتيب الممهورات باسمه وختمه الذين ظهروا في مجمعنا هذا المقدس الذي يتخلي من الله صار رئيس كهنة الذي هو الشقي الشرير افتيميوس المطران بالاسم لا بالفعل وهو مطران صور وصيدا هــذا الكاذب الطاغي المجدف على الروح القدس الخافي الغش في قلبه وفي نفسه الذي الان ظهر كذبه وطغيانه المشوش على رعية المسيح واغنامه الناطقة والدائس لها والمضل لهــا في الكذب والافتراء . وكل ذلك قصد منه السبح الباطل والآراء المزخرفة تابعاً لهم وضلال رأيهم مقتفياً وماسكاً لتفسحه في طرايق المؤمنين .

« ولم يكفاه ذلك بل انه يسمي ذاته ارثوذكسي وينشر حاله انه في اعتقاد الكنيسة الشرقية ثابت وكل ذلك خدعــة منه لحسني العبادة وضلالا شنيعاً لسقوطهم وتهورهم في غوطة الافكار . وانشأ كتباً من ذاته . ويجتذب شهادات كما يريد وينسبهم الى الكنيسة المقدسة الشرقية الارثوذكسية .

ومن استفحصهم على ما ينبغي يفهمهم ويعرف معناهم .

« ثم بلغنا الخبر أيضاً انـه صنف بغير معرفة كتباً ضد الدائم الذكر الشيخ كير ضوستاوس البطريرك الاوروشليمي الذي كان غيوراً للدين الارثوذكسي الذي حسن عبادته وديانته وعلمه قـد انبثت في سائر المسكونة وفي كل الارض خرج صيت تقويماته وهو مشابه الرسل القديسين كما تشهد كتبه المصنفة منه بالهام الروح القدس وبكل كد وتعب في الرأي المستقيم الذي كان عالماً بهـا ومعلماً نهاراً وليلا وكارزاً فيها في جميع المسكونة .

« واما هذا الشقي الحظ يظهر (خروجه) على النواميس المقدسة ويدل بهم انهم مثبتين على الحق والاستقامة . وبالحقيقة ليسوا هم كما يظن بل هم مصنفات الى الطغيان . ولم يفهم معاينهم كما يجب بل يضل بهم اناسا كثيرين من قليلي المعرفة السذج في قلة فهمهم وغلاظة ذهنهم وافتخارهم بعلمهم . وهم لم يعرفوا شيئاً ولا يدرون الطريق المؤدية الى الخلاص لاجل انها ضيقة وليس رحبة . ولهـذا يقبلوا قول هـذا الطاغي بتفسيحه لهم بالامور التي لا تجدي نفعا . ويدخل سيرة الغنم كراعي بالخارج ومن داخل ذيب خاطف يذبح ويشتت بقدر مقدرته الباطلة . ويشتد الى الوسط طغياناً فاسداً وكذباً بهرجاً لعلمه انهم سذجاميون لا يفهمون شيئا . ويبدع بدعا ويظن انها من الكتب المقدسة . وكل ذلك من عظمته وغروره وافتخاره .

« ويقول في اثناء ذلك في امضاء مكاتيبه من الحقير متروبوليت اي من الغير مستحق ولم يفهم ان هذه القضية لم تعطى له بل هي اعطيت الى البطاركة والى رؤساء الاساقفة القائمين بذاتهم لا غير كما هي مرتبة من المعلمين الالهيين .

« ولم يكفاه ذلك بل انه لعظمة غباوته وجهله يتجاسر على غير ابرشيات ويوعظ فيهم من غير اذن ولا دستور صاحب الابرشية . وبيان ذلـك ليس هو من باب طريق الناموس ولا هو لائقاً ومرتباً بين رؤساء الكهنة ان يطأ كراسي غيرهم من غير اذنهم كما هو مشروح في القانون العشرين في (طرلو) المقدسة في المجمع الخامس والسادس المقدسين الذي يذكر فيهم بأن ليس لائق لرئيس كهنـة يتقدم في غير ابرشيته او يعلم فيها . وكل من يتجاسر على ذلك يكون مقطوعا من كهنوته .

« وايضاً في قانون التاسع عشر والتاسع والعشرين من مجمع انطاكيـة العظمى يشرع بالقول ان كل رئيس كهنة يشرطن بغير ابرشيته او يوعظ بغير اذن صاحب الابرشية او من غير مكاتبة له فتلك الشرطونية باطلة وذلك المشرطن يكون مقطوعا من سائر درجات الكهنوت .

« لاجل ذلك لما ثبت عندنا اقوال وافعال وتصريح هـذا الشقي الحظ افتيميوس وتعويجه وتجديفه على الحسني العبادة وعلى القوانين المقدسة وتحريمهم مثل ذلك من غير جزع ولا خوف ولا احتشام لكونه خالف شروط القوانين المقدسة لانه :

« اولا حلل زواج الزيجة الرابعة وزوج اختين الى اخين

« ثانياً شرطن اناسا من غير ابرشيته

« ثالثاً أبطل تفاسير يوحنا فم الذهب وقال هؤلاء كانوا رؤساء كهنة وانا رئيس كهنة مثلهم

« رابعاً حلل اكل السمك في يومي الاربعاء والجمعة وفي الصيام الكبير المقدس وبقيـة الصيامات المقدسة ويلعن الذي ما يأكل في الصيام سمك .

« خامساً أبطل تراتيب الكنيسة وزاد ونقص في قوانينها

« سادساً أبطل من القداس الهي حط الزوان الماء الحار ورفعه من الوسط

« سابعاً بتجبره وكبريائه وافتخاره بنفسه تجبراً وابتدع له ميترا ولبسها من غير ان سبق المطارنة الذين قبله ان لبسوها بهذا الكرسي ومع ذلك من غير اذن ومشورة معلمه ومن غير دستوره . وصار قائم بذاته وخالف القوانين المقدسة واموراً غيرها قبيح ان تذكر تعاويدها فلاجل ذلك حكم مجمعنا هذا المقدس بالحق انه مستحق القطع وهو مقطوع من سائر درجات الكهنوت العظيمة والملايكية .

فمن حيث انه لم يثبت مستقيماً بل تعظم في معرفته وشابه طغمـة الملائكة التي سقطت من السماء وماثلها . ومن الواجب لكل رئيس كهنة ان يكون نقي طاهر ليس بالقول فقط بل بالفعل حتى لا يشكوا منه رعاياه ولو بكلمة واحدة صغيرة ولا يفترى على الاسم القدوس بل يكون كواحد من الرسل بالقول والفعل والسيط وكل من فعل خلاف هذا الرأي ويعلم الناس بخلاف ذلك ويطغي عقول السذج فمثل هذا فليسقط من درجته . ويجب ان يطرد هذا الطاغي من بيننا ويحذف كما يحذف الحجر بالمقلاع كما معين في شريعة الرسل .

« فليعلم الآن كل واقف عليه وسامع رسالتنا هذه فليعتقد بأنه بعد فحص بليغ واستيثاق حريز بهذا المجمع المقدس بحضور البطاركة الدائمين الذكر اخوتنا كير اثناسيوس وكير كيرلس بطاركة القسطنطينية سابقـاً وبحضور اخونا الأب الأمجد كريسانثوس البطريرك الاوروشليمي وبحضور من وجد معنا من رؤساء كهنتنا المطارنة والاساقفة المحبين لله وشركائنا في الخدمة الالهية الذين سنذكر اساميهم ادناه باننا شرعنا جميعنا وحكمنا وحتمنا بأن هذا الشرير افتيميوس مطران صور وصيدا محروم مفروز مقطوع من سائر درجات الكهنوت ومعرى من سائر مواهب الروح القدس وليكن مسقوطاً وخارج من درجة المطرانية ويكون جزءاً ساقطاً ومطروداً من سائر ابرشيته . واما كتبه المصنفات من قبله فليكونوا مرذولين وبطالين وليس مع احد دستور من جميع الحسني العبادة ان يعتني بهم او يفعل بما فيهم . وكل من تعدى ذلك من المسيحيين وتبع هـذا المذكور الكاذب المشوش على كنيسة المسيح الارثوذكسية الاغنام الناطقـة الذي هو متشبه بالشيطان كائناً من كان يكون مفروزاً .

« وهذا الشقي المنكود حظه ليس له (معاضدة) في ابرشيته ولم يبق معه دستور بوضع يده على كنيسته ولا يقارش محصولها من المسيحيين وليس له سلطان ان يتزيا بزي رؤساء الكهنة ولا ان يتصرف ويخدم خدمتهم لأنه مقطـوع ومسقوط ومنتزعة عنه النعمـة وسائر درجات الكهنوت . ومن الآن يسمى افتيميوس فقط لا غير ويكون كواحـد من المطروحين . وكل

كاهن يقدس معه ويحتسبه كباقي رؤساء الكهنة بمعرفة يكون مقطوع من كهنوته مفروزاً . وكل واحد من العلمانيين يكرمه اكرام رئيس كهنة ويقبل تلك اليد النجسة المملوءة غشاً قاصداً بذلك اخذ بركة فلتكن خطاياه غير متروكة ولا مغفورة اذا كان بمعرفة منه . وكايناً من كان منكم او من غيركم يساعده ويقبله في بيته او في اوضته او في حاصله او يشاركه في مصالحه وفي افعاله او يسعى معه او يساعده كايناً من كان ذلك الشخص يكون محروم كبير كان او زغير . ومن الان كل من يتشرطن من يده يكون مقطوع . والذين يتفقون معه وهم يعلمون انهم يتفقون ضد الحق فليكونوا محرومين معه ويكون حظهم مع المعوجين كما يقول النبي داود . وكل الذين يضادون وينشقون مائلين الى طغيانه وتجديفه فليكونوا مغضوبين ومحرومين في هذا الدهر ويرثون برصاً لا يبرأ دائماً وفي حياتهم يهتزون مثل قايين ويهلكون ولا يشبعون القوت الضروري وينمحقون من مصحف الحياة . ويكون لهم وعليهم غضب الآباء المتوشحين بالله الثلاثماية وثمانية عشر وبقية المجامع المقدسة .

« واما جميع المسيحيين الارثوذكسيين الذين هم لاوامر كنيستهم سامعين وبها عاملين ومن ما يضاددها هاربين ولتقليدات الآباء القديسين ورسومهم فيها تابعين وفي كل عمـــل صالح ناجحين فليكونوا للملكوت السماء وارثين آمين آمين آمين . حرر في شهر تشرين الاول سنة ١٧١٨ انديكتون الثاني .

« برحمة الله اثناسيوس بطريرك القسطنطينية سابقاً امر بذلك . برحمـــة الله كيرلس بطريرك القسطنطينية سابقاً امر بذلك . برحمة الله جريسندوس بطريرك اوروشليم امر بذلك . في طاعة قدسكم اكليمنضوس ايراكلية ورودوستوس . في طاعة قدسكم بائيسيوس نيقوميذية . في طاعـــة قدسكم افكسنتيوس كيزيكو . جراسيموس نيقية . اثناسيوس ادرنة . ديونيسيوس اماسية . برثانيوس لاريسوس . نيكوميدس ميليتيني . ابروفتوس متليني . اثناسيوس ايلاصونوس .

« نسخ من اللغة الرومية الى العربية في دمشق على يـــد اب الآباء ورئيس الرؤساء وراعي الرعاة كير كيرلس بطريرك انطاكية وسائر المشرق » . (١) .

اثناثيوس الرابع : (١٧٢٠) وشاخ كيرلس الثالث وقرحت رجلـــه وشقت قرحتها . وحضرته الوفاة وبلغ الوصية . فدخل عليه الخوري عبد المسيح وكان ممن قالوا بالكثلكـــة وسأله اذا كان يريد ان يعترف . فأجابه البطريرك : «اي شيء عملت لا قتلت ولا زنيت ولا سرقت اقرأ افشين»(٢). وفي يوم الثلاثاء الخامس من كانون الثاني سنة ١٧٢٠ اختار له الله ما عنده ففاضت نفسه ودفن

١) عن نسخة الآباء اليسوعيين في بيروت مخطوط رقم ٥٥٠ . راجع تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤١٢ ــ ٤٢٥ .

٢) افتيميوس الى اقليمس الحادي عشر (اول آب سنة ١٧٢٠) : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٤٠ ــ ٤٤١ .

يوم عيد العماد الشريف في مدفن البطاركة في تل القديس جاورجيوس . « وكانت مدة رئاسته سبعاً واربعين سنة وستة شهور واربعة ايام » (١) .

وكان افتيميوس في دمشق آنئذ فأحاط به انصاره وارادوا ان ينادوا به بطريركاً واستعانوا بعثمان باشا ابي طوق صديق افتيميوس وارادوا ان يستولوا على البطريركية بالقوة فعارضهم في ذلك المرسلون الرومانيون في شخص كل من الاب توما دي كامبايا والاب بطرس فروماج وقالا انه محروم من البطاركة وان رائده تغيير الطقوس والعوايد وتخريب نظام الكنيسة ، وفصّلا ذلك في انه « بده يبطل الماء الحار من القداس ويلزمكم في اكل السمك ويطعم رهبانكم لحم حتى يحقر كنيستكم » ! وأيدا اثناسيوس لانه سبق له ان نصب بطريركاً . فطالب افتيميوس بخمس مئة غرش دفعها الى كيرلس لمناسبة شرطنته مطراناً على صور وصيدا فاعيدت له مئـــة ذهب بندقلي وستة عشر كتاباً كنسياً واشياء اخرى . فذهب افتيميوس الى الكنيســـة واقام اسم اثناسيوس وقال « كونوا مطمئنين القلب والخاطر » (٢) .

اما اثناسيوس فانه بعد الصلح الذي تم في السنه ١٦٩٤ استقر في حلب ودبر رعيته احسن تدبير «فمنع عنها ما لا يجوز واثبت فيها ما يجب اثباته من قطع اسباب الشر واثبات اسباب الخير » . فاحبه النصارى على اختلاف مللهم ومالوا اليه « لانه كان ذا عقل وافر وحكيم » (٣). وكان يكثر من مطالعة كتب الاباء والتواريخ فلوى عنانه واستقام على الطريقة المثلى واتصل بالقسطنطينية وسافر الى الفلاخ والبغدان مستجدياً . ولمـــا توفي كيرلس نادى جمع غفير من نصارى دمشق باثناسيوس بطريركاً وكتبوا بذلك الى اعيان الطائفـــة في حلب . وكان اثناسيوس غائباً عنها متجولا في الفلاخ فأجاب نعمـــة ابن توما الخوري الحلبي باسم اعيان حلب برسالة مسهبة ادخل نصها في كتابه « راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلفيق » . واليك اهمها :

١) النقش الاثري في دار الكتدرائية البطريركية في دمشق

٢) افتيميوس الى مجمع الايمان (آخر كانون الثاني سنة ١٧٢٠) : تاريخ الطائفـــة الملكية ج ١ ص ٤٠٩ واثناسيوس الى مجمع الايمان : المرجع نفسه ص ٤٥٩ .

٣) ديوان البدع لجرمانوس فرحات : تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ١٢٧

« ومن جهـة مكاتيبكم المرسلة على يدنا لكي نرسلها الى قدسه مع المكاتيب المخصوصته الى اسلامبول ففي حال وصولها بذلنا ما يجب علينا من الهمـة وباشرنا تحرير مكاتيب خصوصية وعمومية ووضعنا الجميع في مغلف واحد وارسلناهم ضمن مكتوب بواسطة صحبة جوقدار حضرة محصل آغا مضمونات الوصول بوجه السرعة ليد المقدسي فرج الله القاري . واكدنا عليـه في مكاتيبنا انه حال وصولهم الى يده يمسك ولاق (ساعي) على كيسنا ويرسلهم صحبتـه الى الولاة (الفلاخ) . واكدنا على قدسه ان يكون حضوره الى اسلامبول قبـل بيوم وساعة ليقضي شغله على مراده » (١) .

مجمع القسطنطينية : (١٧٢٢) وعـاد اثناسيوس من بلاد الفلاخ وبلغ دمشق في اوائل آب سنة ١٧٢٠ . وكان كيرلس قد وقف جميع متروكاته على الكرسي البطريركي فلما استتب الأمر لاثناسيوس وجد معظمهـا مندثراً فأخذ الغيظ منه كل مأخذ . وزاد غيظه بما لاحظه من نشاط رهبان الافرنج وتدخلهم في شؤون الكنيسة .

ولما كانت وسائل اثناسيوس المادية ضعيفة لا تساعده على محاربة رهبان الفرنجة بسلاحهم تذاكر في ذلك مـع البطريركية المسكونيـة . ثم سافر الى القسطنطينية بنفسه واجهد في عقد مجمع للنظر في ما يجب اتخـاذه من احتياطات بهذا الشأن . فانعقد هـذا المجمع في اواخر السنة ١٧٢٢ في القسطنطينية برئاسة ارميا البطريرك المسكوني واشتراك اثناسيوس البطريرك الانطاكي وخريسنتس البطريرك الاوروشليمي واثني عشر مطراناً . وحكم هذا المجمع على التعاليم غـير الارثوذكسية ولا سيما ما يتعلق منها بالرئاسة والعصمة والانبثاق من الابن والفطير والنار المطهرية وسعادة القديسين والمخنوق وصوم السبت ومنع الميرون والمناولة عن الاطفال . وحررت اعمال هذا المجمع باليونانية والعربية وانتشرت في لبنان وسورية وفلسطين . وقد ذكر السمعاني ذلك في الجزء الثالث من المكتبة الشرقية وبندوتي في اضافاته على التاريخ الكنسي لملاتيوس (٢) وديمتراكوبولس في تاريخه (ص ١٧٠ ـ ١٧١) (٣) . وكان بطرس الاكبر قيصر روسية يعيد النظر في نظام

١) المرجع نفسه ج ١ ص ٤٢٩ ـ ٤٣٠

2) *Vendotis, G., Prosth. Ecc. Ist. Meletion, Wien,1796, 59.*

٣) البطاركة لنطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٢٩١

الكنيسة الروسية فاستشار القسطنطينية في بعضها . فعني المجمع المنعقد فيها بهذه الامور . واهم ما اتخذه من القرارات لهذه المناسبة الاكثيسيس الارثوذكسي . فتبنى بذلك امولوغية دوسيثيوس الاوروشليمي وارسلها الى روسية فعرفت برسالة البطاركة وقد سبقت الاشارة اليها ونشرت بتمامها في الفصل السابق .

اختصار صوم الرسل : وكان كيرلس الثالث قد سعى لدى المقامات الارثوذكسية العالية في اختصار صوم الرسل فلما استولى اثناسيوس على سدة الرسولين جاءه سينذيكون يفوض امر حل هـذا الثقل اليـه . فأصدر منشوراً رعائياً جعل فيه صوم الرسل اثني عشر يوماً بعدد الاثني عشر رسولا وذلك «لكي من يصوم لا يدين من لا يصوم ومن لا يأكل لا يدين من يأكل» . وبيّن الاسباب التي أوجبت هـذا الاختصار فجعلها خمسة اولها ان من صام هذا الصيام كان يصومه بتذمر وضجر . وثانيها ان هذا الضجر كان يدفع البعض الى التجديف . وثالثها ان بعض المؤمنين كانوا يتعدون الصوم بالخفاء . ورابعها ان البعض كانوا يأكلون الزفر من غير حياء . وخامسها ان اغلب اهل القرى والبر كانوا يتركون المذهب المسيحي وينحازون الى الامم لان « فصل السنة في هذا الصوم مقفر من الخضر والفاكهة ومن المآكل الصيامية ومخصب بالحليب واللبن والجبن والبيض وان اهل البر لم يكن عندهم غير هـذه المآكل . وهكذا كان اولادهم ينفرون عنهم وينتمون الى مجاوريهم مـن الامم فلم يبق في بعض القرى من المسيحيين احداً » (١) .

الليتورجية والاوورولوغيون : وعني اثناسيوس وهو لا يزال بطريركاً سابقاً بالطقوس الدينية فطبع في السنة ١٧٠١ في مدينة بوخارست في حقلين يوناني وعربي بحبر اسود فأحمر كتاب الليتورجيات الثلاث . واعتمد في النص اليوناني ما كان قد طبع سابقاً في مدينة البندقية وتبنى للنص العربي ترجمة ملاتيوس كرمه . فظهر الكتاب في ٢٥٢ صفحـة من القطع المتوسط . وجـاء في ديباجته

١) عن كتاب عجالة راكب الطريق لمن يرضى بتقليد التلفيق لنعمة ابن توما الخوري الحلبي : تاريخ الطائفة الملكية لخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٣٦ ـ ٤٣٩ .

مـــا يلي : « كتاب القداسات الثلاثة الالهيـــة مع بعض احتياجات اخرى ضرورية للصلوات الارثوذكسية ــ قد طبع الان حديثاً في اللغـــة اليونانية والعربية بالتماس ومشارفة الاب الطوباني كيريوكير اثناسيوس البطريرك الانطاكي سابقاً ــ بمصرف السيد الامجد الرفيع الشأن متقلد حكم جميع بلاد ونكر وفلاخيا كيركير يوانو قسطنطين بسارابا ويوضا المكرم ــ في تقليد رياسة كهنوت الاب المطران الكلي الغبطة ثاوضوسيوس للبلاد المذكورة ــ في دير سيدتنا والدة الاله المكنى بسيناغوفو في سنة الف وسبعمايـــة وواحد مسيحيـــة ــــ بيد الكاهن في المتوحدين انثيموس الكرجي الاصل » . وفي السنـــة ١٧٠٢ انجزت هذه المطبعة نفسها كتاب الاورولوغيون بحرف عربي كبير بحبر اسود واحمـــر في حوالي سبع مئة صفحـــة . وجاءت طروباريات وقنداقات اعياد المشاهرة واعياد الخمسين والتريودي مطبوعة باليونانية والعربية في حقلين متقابلين .

كتاب صخرة الشك : ورأى اثناسيوس ان يزود الارثوذكسيين بمـــا يثبت ايمانهم ويمكنهم من الرد على رهبان الفرنجة واتباعهم فنقل كتاب ايليا مونياتي الى العربية واسماه صخرة الشك ونشره مطبوعاً سنة ١٧٢١ ووزعه مجاناً على ابناء الطائفة. وفي هذا الكتاب بيان بدء الانشقاق واسبابه وانفصال الكنيسة الغربية عن الشرقية والاختلافات الكلية بينهما (١) . فاستفز بعمله هذا الشماس عبدالله زاخر فرد هذا بكتاب اسماه التفنيد للمجمع العنيد وبموجز دعاه مختصر التفنيد. وقد طبعه الآباء اليسوعيون فـــيما بعد في بيروت سنة ١٨٦٥ . وقام بعده الخوري نقولا الصايغ فصنف في الدفاع عن الكثلكة كتاباً اسماه الحصن العظيم مقابل المجمع الاثيم منه نسختان في مكتبة دير المخلص .

تاريخ البطريركية الانطاكية : وصنف اثناسيوس تاريخاً لبطريركية انطاكية من زمن بطرس الرسول حتى السنة ١٧٠٢ ودونه باللغة اليونانية فترجم الى اللاتينية وطبع في فيّنة عاصمة النمسة . وشرح كتاب التعليم المسيحي وكتاب

1) *Demetracopoulos, A. K., Orthosos Ellas, 170, 171, 174.*

الحكيم والعالم وألف في سيرة القديس خريستوذولوس رئيس دير الرسول يوحنا اللاهوتي الذي كان في جزيرة بطمس (١) .

اثناسيوس وافتيميوس : واعتبر البطريرك اثناسيوس افتيميوس محروماً وأعلن ذلـــك في ابرشيات الكرسي الانطاكي . واستصدر فرماناً سلطانياً بنفي افتيميوس وحمل هـــذا الفرمان الى الولاة رسولا سلطانيـــاً . فقبض على افتيميوس وعلى ابن اخته الخوري ساروفيم طاناس واخيه او ابن عمـــه منصور الصيفي والخوري خليل خبيـــة والقس الياس فرعون والخوري فرج‌الله نصر والخوري سليمان سالم وقيدوا بالحديد واودعوا السجن في قلعـــة صيدا استعداداً لنفيهم الى ادنه . وجاء الى صيدا مطران يوناني يحمل ثلاثة اوامر سلطانية قضت بضبط الكرسي والاملاك وبتأديب من اعترف بسلطة رومة . وزار هذا المطران اليوناني افتيميوس في سجنه وفاوضه في العودة الى حضرة الكنيسة فأبى . وكان لافتيميوس صداقة تُرعى عند والي صيدا عثمان باشا ابي طوق فتوسل بها . وبدلا من ان يطوقه «ابو طوق» اطواق بره ارسل رجاله الى السجن يفاوضون السجناء في ما يدفعون فداء ارواحهم ! ولمـــا نال مراده منهم شهد بحسن حال افتيميوس واستصدر عفواً من الاستانة. ثم اطلق سبيل السجناء بعد ان قضوا في القلعة ثلاثة اشهر ونيف . وخشي افتيميوس ان تنقلب الحال عليه بعد ان عزل صديقه عثمان باشا في اواخر السنة ١٧٢٢ فاستصدر حجة شرعية من قاضي صيدا تثبت التحقيق في قضيته وصدور العفو وذلك في حوالي التاسع عشر من حزيران سنة ١٧٢٣(٢). وجال افتيميوس جولة رعائية فزار صور وصيدا وبعلبك . ثم نهض الى دمشق فاستولى عليه العياء ، وكان قد جاوز الثمانين ، فتوفي فيها في اواخر تشرين الثاني سنة ١٧٢٣ ودفن في مدفن التل . وفي السنة ١٩٢٦ عثر بعض الفعـــلة العاملين فيه المدفن على حجر تاريخ افتيميوس فنقله بعض الرهبان سراً من المدفن الى محطة

1) *Sathas, C., Neoelleniche Philologiai, 458.*

٢) عن رسائل افتيميوس وساروفيم الى مجمع الايمان : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ١ ص ٤٦٣ ــ ٤٨١ . راجع ايضاً رواية الخوري جبرائيـــل فينان (٢٥ حزيران شرقي ١٧٢٣) في المؤلف نفسه ص ٤٨٦ ــ ٤٨٧ .

القطار في دمشق. فأعلم مدير الشرطة البطريرك غريغوريوس الطيب الذكر بذلك فقال رحمه الله : «هم احق منا بذلك لان افتيميوس كان اول اسقف كاثوليكي». فنقل الحجر الى دير المخلص (١) .

اثناسيوس وحلب : وذهب اثناسيوس بعد تفرده بالبطريركية الى بلاد الفلاخ والبغدان لجمع التبرعات للكرسي الانطاكي . ثم عاد الى القسطنطينية ومنها الى حلب . واقام في هــذه المدينة مدة لانه شعر ان مناخها كان اكثر موافقة لصحته . ولعله أحب ان يكون مركزه الفعلي في اكبر وسط ارثوذكسي . ولعله ايضاً سئم الاقامة في دمشق لكثرة الشغب في اوساطها الارثوذكسية المائلة الى رومة.

وألح الحلبيون بوجوب رسامة اسقف عليهم منذ السنة ١٧٢٠ فانتهز اثناسيوس فرصة شغور الكرسي فيها واشترع ما يؤمن المحبة والسلام. فأصدر في الخامس والعشرين من تموز من هذه السنة مرسوماً بطريركياً قضى بتأليف مجلس ملي من اثني عشر عيناً من أعيان الطائفة وبتخصيص جميع ما يدخل من النذور وما يرد من تفريق الشمع وما يجمعه صندوق الفقراء وثلثي دخل القداديس والنياحات الى الكنيسة يتسلمه مجلس الملة وينفقـــه برأيه . فيؤمن باتيومية *Pateomai* وملاقاة القضاة وحكر الكنائس والانفـــاق على الفقراء والديورة والقندلفت وغير ذلك . وخصص البطريرك دخل الاكليل والخطبة ونصف مدخول الأعياد وثلث مدخول القداديس والنياحات لرئيس الكهنة بالاضافة الى مال البطرشيل . واما النورية فانها ظلت للبطريرك المتولي كائناً من كان وفي اي مكان كان (٢) .

وكان اثناسيوس قد قضى في دمشق احد عشر شهراً (١٧٢٠ ــ ١٧٢١) ثم اقام الخوري جرجس البلمندي وكيلا له فيها ومضى الى حلب فوصلها يوم عيد الرسل في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٧٢١ . ولدى وصوله طلب الشعب مطراناً عليهم ورغبوا في انتداب ثيوذوروس الحناوي الشويري . فلم يرض البطريرك لما كان قد شاع عن ثيوذوروس من ميل نحو الكثلكة . فطلبوا

١) قارن بما اورده الخوري قسطنطين الباشا في تاريخ الطائفة الملكية ج ١ ص ٤٩٧

٢) مجموعة نعمة توما الخوري ـ عجالة راكب الطريق ــ تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٤١ ــ ٤٣ .

ان يكون المطران من ابناء بلدهم فخيرهم بين ثلاثة الخوري جرجس الشدودي والخوري نقولا الصايغ والخوري جراسيموس (جرجس البلمندي) . فاختاروا جراسيموس فحضر حالا « لأنه كان متمرمراً من اهـــل الشام لأنهم بغضوا معلمه » (١) . ورسم البطريرك جراسيموس مطراناً على حلب ثاني عيد الميلاد ليلا وأصدر المرسوم التالي :

« بعد البركة والنعمة . المنهى انه لما دعت الضرورة الى اقامة مطران على مدينة حلب حيث اننا التزمنا سياسة ابرشية الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس ولان الطريقـــة الكنايسية تقضي ان يصير انتخاب المطران برضى البطريرك واختيار الكهنة وباقي الرعية ورأينا ان الرعيـــة انقسمت آراؤها في ذلك اقسام قد يتصل الى انخرام النظام وآل أمر انتخابهم الى اربعة انفار لم يستقر لمجموعهم على احد قرار . ثم تصفحنا الاثنين من الأربعة فرأيناهم لا يقبلان التقدم الى هذه الدرجة السامية الشاقة حذراً من محذورات ضروراتها الفايقة . والثالث ليس بمعلوم ان يكون كفوءاً ولا تبين أنه يرضى الالتزام بها .

« فاستخرنا الله واخترنا لهذه الدرجة العلية والوظيفة الربانية ولدنا الروحي الخوري جرجس البلمندي بما انه كفوء لها من حيث السيرة وحسن التدبير وسلامة الذمة والسريرة . ولذا حررنا هذه الوثيقة لاظهار انتخابنا المذكور ورضانا به حتى كل من اعتمد من الرعية على رأينا المرقوم يحرر خطه بيده لاثبات ما الهمنا اليه تعالى من الهداية لان الجماعة الحلبيـــة بما انهم ابناؤنا الاخصاء قد التمسوا منا ان نقيم عندهم لسياسة امورهم ولاظهار محبتنا لهم ما دمنا في قيد الحياة . وان اقتضى امر ضروري لسياسة غيرهم فنذهب لقضائه ونجازه ونعود اليهم فرأينا ان اجابة طلبهم من وجه المحبة الابوية واجب ومقبول وحري بالقبول فأجبنا التماسهم المرغوب كالمأمول . وهم قبلوا هذا العهد والقرار على هذا المنوال بناء على ان يثبت المقال بثبات الأفعال وعليه الاتكال » (٢) .

وبعد ان ارتقى جراسيموس الى الاسقفية رفض الذهاب الى دمشق بوكالة البطريرك. فقامت بينهما الضغائن. وكان من الحلبيين قسم وافر قد شرد عن الارثوذكسية فلما رأوا ما جرى بين اثناسيوس وجراسيموس وكانوا ينفرون من الاول نظراً لاجتهاده في مقاومتهم ، تحزبوا لجراسيموس ومالوه اليهم فلما رأى البطريرك ذلك ابعد جراسيموس عن حلب وحرم الشماس عبدالله زاخر فخرج جراسيموس من حلب واقام مدة في دير البلمند ثم في دير السيدة في رأس بعلبك

١) تاريخ الرهبانية الشويرية : المؤلف نفسه ج ٢ ص ٤٥

٢) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٤٣ ــ ٤٤

ثم في بعلبك نفسها . وما فتيء چراسيموس مبعداً حتى تموز السنة ١٧٢٤ . وفيه وهبه البطريرك الحل واعاده الى كرسيه .

اثناسيوس ودمشق : وصمم اثناسيوس على محاربة الكثلكة في دمشق وأصر على ذلك . فكتب في الرابـع عشر من كانون الاول سنة ١٧٢٢ الى لاونديوس متروبوليت حماه ووكيله في دمشق ان يجمع الكهنة والشامسة والوكلاء والاعيان ويكلمهم في ما جرى ويأمرهم بالتمسك بالتقاليد الارثوذكسية بدون زيادة او نقصان وبكتابة محضر بذلك يبين واقع الحال ويقنع البطريرك القسطنطيني وسائر المطارنة . وأمر لاونديوس ان يفهم الدمشقيين ان بطريركهم يتبع الكنيسة الشرقية والمجامع المقدسة السبعة وانه يؤمن بجميع ما قالوه وحددوه من القوانين والطقوس والرتب والاصوام والصلوات جميعها . فان قبلوا هذا الرأي وأعطوا خطوط ايديهم به جاز وبقي هو على ما كان عليه من الاهتمام بهم . وان لم يمتثلوا فليس على لاونديوس الا ان يعلم البطريرك بذلك ليرفع يده ويتركهم « يعملون خلاصهم » . وان طاعوا رضي عنهم . ولكنه يصر على ربط الخوري خليـل خبية والخوري عبد المسيح زبال والقس يوحنا خبية والقس نقولا سيور . وان لم يحفظ هؤلاء الرباط البطريركي وقعوا في الحرم بكلمة الرب العزيز . وكذلك من تعصب معهم وشوش فهو محروم ايضاً ! (١) .

مجمع دير المخلص : وتوفي افتيميوس الصيفي في السابع والعشرين مـن تشرين الثاني حساباً شرقياً سنة ١٧٢٣ فاجتمع كهنة الروم الكاثوليك في دير المخلص وانضم اليهم الوجوه والاعيان وتفاوضوا في امر خلف يتولى شؤون الروم الكاثوليك فطلبوا الى الخوري سيرافيم ابن اخت افتيميوس ان يخلف خاله فأبى لأن نصارى صيدا كانوا لا يزالون يفاوضون البطريرك اثناسيوس في سيامـة سيرافيم مطراناً على صيدا . فاتجهت الانظار نحو الخوري جبرائيل فينان . فقال: « ان هذا الأمر ليس في يدنا » فقالوا له : « انتم اسكتوا واقبلوا الدرجة ونحن نعمل شغلنا » . فقبل فألح المجتمعون على الامير حيدر حاكم جبل لبنان ان يوجد

١) المرجع نفسه ج ١ ص ١٢ ــ ١٣

مطارنة ثلاثة يرسمون جبرائيل . « فجاب لهم الامير ثلاثة مطارنة من تحت حكمه الواحد مطران بيروت من طقس الروم والثاني مطران الياس الموراني والثالث مطران ابرام الارمني » (١) وسام هؤلاء جبرائيل اسقفاً على بانياس ودعوه باسيليوس . واقام باسيليوس في دير المخلص يدبر شؤونه . ثم كتب في الثاني من اذار سنة ١٧٢٤ الى مجمع الايمان يوضح واقع الحال ويرجو « الحلة من الكرسي الرسولي » لان نيوفيطوس غير كاثوليكي ! (٢) .

اغناطيوس مطران صور وصيدا : (١٧٢٤) ولم يرضَ اثناسيوس البطريرك عن رسامة باسيليوس ولم يثق بسيرافيم لاندفاعه الشديد في سبيل الكثلكة وجرأته على الجهر بها . وكان لا يزال يأمل في تسويـة الامور ورد الشاردين الى الحظيرة . فاتخذ موقفاً وسطاً في رسامة خلف افتيميوس على صور وصيدا . فوافق على ترشيح الخوري اغناطيوس البيروتي . وكان هذا من تلاميذ افتيميوس وقد ناب عنه في اثناء غيابه ولكنه كان « مسكيناً لين الجانب » . فدعاه الى حلب وطلب الى نيوفيطوس متروبوليت بيروت ونيوفيطوس متروبوليت صيدنايا ان يتوليا امر رسامته وسمح لهـما بالقيام بذلك وحدهما لتعذر وجود مطران ثالث . وقال في مرسومه انـه عمل بنص القانون العشرين من الكتاب الثالث من قوانين الرسل والفصل السابع والعشرين من كتاب المراسيم الرسولية للقديس اكليمنضدوس تلميذ بطرس الرسول (٣) .

وفاة البطريرك اثناسيوس : (١٧٢٤) وكبر اثناسيوس وتجاوز الخامسة والسبعين . وكان قد اصابه استرخاء في مثانته فتوفي في الرابع والعشرين من تموز سنة ١٧٢٤ ودفن في جرن اعـده لنفسه في كنيسة حلب . وجاء للخوري ميخائيل بريك انه مات مسموماً (٤) . وجاء في تاريخ الرهبنة الشويرية انه احتفل بخدمة

١) والاول نيوفيطوس متروبوليت بيروت والثاني الياس المحاسب مطران عرقة على الموارنة والثالث ابراهيم العيتنابي مطران حلب على الارمن الكاثوليك .
٢) باسيليوس الى مجمع الايمان : تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٦ ــ ١٨
٣) مجموعة نعمة توما الخوري : تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣٨
٤) الحقائق الوضية ص ٦٢

القداس في اوائل شهر تموز وقال عند النهاية : « ان بعضاً الفوا كتاباً ضد مجمعنا (عبدالله زاخر) فليكونوا محرومين هم ومن يقرأ في كتابهم » فشعر وهو يخلع ثوبه الحبري بألم فلزم فراشه (١) .

وجاء في تاريخ البدع لجرمانوس فرحات انه لما دنت ساعة وفاة البطريرك جاءه الاب فروماج اليسوعي وفاتحه كلاماً في سر الاعتراف فأبى ان يعترف عنده وقال لقد اعترفت . واضاف جرمانوس ان البطريرك اعترف على يـد الخوري بطرس الاشقر الارثوذكسي رئيس دير مارجرجس الحميرة وانه مات ارثوذكسياً(٢) . وجاء في تاريخ الرهبنة الشويرية ان اثناسيوس بقي مصراً « على شقاقه » حتى الموت(٣) . وجاء للاب جوزف دي ريلي رئيس دير الكبوشيين في حلب انه ذهب في السابع والعشرين من تموز حساباً غربياً لعيادة السيد اثناسيوس بطريرك الروم ولم يكتم له خوفه من دنو اجله فرفض قرارات المجمع القسطنطيني وقال انه لا يعرف الا كنيسة واحدة هي كنيسة رومه وانه يموت على هذا الايمان والاعتقاد ما عدا عادات الطقس التي لا تمس الدين وانه يقبل كل المجامع المسكونيـــة ولا سيا المجمع الفلورنتيني وانه حل عبدالله زاخر قبل وفاته (٤) . وجاء اخيراً للمؤرخ المجهول صاحب « تاريخ نشأة الطائفة المعروفة بالروم الكاثوليك » الذي دون في حوالي السنــة ١٨٢٠ ما يلي : « ويزعم الكاثوليكيون ان اثناسيوس توفي على مذهبهم وهو قول شائع بينهم وبين احزابهم لما علم من عادة هؤلاء القوم من انه اذا توفي واحد منهم او منا وكان من المعروفين بالتقي والصلاح قالوا انه مات على رأيهم ولو كان ذلك زوراً وافتراء ولا اثم عندهم في ذاك ولا حرج ! » (٥) .

ونحن نرى ان شهادة المطران جرمانوس فرحات اولى بثقتنا . فهو مطران الموارنة الموالين لرومة وهو صديق اثناسيوس وجليسه ولا مصلحة له في ما يروي

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا جـ ٢ ص ٤٨

٢) المرجع نفسه ص ٤٩ — ٥٠

٣) تاريخ الطائفة الملكية ايضاً جـ ٢ ص ٥٠

4) *Barenton, H., La France Catholique en Orient, 179.*

٥) الحقائق الوضية ص ١٠٤

ومؤرخ الرهبانية الشويرية لا يناقضه في ذلك . ولا يجوز اتخاذ موقف وسط في هذه القضية . فما يصح في علم الرياضيات يصح هنا .

البطريرك كيرلس طاناس الكاثوليكي : (١٧٢٤) وبعد وفاة اثناسيوس الرابع تشدد المنفصلون وانتهزوا الفرصة لتقويـــة مركزهم في الكرسي وتعزيز جانبهم برئاسة سيرافيم طاناس ابن اخت افتيميوس الصيفي . وولد سيرافيم في دمشق في نحو السنة ١٦٨٠ وتربى على يد خاله افتيموس . وامّ رومة في السنة ١٧٠٢ لتلقي العلوم فيها . ثم عاد الى صيدا مركز ابرشية خاله في السنة ١٧١٠ . فرسمه خاله كاهناً فعمل بارشاده وتنقل واعظاً داعياً لرومة في ابرشيات الكرسي الانطاكي . وانتدبه فريق من اهل عكة مطراناً لهم فعارضه في ذلك البطريرك الاوروشليمي ولم تتم رسامته . ثم انتدبه اهل ابرشية صور وصيدا ليخلف خاله عليهم . فذهب الى حلب حاملا صكوك انتدابه طالباً رسامته من يد البطريرك اثناسيوس . فأبى هذا ان يرسمه لما اشتهر به من خضوع لرومة وجهر بوجوب الاتحاد معها . ولما توفي اثناسيوس قر قرار المنفصلين في دمشق وعددهم ثلاث مئة وثمانيـــة وعشرون ، على انتداب سيرافيم للكرسي البطريركي وكتبوا بذلك صكاً ووقعوه ورفعوه الى السلطات الزمنية في دمشق . فقالوا :

« المعروض بعد الدعا المفروض بين يدي حضرة اولياء النعم ارباب السيف والقلم جناب الدولة العلية والسدة السنية ادام الله تعالى ملكها على التاييد وامدهـــا بالنصر والتاييد من عبيدهم ومماليكهم النصارى الذميين القاطنين بمحروسة دمشق الشام من طائفـــة الروم الداعيين لهذه الدولة العلية بالبقاء على الدوام المسطرة اسمايهم ادناه بانهم قد قبلوا ورضيوا واختاروا بان يكون عليهم المعلم كيرلس بطريركاً ومتكلمـــاً مطاعاً ليسوسهم بالقوانين المألوفة ويراعي احوالهم بالسياسة المعروفة على النمط السابق من البطاركة السابقين قبله بالاسلوب المعهود بينهم . فانه لذلك اهل ومستحق للرياسة عليهم وللبطريركية مستوجب لديهم . ويرجون من مراحم الدولة العلية واحساناتها المرضية تقرير هـــذا المعلم في بطريركية انطاكية في دمشق الشام واستجلاب الدعا من الخاص والعام . شيد الله اركان هـــذه الدولة العلية على مر الليالي والايام الى يوم البعث وساعة القيام والدعا باقي » (١) .

وقدموا هذه العريضة الى الباشا وكلفوه استصدار براءة سلطانية بذلك

١) محفوظات مجمع انتشار الايمان على ذمة الخوري قسطنطين الباشا : تاريخ الطائفة الملكية جـ ٢ ص ٧٤ — ٨١ .

ودفعوا له ما توجب دفعه . ثم فاوضوا اساقفة كنيسة انطاكية في أمر الرسامة . فامتنع الاساقفة . ولم يتوجه منهم احــد الى دمشق سوى نيوفيطوس اسقف صدنايا . فاستقدم الدمشقيون باسيليوس فينان من دير المخلص . ولدى وصوله رسم بالاشتراك مــع نيوفيطوس الخوري افتيميوس فاضل اسقفاً على الفرزل ليكون للبطريرك اساقفة ثلاثة يقومون بتنصيبه . ولا يخفى ما في هــذا العمل من الخروج على التقاليد المقدسة . فاسقفية باسيليوس كانت في اساسها غير قانونية لتدخل الامير حيدر فيها وضغطه على نيوفيطوس متروبوليت بيروت واحضاره جبراً ولاشتراك اسقف ماروني واسقف ارمني في الرسامة. ومن ظواهر الخروج على التقاليد اقدام نيوفيطوس صيدنايا وباسيليوس دير المخلص على سيامة اسقف ثالث وانفرادهما بذلك . ولا يجوز اعتبار سيامة اغناطيوس على صور وصيدا سابقة لمثل هذا الشذوذ لان البطريرك اثناسيوس وافق على رسامة هذا بالاشتراك مع نيوفيطوس ونيوفيطوس. واين البطريرك الذي وافق على سيامة افتيميوس على الفرزل !

وسيم افتيميوس في الرابع عشر من ايلول اسقفاً على الفرزل. وفي العشرين من الشهر نفسه رسم الاساقفــة الثلاثة الخوري سيرافيم اسقفاً باسم كيرلس ثم نصبوه بطريركاً . ولم تأبه رومة لهذا الشذوذ وهذا الخروج على التقاليد الرسولية المقدسة فأصدر حبرها بندكتوس الثالث عشر براءة رسولية في الخامس عشر من اذار سنة ١٧٢٩ ثبت بها كيرلس طاناس بطريركاً على انطاكية وارسل له الباليوم (الاموفوري) « بعد وضعه على ذخائر القديس بطرس رمزاً الى استمداد السلطة منه » (١) .

ووضع كيرلس طاناس يده على المركز البطريركي في دمشق واستوى على عرش الكاتدرائية « ورفع آيات الشكر لله بذلك . وسمع حينئذ لاول مرة : أؤمن ان الحبر الاعظم الروماني هو نائب السيد المسيح ورأس الكنيسة كلها وأؤمن ان الروح القدس منبثق من الآب والابن » (٢) . وجاء في الحقائق الوضية ص ٦٤

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٢٩ ـ ١٣٠ و ٢١٧ ـ ٢١٨

2) « Un Père Capucin de Damas, » Damas, 30 Oct. 1724, Rabbath. A., Documents, I, 566 - 569.

« وحينئذ اعلنوا الاشياء الخمسة ودخل الافرنج الى الكنيسة وذلت طائفة الروم فتعاظم الخطب واشتدت الفتنة وتكاثرت المظالم والمغارم ودخل جماعة من حاشية الحاكم من المسلمين بقصب الدخان الى داخــل الهيكل والبطرك في التقديس وتكلموا معه » . ورسم كيرلس الخوري مطوديوس الحلبي اسقفاً على القلايــة وقلده امر تدبير ابرشية دمشق لمعاونته في امرها (١) .

سلفسترس الاول : (١٧٢٤ ـ ١٧٦٦) وكان اثناسيوس قبل وفاته قد اشار الى المسيحيين في حلب وغيرها ان ينتدبوا خليفة له كاهناً يدعى سلفسترس قبرصي الاصل خدم عنده اولا كشماس ورافقه في كثير من اسفاره الى بلاد الفلاخ والبغدان وغيرها ثم تركــه وانخرط في اكليروس الكنيسة القسطنطينية . وكان سلفسترس وقتئذ مقيماً في الجبل المقدس آثوس متنسكاً متزهداً (٢).

وراسل كيرلس طاناس المسيحيين الثابتين على الايمــان القويم ليجتذبهم اليه . وحرر ايضاً الى اساقفة الكرسي الانطاكي وأعلن لهم انه قد انتصب عليهم بطريركاً . وطلب اليهم ان يعرفوه ويخضعوا له ويذكروا اسمه وتوعد من يخالفه بالخلع فلم يجبه المطارنة . وكانوا قبل ان تصل اليهم رسائله حرروا مع الشعب الى المجمع القسطنطيني الذي كان يرئسه البطريرك بائيسيوس واخبروه عن وفــاة البطريرك اثناسيوس وعن اعمال كيرلس طاناس وعن كيفية شرطونيته ودخوله بالقوة الجبرية الى قلاية دمشق واقامته فيها . وطلبوا الى المجمع المساعدة الاخوية بما كان لهمن نفوذ ادبي لدى الحكومة العثمانية واعلنوا لهم انهم انتدبوا سلفسترس بطريركاً ويرغبون في ان يصير استدعاؤه من جبل آثوس وترقيتــه الى الاسقفية ليتبوأ السدة الانطاكية الرسولية . ورمى المسيحيون الانطاكيون بعملهم هذا الى الحصول على شخص يجمع بين الخبرة والنفوذ الادبي ويأتي كنيسة انطاكيــة مصحوباً ببراءة سلطانية وتواص تساعده على كبح جماح المخالفين وعلى المحاماة عن الايمان الارثوذكسي فيتمكن من ان يقوي الارثوذكسية ويزيل الخصام بــين مسيحيي انطاكية ويعمل على توحيد قلوبهم (٣) .

١) تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ١٢٠ ـ ١٢١

2) Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 185.

٣) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٣٠٢ ـ ٣٠٣

فلما وصلت هذه الكتابات الى المجمع القسطنطيني حرر الى جبل آثوس واستدعى سلفسترس ورقاه الى درجة الاسقفية في السابع والعشرين من ايلول سنة ١٧٢٤ واخرج له براءة سلطانيـــة وأوامر سنية بنفي كيرلس طاناس . وعزل ابو طوق والي دمشق الذي تعهد باستصدار البراءة السلطانية لكيرلس وشاع خبر سلفسترس وبراءتـــه والاوامر التي بيده ففر كيرلس حاملاً الملابس والتيجان والصلبان والكؤوس والصواني وسائر الاواني المقدسة التي كان مكاريوس قـــد احضرها من روسية والتجأ الى جبل لبنان واقام في دير المخلص (١) .

وكان كير سلفسترس رجلا فاضلا اقام مدة طويلة في مناسك جبل آثوس ونظراً لابتعاده عن العالم كان ساذجاً خفيف العنان سهل الانقياد. ولكنه كان في الوقت نفسه شديد التمسك بالرسوم الشريفة . لا يتزعزع ولا يحيد عنها (٢) .

ولدى وصول سلفسترس الى حلب بلغه ما فعله سيرافيم فأسرع الى دمشق واقام فيها شهرين . ورحب به اهلها وبينهم انصار كيرلس طاناس . ثم خرج للتطواف وبعد سنة ونصف سنة اتجه شطر حلب. ولما وصل الى خان طومان خرج اعيانها الارثوذكسيون لاستقباله واعدوا له هناك مائدة نفيسة من السمك مع انه كان يوم اربعاء وذلك بناء على الاجازة التي كانوا قد اخذوها من البطريرك السابق اثناسيوس . فلما نظر سلفسترس السمك رفس المائدة برجله وحرم الحلبيين وترك الاعيان وذهب تواً الى قلاية حلب . وحاول الحلبيون استرضاء البطريرك ولكنه لم يصفح بل انتصب نهار الاحد التالي في الكنيسة وحرم كل من يجسر في المستقبل ان يتناول سمكاً في يومي الاربعاء والجمعة . ولم يقتصر على هذا الحد بل حقر وجهاء حلب وشكا المتشيعين منهم الى البابابويـــة الى الوالي فاودعوا السجن ولم يطلق سبيلهم الا بعد خسائر جمة. فغضب هؤلاء وحقدوا وسعوا لحبس البطريرك. وعلم سلفسترس ذلك من قنصل الانكليز ففر خفية الى اللاذقية ومنها توجه بحراً الى القسطنطينية (٣) .

١) الحقائق الوضية ص ٦٤

2) *Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 185; Kyriakos D. Ecc. Istoria, (Athens, 1883) 327.*

3) *Hypsilantis, Athanasios Comnenos, Ecclesiasticon cai Politicon, 326.*

وشكا الحلبيون امرهم الى المجمـــع القسطنطيني وادعوا ان سلفسترس يضرب الكهنة ويسلم الاعيان الى الحكام ويعرض اموال الشعب للمصادرة والمغارم ويهدد بالنفي والقتل » ويتهمهم بأنهم على مذهب الافرنج » وانهم طردوه ولم يعد بامكانهم قبوله . ووصل سلفسترس نفسه الى القسطنطينية فشكا الحلبيين بدوره . فنصح المجمع باللين والرقة والاقناع والمحبة وبعث اسقفاً يدعى غريغوريوس وكيلا عن البطريرك سلفسترس وامره باقامة اسم سلفسترس. فرحب به الحلبيون وعادوا الى الكنيسة صباحاً مساء «ولم يظهروا آراءهم » (١) .

واصدر المجمع القسطنطيني في السنـــة ١٧٢٥ وبالاتفاق مع البطريرك سلفسترس منشوراً رعائياً موجهاً الى المسيحيين من ابناء كنيستي انطاكية واورشليم يحضهم على الابتعاد عن التعاليم المحدثة الغريبـــة التي لا تنطبق على تعاليم المجامع المسكونية والآباء القديسين ويرشق المخالفين بالحرم (٢) .

ومكث غريغوريوس في حلب سنتين . ثم سئم الاقامة بها لأنها ليست من ابرشيته فاستأذن الحلبيين وودعهم وانقلب راجعاً الى القسطنطينية . فكتب الحلبيون الى المجمع القسطنطيني بذلك وطلبوا العفو عـــن جراسيموس اسقفهم الشرعي واعادته اليهم . فأجابهم المجمع الى ذلك واخرج جراسيموس من المنفى بعد ان لبث فيـــه خمس سنوات ونصف السنة وأوصاه ان يحسن سلوكه فيهم وان يقيم اسم البطريرك سلفسترس . فقبل الوصية وأظهر الطاعة . ولما وصل الى حلب احسن الحلبيون استقباله واكرموه ولبث بينهم يتظاهر بما أوصاه به المجمع القسطنطيني ، وكان يذكر في قداسه اسم البطريرك سلفسترس . وكان الحلبيون يؤمون الكنيسة بشطريهم وكل منهم على رأيه . بيد ان رهبان الافرنج ما فتئوا يزينون لهم أمر الطاعة والخضوع لرومة ويشحذون عزائمهم على فعله بل يدفعونهم

١) نشأة الروم الكاثوليك لمجهول : وهو ملحق بكتاب الحقائق الوضية ص ١٠٨ . ولعل المؤرخ المجهول هو ميخائيل الصباغ معاصر البطريرك سيرافيم : غطاس قندلفت مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٣٧٧ .

٢) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٣٧٧

Rabbath, A., Documents, II, 415 - 420.

اليه ويسوقونهم سوقاً . وكان جراسيموس يسكت عن هذه الاعمال لأنه كان يبطن الكثلكة وان تظاهر بخلافها خوفاً من الرجوع الى المنفى (١) .

سلفسترس في بـــلاد المسيحيين : واجتهد سلفسترس لدى وصوله الى القسطنطينية في رد الحلبيين الى الطاعة بالقوة وانفق في هذا السبيل مبالغ وافرة . ولما لم يتسن له الفوز بمرغوبه عاد الى الكرسي ماراً في بلاد ارضروم وما يليها جامعاً بعض الحسنات . ثم وصل الى دمشق في السنة ١٧٣١ وأقام مدة بين المسيحيين والسلام سائد . ثم أثار رهبان الأفرنج النزاع بين الفريقين فتثاقلت الديون على الطرفين وساءت الاحوال . ولما رأى ان لا سبيل لازالة الشرور خرج من دمشق في جولة رعائية ثم عاد اليها واقام علمانياً ميخائيل تورما من ذوي الدراية والنفوذ والمداخلات وكيلا عنه وتوجه الى القسطنطينية . وبعـــد مذاكرة البطريرك القسطنطيني ومجمعه خرج منها الى بلاد الفلاخ والبغدان لأجل جمع الاحسان ووفاء الديون . وقيل ان هـــذه الغيبة استغرقت نحـــو عشر سنوات . وفي اثنائها عمر سلفسترس ديراً في بلاد البغدان على اسم القديس اسبيريدون العجائبي ووقفه على الكرسي الانطاكي .

وطبع سلفسترس في السنة ١٧٤٧ في اللغـــة العربية في بخارست مجموعة تحوي النصوص التي نُظمت في المجمعين المنعقدين في القسطنطينية بشأن ظهور الكثلكة بين صفوف المسيحيين الانطاكيين احدهما في اواخر السنة ١٧٢٣ برئاسة البطريرك ارميا والاخر في السنة ١٧٢٧ برئاسة البطريرك باثيسيوس . وحوت هذه المجموعة ايضاً خمس مقالات بالعربية فيها الردود الارثوذكسية على القضايا الخمس المستحدثة عند اللاتينيين . وجاء بعد هذه دستور « كنيسة المسيح المقدسة الشرقية » (٢) فاذا به يتضمن سبعة عشر رأساً اي فصلا واليك خلاصتها :

الرأس الاول : على كل مسيحي ان يقر ويعترف بالقلب واللسان بالامانة المقدسة المرتبة بالهام الروح القدس من المجامع الالهية كما تعترف به كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية الشرقية هكذا : اؤمن باله واحد آب ضابط الكل خالق السماوات والارض الخ . . .

١) نشأة الروم الكاثوليك ص ١٠٩ وتاريخ الطائفـــة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ١٥٢ ـــ ١٥٤ و٣١٦ .

٢) تاريخ البطاركة الانطاكيين لغطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٣٨٧

الرأس الثاني : وبسبعة مجامع مسكونية فقط لا غير مجمع نيقية ومجمع القسطنطينية ومجمع افسس ومجمع خلكيدونية ومجمعي القسطنطينية الخامس والسادس ومجمع نيقية السابع المسكوني وساير المجامع الصغيرة ايضاً .

الرأس الثالث : وبجميع التقليد المسلم من الرسل القديسين وخلفائهم الآباء الالهيين المكتوب وغير المكتوب كما تحفظه الكنيسة من غير زيادة او نقصان .

الرأس الرابع : وبأسرار سبعة : سر المعمودية وسر الميرون وسر القداس الالهي وسر الكهنوت وسر الاكليل الناموسي وسر التوبة اي الاعتراف وسر الزيت المقدس .

الرأس الخامس : وبأن الروح القدس منبثق من الآب وحده وليس من الابن . والزيادة التي احدثها اللاتينيون غير مقبولة من المجامع المقدسة . وهي سبب الانشقاق والانفصال .

الرأس السادس : وبسر القداس الالهي وبأن الاستحالة تتم بعد القول : واصنع هذا الخبز جسد مسيحك المكرم واما هذا الكاس دم مسيحك المكرم لينتقلان بروحك القدوس ويستحيلان .

الرأس السابع : نبذ العقاب الذي أحدثه اللاتينيون الذي يسمونه مطهراً . والرأي عندنا في الذين قد توفوا انهم ينتظرون القيامة في اماكن عديمة التعزية مخيفة محزنة . اما أنفس الصديقين فانها في اماكن نيرة براحة وطمأنينة تنتظر السعادة المغبوطة .

الرأس الثامن : بأن القديسين لم ينالوا بعد السعادة التامة وبأنهم ينتظرون حضور سيدنا يسوع المسيح لينالوا السعادة الكاملة بأجسادهم معنا .

الرأس التاسع : بأن النور الذي اشرق على جبل طابور في تجلي المسيح ليس هو مخلوق ولا هو جوهر الله مطلقاً ولكنه مجد التجسد الالهي .

الرأس العاشر : بأن المواهب المختصة بالآب والابن والروح القدس ليست مخلوقة ولكنها مختصة به منذ البداية .

الرأس الحادي عشر : بأن رأس الكنيسة الجامعة الرسولية هو سيدنا يسوع المسيح . اما بابا رومة فانه تابع خاضع لاوامر المجامع .

الرأس الثاني عشر : نقر ايضاً بالكتب الالهية المسلمة الينـــا من الآباء القديسين ونقبل تفاسيرهم لا تفاسير رومة المحرفة المعوجة .

الرأس الثالث عشر : ونعترف بالغفرانات التي يمنحها البطاركة بتدقيق وتمييز لا كما تمنحها كنيسة الغربيين .

الرأس الرابع عشر : ونعتقد ان الرسل القديسين حرموا علينا ذبيحة الاصنام كلها والدم المخنوق . وامرهم هذا مطاع وثابت .

الرأس الخامس عشر : ونقول ان سر الزواج الناموسي لا ينفك عملا بقول الانجيـــل ما ازوجه الله لا يفرقه انسان . اما اذا استبان على الامرأة امر زنى فلرجلها ان ينفصل عنها ويتزوج من غيرها .

الرأس السادس عشر : نحفظ القوانين والتعاليم الرسولية ونثبتها ونؤيدها .

الرأس السابع عشر : هذه هي امانة المسيحيين الارثوذكسيين الصحيحة وهي دين شرعي على كل المسيحيين ابناء جنسنا . ومن يعود راجعاً ويطلب الاتحاد بالكنيسة المقدسة عليه ان يقر ويعترف بجميع هذا الدستور . تحريراً في السنة ١٧٢٧ .

منع الاشتراك في القدسيات : (١٧٢٩) وفي السنــة ١٧٢٩ اعلن مجمع نشر الايمان « ان الاشتراك في الالهيات مع المشاقين والهراطقــة ومخالطتهم في طقوسهم غير جائز » . وأكد هذا المجمع ان عمله هذا مبني على النظر والخبرة وان المخالطة محرمة بموجب الناموس الطبيعي والالهي (١) .

كيرلس ودمشق : واما كيرلس طاناس فانــه بعد ان خرج من دمشق والتجأ الى لبنان اقام في دير المخلص واجهد كثيراً في الضغط على الارثوذكسيين في ابرشيات الساحل وتحريضهم على نبذ الطاعة لرؤسائهم القانونيين . وفي اثناء غيبة سلفسترس التي طالت كثيراً اتفق مـع بعض اهالي حلب ورهبان الافرنج وعمل على تأليف عرائض من بعض الاهالي وارسال كتابات من قناصل فرنسة والنمسة في حلب وصيدا الى سفرائهم في الاستانة لاجل مساعدته في الحصول على براءة سلطانية . وانفق مبالغ وافرة في اعداد عرائض اخرى يشكو الدمشقيون فيها من اطالة غيبــة بطريركهم ويبينون احتياجهم الى بطريرك يدبر امورهم الدينية ويشهرون في الوقت نفسه رضاهم عن كيرلس طاناس ويطلبونه بطريركاً عليهم . وسعى سفير فرنسة ووكيل البابا في الاستانــة وقدما اربعة آلاف ريال روماني للدفتردار واستصدرا البراءة المنشودة في السنة ١٧٤٥ وارسلاها الى قنصل فرنسة في صيدا . واستلمها كيرلس وأوفد نائباً عنه الى دمشق فاطلع واليها على الأوامر السنية وتمكن من وضع يده على الكنيسة ومن سجن ميخائيل توما وبعض الأعيان . ثم قام كيرلس نفسه الى دمشق وسجل براءته في محكمتها الشرعية واستولى على الكرسي (٢) . وأفاد ديمتري شحاده نقلا عن جدته ابنة الخوري ميخائيل بريك انه

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا ج ٢ ص ٢٥٥ – ٢٥٩

٢) مجمع رهبان دير المخلص الى البابا بنديكتوس الرابع عشر (٢٥ حزيران ١٧٤٦): تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣١١ – ٣١٣ .

لدى عودة كيرلس الى دمشق اشتد الاضطراب فكان كلما تلي دستور الايمان بزيادة « والابن » تظهر العكاكيز ويبدأ الضرب (١) . وحرر كيرلس الى المطارنة يعلن وصول البراءة ويطلب الخضوع . فنبذ الاساقفة أمره وحرروا الى البطريرك المسكوني بائيسيوس بما كان من امر كيرلس طاناس والتمسوا ان يحرر بسرعة الى سلفسترس ويستعجله بالرجوع الى الكرسي . فأسرع بطريرك القسطنطينية واستعجل سلفسترس وقدم عريضة بالاتفاق مع برثينيوس البطريرك الاوروشليمي وثلاثة عشر مطراناً الى الحضرة السلطانية بينوا فيها مساوىء كيرلس طاناس الذي ادعى انه بطريرك ارثوذكسي وهو على مذهب الافرنج وشهدوا ان البطريرك القانوني حي يرزق وبيده براءة سلطانية .

كيرلس يعود الى دير المخلص : ولمــا تحققت الحكومة العثمانية مقاصد كيرلس طاناس وسفيري فرنسة والبابا اصدرت لسلفسترس براءة ثانية وفرماناً يأمر بالقبض على كيرلس طاناس ونفيه . فأرسل سلفسترس مأموراً من قبل الباب العالي يعلن للحكومة في دمشق وللمسيحيين ما كان من صدور الاوامر بالغــاء بطريركية كيرلس وتسليم الكنيسة الكتدرائية والبطركخانة للاورثوذكسيين . ثم عين نيقوفوروس متروبوليت باياس وكيلاً عنه مفوضاً بكل الاجراءات القانونية . وارسل معه الفرمان والاوراق التي تتضمن الاوامر المشار اليها . فحضر هذا الوكيل الى دمشق بعد سنة من صدور هذه الاوامر وقابل اسعد باشا والي دمشق فاستقبله على غاية ما يرام وساعده باجراء كل ما من شأنه تعزيز جانبه .

وعلم كيرلس بعزله قبل وصول المأمور وقبل حضور نيقيفوروس فعاد الى دير المخلص . اما اتباعه في دمشق فان بعضهم عادوا الى الارثوذكسية وبعضهم ترددوا الى الكنيسة الارثوذكسية مدة من الزمن ثم تركوها وصاروا يقيمون الصلاة في دير الافرنج . وكان قد قدم الى بيروت رجل من بني الدلال من يافة . وكان يتظاهر بالاورثوذكسية ويبطن الكثلكة . فجعل يبث آراء الغربيين في اكل السمك

١) منار ١٨٩٩ ص ٣٨٨

وتقصير الصوم فمال قوم الى كلامه وعملوا بـــه . وكان من جملة هؤلاء جرجس الدهان وذووه . فاستغل جرجس عطف الامراء الشهابيين عليـــه استولى من الجانب الشمالي من الكنيسة الكاتدرائية هيكلاً على اسم النبي الياس واقام له قسيساً اسمه ثيودوسيوس دهان ليخدم التابعين له . ثم حضر كيرلس طاناس الى بيروت ودفع مبلغاً من المال الى الامير ملحم الشهابي حاكم بيروت آنئذٍ واستولى على كنيسة مار الياس كلها . واحضر اسقفين من الجبل وشرطن ثيودوسيوس مطراناً على بيروت بحياة مطرانها القانوني نيوفيطوس . واكره نيوفيطوس على النزول الى الكنيسة ولبس البطرشيل والاموفوري في اثناء سيامة ثيودوسيوس . على ان هذا الاستبداد لم تطل مدته اكثر من اسبوع واحد . فانه على اثر بلوغ الخبر بقرب وصول سلفسترس مصحوباً بالاوامر السلطانيةوبني كيرلس اسرع هذا والاسقف الجديد الذي تشرطن منه وهربا الى الجبل . فاسترجع الارثوذكسيون كنيستهم ثم كتبوا الى البطريرك سلفسترس بما جرى وبعجز نيوفيطوس لتقدمه في السن وفقد بصره ورغبته في التنزل عن المطرانية وطلبوا شرطنة اسقف بدلا منـــه . وكان سلفسترس قد خرج من القسطنطينية وجاء ارضروم . فأخذ عريضتهم وهو في هذه الأبرشية وشرطن لهم شماسة يوانيكيوس القبرصي وأرسله حالا . وبوصوله استلم الكرسي بكل هدوء بعد ان تنزل له نيوفيطوس(١). وجاء للخوري قسطنطين الباشا ان نيوفيطوس تفرغ عن كرسيه وأبرشيته على يد كيرلس طاناس لثيودوسيوس دهان ولكنه لم يذكر مراجعه (٢) .

سلفسترس في دمشق : (١٧٥٤ ـ ١٧٦٦) وقضى سلفسترس في دمشق اثنتي عشرة سنة انقطعت في غضونها القلاقل بينه وبين الباباويين لأنه لاحظ ان المناحرة تكبد الطرفين خسائر مادية جسيمة . ولم يكن هو من الاشخاص الذين يجتذبون الرعايا بالوسائل الأدبية كالارشاد والوعظ والتعليم وبالمحبـــة المسيحية الحقيقية التي تلاشي البغض والحقد وترفع الكنيسة الى المستوى اللائق بها . وكان

١) نشأة الروم الكاثوليك : الحقائق الوضية ص ١١٠ ـ ١١٢
٢) تاريخ الطائفة الملكية ج ٢ ص ٣١٨

للذين انحازوا الى الكثلكة في هـــذه الآونة قسوس يخدمونهم في البيوت او في كنائس اللاتين او غيرهم من الطوائف الكاثوليكية . اما اكاليهم ومعمودياتهم وجنازاتهم في المـــدن والأوساط الأرثوذكسية فان الكهنة الارثوذكسيين كانوا يكملونها . وكانت تدفع المعينات عنها الى المراجع الارثوذكسية .

وفي اواخر ايامه عمـــل سلفسترس الميرون المقدس في كنيسة القديس نقولاوس في دمشق مع اثنين من رؤساء الكهنة وسبعة عشر كاهناً وعشرة شمامسة وفي الثالث عشر من اذار سنة ١٧٦٦ انتقل الى رحمة ربه ودفن في مقبرة البطاركة في تل القديس جاورجيوس (١) .

* * *

١) الحقائق الوضية ص ٦٥ ـ ٦٧ و١١٢ و١١٨ . تاريخ البطاركة الانطاكيين لنطاس قندلفت : منار ١٨٩٩ ص ٤١٢ ـ ٤١٣ .

الفصل الخمسون

وصول البروتستانت إلى الشرق واتباع الجبهة

ابرشية حلب : (١٧٢٩ — ١٧٦٦) وعاد جراسيموس من المنفى في نحو السنة ١٧٢٩ . وكان يبطن الكثلكة فيجتذب اليها من استطاع سرأ ويرفع اسم سلفسترس علناً ويقدم له « النورية والعوايد » . ثم علم الكاثوليكيون ان رجلا حلبياً مسيحياً يقال له المنصوري دخل في دين الاسلام في الآستانة واصبح طبيباً لدى الباب الهمايوني . وعلموا ان المنصوري هو اخو الراهب ميخائيل الحكيم البلمندي . فاستقدموا ميخائيل اليهم واكرهوا جراسيموس متروبوليت حلب وصديقه اغناطيوس متروبوليت حمص على سيامة ميخائيل اسقفاً على حلب . وكان اغناطيوس ممن يبطن الكثلكة ايضاً . فسام هذان الاسقفان ميخائيل اسقفاً باسم مكسيموس . وكانوا قد كتبوا الى المنصوري في فصل ابرشية حلب عن الكرسي الانطاكي وان يكون مطرانها مستقلا بنفسه يدفع مالا الى الدولة كأحد البطاركة . فبادر المنصوري اخو مكسيموس الى اجابة طلبهم واستصدر اوامر سلطانية سامية بفصل مطرانية حلب واستقلالها على ان تؤدي الى الباب العالي في كل سنة مئتين وخمسين غرشاً وستين غرشاً للوزير الاعظم والدفتردار وارسل الاوامر باسم اخيه . ولما تم لهم ذلك ارسلوا جراسيموس الى لبنان . فجاء واقام بدير مارميخائيل . واجروا له نفقة حيناً من الزمن ثم قطعوها عنه . فاغتاظ واغتم وألم به مرض في ركبتيه فوصف له رهبان الدير نطولا من مغلي بعض العقاقير وجعلوا فيه رجليه فصاح لقد احترقت ومات لساعته . ولما صار للحلبيين اسقف منهم جاهروا بمذهبهم وأظهروا قسوسهم وشرعوا في اضطهاد أبناء الكنيسة .

فمن هؤلاء من فر نازحاً ومنهم من بقي مستتراً في بيته (١) .

وجاء في تقرير الأب سيغوران *Seguran* اليسوعي المعاصر انه بعد افراز ابرشية حلب على هذا الوجه في الثالث عشر من نيسان سنة ١٧٣٠ وبعد دفع خمسة واربعين كيساً لهذه الغاية نجح سلفسترس في نقض هذا القرار في السنة ١٧٣٢ وأرسل وكيلا عنه في ٢٠ تموز سنة ١٧٣٣ حبيب الأعور . ففر مكسيموس الى جبل لبنان . فأنفق اليسوعيون ثمانية الاف وخمساية غرش وجددوا الافراز بواسطة والي حلب وقاضيها بعد ان دفعوا ثانية سبعة الاف وخمساية غرش . فعاد مكسيموس الى الكرسي في السنة ١٧٣٤ . وكلّ سلفسترس وعدل عن المقاومة اثني عشرة سنة . « ثم تحرك كيرلس فغضب سلفسترس » فأرسل وكيلا يضبط الكنيسة وامراً بنفي ستة من وجوه الطائفة . « فقاومناه وأرشينا ومنعناه وتكلفنا مقدار عشرة الاف غرش» . فأرسل جناديوس مطراناً على حلب . فوصل جناديوس في رابع العنصرة سنة ١٧٤٦ ومعه جوقدار الصدر الأعظم وأوامر بضبط الكنيسة وارسال اثني عشر كاهناً ووجيهاً الى الاستانة . « فوقع الهرب وكبس البيوت وضرب العصي الى حد الالف والاشراف على الموت تحت الضرب . فوزنا الى جوقدار الوزير ٧٥٠٠ غرش والى حضرة الباشا ٧٥٠٠ ثم ٢٥٠٠ . وبوسيلة هذه المصارف والرشوات صرنا نقدس بهياكل خصوصية من غير مشاركته مقدار سنة» . وهدد سلفسترس جناديوس فهرب من حلب فأخرجنا الكهنة المشاقين من الكنيسة وتسلمناها فدفعنا ١٢٥٠٠ غرش ما عدا الرشوات عند الأبواب . وصرفنا على عرضحال الى الاستانة ٨٥٠٠ غرش ولاجل بيورلدى في حلب ٥٠٠٠ غرش ولاجل الصلاة عند الافرنج ٥٠٠٠ غرش . ثم أرسلنا وكيلا الى الاستانة لفرز المطرانية باسم السيد مكسيموس وفوضناه بانفاق ما يريد . وقبل وصوله جاء ابن ديب وكيلا من قبل سلفسترس فقبض على ثلاثة من الكهنة وثلاثة من العوام وتسلم الكنيسة في السنة ١٧٤٩ . ثم وُفقنا الى من رأف من أرباب الدولة

١) هذا مما اخبر به اغناطيوس متروبوليت حمص رواه عنه اناس ثقات فأثبته المؤرخ المجهول (ميخائيل الصباغ) كما سمعه من غير زيادة : الحقائق الوضية ص ١١٤ .

فأخرج لنا براءة سلطانية بتجديد الافراز . ووصلت هذه البراءة في التاسع من تشرين الأول سنة ١٧٤٩ وتكلفنــا على تسجيلها في السراي والمحكمة ١٢٥٠٠ غرش. فيكون جملة الذي وزناه من استيلاء سلفسترس الى هذه الواقعة ٣٢٢٧٥٥ غرشاً . تحريراً في ٧ ايار سنة ١٧٥٠ .

وفي اليـوم السادس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٧٥٠ وصل صفرونيوس « متجلبباً بشعار الرياء والورع المصطنع » . وأظهر انشقاقه وأكد انه لن يقبل أحداً يشاركه في قداسه ما لم يستفهم منه ويجادله في حقائق ايمانه . وتكلفنا على تسجيل براءته خوفاً من ضرره ٣٥٠٠ غرش . وفي الثاني من نيسان سنة ١٧٥٢ حبس الباشا جميع الكهنــة والشمامسة . ورثي حضرة الملا والأعيان وأكابر البلدة لحالتنا وأمروا ان نعرض حالنـا لدى الشرع الشريف في اثناء غياب الباشا في الجردة . فعملنا فحكم الملا على صفرونيوس وقسوسه وحبسه في القلاية وحبس القسوس في الحبس العام في باب قنسرين « فوزنا في هذه الدعوى ٧٥٠٠ غرش » وتسلمنا الكنيسة في ٢٤ ايلول سنة ١٧٥٢ . وفي اليوم الثامن من تموز سنة ١٧٥٤ جددنا براءة الى مطراننـا مكسيموس فوزنا فوق الستة الاف غرش خمسة عشر الف غرش لتسجيلهـا في حلب . وجاء مكسيموس في ١٥ تشرين الاول سنة ١٧٥٤ فاستقام عندنا مدة . ثم اخرجوا براءة لصفرونيوس وردت في ٢٩ تشرين الاول سنة ١٧٥٦ فدفعنا من تكاليف هذه البراءة اربعة آلاف غرش .وقبضوا على سيدنا كير مكسيموس ونفوه الى قلعة ادنه في ٨ تشرين الثاني سنة ١٧٥٦ ثم عاد الى حلب في ١١ نيسان سنة ١٧٥٧ . وطلبنا تجديد افراز المطرانية ولكن من الطولة والخوف الذي اعترى سيدنا فرّ الى لبنان من اول تشرين الثاني سنة ١٧٥٨ . وجاءت براءة الافراز ولكن سيدنا لم يرجع . ومما مرّ برهة من الزمان حتى تجددت براءة باسم المطران فيليمون فدخل حلب في ٥ ايار سنة ١٨٥٨ (١) .

وتتفق رواية المؤرخ المجهول الارثوذكسي وما جـاء في تقرير الاب

١) تاريخ الطائفة الملكية للخوري قسطنطين الباشا جـ ٢ ص ١٧٥ ـ ١٨٩

اليسوعي في الخطوط الكبرى. ولكنها تذكر لجوء الكاثوليكيين الى الاهانة والرشق بالحجارة والشتم وما الى ذلك من اعمال غفل عنهـا صاحب التقرير اليسوعي . وأهم من هذا وذاك قوله ان الطبيب اثناسي الذي رافق الوزير راغب باشا والي حلب مدة ولايته نقـل الى المجمع القسطنطيني ما شاهده من الفوضى في كنيسة حلب . فأجابه هذا المجمع : « وما عسانا نحن ان نصنع اذا كان بطريركها قـد تخلى عنها . اما اذا وجهها لنا نظرنا لعلنا نستطيع ان نصلح شؤونها » . فكتب اثناسي الى البطريرك سلفسترس فوهب ابرشية حلب الى الكرسي القسطنطيني . فرفع البطريرك القسطنطيني الأمر الى الباب العالي وطلب الحاق حلب بأبرشيته وان يؤدي هو الأموال المفروضة عليهـا فأجابوه الى ذلك وأصدروا له أمراً به (١) .

خضوع حلب للكرسي القسطنطيني : وفي السادس من تشرين الثاني حساباً شرقياً سنة ١٧٥٧ اتخذ المجمع القسطنطيني قراراً ضمّ به ابرشية حلب الى أبرشيات الكرسي القسطنطيني . وأهم ما جاء في هذا القرار ان سلفسترس اقترح هـذا الالحاق من تلقاء نفسه نظراً للصعوبات التي لقيها في ضبط شؤون هذه الأبرشية وان واجبات الكرسي القسطنطيني قضت بحماية جميـع الجاليات المسيحية والعناية بشؤونها وان الامتيازات التي تمتع بها هذا الكرسي خولته الاشراف على شؤون جميع المسيحيين للاصلاح والتعضيد . ومما جاء في هذا القرار التاريخي خبر ترشيح الآب الراهب فيليمون بروتوسنكلوس ابرشية دزكون *Derkon* لاسقفيـة حلب (٢) .

البطريرك فيليمون : (١٧٦٦ ـ ١٧٦٧) وبعد انتقال السيد سلفسترس تذاكر الأساقفة والوجهاء بشأن انتداب خليفة له . وكان وقتئذ في القسطنطينية حبر جليل تميز بالتقوى والفضيلة والعلم والدراية من أبناء الكرسي الانطاكي هو السيد صفرونيوس(الكلزلي). وكان هذا السيد قد تربى منذ نعومة أظفاره في العلوم الدينية واشتهر بتضلعه في اللغات العربية واليونانية والتركية . وكان يجيد الخطابة

١) الحقائق الوضية : ص ١١٧

2) *Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, Appendix I, 195.*

والوعظ في هذه اللغات الثلاث . وكان قد انتدب مطراناً على عكة ثم مطراناً بالوكالة على حلب. وعند وفاة سلفسترس كان قد انتقل الى القسطنطينية واستقام فيها . فكتب كثيرون من الشعب الانطاكي والمطارنة الى البطريرك المسكوني والى متاوس البطريرك الاسكندري وبرثانيوس البطريرك الاوروشليمي يلتمسون اقناع السيد صفرونيوس بقبول السدة الانطاكية . فلم يقبـــل صفرونيوس « وآثر الاخلاد الى الراحة والسكون » (١) . ولم يرَ البطاركة والمجمع القسطنطيني ان يبقى الكرسي الانطاكي « مهملا بلا رئيس كالجسد الخالي من الراس والروح » فعقد البطاركة الثلاثة ومجمع رؤساء الكهنة القسطنطيني مجمعاً لانتقاء من يصلح لرعاية كنيسة انطاكية فوقع انتخابهم على فيليمون « لكونه مجرباً في رتبة رئاسة الكهنوت متصفاً بالمناقب الفاضلة السنية معروفاً بحسن العبادة يحكم ويقضي بحسب قانون الانجيل والناموس اميناً بالقضايا الكنسية ولذلك رُقي الى السدة البطريركية وشُرطن في كنيسة المسيح الكبرى المقدسة وصار بطريركاً قانونياً وراعياً روحانياً مقدماً على مطارنة كنيسة انطاكية سيداً حقيقياً وشرعياً باقتبال هذه النعمة العظيمة والموهبة الكبرى » . وكتب برثانيوس البطريرك الاوروشليمي مثل هذا وحضّ الاكليروس والشعب الانطاكيين على استقبال فيليمون بفرح وعلى اعتباره راعياً وبطريركاً . « وهو يسلك معكم ومع الجميع بمحبة وسلامة وهدوء كما سلك سابقاً. والرب الاله الناهض من القبر لثلاثة ايام يبارككم انتم ونساؤكم واولادكم ويوفقكم بجميع أعمالكم نفساً وجسداً ويسبغ عليكم اتم البركات السماوية » (٢) .

وفي أواخر تشرين الثاني خرج فيليمون من الاستانة فجاء بيروت وأقام فيها بضعة ايام ثم ذهب الى دمشق فدخلها في الثامن من كانون الاول سنة ١٧٦٦ . فأم الكنيسة المريمية وصلى وبارك . وفي اليوم التالي قابل المتسلم والقاضي فقرئت

١) متثاوس البطريرك الاسكندري الى كنيسة انطاكية (٢٩ نيسان سنة ١٧٦٦) : عن سجل الهاد في دار الاسقفية الارثوذكسية في طرابلس ـ النعمة ١٩٠٩ ص ٩١ .

٢) برثانيوس الى المطارنة والكهنـــة ولفيف الاكليروس والمشايخ والاعيان وارباب الصنائع والمتسببين ورؤساء المراكب والملاحين وسائر الشعب المسيحي الارثوذكسي الذين هم في طاعة الكرسي الرسولي المقدس . حرر في اواخر نيسان في اسبوع للتجديدات بعد الفصح المجيد سنة ١٧٦٦ : النعمة ١٩٠٩ ص ٩٢ .

براءته وسجلت وعاد الى البطريركية . ثم استدعى المطارنة فلبى الدعوة سبعـــة واشتركوا معه في صلوات عيد الميلاد مع عدد كبير من الكهنة والشمامسة . « ولكن يا حيف ثم يا حيف ما كمل ذلك اليوم لأنه من بعـــد القداس انطلق البطريرك والمطارنة الى المايدة وأكلوا لحوماً ودجاجاً محشياً » وشاركهم الرهبان في ذلك . وبلغ الخبر المسيحيين الأرثوذكسيين « فانغموا جداً ووقع البلبال من هذا الحال لأنه سابقاً لم تكن العادة ان يأكلوا لحوماً رهبان الروم جهاراً » ! (١) .

مجمع دمشق : (١٧٦٧) وقبل خروج فيليمون من دمشق لتفقد شؤون الرعايا عقد مجمعاً مع سبعة مطارنة واتخذ القرارات التالية :

« القانون الاول : انتداب رئيس الكهنة يكون برأي المجمع وليس برأي البطريرك فقط . القانون الثاني : اذا اتفق وقدم عرض على رئيس كهنة فن غير فحص المجمع لا يدان . القانون الثالث : في غياب البطريرك لا يصير وكيل في دمشق الا بمعرفة المجمع اي لا يصير وكيل البطريرك رجل عامي . القانون الرابع : المختصين في كل الابرشيات فليكونوا طائعين لرئيس كهنتهم كما ينبغي . القانون الخامس : السيمونيا لا توخذ في الشرطونيات . القانون السادس : ينبغي لكل رئيس كهنة ان يعمل وصية في متروكاته ويوهب الجزء الاكبر للكرسي . القانون السابع : حلل رياسة الكهنوت وفرش الارض وطقم المطبخ فليبقوا المطران بعد وفاة مطرانها اي لمطران البـــلد والباقي يعطى للكرسي . القانون الثامن : عرض كنائسي يجب ان يصير بعلم المجمع وليس برأي واحد . القانون التاسع : بعد نياح البطريرك الانطاكي الوقتي لا يصير بطريرك اخر بغير فحص المجمع اي روساء كهنة الكرسي وارادتهم واذا صار فلا يقبل . القانون العاشر : البطريرك الموجود في الكرسي الانطاكي ليس له ان يتنزل بارادته فقط بل بارادة المجمع . القانون الحادي عشر : مدخول الكرسي ومصروفه جميعه يتحرر في دفتر بخوف الله وبضمير نقي ولا يصير فيه خلل » .

وسطرت هذه القوانين ووقع عليهـــا جميع مطارنة الكرسي الانطاكي وارسلت الى القسطنطينية فوقع عليها البطريرك القسطنطيني السيد صموئيل وقبلت في الكنيسة العظمى . وأجاب البطريرك القسطنطيني بقبولها (٢) .

التطواف الرعائي والوفاة : (١٧٦٧) وبقي فيليمون في دمشق ثلاثـــة أشهر وجعل الخوري ميخائيل بريك وكيلا على الكنيسة وخرج يتفقد شؤون الأبرشيات . ووصل الى صيدنايا ومعه « وكيله الشرير جرجس . فسلب الدير

١) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٨٤ ـ ٨٥

٢) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٨٨ ـ ٨٩

وعرى الطاقة الشريفة . وقام الى معلولا واراد ان يبلص النصارى الكاثوليكيين فقاموا عليه وأخرجوه من عندهم باهانة وارادوا ان يقتلوا جريس الوكيل . فعاد جريس الى دمشق واشتكى على نصارى معلولا وجرمهم وأخيراً صار قتله على يد استاذهم » (١). اما البطريرك فانه تابع السير فزار حمص وحماة ومنها الى حلب فوصلها في السبت الخامس من الصوم . وفي يوم سبت العازار شرطن أحد شمامسته نيوفيطوس قساً . وفي اليوم التالي في أحد الشعانين رقاه الى مطرانية حلب وكان قد تذاكر بشأنه مع البطريرك القسطنطيني . وأقام في حلب الى خميس الصعود . ثم خرج منها الى ادلب فاللاذقية . فأقام فيها مدة قصيرة وتوفي يوم الخميس في الخامس من تموز ودفن فيها . وقيل ان العذراء اماتته سريعاً لانه سلب ديرها وعرى طاقة الشاغورة من زينتها . وكان مكاريوس (صدقة) مطران صور وصيدا قد حاول في السنة ١٧٦٤ ان يضبط مدخول الدير فأخذ مفتاح الطاقة من الرئيسة تمفيذورة وأعطاء لقسيس كان معه . فخرجت نار من الطاقة وأحرقت القلائد المعلقات والقون (٢) .

كنيسة بيروت : (١٧٦٧) وأنشأ الكاثوليكيون في بيروت امطوشاً وكنيسة وسلموها الى رهبانهم . وأراد الارثوذكسيون ان يجددوا بناء كنيستهم لانها قديمة وضيقة فلم يوافق يوانيكيوس المتروبوليت على ذلك . ثم أرسله البطريرك سلفسترس بالميرون الى قبرص . فانتهز الشعب البيروتي فرصة غياب المتروبوليت وهدموا الكنيسة ورسموها متسعة جداً وشرعوا في تجديد بنائها وأتموه سنة ١٧٦٧ . ثم بدأوا بتركيب الأيقونسطاس والامبون . وفي يوم الأحد الثاني من الصوم الكبير الواقع في الرابع من آذار سنة ١٧٦٧ بينما كان المطران يقدس في هيكل السيدة في بيت النساء والشعب كله في داخل الكنيسة سقطت قبة الكنيسة الوسطى وسمع لها صوت كالصواعق . واندفع الشعب كباراً وصغاراً طالبين القرار فمات سبعة وثمانون . وعاد الشعب الى تجديد البناء باشراف المتقدم

١) المرجع نفسه ٨٧

٢) المرجع نفسه ايضاً ص ٩٠

فيهم يونس نقولا فتم ذلك في السنة ١٧٧٢ . ولم تقم كنيسة مثلها في البلاد العربية (١) .

البطريرك دانيال : (١٧٦٧ — ١٧٩١) وبعد وفاة فيليمون اختلف الاساقفة في من يقيمون خلفاً له . فاختار بعضهم يوانيكيوس متروبوليت بيروت . وأيد آخرون مكاريوس متروبوليت صور وصيدا وقالوا ان سلفسترس كان قد انتدبه في آخر ايامه . ومال غيرهم الى برثانيوس متروبوليت طرابلس واختار غيرهم غير هؤلاء (٢) . فكتب الأعيان بذلك كله الى المجمع القسطنطيني فاتخذ هذا المجمع قراراً بسيامة بابا دانيال بروتوسنكلوس البطريرك المسكوني بطريركاً على انطاكية وذلك في اليوم السادس من آب سنة ١٧٦٧ .

ومما جاء في هذا القرار التاريخي ان فيليمون خشي قبيل وفاته انطفاء نور الأرثوذكسية في كنيسة انطاكية فكتب ينتدب بابا دانيال لرئاسة هذه الكنيسة وان أعضاء المجمع المقدس القسطنطيني ذكروا أعمال « ذي الاسمين سيرافيم او كيرلس » فاستهولوا تكرار هذه الأعمال وامكانية تهجم أحد المليتين واستيلائه على الكرسي بالرشوة وتبذيره أموال الرعية وان كنيسة القسطنطينية رأت من واجبها ان تستعمل صلاحياتها المستمدة من النظام القديم الذي يخولها بصفتها رأس الجميع حق العناية بالجميع والمحافظة على مصلحة الكل فأقامت بناء على اقتراح فيليمون كير دانيال البروتوسنكلوس العظيم بطريركاً على انطاكية بموافقة كير افرايم البطريرك الاوروشليمي (٣) .

ووصل البطريرك الجديد الى مركزه في دمشق في مطلع السنة ١٧٦٨ فزار الوزير وقدم له هدية فرحب به واكرمه . وكان « قصير القامة واليد » شحيحاً ضنيناً قصير العنان قليل الخير متقاعساً متراجعاً خافض الجناح متطأمن النفس حريصاً يحب المال ويشره الى كسبه » . واعظم من ذلك فانه كان يدين بالفائدة فعرف

١) نشأة الروم الكاثوليك لمجهول : الحقائق الوضية ص ١١٩ — ١٢٠ وتاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٨٩ .

٢) نشأة الروم الكاثوليك ص ١١٩

3) *Neale, J. M , Patriarchate of Antioch, Appendix I, 193 - 194.*

« بالبطريرك المرابي » . فشكاه الدمشقيون الى صفرونيوس البطريرك المسكوني « فوقعت الشرور وقامت الضغون وتألفت الجمعيات » . وشكت دمشق بدورها من قلة الالفة وتقطعت اجزاباً وتفرقت في الرأي والهوى . فتدخل صفرونيوس وكتب بالمحبة والوفاق فقبل الدمشقيون بشروط معينة وعاد دانيال من القسطنطينية في اواخر السنة ١٧٧٧ .

كتدرائية دمشق : وقــام في جوار البطريركية آنئذ كنائس ثلاث : البرانية على اسم القديس كبريانوس والقديسة يوستينة والجوانية وهي المريميـــة الكتدرائية والثالثة تحت الارض على اسم القديس نقولاووس وكان يدفن فيها البطاركة والمطارنة والكهنة قبل ان عادت مقبرة التل الى ما كانت عليه .

وفي السنة ١٧٥٩ زلزلت الارض فتقوضت اركان المريميـــة . فسندت اقواسها وعلقت سقوفها وأمها المؤمنون للعبادة . ثم اشرفت على الانهيار فصلوا في كنيسة القديس نقولاووس . وفي السنة ١٧٧٩ وافق الوزير محمد باشا العظم على الترميم فاستعان دانيال ببرنابا مطران صدنايا وجدد بناء المريمية والبرانية ورفعا سقف كنيسة القديس نقولاووس (١) . وعني الخوري خريسطوفوروس المصابني المتوحد بدير القديس جاورجيوس في صدنايا فازاح الصخرة التي كانت في داخله واستبدل سقفه الخشبي بعقد حجري فأصبح « نزهة للناظرين » (٢) .

فرنسة والكثلكة في الشرق : وجاء في التعليمات التي أعدتهـــا حكومة لويس الخامس عشر الى سفيرها الجديد في الآستانـــة الماركيز دي فيلنوف *Villeneuve* في الحادي عشر من آب سنة ١٧٢٨ ان لحكومة جلالته اهدافاً ثلاثة لنشر الايمان في تركية : تنصير المسلمين وهدي المشاقين واقتلاع بذور الهرطقة . وجاء ايضاً ان اساقفة رومـــة حذروا المرسلين ونهوهم عن التبشير في الاوساط الاسلامية خشية وقوعهم تحت طائل الشرع الثقيل الوطأة. والروم والارمن في هذه التعليمات يكرهون اللاتين ويضطهدون الكاثوليكيين . وحماية الكاثوليكيين واجبة

١) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ١١٠ ــ ١١١
٢) المرجع نفسه ص ١١٢ ــ ١١٣

اما بالجؤ الى السلطات العثمانية واما باجتذاب رؤساء الكنائس. والجؤ الى السلطات امر دقيق مخطر. وافضل من هذا انيصار الى اجتذاب رؤساء الكنائس اليونانية والارمنية كأن يقال لهم ان سلطتهم وطقوسهم لا تمس وانه ليس للمرسلين اي هدف زمني وان غايتهم ازاحة الحواجز التي تبعد الكنائس بعضها عن بعض لرفع منزلة النصارى في عيون المسلمين وتعظيم قدرهم (١) .

وما كاد هذا المركيز يستقر في منصبه في الآستانة حتى أمطره اساقفـــة الكاثوليك ورهبان الافرنج وابلا من الرسائل يستحثونه فيهـــا على توطيد بطريركية كيرلس خدمة للكثلكة في الشرق . فتبصر في طلبهم وتقصى وأعـــاد النظر وتأمل فوجد ان القوانين المرعيـــة قضت بأن يرشح بطريرك القسطنطينية لمنصب البطريرك الانطاكي من رأى فيه الكفاءة فيوافق السلطان ويعترف . ثم وجد ايضاً ان الروم أغنى من الكاثوليك واللاتين . وان نفوذهم في القسطنطينية أقوى وان الأرمن يناصرون الروم فيزيدونهم قوة . ولذلك كله رأى هذا السفير الافرنسي ان مصلحة الكثلكة في الشرق قضت بابعاد كيرلس عن مركز الرئاسة وابعاد كل اكليريكي يشتهر بحبه لرومة وطاعته لها وبتأييد الاكليريكيين الارثوذكسيين المعتدلين في الرأي المتزنين في العمل وبردع المرسلين عن غيهم وحبس عنائهم (٢).

وعاد المركيز السفير الى معالجة الموضوع نفسه في السنة ١٧٤٠ فأعد تقريراً مطولا في موضوع سياسة فرنسة الدينية ضمنه آراءه على ضوء اثنتي عشرة سنة من الخبرة في شؤون الدولة العثمانية ورعاياها المسيحيين . فجاء رأيه بعيد الغور محكماً فهو يقول انه ما فتيء يحض الرهبـــان المرسلين على تطبيق الآية : « باركوا لاعنيكم أحسنوا الى مبغضيكم » لان ما يحيق بالمسيحيين من ضيم في ظل الأتراك العثمانيين انما ينشأ عن مسيحيين آخرين يعاكسون اخوانهم فيشجعون الأتراك بتفرقهم على الظلم والتظلم . واذا كانوا يتباغضون لاختلافهم في العقيدة فان تفرقهم ناجم عن تباغضهم ايضاً . وليس أفضل والحالة هذه من التحلي بالرفق والدعة والمحبـــة

1) *Rabbath, A., Documents, II, 388 - 389.*
2) *L'Ambassadeur au Ministre, (15 Janvier, 1730), Rabbath, A., op. cit., II, 391 - 394.*

والحكمة . وعلى المرسلين أنفسهم ان يرفقوا ببعضهم اولا ويتحابوا فيوفروا لسفراء جلالته شيئاً كثيراً من الراحة وعدم الارتباك (١) .

ومما جاء في التقرير الذي أعده المركيز السفير سنة ١٧٤٠ ان الروم والسلطات العثمانية اعترضوا على اقامة المرسلين الرومانيين في المدن الخالية من التجار الافرنسيين والقناصل مدعين ان السبب الذي يبرر وجود هؤلاء الآباء هو القيام بالخدمات الروحية لهؤلاء التجار والقناصل . ويضيف السفير انه اذا كانت المادة الأربعون من امتيازات السنة ١٦٧٣ ثبتت اقامة المرسلين حيث كانوا آنئذ فان هذه الامتيازات نفسها تفرض على هؤلاء المرسلين « الانكفاء داخل حدود واجباتهم » وان الأتراك والروم يفسرون هذا النص بأنه يوجب على المرسلين ان يحصروا ممارسة طقوسهم ضمن اوساطهم الخاصة وأوساط مواطنيهم وانه لا يجوز لهم ان يقبلوا رعايا السلطان في كنائسهم ولا ان يزوروهم في بيوتهم او ان يعلموا اطفالهم في مدارسهم لاخضاعهم الى سلطة البابا . ثم يفيد المركيز ان الروم استصدروا في السنة ١٧٢٥ براءتين اوجبتا منع المرسلين من الدخول الى بيوت المسيحيين رعايا السلطان واكراه الذين اتبعوا طقوس الافرنج على العودة الى دينهم وطرد المرسلين من الاماكن الخالية من القناصل . ويضيف السفير ان هذه الاوامر نفذت في ديار بكر والموصل وبغداد وارضروم وانها على وشك التنفيذ في دمشق وان ترجمان الباب العالي يوناني يسعى بما لديه من وسائل لحماية مصالح ملته (٢) .

الروس والارثوذكسية : وخطا الشعب الروسي في عهد بطرس الاكبر (١٦٨٩ـ١٧٢٥) خطوات واسعة في سبيل العمران . وتدرب الجيش على الطرق الحديثة . وكان البحر البلطي لا يزال في قبضة اسوج والاسود في يد الترك . فكان لا بد من مناوأة اسوج . وبعد حروب طويلة جاءت معاهدة نيستاد سنة ١٧٢١ فتنازلت اسوج لروسية عن ليفونية وايثونية وانجيرية وكريلية وغيرها . وأخذ الروس من الترك آزاق في السنة ١٦٩٦ . ثم توقف تقدمهم لما نزل بجيشهم

1) *Mémoire du Marquis de Villeneuve concernant la Religion, (1740), Rabbath, A., op. cit., II, 563 - 564.*
2) *Ibid. II, 569 — 570*

من هزيمة في السنة ١٧١١ عند نهر البروث . ولكن ما لبثت هذه الفترة ان انقضت وعادت روسية الى مناوأة الترك طول القرن الثامن عشر بلا انقطاع .

وكان الشعب الروسي ولا يزال وديعاً مسالماً في طبيعته لا يحب الاعتداء. ولكنه ارثوذكسي في الصميم لا يرى الا الهدى شديد التمسك بتقاليد الرسل وقرارات المجامع المسكونية فخور بتراث الآباء يأبى الضيم وتعصف في رأسه النخوة . فرافق النهضة العمرانية شعور بأن موسكو هي رومة الثالثة وانها حامية الدين القويم.

وفي منتصف القرن الثامن عشر تولى مصطفى الثالث عرش العثمانيين (١٧٥٧ ـ ١٧٧٣) . وكان ملوعاً بالحروب فلما رأى ان ازدياد نفوذ الروس في بولونية يتعاظم خشي على بلاده . ورأت ذلك ايضاً الحكومة الفرنسية بالنسبة لبلادها فوافقته على رأيه ولذلك عزم الباب العالي على منازلة الروس . وقوى عنده هذا العزم ان الروس كانوا منذ السنة ١٧٦٥ يحرضون اليونان والبوشناق ونسور الجبل الاسود على الخروج على الدولة. وفي السنة ١٧٦٨ اشتد حنق الباب العالي اذ دخلت الجنود الروسية املاك الدولة اثناء مطاردتهم لبعض البولونيين الفارين من وجوههم واحرقوا بلطة التابعة لخان القرم احد ولاة الدولة. فأعلن الباب العالي الحرب على روسية في السادس من تشرين الاول سنة ١٧٦٨ لذلك وبحجة الدفاع عن حرية البولونيين .

ولازم سوء الطالع الدولة العثمانية من اول نشوب الحرب . فلم تلبث ان انهزمت أمام الروس على نهر الدنيستر فاحتلت روسية مولدافية (البغدان) والفلاخ وبسارابية والقرم . وفي خلال هذه المدة كان الاسطول الروسي ظافراً في البحر فانتصر على اسطول العثمانيين في شزمى ولولا ما أبداه القبودان حسن باشا الجزائرلي من الشجاعة لأحدق الخطر بالقسطنطينية نفسها . وما زالت الجيوش الروسية تجد في الفتح حتى عبرت الدانوب واكتسحت بلغارية وهددت القسطنطينية من البر . فخشي الأتراك العاقبة وطلبوا الصلح في السنة ١٧٧٤ .

الروس حماة المسيحيين: (١٧٧٤) وأبرم الروس مع الأتراك العثمانيين

معاهدة كوچوك قينارجه في السنة ١٧٧٤ وهي أهم معاهدة عقدت بين روسية والدولة العثمانية واول طور جدي في تاريخ المسألة الشرقية . ولم تنل روسية بهذه المعاهدة املاكاً شاسعة اذ كان ما أخذته قاصراً على كنبورن وكرتش وآزاق والأقاليم المجاورة لها مما ثبت قدمها على شمال البحر الأسود . ولكنها نالت بها حقوقاً سياسية كبيرة كان لها شأن عظيم في المستقبل . فالدولة العثمانية قبلت في هذه المعاهدة ان تضمن لروسية حكومة عادلة وحرية دينية للرعايا المسيحيين وجعلت لروسية الحق في المطالبة بحقوق هؤلاء الرعايا كلما رأت حاجة الى ذلك .

فقد جاء في المادة السابعة من هذه المعاهدة ما تعريبه : « ان الباب العالي يتعهد الدين المسيحي والكنائس المسيحية بحماية دائمة ويسمح لوزير بلاط روسية ان يحتج متى شاء لصالح الكنيسة المشيدةفي القسطنطينية المشار اليها في المادة الرابعة عشرة ولصالح من يخدم فيها » . وجاء في المادة الرابعة عشرة انه يحق لبلاط روسية ان ينشيء بالاضافة الى كنيسة السفارة كنيسة عمومية في ضواحي غلطة تدعى الكنيسة الروسية اليونانية . وفصلت المادتان السادسة عشرة والسابعة عشرة نوع الحماية الواجب تطبيقها في الاراضي والجزر التي احتلتها الجيوش الروسية في اثناء الحرب ووعدت بالجلاء عنها .

اضطهاد الروم في بيروت ولبنان : واستفحل في هذه الآونة امر علي بك الكبير وتاقت نفسه الى الاستقلال . فأعلن مصر بلداً مستقلاً في السنة ١٧٦٩ واستولى على جدة لتكون له مركزاً لتجارة الهند . ولم يلبث ان سيطر على باقي جزيرة العرب . ثم وجه همته لفتح الاقطار الشامية . فأنفذ جيشاً بقيادة محمد بك ابي الذهب . فكان النصر حليفه واستولى على كثير من مدن الشام مستعيناً بالشيخ ضاهر العمر صاحب بلاد بشاره وعكة . ورأى ابو الذهب ان الدولة ربما التفتت لمصر وارجعتها الى سلطانها فخطب ود الباب العالي وقصد مصر بالجيش الذي كان معه في بلاد الشام . فاستولى على وادي النيل وفر علي بك الى عكه واحتمى بظاهر العمر حاكمها . وهنا وجد اسطولا لروسية ففاوضه بشأن تحالفه معها فأمده الاسطول بالذخيرة والمال . وانحاز الامير يوسف الشهابي حاكم لبنان

الى جانب الدولة العثمانيـة . فقصفت العمارة الروسية بيروت في السنة ١٧٧١ ولم تبتعد عنها الا بعد ان دفع الامير يوسف ٢٥٠٠٠ ريال الى الاميرال الروسي . ثم عادت هـذه السفن بعد سنة لتخرج احمد الجزار من بيروت وتسلمه الى الامير يوسف وذلك لقاء ثلاث مئة الف غرش (١) .

ولـدى وصول العمارة الروسية خرج المسيحيون من بيروت الى الجبل وخرج معهم رئيس كهنتهم نيوفيطوس . فنهبت ارزاقهم وخربت دورهم . ثم جاء الامير يوسف فغرم مسيحيي بيروت بنصف ما دفـع الى الروس . وكانت الحرب لا تزال مستعرة بين الروس والعثمانيين فنشبت فتنة في بيروت ادت الى فرار اهلها المسيحيين الى الجبل مرة ثانية . واغتنم الرهبان الكاثوليكيون هذه الفرصة « فأغروا » الشيخ سعد الخوري كاخية الامير يوسف « وزينوا » لـه اضطهاد الارثوذكسيين ، « على ما عنده من الميل الى ذلك » ، فأطلق يده في الضغط عليهم وعذب اناساً منهم وصادر آخرين وقتل جماعة من نبلائهم واخذ منهم عدة كنائس وسلمها الى الكاثوليكيين . وقتل من المتقدمين بـين الارثوذكسيين اثنين اتهمهما بالخيانة احدهما عبدالله ابن مالك والثاني اسعد العازار (٢) .

اضطهاد النصارى في دمشق : وتقوى ضاهر العمر الشيعـة ونهب جبخانة عثمان باشا والي الشام واراد ان ينهب الحجاج ويأخذ المحمل . ثم اقبلت العساكر المصريـة بقيادة محمد بك ابي الذهب . فطلب عثمان باشا من النصارى مالا كثيراً وجمع في نصف نهار ثلاثين الف غرش. والتقى الجيشان في سهل داريا فولى العثمانيون الادبار وهربوا الى حمص وحماة . واستولى المصريون والشيعة على دمشق. ثم انسحب محمد بك ابو الذهب «ولم يعلم احدسبب رجوعه الى مصر» . فعاد عثمان باشا الى دمشق وعاد معه الأمير يوسف شهاب حاكم جبل الشوف بعساكره. « وتنمروا على الدمشقيين وحصـل منهم ثقلـة وبهدلة للمسلمين حتى

١) لبنان في عهد الأمراء الشهابيين للدكتور اسد رستم والدكتور فؤاد البستاني جـ ١ ص ٩٦ — ٩٩
٢) نشأة الروم الكاثوليك : الحقائق الوضية ص ١٢٠ — ١٢١

صاروا يدخلوا الدروز والنصارى الذين معهم الجامع الأموي بزرابيلهم ونومسوا النصارى قليلا » . ثم خرج هؤلاء الى أوطانهم « فتنمر المسلمون على النصارى ووقع البلص والعوان والظلم والعدوان شيء لا يوصف حتى ان نصارى كثيرين دشروا بيوتهم وأخذوا حريمهم وأولادهم وفروا هاربين الى الجبل » (١) .

معمودية اللاتين : (١٧٥٥ ـ ١٧٧٤) وقال الجميع قبل الانشقاق وبعده بمعمودية واحدة لمغفرة الخطايا . واعترف مجمع القسطنطينية الذي التأم في السنة ١٤٨٤ بمعمودية اللاتين واكتفى الآباء أعضاؤه بمسح اللاتينيين العائدين الى حضن الكنيسة الارثوذكسية بالميرون المقدس . وشك الآباء الروس في صحة معمودية اللاتين وأوجب بعضهم تجديد التعميد ولكن الآباء اليونانيين الذين اشتركوا في مجمع موسكو (١٦٦٦ ـ ١٦٦٧) أوجبوا الاعتدال والاكتفاء بمسحة الميرون .

ثم شنّت رومة هجومها على الكنيسة الارثوذكسية وبثّت رسلها اليسوعيين والكرمليين والكبوشيين في أبرشيات اوروشليم وانطاكية والقسطنطينية فجاؤوا مدربين مثقفين مسلحين بالمال والنفوذ . فاستهال الآباء الارثوذكسيون الأمر وتروّعوا ولا سيا وان المرسل الغربي فاق الكاهن الشرقي بالعلم والثقافة وفن الجدل. فهب دوسيثيوس *Dositheos* البطريرك الاوروشليمي (١٦٦٦ ـ ١٧٠٧) للدفاع بالعلم فانشأ في السنة ١٦٨٠ على نفقة الكرسي الاوروشليمي مطبعة ياسي اليونانية . ثم جمع النصوص اليونانية اللازمة للدفاع عن الايمان القويم فنشر في السنة ١٦٩٢ كتاب « الكتلوغ » وفي السنة ١٦٩٨ كتاب المحبة وفي السنة ١٧٠٥ كتاب الفرح (٢) . وتوفي قبل ان ينشر تاريخ بطريركية اوروشليم فظهر هذا المصنف المفيد في السنة ١٧١٥ باشراف خريسنطوس نوتاراس *Notaras* مذيلا بترجمة البطريرك المتوفي (٣) .

١) تاريخ الشام للخوري ميخائيل بريك ص ٩٤ - ٩٩

2) *Tomos Katallages, Tomos Agapes, Tomos Charas.*

3) *Papadopoulos, Chrys., Dositheos Patriarches Ierosolumon, Jerusalem, 1907 ; Palmieri, A., Dositheos, Dict. Theol. Cath., IV, Col. 1788.*

وتابعت رومة هجومها فضاعفت هيرارخية انطاكية وأنشأت كنيسة جديدة في الشرق فلجأ البطاركة الشرقيون اليونانيون الى الحرم واستعانوا بالسلطات العثمانية والقوة والعنف للصمود في وجه التيار الروماني . واعتبروا الفروقات الخمسة خروجاً كافياً على التقاليد الموروثة لوصم رومة واتباعها بالهرطقة . والتعبير بالهرطقة جر اصحابه الى اعادة النظر في موقف الكنيسة الارثوذكسية من معمودية اللاتين .

وفي حوالي السنة ١٧٥٠ رغب بعض اللاتين في الانتماء الى الكنيسة الارثوذكسية القسطنطينية فاختلف الآباء في كيفية قبولهم وقال البعض بوجوب تعميدهم وقال آخرون بالاكتفاء بمسحة الميرون *Myro Chriesthai* . ورفع الامر الى البطريرك المسكوني كيرلس الخامس فقال بوجوب التعميد. فثار ثائر المرسلين الرومانيين في الشرق واحتجوا وضجوا فوافقهم في موقفهم « عدد كبير » من الارثوذكسيين (١). وأيد البطريرك المسكوني كل من ميثاوس بطريرك الاسكندرية وسلفسترس بطريرك انطاكية فقالا بوجوب « بتر الاطراف الفاسدة » (٢) . وتدخل بعض الممثلين الديبلوماسيين في هذه القضية فانكروا على كيرلس فعلته وشددوا عليه النكير (٣) . واستغل بعض الطامعين في الكرسي البطريركي هذا الظرف فتعددت حوادث التنفيذ فتنازل كيرلس عن الكرسي في السنة ١٧٥٢ وتبوأ السدة القسطنطينية بائيسيوس . وأصبح كيرلس بطل الارثوذكسية وأمسى بائيسيوس امام جمهور المؤمنين صديق رومة والكثلكة. وتزعم معارضة بائيسيوس راهب زاهد اسمه اوكسنتيوس كان قد نال اعجاب المؤمنين بما تم على يده من المعجزات . وأيد هذا الراهب كيرلس في موقفه من معمودية اللاتين فأوجب تعميداً جديداً . وظن بائيسيوس ان لكيرلس يداً في ذلك فأرسل الى جزيرة خالكي مقر كيرلس الجديد من فاتحه كلاماً في المعارضة وعلاقته بها . فأقسم كيرلس في كنيسة والدة الاله في خالكي ان ليس له اية علاقة مع الراهب المعارض

1) *Sathas, C., Mesaionice Bibliothece, III, 204 ; Papadopoulos, Th., Hist. of Greek Church and People, 161, n. 1.*

2) *Sathas, C., op. cit.*

3) *Byzantios, S., Constantinople, II, 33 - 34.*

ودعا بائيسيوس الراهب العجائبي اليـه للبحث معه في موضوع معمودية اللاتين فأبى ظاناً ان البطريرك سيأمر بالقبض عليه ويبعده عن القسطنطينية . فأم انصار الراهب ومريدوه الكنيسة يوم الاحد ونادوا بسقوط بائيسيوس « صديق الارمن واللاتين » . وهجموا على البطريرك واخرجوه بالعنف الى الشارع. ولولا تدخل الشرطة لحدث ما لا تحمد عقباه . وذهب الجمع الى مقر الصدر الاعظم ونادوا بسقوط بائيسيوس واعادة كيرلس الى الكرسي . وبعـد يومين اي في السابع من ايلول سنة ١٧٥٢ وفد كيرلس على مقر الوزارة مصحوباً بالمطارنة فتردى «الجبة البطريركية» وعاد الى رئاسة الكنيسة (١) .

ويذكر مكاريوس المؤرخ المعاصر هذه الامور جميعها ويشير الى اضطهاد الارثوذكسيين في بولونيـة وطمع اللاتين في الاماكن المقدسة في فلسطين وقيام هيرارخية كاثوليكية مستقلة في ابرشية انطاكية فيؤكد ان ما جرى في القسطنطينية كان مظهراً من مظاهر الدفاع عن الدين القويم (٢) .

وعني كيرلس باصلاح الادارة فألف لجنـة شعبية ووكل اليها النظر في الامور المالية المادية وتفرغ هو للعمل في الحقل الروحي . وكان من اهم ما فعل في هذا الميدان انه انشأ مدرسة عالية في آثوس ودعا عالم اليونان آنئذ افجانيوس بولغاريس لتولي شؤونها. وشجع تعليم الاسفار المقدسة وشرحها وتفسيرها بموجب تعاليم الآباء (٣) .

وظل وصول كيرلس الى البطريركية يحز في صدور بعض المطارنـة والاعيان . فعاد هؤلاء الى البحث في معموديـة اللاتين فشجبوا موقف كيرلس منها ووصموه بالخروج على التقليد المقدس (٤) . واتهموه بالعطف على اعـداء رومة في الغرب اي على البروتستانت والسعي للتقريب بـين هؤلاء وبين الكنيسة الارثوذكسية ! ثم اتخذوا موقفاً قانونياً فقالوا ان البطريرك اوجب تجديد التعميد

1) *Papadopoulos, Th., op. cit., 164 - 166.*
2) *Sathas, C., op. cit., III, 216.*
3) *Ibid. III, 218 - 219.*
4) *Rhallis et Politis, Syntagma, V, 143 - 147.*

بدون قرار من المجمع المقدس . فأظهر كيرلس استعداده لعرض القضيـة على المجمع المقدس والاراخنة للبت فيها وترك الاساقفة احراراً في موقفهم من معمودية اللاتين الى ان يبت المجمع المنتظر فيها .

والتأم المجمع القسطنطيني في نيسان السنة ١٧٥٥ فشجب موقف كيرلس من معمودية اللاتين كما نبذ تعليم خريستوفوروس ايتولية في الموضوع نفسه (١) . فرد كيرلس بحرم بطريركي عرف بالـ *Anathematismos* وخاطب بـه عموم الاكليروس الارثوذكسي . وأهم ما جاء في هـذا الحرم ان كيرلس فتش كتب المجامع والآباء فلم يجد مبرراً للرش بالمـاء *Rhantismos* في ممارسة سر التعميد . ولذلك فالرش في نظره بدعة من البدع لا مبرر لها ولا يجوز السكوت عنها. وجاء في هذا الحرم ايضاً ان المطارنة المجتمعين ضغطوا على البطريرك مهددين فأبى محافظة على سلامة الايمان الارثوذكسي وانه بناء على ذلك يعلن المحافظة على التقليد سالماً واعتبار رسالة المطارنة خروجاً وهرطقة . وهو بالتالي يلعن ويحرم كل من يقبل رسالة المطارنة من الاكليروس والشعب مستنزلاً غضب الله داعياً عليهم بالويلات البشرية (٢) .

وبعد ان رشق كيرلس المطارنة ومن قال قولهم بهـذا الحرم اعد بياناً قانونياً في المعمودية أسماه الاوروس *Oros* ومنع بموجبه الاعتراف بمعمودية اللاتين والارمن . ثم اسبغ على هـذا البيان صفة كاثوليكية جامعة بما ناله له من تأييد رسمي من بطريرك اوروشليم برثانيوس وبطريرك الاسكندرية متثاوس . وصدر الاوروس في السنة ١٧٥٥ نفسها. ولعل خريستوفوروس الايتولي عاون البطريرك في اعداده (٣) والله اعلم .

وبـدأ كيرلس بيانه باظهار اهمية المعمودية للخلاص . ثم أبان ضرورة التجدد واهمية الماء في هـذا الدور . وانتقل بعد هذا الى صحة التغطيس ثـلاثاً

1) *Papadopoulos, Th., op. cit., Appendix I, Section 1.*
2) *Ibid. 195.*
3) *Rhantismu Stiliteusis, Papadopoulos, Th., op. cit., 393 ff.*

فوجدها في تقليد الرسل وقوانينهم . ثم اعتبر الرش تعديلا لهذه القوانين والتقاليد وبالتالي دساً وافساداً . واوجب اعتبار مـــن يعمد بالرش نجساً ففرض تعميده بالتغطيس ثلاثاً على اسم الآب والابن والروح القدس عملا بقوانين ديونيسيوس وقرارات المجمع البنثكتي *Penthekti* الخامس السادس (١) .

واحتار سلفسترس البطريرك الانطاكي في أمره . وكان لا يزال في حاجة الى تأييد المجمع القسطنطيني في نزاعه ضد رومة وعمالها فلم يوقع الاوروس ولكنه لم يعلن موقفه منه . وظل الحال على هـــذا المنوال حتى السنة ١٧٧٤ عندما تبنى نص الاوروس دانيال الانطاكي البطريرك القائم آنئذ وأوجب تعميد اللاتـــين والارمن وغيرهم (٢) .

البطريرك انثيميوس : (١٧٩٢ ــ ١٨١٣) وأم دانيال القسطنطينية في اواخر السنة ١٧٩١ وشكا ضعف جسده وعجزه عن القيام بمهام الكرسي الانطاكي. وفي الخامس عشر من كانون الاول قدم استعفاءه من هـــذا المنصب الرسولي وأشار بانتداب انثيميوس اسقف هيليوبوليس خلفاً له. فوافق المجمع القسطنطيني وقبل استعفاءه ونصّب انثيميوس بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق (٣) .

وجاء في سجلات البطريركية المسكونية بتاريخ العاشر من كانون الاول سنة ١٧٩١ انه نزولا عند رغبة المسيحيين في حلب الذين أخذوا الدين البالغ ثلاثة آلاف غرش على عاتقهم ونظراً لاستقرار السلم في هـــذه الابرشية فان المجمع القسطنطيني المقدس يعيد هـــذه الابرشية الى كنيسة انطاكية ويوجب على اسقفها ان يذكر اسم بطريرك انطاكية ويخضع له بالناموس والتقوى (٤) .

1) *Rhallis et Politis, Syntagma, V, 614 - 616 ; Oeconomos, C.,Soxomena Ecc., I, 478 - 480 ; Mansi, Amplissima, Vol. 38. Col. 617 - 622.*
2) *Lettre à Iacovos Patmios (1755), Nea Sion, 1905, 238 - 239 ; Jugie, M., Schisme Byzantin, 307.*
3) *Constantius, Patriarch of Antiochs, Neale, op. cit., 188 - 189.*
4) *Neale, J. M., Patriarchate of Antioch, Appendix I, 196 - 198.*

وجاء انثيميوس الى قبرص مسقط رأسه ومنها الى اللاذقية فطرابلس فبيروت فعكة حيث قابل الجزار وأطلعه على نص البراءة السلطانية . ثم انطلق منهـــا الى دمشق فرضي المجمع الانطاكي به نظراً لعلمه وفضله وتقواه وقلده زمام البطريركية الانطاكية . ورتب المجمع معاشاً قدره الف غرش في السنة الى البطريرك المستقيل دانيال المقيم في جزيرة صاقز .

وأظهر المسيحيون في انطاكية رغبة في تشييد كنيسة لهم في المكان الذي دعي فيه المؤمنون مسيحيين اولا . فلاقت رغبتهم استحساناً في نفس انثيميوس وعاونهم في ذلك فأستصدر لهم براءة سلطانية تخولهم البناء المنشود . وانـــدفع كبيرهم « ابو سابا » فتبرع بجميع المال اللازم وباشر الامر وشرع في البناء . ولم يرق الامر القاضي بعض من شد ازره فادعى ان النصارى انما ينشئون قلعة لا معبداً ورفع شكواه بذلك الى السلطان . فأمر السلطان بشنق ابي سابا وثلاثة من الكهنة وشماس ! (١) .

البطريرك سيرافيم : (١٨١٣ ــ ١٨٢٣) وتوفي انثيميوس في دمشق ودفن فيها فانتدب الشعب والاكليروس الانطاكيون سيرافيم متروبوليت اركاذيوبوليس فنصبه المجمع القسطنطيني بطريركاً على انطاكية. وكانت المشاحنات الارثوذكسية الكاثوليكية لا تزال ثائرة وكل يتذرع بما عنده من وسائل. وكانت وسائل الروم تنحصر في غالب الاحيان ببراءات سلطانيـــة يستصدرونها من عاصمة الدولة الى الولاة والحكام المحليين لرد الروم الكاثوليكيين الى طاعـــة رؤسائهم الشرعيين مطارنة الروم وعلى رأسهم البطريرك او لتسليم ما استأثروا به من كنائس معينة او لدفع عائدات الاكاليل والعمادات والجنـــازات الى السلطات الارثوذكسية المحليـــة . وكان الروم الكاثوليكيون يقاومون نفوذ الموظفين الارثوذكسيين في عاصمة الدولة بنفوذ الموظفين من ابنائهم في دوائر الحكم في حلب ودمشق وطرابلس وعكة (٢) .

1) *Russian Pamphlet a propos of the Visit of Neophytos of Heliopolis to Russia, Neale, J. M., op. cit., Appendix II, 208.*
2) *Constantius, Patriarchs of Antioch, Neale, op. cit., 188 - 189.*

الكتبة الكاثوليكيون : وكان قد رافق السعي لانفصال الروم الكاثوليكيين شعور بالمسؤوليات التي أوجدها هذا الانفصال واقدام على العلوم ولا سيما الدينية منها . فتميزت الاوساط الكاثوليكية الجديدة بكثرة نسبية في عدد المتعلمين من ابنائها . وغزا هؤلاء المتعلمون الدواوين الحكومية المحليــة في الربع الاول من القرن التاسع عشر فتربعوا في كراسيها ولا سيا في دواوين ايالة صيدا حيث كانوا جميعهم من الروم الكاثوليك (١) . وأشهر من اشتهر من هؤلاء الكتبة الكاثوليكيين في اواخر القرن الثامن عشر والربع الاول من القرن التاسع عشر ابراهيم صباغ واولاده في عكة وعبود البحري واخواه جرمانوس وحنا هنــد ابراهيم باشا اوزون قطراغاسي في حلب اولا وفي مصر بعد السنة ١٨٠٨ والمعلم ميخائيل العورا في صور وابنه حنا وحفيده ابراهيم في عكة . وكان ميخائيل هذا يحسن الانشاء في العربية والتركية والفارسية والاخوان ابراهيم وخليل النحاس ابنا عم حنا العورا وقــد كتب الاول في عكة والثاني في صور وفضول الصابونجي واخوه ونقولا الترك وبطرس كرامة في بيت الدين (٢) .

كنيسة صيــدا : (١٨١٨) وفي خريف السنة ١٨١٨ أمّ عكة زخريا متروبوليت عكار حاملا فرماناً سلطانياً موجهاً الى سليمان باشا والي ايالة صيدا يشير الى خروج الروم الكاثوليكيين عن طاعة رؤسائهم الارثوذكسيين واتباعهم طائفة الافرنج واستئثارهم « بجملة كنايس » منها كنيسة صيدا ويوجب تخليص هذه الكنائس من يــد الكاثوليكيين واكراه هؤلاء على تقديم عائدات الاكاليل والجنازات والعمادات الى السلطات الروحيــة الارثوذكسية . وحمل زخريا متروبوليت عكار رسالة من البطريرك سيرافيم الى المعلم حاييم اليهودي ذي النفوذ الكبير في ديوان عكة ورسائل غيرها من اخوة حاييم وابن عمه سلمون من دمشق توجب السعي الجدي لتنفيذ الأوامر السلطانية (٣) .

١) المعلم حنا العورا الى عبدالله باشا (١٨١٨) : « وليس انا فقط بل وكل عبيدك الكتاب من طايفة الكاثوليك » : تاريخ ولاية سليمان باشا للمعلم ابراهيم العورا ص ٤٤٧ .
٢) آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو ج ١ ص ٧ – ٨ و٢١ – ٢٣ .
٣) تاريخ سليمان باشا لابراهيم العورا ص ٤٣١ – ٤٣٢ .

وبلغ أمر هذا الفرمان وهذه الرسائل مسامع أعيــان الروم الكاثوليك في عكة فأضطربوا . وكان الخوري سابا الكاتب مدير الرهبنة المخلصية آنئذ في عكة فاتصل بحاييم فتثبت من صحة الخبر . «وثاني يوم أخبر الكتاب والطائفة فراجعوا المعلم حاييم واستعملوا ساير وسايل التذلل والخضوع . وذكروا حاييم بضعف طايفة الكاثوليك وبأنها منذ القدم مختصة به وبوالده وبعيلتهم . ولكن جميــع هذا ما أفاد » .

ويضيف المعلم ابراهيم العورا صاحب تاريــخ ولاية سليمان باشا انه في السنة ١٨١١ أبرز بطريرك الروم انثيميوس مثل هــذا الفرمان الى سليمان باشا نفسه ، وكان آنئذ والي دمشق وعكة ، فاتصل المعلم حنــا العورا ولد ابراهيم المؤرخ بالمعلم حاييم وأظهر غيظه وعزمه على المقاومــة فقال حاييم : « وتربة ابي عندي خاطرك بألف بطرك » ! وأوقف التنفيذ . فأظهر البطريرك الحب واللطف للمعلم حنا وأرسل له هدية صندوقاً من الشمع الكافوري الأبيض وصندوقاً من الصابون المسك وطاقية چشكلي هندي وساعة ذهبية (١) .

واطلع سليمان باشا على نص الفرمان الجديد الذي حمله اليــه زخريا متروبوليت عكار فأمر برؤية الدعوى على الوجه الشرعي بحضور القاضي وحضور عبدالله باشا نائباً عن الوالي . وجاء القاضي وجلس في مجلس خصوصي مقابــل ديوان الوزير ونهض عبدالله باشا وجلس وكيلا عن الوزير . ودخل زخريــا متروبوليت عكار الى جانب القاضي . ووقف وكلاء الروم الكاثوليك في المجلس « وانفتحت الدعوى » . وسارت الدعوى في صالح الروم فثــار ثائر الروم الكاثوليكيين ودخل المعلم حنا العورا على عبدالله باشا .

« ووجده عمال يتوضى وقارب الخلاص . فاذ نظره الباشا قال له تفضل يا معلم حنا . فتمنى والدي وبقي واقفاً ناحية الى ان خلص وتنشف وجلس مكانه . فتقدم والدي بكل سرعة ومسك اقدامه وقال له كنت اتمنى ان الباري تعالى ينعم عليّ بان اموت قبل وفاة والدك ولي نعمتي العادل كريم الشيم صاحب الناموس المضف وليس انا فقط بل اولادي وعيلتي وكامل طايفتي اوفق وايسر

١) المرجع نفسه ص ٤٤١ – ٤٤٣

من ان نشاهد الذل والخراب والأذية في ايامك الامر الذي ما كنت اتامل ولا افتكر ان اصادفه في اوقات ابن علي باشا العادل المشهور . فكيف حسن عندك تضيع شرف والدك الذي صرف حياته لاجل « تربيتك عندي » على الحق والعدل لكي توافق خاطر « اعداء الدين » على من هم عبيدك وارقاء نعمتك ونعمــة ابيك . « يا حيف على تعبي عليك ويا حيف على املي فيك » . وحالا سقطت دمعته على وجهه » (١) .

واتصل عبدالله باشا بالقاضي وعاد المجلس لسماع الدعوى فتغيرت لهجة القاضي وعمل الروم الكاثوليك بنصيحة المعلم حاييم فادعوا ان الكنيسة موضوع البحث كانت للسريان الكاثوليك فوهبوها لهم لقلة عدد هؤلاء في صيدا فحكم القاضي بنصف كنيسة للروم وبنصفها الآخر للروم الكاثوليك. وصدر عن سليمان مرسوم بذلك مؤرخ في الخامس من صفر سنة ١٢٣٥ ــ تشرين الثاني سنة ١٨١٩ وهذا نصه :

«قدوة النواب المتشرعين نايب محروسة صيدا حالا السيد محمد سعيد افندي زيد فضله وافتخار العلماء الكرام الماذون بالافتاء افندي زيد علمه وفرع الشجرة الزكيــة قيمقام نقيب السادات والاشراف افندي زيد شرفه وقدوة الاماثل والاقران متسلمنا فيهــا حالا الحاج سليمان افندي زيد قدره .

« بعد السلام التام المنهي اليكم قبل تاريخه حضر لطرفنا مطران الذميين القاطنين بناحية عكار بالوكالة عن قدوة الملة المسيحية البطريق سيرافيم بطريق طايفة الروم الانطاكي المقيم بدمشق الشام ختمت عواقبه بالخير وقرر على مسامعنا بان البطريق المرقوم منصوب بطريق من قبل الدولة العليــة والسدة الخاقانية صانها رب البرية على طايفة الذميين الروم الكاينين بانطاكية وطرابلوس الشام والشام وصيدا وان ساير كنايس طايفة الروم واوقافها تحت نظارة المسفور بموجب براءة سلطانيــة . واعرض لدينا صورة البراءة ممضية .

« وادعى ان كنيسة الروم الكاينة في صيــدا فهي تحت تصرفه وتحت نظارته وان الذميين الكاثوليكيين المقيمين بصيدا واضعين يدهم على الكنيسة المذكورة فضولا من غير مساغ شرعي ولا امر سلطاني . والتمس استردادها ورفع يدهم عنها . فاقتضى ان احضرنا الذميــين الكاثوليكيين القاطنين بصيدا وهم ابراهيم الزهار وابراهيم سركيس ويعقوب الزهار وقسطنطين عكاري والياس الكركجي وحنا دبانه وجبران بولاد وحنا زكار وساير وجوه طايفة الكاثوليكيين ورفعنا استماع دعواهم الى حاكم الشريعة الغراء قاضي محروسة عكة حالا افتخار القضاة والحكام السيد محمد ابو

١) تاريخ ولاية سليمان باشا لابراهيم العورا ص ٤٤٧

الهدى افندي التاجي زيد مجده بحضور امير الامراء كبير الكبراء الفخام ذي القدر والاحترام صاحب العز والاحتشام كتخدانا ولدنا السيد عبدالله باشا دام اقباله . وصارت المرافعــة بينهما وطلب المطران المسفور رفع يد الكاثوليكيين عن الكنيسة المذكورة . فاجابوا ان الكنيسة هذه بالاصل كنيستان احداهما الى طايفة الروم والثانية الى طايفة السريان الذميين . ومن بعد انقراض السريان من قديم الزمان رفعوا الحائط الذي كان بين الكنيستين لاجل التوسع وصارت الكنيسة واحدة . وان الحصة التي تخص طايفة الروم لم يزالوا واضعين يدهم عليها . والذي تخص طايفة السريان الكاثوليكيين واضعين اليد عليها وهي بايديهم وان طلب البطريق المرقوم الى الكنيسة جميعها فهو بغير حق . فطلب منهم حاكم الشرع بينة على اثبات مدعاهم واحضروا بينتهم الى مجلس الشرع .

« وقبل تاريخه حضر لنا اعلام من الافندي الموى اليه بصورة المرافعة الذي حصلت فاقتضى الان ان نصدر لكم مرسومنا هذا من ديوان عكا المحمية مرسلين لكم الاعلام الذي حضر لنــا من الافندي الموى اليه بهذا الخصوص لكي تطلعوا على كيفية المادة وتسجلوا مرسومنا هــذا والاعلام الشرعي بالسجل المحفوظ. وتحضروا خوري طايفة الروم والرعايا الكاثوليكيين ان لا يفارشوا كنيسة الروم في حصتهم المصرف بنظارتها البطريق المسفور بموجب براءة شريفة سلطانية . وتنبهوا على خوري الروم المسفور في اي وقت اراد يجري دينه لا احد يتعارضه فيه . وكذلك الحصة التي تخص السريان تبقى الان طايفة الكاثوليك يجروا دينهم فيهــا في الوقت الذي يريدوا اجراءه الى حين يصدر لكم مرسوم ثاني من طرفنا باعطاء رابطة هذه المادة مع الكاثوليكيين بوجه التفصيل حيث ان هذه الحصة المتعلقة بالسريان منوطة الى راينا . اعلموا ذلك واعتمدوه . في ٥ صفر سنة ١٢٣٥ . الحاج سليمان والى صيدا وطرابلس حالا » (١) .

البطريرك مثوديوس : (١٨٢٣ ــ ١٨٥٠) ومضى سيرافيم مستقبلا وجه البقاء في السنة ١٨٢٣ وانتقل الى دار القرار في دمشق ودفن فيهــا . وأجمع الأساقفة والأعيان على قسطنديوس رئيس أساقفــة سيناء وكتبوا الى الكنيسة العظمى القسطنطينية ينتدبونه بطريركاً على انطاكيــة . ولكن قسطنديوس تمنّع وأعرض فنصّب المجمع القسطنطيني مثوديوس متروبوليت انقيرة بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق .

ونهض مثوديوس من القسطنطينية قاصداً دمشق بطريق البر فاستغرقت رحلته خمسة أشهر وخمسة ايام . وكان قد أرسل امتعته بحراً فغرقت مقابل رأس

١) تاريخ ولاية سليمان باشا لابراهيم عورا ص ٤٥٤ ــ ٤٥٥

كستيلوريزو . وما ان وصل الى دمشق وسجل براءته فيهـــا حتى هب لمقاومة الكثلكة . وكان عزيز الجانب شديد الشكيمة لا تلين قناته لغامز (١) . فبذل قصارى جهده لمقاومة الكثلكة فلجأ الى الطرق الاغتصابية واضطهد ونفى .

الدولة تعترف بالارمن الكاثوليك : (١٨٢٨) وشمل برنامج رومـــة ادخال الارمن في الطاعة منـــذ اوائل القرن السابع عشر فانشقوا على أنفسهم انشقاق الروم وتنادوا واختلفت كلمتهم وتشعبت آراؤهم. وانتظم الكاثوليكيون منهم كنيسة مستقلة وأقاموا منذ السنة ١٧٤٠ بطريركاً عليهم ولكن الدولة ظلت تعتبرهم خاضعين في امورهم الدينية وأحوالهم الشخصية للبطريرك الغريغوري القسطنطيني . واستحكم الشقاق بينهم واشتـــد الاضطهاد ولا سيما في السنوات ١٦٩٩ و١٧٠٢ و١٧٥٩ و١٧٨٢ .

واغبر الجو وأظلم في السنة ١٨٢٨ وتقوضت دعائم المحبـــة فجرى في القسطنطينية نفسها ما لا يمت الى المسيحية بصلة . فرفع برتو افندي تقريراً بذلك الى السلطان محمود الثاني . فقبح السلطان وأنكر وعين ناظراً مسلماً يعنى بشؤون الأرمن الكاثوليك الزمنية ووكل امورهم الروحية الى القاصد الرسولي نفسه (٢). ثم خوّل الكاثوليكيين من الأرمن حق انتداب اسقف يتولى شؤونهم الزمنيـــة والروحية . وفي الثالث من كانون الثاني سنة ١٨٣١ أصدر براءة سلطانية اعترف بها برئاسة الاسقف آغوب وبالملة الارمنية الكاثوليكية (٣) . وربط السلطان بهذه البراءة جميع الطوائف الكاثوليكية بالاسقف الأرمني المستقل وخوله حق قضاء اشغالهم امام المراجع الحكومية الرسمية ورفع بذلك سلطـــة البطاركة غير الكاثوليك عنهم .

ممارسة الحقوق المكتسبة : (١٨٢٨ ــ ١٨٣٤) ومارس الروم الكاثوليكيون هذه الحقوق المكتسبة فرمموا كنائسهم في دمشق وغيرها من المدن والبنادر ودخل بطريركهم مكسيموس مظلوم دمشق وعاد الكهنـــة الروم

1) *Constantius, Patriarchs of Antioch, op. cit., 189.*
2) *Ubicini, A., Lettres Sur la Turquie, II, 255 - 264, 445.*
3) *Testa, I., Recueil, V, 138 ; Young G., Corps de Droit Ottoman, II, 103.*

الكاثوليكيين الى لبس القلاليس الممنوعة وامتنع الشعب الكاثوليكي عن دفع العائدات الروحيـــة الى السلطات الارثوذكسية وأعلن عدد من الارثوذكسيين خضوعهم لرومة في دمشق وحمص وطرابلس وحاصبيا (١) .

براءة باسيليوس : (١٨٣٤) واستصدر الاسقف المستقل اروتين الارمني في الرابع والعشرين من شهر تشرين الاول سنة ١٨٣٤ براءة سلطانيـــة باسم باسيليوس مطران مصر وتوابعها على الروم الكاثوليكيين . واعترف محمد علي باشا عزيز مصر آنئذ بمضمون هذه البراءة التاريخية كما يلي :

ان اروتين قدم عريضة مختومة ابان فيها ان الروم الملكيين القاطنين في محروسة مصر المتعلقين به ليس لهم رئيس يتصرف بشؤونهم وان المطران الراهب باسيليوس كفوء للقيام بمهام الرئاسة وانه يحدد خمسة الاف اخشاية بحصول رئاسته المطلوبة وان اروتين قدم خمسة الاف وفوقها عشرة الاف اخشاية وانه ابتداء من اليوم الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٣٤ تبدأ رئاسة باسيليوس على الروم الكاثوليك في مصر .

وأوجب السلطان بعد هذا على الكاثوليكيين التابعين لرئاسة باسيليوس ان يراجعوه «بالامور المتعلقة بعاداتهم والا يتجاوزوا كلامه الذي بالطريقة والا يتعدوا ذلك » واوجب السلطان ايضاً الا يحول حائل دون تلاوة الانجيل في بيت المطران المذكور والا يعترض احد على توليـــع القناديل ووضع الصور والكراسي والتبخير ومسك العكاز وان يمتنع الضباط والميرميرانات وطائفة اهل العرف عن تعجيـــز هؤلاء واستدرار المال منهم بوجه غير شرعي « وان لا يرفعوا صوتهم عليهم باعلان الكفر » .

ومنحت هذه البراءة الكهنة الكاثوليكيين حق الاشراف على الزواج ومنعتهم عن اجرائـــه بدون اذن المطران وعن الطلاق واخذ امرأة على امرأة وهددتهم بالتأديب في حال المخالفة . ونهت اصحاب القدرة عن اكراه الكهنة بقولهم « زوجوا هذه الحرمة الى هـــذا النصراني » . وحرمت ايضاً اكراه الكهنة على دفن من هم على غير طريقتهم . واذا أوصى بعضهم بشيء الى البطريرك او القسوس لاجل الكنائس فليؤخذ ما أوصى به من الورثاء بمعرفة الشرع . ومن يتوفى من القساوسة وسائر ابناء الطائفة من غير وارث يتسلم موجوداته المطران ولا يحق لبيت المال ان يتدخل في ذلك. ولا تسمع الدعاوي المتعلقة بالشرع الشريف التي تقام على المطران او الكهنة خارج الديوان الهمايوني في الاستانة . « ويجب الا يغتصب احـــد النصارى على الاسلام من دون رضاه » . ولا يعارض المطران في حوائجه ولبسه وعكازه او في محل سكناه (٢) .

١) النبذة للبطريرك مكسيموس مظلوم ص ١ ــ ٢
٢) النبذة للبطريرك مكسيموس مظلوم ص ١٤٧ ــ ١٥٣

وأنفذ مكسيموس القس توما القيومجي الى مصر في السنة ١٨٣٥ ليدير شؤون الطائفة الكاثوليكية فيها . وما ان وصل اليها وخرج لقضاء اشغاله فيها لابساً لباس الروم التقليـدي حتى قبض « يسقجي » البطريرك الاسكندري عليـه وساقه الى البطريركية . فأمر البطريرك بحبسه وأكرهه على « قلع القلوسة ولف الشال » فشكا توما أمره الى العزيز فمنع هذا البطريرك عن التدخل في شؤون الروم الكاثوليك عملا بنص البراءة السلطانية (١) .

مجمع طرابلس : (١٨٣٦) فشقّ الأمر على البطريركين الاسكنـدري والانطاكي واشتد عليهما . فدعا مثوديوس مطارنة الكرسي الانطاكي الى مجمع في « نواحي طرابلس » في آب السنة ١٨٣٦ . واتصل الآباء المجتمعون ببطريرك الاسكندرية وجمعـوا الأموال من الرعايا وأنفذوا من اختاروه الى القسطنطينية لدرء هذا الخطر الجديد . وادعوا ان لبس القلاليس مختص بهم وطالبوا بمنع الكاثوليكيين عن التزيي بأزيـاء الروم كي يتمكن الشعب من التفريق بين الاكليروسين . فاستدعى كارلوس كرابيد ازيان البطريرك الكاثوليكي في الآستانة وكيل البطريرك مكسيموس الخواجه يوسف حجار وحضه على جمع المال لمقاومة بطريرك الروم في الدوائر الرسميـة . وفي أواخر ايار السنة ١٨٣٧ صدر فرمان سلطاني موجه الى عزيز مصر محمد علي باشا يمنع تغيير المذهب ويوجب بقاء كل نصراني على مذهبـه ويردع القساوسة الكاثوليكيين عن التزيي بزي الروم وعن التحرك بجمعية خلاف أطوار الرعية عند انتقالهم من محل الى محل (٢) .

مثوديوس في مصر : (١٨٣٧ ـ ١٨٤٠) وأرسل البطريرك القسطنطيني الفرمان السلطاني الى مثوديوس البطريرك الانطاكي . فهبّ هذا لساعته يطالب بالتنفيذ . ولما كان الفرمان السلطاني موجهاً الى محمد علي باشا عزيز مصر وكان مكسيموس آنئذ في وادي النيل يتفقد شؤون رعيتـه طلب مثوديوس الى محمد شريف باشا حكمدار الايالات الشامية ان يأذن له بالسفر الى مصر لمقابلة العزيز

١) المصدر نفسه جـ ٣ ١٥٣ ـ ١٥٤
٢) المرجع نفسه ايضاً ص ١٦٢ ـ ١٦٧

والتحدث اليه في أمر الفرمان الجديد . فأجاب الحكمدار الطلب وقام البطريرك من دمشق في صيف السنة ١٨٣٧ الى طرابلس ومنها الى اهدن لمقابلة ابراهيم باشا ابن محمد علي باشا وقائـد جيوشه . وأصغى السرعسكر المصري الى ما قاله البطريرك الانطاكي ثم أجاب انه لا يريد التدخل في المسائل الدينية الطائفية ولكنه مستعد لعرض الشكوى امام والده في مصر . ورجـع مثوديوس الى طرابلس يرافقه زخريا مطران عكار . وقاما منها الى بيروت وجمعا الأموال اللازمة وابحرا الى الاسكندرية فوصلا اليها في اوائل ايلول . ورفعا امرهمـا الى العزيز وتُلي الفرمان السلطاني على مسامعه فأمر بتنفيذه وتسجيله في المحكمة الشرعية .

وسام البطريرك مكسيموس الخوري يوسف الكفوري « مطراناً على قلاية بطريركية الاسكندرية » ودعاه باسيليوس ليوافق نص البراءة التي استصدرها اروتين الأرمني الاسقف المستقل . وشارك البطريرك في وضع اليد يوسف ناتسيو الاسقف اللاتيني العابر الطريق آنئذ واسقف هالينة النائب الرسولي على طائفـة الأقباط الكاثوليكيين في مصر وذلك في الخامس من ايلول سنة ١٨٣٧ (١) . ثم أقام مكسيموس المطران الجديد نائباً بطريركياً له في مصر . وكانت الحكومة الافرنسية قد منحت مكسيموس التبعة الافرنسية منـذ السنة ١٨٢٢ فشاور مكسيموس قنصلية فرنسة في المشكلة القائمة فأشارت بأن يجعل البطريرك نائبـه باسيليوس يلتمس احالة النظر في الدعوى القائمـة بين الروم والروم الكاثوليك امام المحكمة الكبرى او امام الديوان الخديوي او اعطاءه مهلة كافيـة لعرض الحقائق لدى الباب الهمايوني في الآستانة (٢). فأجاب العزيز انه لا يتدخل في امور الديانات وانما يأمر بتنفيـذ البراءات والفرمانات كما ترد وانه ليس على الروم الكاثوليكيين الا ان يستصدروا فرماناً جديداً يخولهم الحقوق التي يطلبونها (٣) .

وطالب الروم بتنفيذ الأوامر السلطانية فاضطر مكسيموس وكهنته ان يقيموا في الدار البطريركية والا يغادروها خشية التنفيـذ الجبري . وأكدت

١) النبذة للبطريرك مكسيموس مظلوم ص ١٨٠ ـ ١٨٢
2) *Hajjar, J. Maximos III Mazloum, 88.*
٣) النبذة ايضاً ص ١٧ ـ ١٨

القنصلية الافرنسية في الاسكندرية انها تعتبر الدار البطريركية الكاثوليكية داخلة في حمايتها بموجب نصوص الامتيازات الأجنبيـة . واتصل القنصل بالديوان الخديوي ورجا التريث فأكد حبيب افندي لمثوديوس وقنصل اليونان ان الديوان منفذ الأوامر السلطانية ولكنه لم يفعل (١) .

مكسيموس رئيس مرخّص : (١٨٣٧) وفي السادس عشر من تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ تسلم مكسيموس بريد الآستانة فاذا به براءة سلطانية ترخص له السلطة والسيطرة على الروم الكاثوليكيين في بطريركيات انطاكيـة واوروشليم والاسكندرية . وهي مؤرخة في اول شعبان سنة ١٢٥٣ اي في الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٨٣٧ .

« ان الراهب المسمى كرابيد بطريرك الكاثوليك الذين في اسلامبول وتوابعها قدم لدى سدتي السنية عرضحالا مختوماً يذكر فيه انه قـد لزم تعيين مرخص على جميع الروم الملكيين الكاثوليكيين الموجودين في ابرشيات انطاكية والاسكندرية والقدس الشريف الداخلين تحت بطريركية الكاثوليك وان قـدوة مختار الملة المسيحية المسمى مكسيموس مظلوم المتروبوليت ختمت عواقبه بالخير الحامل براءتي هذه الهمايونية حيث انه مقتدر على روية امور المرخصية وادارتها فاستدعى ان يعطى له براءة سنية مع درج الشروط فيها بتوجيه لمرخصية المذبورة الى المتروبوليت مكسيموس المذكور بشرط تقديم مقدار من الدراهم الى الخزينة العامرة على وجه الهدية . فهذا هو مضمون العرضحال المقدم ذكره .

« فبعد المراجعة في القيود تبين انه من مقتضيات الشروط المدرجة في براءتي العلية الشأن التي بيد البطريرك المرسوم انه اذا لزم تعيين مرخص للمحلات الداخلة تحت ملل هذه البطريركية حسب المقتضى على موجب عاداتهم ووضع رسم الهدية على قدر تحمله واستدعى ان تعطى له براءة مجددة فتسلم الهدية المعينة نقداً الى الخزينة العامرة وتعطى له براءة شريفة مجددة مع درج الشروط فيها . وقد عين هو على المرخصية المرقومة في هذه المرة خمسة عشر الف عثماني على وجه الهدية واعطي له البيان من محلها بتسليم الهدية المذكورة نقداً الى الخزينة العامرة : فأصدرت براءتي هذه الهمايونية على موجب فرماني العالي الشأن المبرز قبلا .

« وقد امرت بأن المتروبوليت مكسيموس مظلوم حاملها يدبر مرخصية جميع الكاثوليكيين الذين في بطريركيات انطاكية واسكندرية والقدس الشريف . وان الطائفـة الذمية الكبار والصغار والقسوس والرهبان والرجال والنساء الذين على المذهب الكاثوليكي الموجودين في المحلات التابعـة

1) Charon, C., *Hist. des Patriarcats Melkites, II, 176 - 177.*

لمرخصيته يلزم ان يعرفوه رئيساً مرخصاً عليهم ويراجعوه في الامور المتعلقة بعاداتهم ولا يتجاوزوا كلامه الذي في محله ولا يحدث منهم قصور في طاعته .

« ثم لا احد يتعارض المتروبوليت المذكور في بيتـه ولا في سائر البيوت عن قراءة الانجيل واجراء اعتقاده . ولا احـد يقول انتم ايها الكاثوليكيون تجرون في بيوتكم اعتقادكم وتقرأون الانجيل وتعلقون القناديل وتضعون كراسي وتصاوير وستارات وتبخرون بالمباخر وتمسكون العكاكيز بايديكم . فلا يتعارضهم احد في شيء من اعتقادهم جميعها . ولا يصنع لهم تعللا وتعجيزاً لاجل جلب المال من طرف الميرميرانات ولا من قبل الضباط كافة ولا من جهة اهل العرف جميعاً . فلا يصير عليهم ادنى تعد بغير حق مخالف الشرع الشريف .

« والذين يموتون من المطارنة والقسوس والرهبان والقسيسات وغيرهم مهما أوصوا بـه الى الفقراء او لكنائسهم او لبطريركهم تكون وصيتهم نافذة مقبولة ولا تصير من أحد مداخله بها بوجه من الوجوه بـل تكمل على موجب اعتقادهم وقاعدتهم وبشهود جماعة كاثوليكيين من طائفتهم تسمع دعاويهم شرعاً .

« ولا احد من المتقدمين يتعارض قائلا للمرخص ارسل هذا القسيس الفلاني بهـذا الوجه او بذاك . ولا يصير جبر او تعد بهذا الشأن اصلا .

« واذا اقتضى للمتروبوليت المذكور ان يحضر الى الآستانة لاجل مصلحة فالقسيس والراهب الذي يوكله عوضاً عن ذاته لا احد يمانعه او يتعرض له من طرف اهل العرف ولا من غيرهم بوجه من الوجوه قطعاً . ولا يقول احـد للمرخص المذكور انا اتبعك جبراً لاجل خدمتك اذ لا رخصة لاحد بذلك .

« والاشياء المختصة بالمتروبوليت المذكور او بكنائسه متى بلغت الى الاساكل او الى الابواب فليس لاحد ان يطلب عليها شيئاً من كمرك او باج اصلا .

« واذا اقتضى للمرخص ان يرسل من قبـله انساناً لجمع ميرياته ومحاصيله من اهالي القرى والامكنة الاخرى فليعط لهم دليل في الطرقات ومباح لهم ان يغيروا ملابسهم وان يتقلدوا الاسلحة الحربية لاجل تحصين ذواتهم من الاشقياء . وليس لاحد من طائفة اهـل العرف او من الحكام ان يتعرضهم لاجل جلب المـال او عوائد او هدايا او بنوع من الانواع بتة ولا يطالبهم احد بشيء بخلاف الشرع الشريف اصلا .

« ولا تسمع دعوى على المتروبوليت المذكور ولا على قسوسه ولا على المختصين بـه الا في ديواني الهمايوني في آستانة دار السعادة لا في مكان اخر قطعاً .

« واذا اقتضى ان يحبس باذن الشرع الشريف احـد من الرهبان او من القسوس او من الراهبات فلا يكن ذلك عند الضابط ولا يقدر بدون رضاه ان يحوشه هو بل ان المتروبوليت يمسكه ويحبسه عنده . ثم لا يجبر الذي على الاسلام اصلا بدون رضاه .

« والاشياء الحاصلة للمتروبوليت لاجل مأكولاته من كرومه وارزاقه وكذلك الآتية اليه باسم التصديق من حلو او دهان وعسل وغير ذلك فوكلاء الكمارك وجماعتهم الذين في الاساكل والابواب لا يتعارضونهم بالمنع عن الادخال ولا بطلب شيء برسم كمرك البتة . والحذر من المخالفة . وهكذا مهما يكون مختصاً بكنائسهم واديرتهم من كروم وبساتين وطواحين وقرى ومزارع ومراعي واراضي وغيرها ونظيرها اوقاف كنائسهم من بيوت ودكاكين واملاك وموجودات واشجار مثمرة وحيوانات مع سائر مأكولهم فليكن في ضبطهم وتصرفهم المطلق ولهم فيـــه دستور العمل من دون ان يتداخل به احد اصلا .

« ثم ان الكنائس مع الاديرة المختصة بالطائفة المذكورة لا يتعارض امراً من امورها احد من طائفة اهل العرف بتفتيش لاجل بيولردي او غيره ولا يحدث لهم بذلك ممانعة او تجريم . بل تكون كنائسهم واديرتهم في ضبطهم وتصرفهم .

« وبدون اذن المتروبوليت المذكور ومعرفته لا احد من قسوسه يعقد زواجاً لا يكون جائزاً في اعتقادهم ومذهبهم . ومن حيث ان الطلاق والزواج بامرأة اخرى عدا الامرأة الحية ليس جائزين عندهم فلا يعطى لاحد منهم رخصة بذلك اصلا . بـــل اذا حدث امر مغاير لمذهبهم فالذين باشروه يتأدبون حالا بالقصاص حسبما يستحقون . واذا اراد البعض من الطائفة المذكورة ان يعقد زواجاً عند طائفة اخرى فلا يعقدوه له ولا احد من ذوي الاقتدار يغصب احداً من القسوس مع عقد زواج لاحد بخلاف اعتقادهم . ثم اذا حدث منازعة فيما بـــين البعض من الكاثوليكيين اما لعقد زواج او لامر من الامور كافة او من الاختصاصات جميعها فليحضر المتخاصمون امام المتروبوليت المذكور او امام الذين يعينهم لاجل رؤية الدعاوي مثـــل ما يقتضي الحال . واذا لزم ان يحلف يميناً لاحد هؤلاء فيحلفه في الكنيسة على موجب اعتقادهم .

« واذا اتفق البعض من الطائفـــة المذكورة لاجل مقتضى اغراضهم ان يرفعوا الدعوى الى القضاة او الى الحكام فلا احد من طرف القضاة او الحكام يتعارض او يتداخل فيها . وان فعل احد بالخلاف فيجرم .

« واذا مات احد في حالة مخالفة مذهبهم واراد القسوس ان لا يتعاطوا دفنه لاجل مقتضى مذهبهم فلا احد من القضاة ولا من الحكام ولا من الضباط ولا من ذوي المقدرة يجبر القسوس برفع ذلك الميت ودفنه او يصنع بهذا الشأن ادنى تعد .

« والتعميرات والترميمات التي تقتضي لكنائسهم واديرتهم فيأذن الشرع الشريف ان تعمر وترمم من غير ان يصير من طرف احد ادنى تداخل .

« واذا كان لاحـــد دين فليحذر من ان يتعارض بسببه حوائج الكنيسة او الاديرة حتى ولا بطريق الاسترهان . وان كان احد يتجاسر على اخذ شيء من ذلك يرد حالا بمعرفة الشرع .

« والذي يموت من القسوس او القسيسات بلا وارث فالمتروبوليت المذكور كبطريرك يستولي على ما يكون للميت مهما كان من موجودات ودواب وغـــير ذلك لجهة الميري له من دون ان يتداخل

بذلك احد من طرف بيت المال او القسام او المتولين او الشوباصية او يضع يده على ماله او نقوده او شيء من سائر مخلفاته .

« ولتؤد الطائفة المذكورة مـــا عليهم لمتربوليتهم في كل سنة رسوم ميرية وصدقات وسائر المرسومات البطريركية تماماً ولا تصير في ذلك مرادة من احد .

« واذا تقدم اعراض من الباشاوات او القضاة او النواب في سوء حال المرخص المذكور او قسوسه او في عزل احد منهم او نفيه فالشكوى التي تصدر في حق احد منهم لا تقبل دون الفحص الكامل والوقوف على صحة الامر . وبغير ذلك لا يصغ الى كلام احد اصلا . وفي فرضية اذا صدر فرمان او امر شريف بتاريخ مقدم او مؤخر لا يعتبر ولا يعمل به في مكانه .

« ويكونون جميعاً مرخصاً باجراء عقائدهم في كنائسهم واديرتهم وامكنة زيارتهم المعلومة ولا تحصل في ذلك ممانعة البتة من طرف اهل العرف ولا من جهـــة غيرهم لا في دفن موتاهم ولا في قراءتهم تخلواً من معارضة احد لهم بذلك .

« ونظراً الى الحيوانات والخيل والبغال المعـــدة لمراكيب المتروبوليت المذكور واتباعه فلا يعترضها احد بنوع من الانواع . وهكذا الدار التي يسكنها هذا المرخص ليس لاحد من اهل العرف او من الحكام او غيرهم ان يطلبهـــا لتستعمل منزولا او لاجل نزول عساكر فيها . ثم ليس لاحد عليها ولاية بوجه من الوجوه وكذلك لا يقدر احـــد من الميرميرانات او من امراء اللواء أو من المتسلمين او من النظار او من اصحاب الولاية او من الضباط او من الشوباصية او غيرهم ان يمانعه في ملابسه او زيه ولا في العكاز المختصة به المعتاد ان يمسكها بيده ولا ان يصنع له ادنى مزاحمة او ممانعة في شيء وذلك حفظاً لشروط براءتي هذه العالية الشأن التي بموجبها يكون دستور العمل في ضبط اموره وحلها وربطها بالحرية الكاملة من دون ان يتعارضه احد في جميع التصرفات المختصة به بوجه من الوجوه ولا بسبب من الاسباب . فهكـــذا اعلموا جميعاً واعتمدوه على علامتي هذه الشريفة . تحريراً في اليوم الاول من شعبان سنة ١٢٥٣ » (١) .

واذا كان في هذه البراءة اعتراف واضح بما كان يعانيه بعض رجال الدين المسيحيين من تضييق وضغط فان فيهـــا ايضاً محاولة رسمية لحمايتهم من ذلك . ففيها ترخيص بتعمير الكنائس وترميمها وحرية الملبس واظهار شعائر السلطة الدينية وحرية التوصية وصلاحية النظر في الدعاوى ومنع القضاة والحكام عن التدخل في احكام الاساقفة . فالبراءة من هـــذه الناحية تبشر بعهد جديد

١) النبذة للبطريرك مكسيموس ص٢٠٣ — ٢١١ والشهب الصبحية ليوسف وردة ص ١٦٦ — ١٧١
Charon, C., op. cit., 177 — 162.

واصلاح شامل . وهي من حيث علاقة الروم الكاثوليكيين بالروم الارثوذكسيين تؤذن بالاستقلال التام .

السلطان يبرم وينقض : ثم نقض السلطـان ما ابرم فأصدر في منتصف تشرين الثاني من السنة ١٨٣٧ فرماناً جديداً وجهه الى عزيز مصر واوجب به التحقيق في النزاع القائم بين الروم والروم الكاثوليك بحضور العلماء والاعيان واهل الخبرة ورفع النتيجة الى جلالته ليثبت الحق ويرفع الاذى (١) . فاضطرب مثوذيوس وزميله الاسكندري ايروثيوس وفاوضا السلطات المصرية في مهلة ثلاثة اشهر يتمكنان في اثنائها من الدفاع عن حقوقهما المشروعة . وفي اوائل تموز السنة ١٨٣٨ أصدر السلطان فرماناً اوجب فيه قطع القال والقيل وردع الروم الكاثولكيين عن التردي بقيافة الروم وتدبير قيافة تشبه الرهبان الكاثولكيين القائمين في ممالكه المحروسة (٢) . وما فتىء السلطان يقدم ثم ينخزل ويقر ثم ينقض حتى اضطر الطرفان ان ينتقلا في نزاعهما الى عاصمة الدولة نفسها . وفي ايلول السنة ١٨٣٨ اصدر البطاركة الارثوذكسيون الاربعة غريغوريوس القسطنطيني وايروثيوس الاسكندري ومثوذيوس الانطاكي واثناسيوس الاوروشليمي بياناً قبحوا به اللبتنة وخروج الروم الكاثوليكيين (٣) .

وشغل هذا النزاع باريس وروما وبطرس برج بالاضافة الى الاستانة . فان مكسيموس غادر الاسكندرية في خريف السنة ١٨٤٠ الى مالطة فرومة فباريس مستجدياً مستنهضاً ثم عاد تواً الى الاستانة فوصلها في الثالث والعشرين من اب سنة ١٨٤١ واقام فيها . وكتب البطاركة الى السنيودس الروسي واتصلوا بسفارة روسية في الاستانة . فاضطر الباب العالي ان يسعى سعياً حثيثاً للوصول الى حل مناسب يرضى به الطرفان . وفي اوائل تشرين الاول سنة ١٨٤٧ أصدر السلطان عبد المجيد خطاً همايونياً اوجب به اكتساء المطارنة والكهنة والرهبان

١) النبذة للبطريرك مكسيموس ص ٢١١ – ٢١٧

٢) المرجع نفسه ص ٢١٨ – ٢٢٣

3) *Mansi, Amplissima, Vol. 40, Col. 267 - 276.*

الملكيين الكاثوليكيين « قلنسوى مسدسة الزوايا بلون مور » واوجب ان يكون لون اللاطية فوقها موراً ايضاً (١) .

مكسيموس بطريرك مستقل : (١٨٤٨) وخسر مكسيموس جولة «القلوسة» ورضي ان تكون هذه القلوسة مسدسة الزوايا بنفسجية اللون لامستديرة سوداء كقلوسة الروم الارثوذكسيين . ولكنه فاز باعتراف الدولة به بطريركاً مستقلا عن البطريرك الارمني الكاثوليكي الذي كان يتبعه منذ السنة ١٨٣٧ بصفة « رئيس مرخص » ففي الثامن من كانون الثاني سنة ١٨٤٨ صدرت براءة سلطانية تعلن هذا الاستقلال وتعترف به . فقد جاء في مقدمات هذه البراءة « ان الرؤساء المرخصين القائمين على تدبير امور الكلدان والسريان والموارنة يستمرون في طاعة بطريرك الكاثوليكيين في الاستانة . اما طائفة الملكيين فانهم في حالة خصوصية لان بطريركهم قائم بهم بالفعل والعملية منذ القديم » وبما انه لم يعط براءة بهذه الصفة وبما ان مجلس الاحكام العدلية رأى ان الضرورة تقضي باعطائه براءة بذلك فان السلطان أصدر أمره الهمايوني « في هذا الخصوص وتعلقت ارادته السنية الملوكية باجراء ما اقتضى » ولذلك فانه أعطى مكسيموس مظلوم براءته الهمايونية متضمنة بطريركيته على الروم الملكيين الكاثوليكيين الموجودين في انطاكية واسكندرية والقدس الشريف وسائر الممالك المحروسة . وعلى هؤلاء كباراً وصغاراً ان يعرفوه بطريركاً عليهم ويراجعوه في الأمور المتعلقة بعاداتهم ولا يتجاوزوا كلامه الذي في محله ولا يبدوا قصوراً في طاعتهم له .

ثم أستطرد السلطان فكرر جميع ما ورد في براءة السنة ١٨٣٧ من امتيازات ادارية وسياسية وقضائية وتحرير اجتماعي . وقد أثبتنا نص هذه البراءة الاولى آنفاً فلتراجع في محلها . ولا تزال البراءة الثانية محفوظة في دار البطريركية الكاثوليكية في دمشق . وقد أحسن الأب يوسف حجار بنشرها بالزنك في كتابه الانيق « البطريرك مكسيموس الثالث مظلوم » الذي ظهر حديثاً بموافقة سيادة

1) *Charon, C., op. cit., II, 207 - 216 ; Hajjar, J., op. cit., 93 - 94.*

الحبر العلامة كيريوس فيليبوس متروبوليت بيروت وجبيل وتوابعها (١) .

البروتستانت : واستقلت المستعمرات البريطانية في اميريكــة الشمالية واصبحت الولايات المتحدة الاميريكية (١٧٧٦ ــ ١٧٨٣) . وانتظمت شؤون الدولة الجديدة ودرت مواردها فتفتحت أمام قادتها وزعمائها آفاق جديدة . وكثر المهاجرون البروتستانت حــتى أصبحوا أغلبية السكان . وقــال معظمهم بالبروتستانتية الكلوينية فشعروا بواجب التبشير والدعاية لايمانهم أكثر من اللوتريين والانكليكان . وانتظم في وليامستون في انكلترة الجديــدة في السنة ١٨٠٦ جماعة من الاتقياء الذين نذروا حياتهم « للعمل في حقل الرب » فأسسوا في السنة ١٨٠٨ « جمعية الاخوة » . ثم التحقوا بكلية أندوفر لدرس اللاهوت وبثوا دعايتهم في كلية وليم . وقدر لهم النجاح فنشأت في السنة ١٨١٠ « المفوضية الامــيريكية للتبشير في الخارج » . (٢) وفي السنة ١٨١٢ اعترف مجلس ولايــة مساتشوست التشريعي بهذه المفوضية .

واهتم الاخوان والمفوضون لأمر فلسطين منذ اللحظة الاولى فأرسلوا في السنة ١٨١٩ بلينيوس فسك ولاوي بارسنس للاقامة في اوروشليم والعمل على تبشير اليهود (٣). وأوصوا هذين المبشرين بدرس الموقف لمعرفة ما يمكن ان يُعمل لمساعدة المسلمين والمسيحيين وسكان مصر وسورية وفارس وارمينية (٤). وأقام فسك في ازمير مدة وجاء بارسنس اوروشليم فوصلها في السابع عشر من شباط سنة ١٨٢١ وأقام فيها يوزع الاسفار ويفسرها . ثم توفي بداء الديزنطاريــة في الاسكندرية في السنة التاليــة . فلما علم رفيقه بلينيوس فيسك بذلك قــام من أزمير الى مالطة يشوق مرسلا اميريكياً آخر كان يشرف على المطبعة الاميريكية في هــذه الجزيرة للعمل في اوروشليم . فآثر تمبل هذا البقاء في مالطة . وكانت كلية اميرست Amherst الاميريكية قد اوفدت يونس كينغ الى باريز لتعلم اللغات الشرقية في

1) *Hajjar, J., Un Lutteur Infatigable le Patriarche Maximos III Mazloum, Harissa, 1956, 99 ; Steen de Jehay, F. von den, Sujets Ottomans non-Musulmans, 273 ; Charon, C., op. cit., II 202 - 207.*
2) *The American Board of Commissioners for Foreign Missions.*
3) *Thompson, A. E., A Century of Jewish Mission, 176.*
4) *Strong, W., the Story of the American Board, 80.*

مدرسة باريز على المستشرق الشهير سلفستر دي ساسي . فاتصل فيسك به ودعاه للعمل في الشرق فلبى الدعــوة بسرور . وشجعته جمعية التبشير الانجيليــة الافرنسية (١) على ذلك فمنحته مساعدة مالية قدرها مئة دولار في السنة لمدة ثلاث سنوات . فأصبح هذا الشاب الاميريكي اول المرسلين الانجيليين الافرنسيين (٢) . وقام المرسلان من مالطة الى الاسكندرية فالقــدس فوصلا اليها في اوائل السنة ١٨٢٣ . ثم التحق بهما اسحق بــيرد موفداً من قبل مفوضية التبشير الاميريكية . وجاء بــيروت في السنة ١٨٢٣ لويس واي *Way* نائب رئيس الجمعية اللندنية للتبشير بين اليهود (٣) . واستأجر مقر الآباء اليسوعيين في عينطورة الزوق وجعله مركزاً لعمله التبشيري وبعد بضعة أشهر عاد الى لندن تاركاً لويسهو *Lewiswho* يعمل لنشر الايمان (٤) .

البطريرك الاوروشليمي ينقبض ويقبح : (١٨٢٣) وجاء لنيوفيطوس القبرصي ان المرسلين الاميريكيين أقاموا لدى وصولهم الى القدس عند الارمن ووزعوا الاسفار المقدسة . ثم أظهروا المحبة لليونان وأقرضوا رهبان القبر المقدس مالا كانوا في حاجة اليه واستأجروا غرفتين او ثلاثاً في دير رئيسي الملائكة . ثم وزعوا الخبز يومياً على الطلبة الفقراء فبارك الرهبان عملهم الخيري. ولكن المرسلين بدأوا بعــد ذلك يعلمون الاولاد الا يحترموا الايقونات والصليب والا يصوموا والا يستشفعوا والــدة الاله . فاستدان الرهبان مالا من اليهــود وأعادوا الى الاميريكين قرضهم وطردوهم من الدير والمدارس (٥) .

وداعات يونس كينغ : وخرج بلينيوس ويونس من القدس في السنة ١٨٢٥ واستقرا في بــيروت وجعلاها مركز اعمالها . وعكف يونس كينغ على درس العربية والسريانية فلازمه اسعد الشدياق لقاء أجر معين . وتوفي بلينيوس فيسك في خريف السنة ١٨٢٥ ودفن في بيروت .

1) *Société des Missions Evangéliques de Paris.*
2) *Bianquis, J., Les Nouveaux Devoirs du Protestantisme Français en Syrie, 24.*
3) *The London Society for Promoting Christianity among the Jews.*
4) *Scherer, G., Mediterranean Missions, Beirut, 1939, 1.*
5) *Papadopoulos Kerameus, Analekta, II, 458.*

واستصدرت السلطات الروحية الكاثوليكية فرماناً سلطانياً يمنع توزيع الاسفار المقدسة ويوجب جمع ما وزع منها (١٨٢٤) (١) واتصل الا كليروس الكاثوليكي الشرقي بيونس كينغ وحضوه على العودة الى حضن الكنيسة الجامعة وكان هو قد قرر القيام الى ازمير والجزر اليونانية فصنف رداً على من دعاه الى الكثلكة ونظر المعلم اسعد الشدياق في الرد فسمّاه « وداعات يونس كينغ » . ثم نشر هذا الرد ووُزع في جميع انحاء الدولة العثمانية .

وجاء هـــذا الرد في قسمين رئيسيين اولهما اثنتا عشرة مادة في الايمان الكلويني والثاني ثلاث عشرة رداً على السؤال : لماذا لا اقبل الكثلكة . وعناوين هذه الردود هي ما يلي : ١) لان المسيح لا البابا هو رأس الكنيسة على الارض ٢) لان رومة توجب التبتل على الا كليروس وهو امر مناف للاسفار ٣) لان المسيح هو الشفيع الوحيـــد ولانه لدى رومة شفعاء كثيرين العذراء مريم والقديسين والملائكة ٤) التوراة تحرم عبـــادة الصور والتماثيل ورومـــة تجيزها ٥) لان القول بالمطهر يعاكس نص التوراة ٦) لان التضرع الى القديسين لا يتفق والاسفار ٧) لان رومة تحرم العامة من كأس الشركة ٨) لان رومة تستعمل لغـــة مجهولة في العبادة ٩) لان الايمـــان بالبابا يخالف نص الاسفار ١٠) لاننـــا ننال الخلاص بالمسيح لا بالقديسين ١١) لان رومة تقر اضطهاد البروتسانت وافناءهم كما جرى في يـــوم القديس برتلماوس عندما سقط ثلاثون الفاً في يـــوم واحد ١٢) لان رومة لا تسمح للشعب بمطالعة التوارة ١٣) لانه لا يمكنني ان اصير رومانياً والتوراة بيدي . ولاني اتمنى لكم جميعاً ان تصيروا مسيحيين ولا اكترث للقب بروتستانت (٢) .

موقف الموارنة والكاثوليك : وقدم في السنة ١٨٢٤ اسحق بيرد ووليم غودل والتحق بهما في السنة ١٨٢٧ عالي سميث . وبدأوا العمل الانجيلي فاستمالوا اسعد الشدياق واثنين من اساقفة الارمن الغريغوريين . وانشأوا المدارس لتعليم

1) *Jessup, H., op. cit., I, 36.*
2) *Ibid., 39 - 40.*

الاولاد فبلغ عددها في السنة ١٨٢٧ ثلاث عشرة مدرسة ضمت ٦٠٠ طالب . فأعد البطريرك الماروني يوسف حبيش حرماً شديد اللهجة في الخامس عشر من كانون الاول سنة ١٨٢٦ وأمر به فأعلن رسمياً في كنيسة بيروت المارونية في الرابع عشر من كانون الثاني سنة ١٨٢٧ . وجاراه في ذلـــك بطريرك الروم الكاثوليكيين اغناطيوس قطـــان (١) . وقبض على اسعد الشدياق وسجن في دير علما ثم في قنوبين . وفرّ اخوه فارس والتجـــأ الى دور المرسلين في بيروت فأرسلوه الى مالطة (٢) .

البطريرك مثوديوس والمرسلون : (١٨٢٧)وكتب البطريرك مثوديوس نفسه في السابع والعشرين من اذار سنة ١٨٢٧ الى القسين بيرد وغودل يلفت نظرهما الى ان مدارسهما تبذر الشقاق بين خرافه . ثم أمر جراسيموس متروبوليت صور وصيدا باقفال المدارس في مرجعيون وحاصبيا (٣) . ولا نعلم السبب الذي حدا بزخريا متروبوليت عكار الى العطف على المرسلين واعمالهم . ولعله لم يفعل . . .

البطريرك مثوديوس وترميم الكنائس : وتميزت حكومة محمد علي باشا عزيز مصر بعدلها وتسامحها . فاغتنم مثوديوس الفرصة السانحة ودفع الرعية للعمل على ترميم الكنائس وتوسيعها وانشاء بعضها انشاءً جديداً . فالتمس روم السويدية في منتصف تشرين الاول سنة ١٨٣٣ اعادة انشاء كنيستين فيها (٤) . وتقدم روم انطاكية في اواسط ايار سنـــة ١٨٣٤ يرجون انشاء كنيسة لهم فوافق العزيز على ذلك (٥) وفي السابع والعشرين من اذار سنـــة ١٨٣٩ رفع روم حماة الى العزيز عريضة اشاروا فيها الى الظلم الذي لحق بهم في عهد الحكومات السابقة واشادوا بعدل الحكومة المصريـــة وايدوا ذلك برجوع النازحين منهم الى حماة والتمسوا السماح بتوسيع كنيستهم فكان لهم ذلك على الرغم من اعتراض المتسلم والقاضي (٦) .

1) *Anderson, R. History of the Missions of the A. B. C. F. M. to the Oriental Churches, I, 48 - 49 ; Bird, I., Bible Workin Bible Lands. 215, 222 - 249 ; Jessup, H., op. cit., I, 44.*
2) *Bird I, the Martyr ; Tracy, J., op. cit., 280 ; Jessup, H., op. cit., I, 40 183.*
3) *Bird, I., op. cit., 228 - 231.*

٤) المحفوظات الملكية المصرية للدكتور اسد رستم جـ ٢ رقم ٣٢٣٢
٥) المحفوظات المصرية ايضاً جـ ٣ رقم ٤٠٤٦
٦) المحفوظات ايضاً جـ ٤ رقم ٥٧٢٤ و٥٧٢٧

وكتب متروبوليت بيروت في هذه السنة نفسها للبطريرك الاسكندري يرجوه استصدار اذن بترميم دير مار الياس التينة في ضواحي بيروت . فأحال العزيز الطلب على محافظ بيروت محمود نامي بك وعلى قاضيها الشيخ مصطفى الجابي لابداء رأيهما. فوافق المتسلم واعترض القاضي مدعياً ان الشرع الاسلامي لا يجيز ترميم المتهدم من الكنائس والاديار ويمنع انشاء الجديد . فضرب العزيز برأي القاضي عرض الحائط متهكماً ووافق على ترميم الدير المذكور (١) . ووسع مثوديوس بناء دير مار جرجس الحصن في السنة ١٨٣٧ كما انشأ في دير النبي الياس في ضواحي الشوير عدداً من الغرف الجديدة (١٨٤١ ـ ١٨٤٢) .

مدرسة البلمند الاكليريكية : (١٨٣٣ ـ ١٨٤٢) وشعر الوجوه والاعيان والاكليروس بوجوب الانتباه الى الرهبان لتصمد الكنيسة في وجه التيار الكاثوليكي وتكسر النصال التي كان قد بدأ يسددها المرسلون البروتستانت الى كبد العقيدة الرسولية المقدسة . وكان مقدام هذه الفئة الارشمندريت اثناسيوس (قصير) رئيس دير سيدة البلمند البطريركي . ووافق البطريرك مثوديوس وتسايرت اهواء المطارنة فأنشأ اثناسيوس في السنة ١٨٣٣ مدرسة في الدير المشار اليه . وجمع بها من التلامذة نحو الثلاثين . وأحضر لها الاساتذة فوكل تدريس الدينيات واللغة العربية للخوري اسبيريدون صروف الدمشقي واللغة اليونانية والموسيقى الكنسية لديمتريوس فيليبيدس . وكان من اساتذتها ايضاً الخوري يوسف الحداد والسيد جراسيموس (فرح) الذي صار فيما بعد مطراناً على باياس ثم على صور وصيدا (٢) . وتحلى اثناسيوس بوفرة العلم وسعة المعرفة وثبات العزم والحزم وحسن الادارة والدراية فأحيا املاك الدير القديمة واضاف اليها املاكاً جديدة . وجدد كنيسة الدير وجهزها بالاواني المقدسة والملابس الشريفة والكتب الروحية المفيدة . وبنى غرفاً جديدة وجهزها بكل ما يلزم . فهب الشبان الارثوذكسيون يتقاطرون الى البلمند من جميع ابرشيات الكرسي الانطاكي قصد التمرن على السيرة الرهبانية . وزها البلمند واشتهر بحسن النظام والطاعة ومحبة الشغل والتعب وخدمة العلم والمعرفة .

١) المخطوطات نفسها جـ ٤ ص ٩٧٩ه
٢) الارج الزاكي لامين ضاهر خيرالله ص ٣٧

وقابل اثناسيوس ابراهيم باشا المصري مرتين واستصدر امرين اولهما اعفاء الدير من الضرائب وثانيهما منع الامير بشير الشهابي من اغتصاب مطاحنه (١) .

وفي خلال السنة ١٨٤٠ زار البطريرك مثوديوس مدرسة البلمند وبمعيته زخريا متروبوليت عكار فاحتفلت المدرسة احتفالاً شائقاً . وسقطت في اثناء التظاهر بالسرور بادرة لفظية بنى عليها زخريا القصور والعلالي . وقذف في قلب البطريرك اموراً واموراً . فلم يطل الامر على الارشمندريت اثناسيوس حتى أنذر بما ساءه فأبدى الرغبة بأن يستقيل. فأجابه البطريرك ان استعفاءه قُبل. وهكذا كفت يده عن العمل . ورحل الى اوروشليم بصفة واعظ . وانتثر عقد المدرسة بعد ان اخذت تزهو وتزهر . فتبدد تلامذتها الرهبان وذهب البعض منهم الى دير القديس جاورجيوس والبعض الى آثوس او الى صيدا . ولم يبق منهم في الدير سوى اثنين وعشرين راهباً ينتظرون اصلاح الحال (٢) .

مثوديوس يستجدي الروس : (١٨٤٢) وتخوف مثوديوس من اتساع الجبهة ومن لجوء الكاثوليكيين والبروتستانت الى المدرسة والتعليم في اعمالهم التبشيرية . ولم ير في مدرسة الاقمار الثلاثة التي حض على انشائها في بيروت ما يكفي لدرء الخطر المداهم فاتصل بالاوساط الروسية ورماهم بآماله فأشاروا عليه بارسال مطران الى روسية يطوف بلدانها لجمع ما يلزم لترميم الاديرة والكنائس وانشاء المدارس واعداد الكتب وطبعها .

فأوفد مثوديوس في السنة ١٨٤٢ نيوفيطوس متروبوليت بعلبك لهذه الغاية وزوده بالتعليمات اللازمة وحمله بياناً بطريركياً انطاكياً بواقع الحال . وأرسل البطريرك مع نيوفيطوس كلا من الأب الارشمندريت صفرونيوس والأب الراهب انثيموس وكاتم اسراره السيد يوحنا باباندوبولو .

ومما جاء في هذا البيان البطريركي ان كنيسة انطاكية رزئت منذ القدم بنير الذل والفقر . ثم أحاطت بها الاخطار فقام الرومانيون الكاثوليكيون يبثون عقائدهم

١) تاريخ البطاركة الانطاكيين لقطاس قندلفت : المنار ١٨٩٩ ص ٤٣٥ ـ ٤٣٦
2) *State of the Patriarchate of Antioch in 1850, Appendix III, Neole, J. M., Patriarchate of Antioch, 218 - 219.*

في صدور المؤمنين ثم اغتصبوا افضل الكنائس والاديار ونهبوا هياكل العبادة ودور الكتب . فأمست بعض الكنائس والاديار خالية خاوية وأضحت معظم المعابد القائمة فقيرة تنقصها الآنية والاغطية . والمؤمنون هائمون في أودية الجهل تائهون في شعاب البربرية لا مدارس لهم ولا معلمون ولا مؤسسات عمومية تعنى بشؤونهم. واذا ما أجمل المؤمنون الروسيون الصنع وساقوا الجميل فان ما يجمع منهم سيكرس لانشاء المدارس والمطابع ولترميم كنيسة القديس نقولاوس العجائبي في دمشق وغيرها من الكنائس القديمة والاديرة ولتشييد بعض الأبنية المسيحية العامة التي لا يستغنى عنها . ووقع هـذا البيان البطريركي كل من البطريرك مثوديوس ورؤساء الاساقفة مثوديوس حمص وبنيامين بيروت ويوانيكيوس طرابلس وأرميميوس اللاذقيه وزخريا عرقة وبرنابا حماة ويعقوب سلفكية واشعيا متروبوليت صور وصيدا (١) .

ازمـة في كنيسة حاصبيا : (١٨٤٤ ـ ١٨٤٥) واقتصر المرسلون الاميريكيون في بادىء امرهم على التعليم الابتدائي وتوزيع الانجيـل . ثم قبلوا مسيحيين شرقيين من الروم والموارنة والارمن في الشركة فتكونت نواة لطائفة انجيلية في بيروت (١٨٢٧) . وتابعوا اعمالهم التبشيريـة فتسربت عقائدهم الى القرى . فهب احبار الطوائف المسيحية للدفاع ومنعوا المؤمنين عن ارسال اولادهم الى مدارس المرسلين البروتستانت . وفي السنة ١٨٣٢ أمر مطارنـة اللاذقية وطرابلس وصور وصيدا باحراق المطبوعات البروتستانيـة فتم ذلك باحتفالات علنية في دور الكنائس . واستصدر الآباء اليسوعيون اوامر حكومية رسمية بمنع المنشورات البروتستانية من الدخول الى اراضي الدولة العثمانية (٢) . فرد المبشرون الاميريكيون على هذا الاجراء بنقل مطبعتهم من مالطة الى بيروت (١٨٣٥) .

وصادف المرسلون الاميريكيون نجاحاً في حاصبيا . فأم مدرستهم فيها طلاب من جميع الطوائف والتحف حول المعلم المبشر مئة وخمسون شخصاً يدينون

1) *State of the Church of Antioch, Neale, J. M., op. cit., App. II 210 - 212.*
2) *Jessup, H., op. cit., I, 82, 83.*

بالبروتستانية . فنشأت مشادة عنيفـة بين هؤلاء ، ومعظمهم من الروم ، وبين جمهور الروم في حاصبيا وتوابعها . فطالب البروتستانت في حاصبيا برفع سلطة الاكليروس الارثوذكسي عنهم والاعتراف بهم كنيسة مستقلة . فقام مثوديوس البطريرك الانطاكي من دمشق الى حاصبيا في خريف السنة ١٨٤٤ واتصل بزعماء الحركة البروتستانتيـة وحاول اقناعهم بالعدول عن مطلبهم والعودة الى حضن الكنيسة . فأجابوا : « يا سيدنا نحن نريد ان نفحص بالانجيل فاذا وجدنا طريق الخلاص فيكون المطلوب والا نبقى نرجـع » وأبصر آخرون رشدهم وثابوا الى الهدى واستقاموا على الطريقة المثلى فأصدر البطريرك البركة ورفع الحرم عنهم .

« المجد لله دائماً : مثوديوس البطريرك الانطاكي برحمـة الله تعالى : النعمـة والبركة تشملان ابنتنا الروحيـة المحبوبة بالرب هيلانة زوجـة ولدنا الروحي المحبوب بالرب الشيخ يوسف غره (الكفير) . فحيث ان ابنتنا المذكورة قد قيل عنها انه بادي منها كلام غير لايق وانه كان حصل بسببها منع في رجوع رجلها الى الكنيسة ولهـذا السبب تغلظ خاطرنا عليها وما اشبه ذلك . فالان حيث ان رجلها ولدنا المذكور قد رجع الى احضان امـه الحنونة التي هي كنيستنا الشرقية الارثوذكسية المقدسة المستقيمة الرأي وابنتنا المذكورة هيلانة قـد قدمت التوبة الحقيقية بصفاوة النية فلتكون مباركة هي ورجلهـا ايضاً معها من الآب والابن والروح القدس ومنا نحن ايضاً . ويكون اولادها كذلك مباركين واعمال يدهـا وجميع تصرفاتها المرضية لعزته تعالى . ونعمته تعالى مع بركاتنا وادعيتنا تكون شاملة اياها والى رجلهـا واولادها وكل من يلوذ فيها آمين » .

أصابع الانكليز: وكان ريتشارد وود *Richard Wood* الذي أخرج الموارنة عن صداقتهم التقليدية لفرنسة عام ١٨٤٠ قنصلا بريطانياً في دمشق. وكان ترجمانه ميخائيل مشاقة وقضت السياسة البريطانية بمقاومة الكثلكة وعرقلة اعمال فرنسة في الشرق وباحباط مساعي الروس لاستمالة الرعايا العثمانيين الارثوذكسيين . وقضت هذه السياسة ايضاً بتأييد المرسلين البروتستانتيين في الشرق ولا سيما الاميركيين منهم لأنهم ليسوا من رعايا جلالتها البريطانية ولكنهم يخدمون اغراضها بصورة غير مباشرة . وهكذا فاننا نرى بروتستانت حاصبيا يوجهون عريضة الى القنصل

ريتشارد وود في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٨٤٤ يلتمسون بها رفع الاضطهاد والتضييق الذي حلّ بهم ويتهمون السلطات المحلية بالتعاون مع البطريرك مثوديوس وتسهيل مهمته .

فاتصل ميخائيل مشاقة بالامير احمد ابن الامير سعدالدين الشهابي وفاتحه كلاماً في موضوع بروتستانت حاصبيا في التاسع عشر من كانون الاول سنة ١٨٤٤ فأجاب الامير احمد انه مسلم لا «يعنيه اختلاف مذاهب النصارى» وانه يؤثر باطناً البروتستانت على غيرهم لانهم اقرب في الطاعة ولكنه مكره على طاعة اولياء أمره وأنه لو تظاهر بحماية البروتسانت لشكا خصومه امره الى الوزراء بواسطة جنرال المسكوب . فرأى ريتشارد وود ان يكتب الى سعيد بك جنبلاط في امر البروتستانت ويحضه على حمايتهم في حاصبيا بواسطة اعيان الدروز فيها . ومن هنا قول المعلم بطرس البستاني في رسالة له حررها في حاصبيا في ٢٤ حزيران سنة ١٨٤٤ انه «قبل تاريخه بيوم كان قد ذهب الشيخ امين شمس وأخوه الى الدار وأروا المكتوب الذي جاءهم من الشيخ سعيد جنبلاط وعاتبوه بما اظهره لنحو ابو بشاره وجمهورنا فأجاب الامير انه ان شاء الله ما عاد يصدر منه مثل هذا الشيء» .

رأي المعلم بطرس البستاني : (١٨٤٥) ولوى المرسلون عنانهم وأرادوا ان يقصروا ويكفوا فأخذوا رأي كبير الانجيليين الوطنيين آنئذ صديقهم الحبيب المعلم بطرس البستاني فحرر رسالة في هذا الموضوع في الثاني والعشرين من كانون الثاني سنة ١٨٤٥ جاء فيها ان « ترك اهالي حاصبيا ينتج منه شرور كثيرة » .

« ١) انه يكون ثقالة واضطهاد شديد على الذين يرجعون من اهالي بلدهم وربما يصير خطر على حياة البعض منهم . ٢) اذا تركناهم في هذه الحال يصيرون من أشد أعداء طريقتنا وينسبون خراب بيوتهم الينا . وهذا مما يكون سبباً لسد الباب علينا ليس في جهات حاصبيا فقط بل في هذه الجهات ايضاً . ٣) انه ينقطع عند الاكثرين من اهالي البلاد رجا اعطاء الحرية لان يكونوا بروتستانت . ٤) اذا رجع هؤلاء الى محلاتهم مذلولين يتحقق لدى الاضداد والأحباب ايضاً ان الدولة تضاد امتداد البروتستانت في هذه البلاد . ٥) ان المحلات الموجود فيها بعض اناس منا تقوى شوكتها علينا وربما انهم يفتحون علينا ابواباً جديدة حتى يصوروا عند الدولة وبقية اضدادنا وربما عند أحبابنا بأننا منشؤن مفاسد في البلاد ويمنعون الناس الذين تحت سلطانهم عن مبايعتنا ومخالطتنا ونرجع الى الحال القديم وتقوى شوكة الاكليروس على رعاياها . ٦) ان الذين يريدون ان يتبعوا الحق او الذين هم قريبون الى الحق اذا أرادوا ان يتظاهروا فيه في اماكنهم تقوم عليهم اهالي بلدهم ويعملون بهم ما عمله اهالي حاصبيا بهولآ الفقرا المساكين . ٧) حيث ان حاصبيا هي على نوع ما منتظر الجميع أصحاباً وأعداء فاذا رأوا انتهاءها على هذه الحال يجعلون يهزون روسهم علينا ويقولون ايه ايه قد رأت أعيننا . ٨) ان الناس في حاصبيا اذا سمعوا بتركنا لهولآ وعدم السؤال عنهم من احد الارجح انهم يهجمون على بيوت هولآ وبيوت الباقين هناك ويؤذونهم في مالهم وحالهم . ولكن اذا افتكروا ان مادتهم للان ممسوكة ولو ان فكرهم وهمياً فان الوهم يمنعهم نوعاً عن اتمام كل مقاصدهم الردية . ٩) اذا فشا هذا الخبر هناك واراد اصحاب الأعيال من هولآ ان يأتوا بعيالهم اليهم او أراد الباقون هناك ان يرحلوا من البلد يتعرضهم اهاليها خوفاً من رحيل البعض من أقاربهم وأعيالهم معهم . وهذا عندهم مضر لهم ديانة ودنيا . ١٠) متى انقطع حبل الرجا فان الذين باقون هناك كقسطه المجدلاني وغيره ربما يموت الفكر من عقولهم ولا يعودوا ان يترجوا امكان تمذهبهم بمذهب البروتستانت هناك . وهكذا يتلاشى هذا الفكر بالكلية ويتركون العادة الحميدة في اجتماع سراً للصلواة والقراءة معاً . وناهيك ان اضدادهم يبالغون في منعهم عن ذلك . ١١) ان الذين ماسكون في حبل الباقين هناك مثل المشايخ وبعض الامرا متى تحققوا لديهم ذلك يخافون ولا يعودوا يتجاسروا على حمايتهم وصيانتهم من اعدايهم كما يفعلون الآن حتى ولا يعودوا يقبلونهم في بيوتهم . ١٢) متى رأوا ذلك يحرقوا الكتب التي هناك وربما يختلسون الحوايج . ١٣) متى رأت الدولة ذلك

ربما ان والي الشام يرسل بطلبهم باجتهاد او ان والي بـيروت يطردهم من كل ولايتـه.

« والنتيجة ان الشرور الناتجة من ذلك هي كثيرة . فمنها ما اراها ومنها ما يراها الناس الفطنون. هذا واني لا ارى شراً من حفظهم. واذا وجد شيء من ذلك فلا يكون بالنسبة الى الشرور الناتجـة من عكسه شيئاً . وانا اعلم ان الخسائر التي صارت بسببهم هي كثيرة ولهذا لا يسوغ لنا ان ننسى كل تلك الخساير لاجل ما نضيفه اليها من خسارة جزئية . وانا أظن ان الناس المسيحيين اذا طلبت منهم المساعدة لهؤلاء الفقرا المضطهدين فلا يحبسون احسان رأفتهم عنهم لاني أحقق ان محبة الاحسان في كنايس البروتستانت اذا لم تكن أعظم منها في بقية الكنائس فانها تكون بالاقل مثلها .

« والتدبير الـذي يظهر لي الان انه الاوفق هو ١) ان يعطى كم غرش للمحتاجين منهم على سبيل الاحسان لكي يبعثوها الى اعيالهم الـذين يعرون جوعاً . ٢) ان شاهين غبريل يخدم عند أحد الامرا او المشايخ في هـذه البلاد والاحسن ان يخدم عند الشيخ سعيد جنبلاط. ٣) ان شاهين ابو بركات وناصيف الريس يسكنوا في نيحا تحت نظر الشيخ سعيد ويتعاطيا أمر البيع والشرا ٤) ان يوسف بندر ونقولا عيـد ونقولا حصلب يدقون بارود في عبيه او بحمدون . ٥) ان الياس غبريل يتعاطى صناعة الصياغة في عبيه او بيروت . ٦) ان جريس الريس واخوه منصور يتعاطى السكافة في كفر متى أو غـير مكان بالقرب من عبيه . ٧) انقولا ابو ناعسة واولاده يكونوا في نيحا اساكفة . ٨) ان فارس الدبغي يبقى في عمله او يفتح مدرسة في احدى ضياع الجبل . واذا وجد أحد بعد هولآ يكون تدبيره كتدبيرهم وكل منهم يجتهد على جلب عياله او يبقيهم هناك حسب ارادته . واذا تعذر تدبير أحـد منهم على الطريقة المذكورة فربما يوجد البعض من المشن يريده ان يخدم في بيته . وانا أظن انه لاجل نفوذ هـذا التدبير لا يلزم اكثر من الفين غرش التي انا مستعد ان أجمعها وأساعد فيها من مالي على قدر استطاعتي .

« فأرجوكم ثم أرجوكم لا تسدوا اذانكم عن صراخ هولآ الفقرا المساكين ولا تحبسوا أحشا رافتكم عنهم بعـد أن عملتم معهم معروفاً جزيلا وخيراً وفياً . واترجاكم أن تنظروا بعين الرحمة الى ضيقتهم الحاضرة وتفرجوا منها عنهم على قدر امكانكم . ولاجل تقدمة ما يجب علي لهولآ انا تجاسرت بتقديم اعراضي اليكم لكي تفحصوا ما فيه . وعلى كل حـال كل شي راجع لخاطركم . طالب دعاكم بطرس البستاني » .

الامطوش الانطاكي في موسكو : (١٨٤٨) وكان فيلارتيوس صاحب التعليم المسيحي المطول ومحب الكنيسة الارثوذكسية الجامعة مطراناً على موسكو . فلما طلب مثوديوس البطريرك الانطاكي المساعدة في السنة ١٨٤٢ هب فيلارتيوس للعمل وتلبية النداء . فاستأذن المجمع الروسي المقدس بأن تعطى كنيسة الصعود والقديس ايباتيوس في موسكو الواقعة بالقرب من الكرملين للكرسي البطريركي الانطاكي . فأقر المجمع ذلك ورفعه الى القيصر فحاز القبول في ٢٢ كانون الاول سنة ١٨٤٨ . وفي السنة التالية سلمت الكنيسة المشار اليها مع جميع موجوداتها وما يخصها من الاراضي المجاورة الى الكرسي البطريركي الانطاكي لبناء امطوش بطريركي في موسكو . واشترع المجمع الروسي المقدس ان تستعمل ايرادات هذا الامطوش لاجل تهذيب الاكليروس والشعب الانطاكي .

البطاركة والبابا : (١٨٤٨) وتوفي غريغوريوس السادس عشر في حزيران السنة ١٨٤٦ فخلفه على السدة الرومانية بيوس التاسع (١٨٤٦ ــ ١٨٧٨) . وتحلى البابا الجديد بالورع والتقوى منـذ حداثته وبالوداعة واللطف والمحبة . وأراد الكنيسة الجامعة واحدة مقدسة فوجّه في السادس من اذار سنة ١٨٤٨ رسالة الى البطاركة الاربعة يدعوهم فيها الى الشركة مع السدة البطرسية . وبدأت رسالته هذه بالعبارة « على السدة البطرسية العليا « *In suprema Petri* » فعرفت بها (١) . ولكن رومـة جهلت الشرق اكليروساً وشعبـاً وتجاهلت الماضي فدت

1) *Texte et Traduction, Irénikon, VI, 1929, 666 - 686.*

يدها فارضة سلطتها فرضاً مدعيةً بصحة كل ما اشترعت بعد الانشقاق معتبرة كل ما جرى في الكنائس الارثوذكسية بعد الانشقاق خروجاً وضلالاً وحضت البطاركة على الاعتراف بالايمان الكاثوليكي الصحيح والاحتفاظ بالليتورجية اليونانية ما عدا ما ادخل عليها بعد الانفصال مما لا يتفق والايمان والوحدة الكاثوليكيين . ثم اكدت استعدادها للاعتراف بجميع الدرجات المكتسبة والمساواة التامة بين الكاثوليكيين الجدد والكاثوليكيين القدماء (١) . وقد لا يختلف اثنان في حسن النية التي خالجت فؤاد بيوس التاسع ولكن اسلوب الرسالة جعلها دعوة للدخول في الطاعة لا محاولة حبية للاعتراف بالخطأ الذي ارتكبه الطرفان واظهار الندامة والتوبة والاشتراك في جسد واحد ودم واحد .

واستلم البطاركة الدعوة البابوية وانعموا النظر فيها منفردين ومجتمعين واشركوا المطارنة في ذلك . فلم يتمكنوا من الترفع بالمحبة بل اعدوا دفاعاً وردوا الكيل كيلين (٢) . ونبشوا الماضي وطعنوا في الادعاءات البابوية وفي اعمال المرسلين اللاتين في الاوساط الارثوذكسية . واشاروا الى الوحدة التي تربط الكنائس الارثوذكسية واكدوا انهم يتعاونون بالمحبة الاخوية مسترشدين بآراء البطريرك القسطنطيني معترفين بتقدمه وباستمراره بطريركاً في عاصمة الدولة وفي هذا غمز من قناة البابا لا اعتراف بسلطة السلطان العثماني في امور الدين والعقيدة كما يزعم بعض المتهورين (٣) وأكد البطاركة في الرد على البابا ان ايمانهم اكتمل بالمجامع المسكونية السبعة وهو بالتالي لا ينقص ولا يزيد ولا يتغير (٤) . واضافوا انه لن يجرؤ بطريرك او مجمع على تغيير الايمان المقدس لان الشعب الارثوذكسي هو الحامي (٥) .

---

1) *Aubert, R., Le Pontificat de Pie IX, 21 - 22, 580 ; Musset, H., Hist. du Christianisme, III, 50,*

2) *Texte dans Mansi, Vol. 40, Col. 377 - 418 ; Popescu, T., Enciclica Patriarhilor Ortodocsi deta 1848, (Bucarest, 1935) « résumé en français » .*

3) *Pitzipios, L'Eglise Orientale, I, 140.*

4) *Mansi, Vol. 40, Col. 411.*

5) *Ibid. Col. 407.*

الفصل الحادي والخمسون

اليونان والروس

الروس والدين القويم : وقضت مصالح الروس بالاستيلاء على المضائق والانطلاق منها الى المياه المتوسطة الدافئة . وعظّم الشعب الروسي الايمان القويم وأجلّه وأراده منيع الساحة حصين الناحية لا يناله مبشر بروتستانتي ولا يطمع فيه طامع روماني فاهتم بشأن الرعايا الارثوذكسيين العثمانيين ولم يدخر عنهم وسعاً .

وسادت السكينة بعد معاهدة كوجك قينارجي فترة من الزمن . ولكن الشعب الروسي ظل متشبثاً بموقفه التقليدي . وفي السنة ١٧٨٣ نقض الروس العهد وضموا القرم بالرغم من تهادنهم مع الدولة . فخشيت فرنسة وانكلترة توغل الروس في الاملاك العثمانية ونصحتا للباب العالي بالنزول عن القرم وكوبان . فتم ذلك بمقتضى معاهدة القسطنطينية في كانون الثاني سنة ١٧٨٤ . وجدد الباب العالي اعترافه بحق روسية في التدخل في شؤون الدولة الداخلية لحماية الرعايا الارثوذكسيين . ثم خرج الروس في السنة ١٧٨٧ الى القرم في موكب حافل ولما وصلوا في طريقهم الى خرسون كتبوا على احد ابوابها : « الطريق الى بيزنطة » . فثارت خواطر المسلمين واضطر الباب العالي الى اعلان الحرب فجاءت معاهدة ياسي في السنة ١٧٩٢ تثبت معاهدتي قينارجة والقسطنطينية وتعترف لروسية بالقرم بكامله وباقي الاراضي العثمانية الى نهر الدنيستر .

وجاء نابوليون بعد حملته على مصر وسيطرته على المانية والنمسة يقوي تركية ليعتمد عليها ويستخدمها ضد روسية وانكلترة . ولكن بنيان الدولة العثمانية كان قد أصبح منخوراً يهدد بالانهيار عند هبوب العاصفة . وانتصر نابوليون في موقعه فريد لند على روسية وبروسية فقابل القيصر في تيلسيت سنة ١٨٠٧ ووافق على تقسيم الدولة العثمانية ولكنه أصر على ان تبقى القسطنطينية وبلاد الروملي

تابعتين للدولة العثمانية فأصر القيصر على اخذ القسطنطينية . فلم تأت المفاوضات بنتيجة . وقامت الحرب بـين روسية وتركية في السنة ١٨٠٩ واستمرت ثلاث سنوات . فعجل القيصر بعقـد معاهدة بخارست سنة ١٨١٢ استعداداً لهجوم نابوليون على روسية .

وانعقد مؤتمر فيينة في السنة ١٨١٥ فلم يتعرض للمسألة الشرقية لان الروس اصحاب النفوذ الاول في هذا المؤتمر خشوا ان يفقدوا حرية العمل المنفرد في الدولة العثمانية . فلما سقطت دولـة نابليون واستتب السلام في الغرب عـاد الروس الى مواصلـة مشاريعهم في الشرق . وكانت اسباب النزاع بـين الروس والاتراك متوافرة بفضل الحقوق التي كسبتها روسية على رعايا السلطان المسيحيين فاعتبرت موسكو ان الواجب يقضي عليها بتحرير هؤلاء من حكم العثمانين .

وهال الباب العالي ان يرى دول اوروبة تدخل في حلف مقدس وتظهر كأنها اسرة واحدة تعمـل بتعاليم الاسفار والانجيل . فخاف ان يكون المقصود من هذا الحلف اثارة حرب صليبيـة جديدة . فكتب يستفهم من حكومتي لندن وفيينة فأجابتاه بأن يستفهم من موسكو فطمأنتـه . ولكنها كانت قد آوت قره جورج زعيم الصرب سنة ١٨١٣ . ثم ساعدت ميلوش زعيمهم الثاني سنة ١٨١٧ وادخلت في خـدمتها كثيرين من اليونانيين امثـال كابوديستريا والاخوين ابسيلنتي وساعدت اليونان على تأليف جمعيتهم السرية « هيتايرية فيليكي » واتسعت دائرة هذه الجمعية حتى انضم الى صفوفهـا في غضون ست سنوات (١٨١٤ ـ ١٨٢٠) كل يوناني ذي مكانة .

واعلنت الثورة على الحكم العثماني في ياشي في السادس من اذار سنة ١٨٢١ وكان زعيمها الاول الكسندروس ايبسيلنتي ضابطاً في الجيش الروسي . واندلعت نيران الثورة في المورة وبعض الجـزر فألقى الاتراك القبض على غريغوريوس الخامس البطريرك المسكوني وهو يقوم بصلوات عيـد الفصح وجروه الى باب الكنيسة بثيابه الحبرية وشنقوه . فأثار هذا العمل حنق الشعب الروسي واضرم غيظه . فأخذت الحكومـة الروسية تتحين الفرص لاعلان الحرب والتدخل في

الثورة اليونانية . وحاولت بريطانية تحاشي العمل الروسي المنفرد فكانت معاهدة في لندن اوجبت استقلال اليونان . فلم يذعن الباب العالي فجاءت موقعة نوارين البحريـة وزحف الجيش الروسي عبر الدانوب فاكره العثمانيين على الاعتراف باستقلال اليونان (١٨٢٨) .

الروس وكنيسة اوروشليم: (١٨١١ـ١٨٤٤) وقضى واجب حماية الدين القويم بتسهيل الحج وحماية الحجاج . وبدأت وفود الحجاج الروس تصل الى المهد والقيامة في السنة ١٨١١ . وتكاثروا سنة بعد سنة فأنشأت الحكومة الروسية قنصلية لها في القدس في السنة ١٨١٩ . وتوفي اثناسيوس الخامس البطريرك الاوروشليمي في السنة ١٨٤٤ فذكّرت سفارة روسية الباب العالي بالتقليد الارثوذكسي وأوجبت انتخاب خلفه في اوروشليم نفسها لا في القسطنطينية . فرفعت اخوية القبر المقدس كيرلس الثاني الى السدة الاوروشلمية (١٨٤٥ ـ ١٨٧٢) . وكانت هذه الاخوية قد قبلت في عدادها راهباً روسياً اسمه ارسانيوس . وعني هـذا الراهب بشؤون الحجاج الروس وشاهد ما كانوا يقاسونه من الضيق والتضييق في اثناء اقامتهم في القدس فلما اوفدته الاخوية الى روسية لجمع الاحسانات دعا لانشاء مقر للحجاج الروس في القدس . وفي السنة ١٨٣٩ تبنى قسطنطين باسيلي رأي ارسانيوس وألح على تنفيذه وأشار بتخصيص دير الصليب المقـدس او بترميم ديري القديسة تيودورة وابراهيم وإيواء الحجاج فيهما . ولم يتخلّ رهبان القبر عن هذين الديرين ولكنهم تبرعوا بترميمهما على حساب الاخوية .

وشاطر المجمع الروسي المقدس المجمعين الانطاكي والاوروشليمي مخاوفهما من اهتمام اللاتين بنصارى الشرق فأوفد في الرابع والعشرين من حزيران سنة ١٨٤٢ الارشمندريت بورفيريوس اوسبنسكي الى القدس لدرس الموقف عن كثب . وقام بوفيريوس بالمهمة الموكولة اليه خير قيام وعـاد في السنة ١٨٤٤ فأشار على المجمع الروسي بوجوب التدخل الفعلي واقترح ارسال اسقف روسي الى اورشليم وعدد من الرهبان المثقفين للاقامـة في المدينة المقدسة وأعطاء المثل الصالح في الحيـاة الرهبانية الحقـة ونقل الكتب الدينية وغـيرها الى العربية وتوزيعها في الاوساط

الارثوذكسية المحليــــة . فقبل المجمع الاقتراح وأمر بورفيريوس بتنفيذه ولكنه لم يزوده بالاموال اللازمة .

نبذة روسية عن كنيسة انطاكية : (١٨٥٠) وعطف الروس حكومة وشعباً على كنيسة انطاكية منذ ايام البطريرك مكاريوس . وشجعوا العطاء بسخاء في عهد مثوديوس كما سبق واشرنا. وازداد اهتمامهم في النصف الاول من القرن الماضي بمصير الارثوذكسيين والارثوذكسية في ابرشيات انطاكية فكثر البحث وتعددت التقارير . وظهرت في السنـــة ١٨٥٠ نبذة باللغـــة الروسية عن كنيسة انطاكية حوت معلومات شتى مفيدة (١) .

البطريرك : والبطريرك الانطاكي بموجب هذه النبذة يجب ان يكون من ابناء كنيسة انطاكية وان ينتخب انتخاباً مـــن الشعب والاكليروس الانطاكيين. وظل البطريرك الانطاكي في عرف صاحب النبذة ينتخب انتخاباً من ابناء كنيسة انطاكية منذ القرون الاولى حتى بداية القرن الثامن عشر حينما أصبح انتخابه بيد المجمع القسطنطيني نظراً لانتشار الكثلكـــة . ويتمتع البطريرك الانطاكي في رأي صاحب هذه النبذة بحق دعوة المجمع لتوطيد النظام في الكنيسة او لاصلاح شؤونها وهو مسؤول في جميع اعماله وفي ادارة الاوقاف امام المجمع الانطاكي . وللبطريرك الحق في تأديب الرعايا الارثوذكسيين بالسجن او الاقصاء . ولكنه لا يجرؤ على ممارسة هذا الحق لخوفه من التحاق ابنائه بالكنائس التي اتحدت مع رومـــة او من تدخل قناصل الدول . وله ان ينظر في الدعاوى الحقوقية بين ابناء رعيته برضى الطرفين . وللسلطات التركيـــة ان تبطل هذه الاحكام عنـــد اللزوم . وليس للباشاوات ومحاكمهم ان ينظروا في الدعاوى التي تقام على البطريرك. فالحق في ذلك يعود الى الباب العالي. وللمجمع الانطاكي حق النظر في كل مخالفة كنسية يرتكبها البطريرك . وهو مسؤول عن طاعة الارثوذكسيين وخضوعهم للسلطات التركية وقد تحجز حريتـــه او تنهى حياتـــه اذا لجأ رعاياه الى العنف والتمرد على هذه

1) *State of the Patriarchate of Antioch*, Neale, J. M., *op. cit.*, Appendix III, 213 - 229.

السلطات . وفي السنـــة ١٨٢٦ قاسى البطريرك مثوديوس مرارة السجن لمناسبة الثورة اليونانية . وسمح له بالخروج من السجن يوم عيد الفصح فقط ثم اعيد الى الحبس . وفي السنة ١٨٤٥ تعهد مثوديوس امام باشـــا دمشق باخلاء رعاياه في حاصبيا الى السكينـــة وعدم التعدي على الدروز . فـــلان الارثوذكسيون لأمر البطريرك واطاعوه . ولكن الـــدروز ذبحوا مئتين وخمسين ارثوذكسياً وأهانوا النساء والاولاد . وللبطريرك وكيـــل في القسطنطينيـــة كالباشاوات ولكن التماساته من الباب العالي تتم على يد البطريرك القسطنطيني .

ومقر البطريرك في دمشق ليس واسعاً ولكنه ليس ضيقاً . وهو قديم غير مرتب. ويقيم الارشمندريت وكيل البطريرك والكاتبان في غرف حقيرة ضيقة على السطح وليس للمسيحيين الارثوذكسيين في دمشق سوى كنيسة واحدة هي كنيسة البطريركية . وقد خصصت احدى حناياها لاسم القديس نقولاووس وجددت بالمال الذي جمعه مطران بعلبك في موسكو .

وكنيسة انطاكية فقيرة. ويعود فقرها الى اسباب اربعة. اولها ان البطريرك سيرافيم الذي دان بالكثلكة نقل الى لبنان مالها المنقول وان اقرباء البطريرك كيرلس نهبـــوا البطريركية عند وفاة هـــذا البطريرك في السنة ١٧٢٠ . والثاني ان انقسامات هـــذه الكنيسة في القرنين السادس عشر والسابع عشر اثقلت كاهل البطريرك والاهلين بالديون . والثالث ان النزاع بـــين الروم والروم الكاثوليك الذي دام قرناً كاملاً ادى الى خسائر جمة . والرابع ان الحروب والفتن التي ميزت النصف الاول من هذا القرن في سورية افقرت المسيحيين جداً .

الابرشيات : وابرشيات انطاكية كانت ست عشرة في القرن الماضي . اما الان فانها عشر فقط . فقـــد ألحقت ابرشية أكيس او اخالتكيس بالكنيسة الروسية . وابرشيات هيليوبوليس وآمد وبصرى وتدمر وارضروم قد امحقت تماماً . ولقب اسقف هيليوبوليس امسى شرفياً يحمله الاسقف الموجود في موسكو واللقب اسقف بالميراس يطلق على رئيس دير القديس اسبيريـــدون . واسقف صور وصيدا وحده يحمل لقب متروبوليت . اما الباقون فانهم رؤساء اساقفة .

والإسقف الانطاكي ينورّ النفوس بكلام الله ويقدسها بالاسرار ويضبطها بالقانون وهو يشارك شعبه الفقر والذل والاضطهاد ويزورهم جميعاً فقراء واغنياء مرة في السنة ليعيش من التقدمة . وبابه مفتوح دائماً للارشاد والقضاء والحماية والضيافة . والبطاركة وبعض الاساقفة يونانيون منذ بداية القرن الماضي . وقــد خدموا الكنيسة خدمات جليلة فانهم حفظوا استقلالها عن رومــة وقضوا على الانقسام وضبطوا الاديرة وحموها من عسف المشايخ وذويهم . وقد اوقفوا انحياز الاساقفة العرب الى رومة وأسمعوا المتحدين مع رومة صوت الكنيسة كلها وصوت الامــة اليونانية .

الاديار : والاديار البطريركية خمسة : دير القديس جاورجيوس ودير سيدة البلمند ودير النبي الياس ودير سيدة صيدنايا ودير القديسة تقــلا . ودير القديس جاورجيوس في ابرشية عرقة ولا نعرف مؤسسه ولا نعلم شيئاً عن تاريخ تأسيسه، وقد رممه البطريرك اثناسيوس في السنة ١٧٠٠ ووسعه البطريرك مثوديوس في السنتين ١٨٣٧ و١٨٣٨ . ورهبانه سوريون وعددهم ثلاثون . وليس لهــم هيغومينس يدبر شؤونهم . ولكن البطريرك يعين من الرهبان من يقوم بهــذه الوظيفة . واوقاف الدير واسعة تشمل الزيتون والتوت والكرمة ويقوم على حرثها والاعتناء بها شركاء يتقاضون ربع دخلها . وسكان المنطقة على اختلاف مللهم يكرمون الدير ويزورونه تبركاً واحتراماً. واشدهم تعلقاً به النصيرية فانهم ينذرون اولادهم عند الولادة للقديس جاورجيوس شفيع الدير ويستفكونهم عند الزواج بهدايا يقدمونها للدير . ويخرج الرهبان مرة في السنة لم العطايا فيقدم النصيريون على العطاء حيثما كانوا . واكرم ملوك الكرج هذا الدير فقدموا له الاواني والحلل المقدسة وسمحوا لرهبانه بجمع التبرعات في بلادالكرج مرة في كل ثلاث سنوات .

ثم يذكر كاتب هذه النبذة دير البلمند وعناية البطريرك مثوديوس به وجهد اثناسيوس الاب الراهب وسعيه لتجديد الدير وانشاء مدرسة اكليريكية فيــه وقد سبقت الاشارة الى ذلك في فصل سابق. وينتقل صاحب النبذة الى الشوير فيصف بايجاز ديرها دير النبي الياس . فيقول انــه صغير ذو كنيسة صغيرة انيقة. ثم يذكر

عناية هيغومينة الاب مكاريوس اليوناني وسعيه لتوسيع الدير بانشاء غرف جديدة في طبقته العليا سنة ١٨٤٢ ـــ ١٨٤٣ . وبجعل عــدد رهبانه ثمانية وعدد الخدام ثمانية ايضاً .

ويصف صاحبنا دير سيدة صيدنايا فيقول ان عدد غرفه ثمانون وان عــدد راهباته ثمان وثلاثون . ثم يشيد بفضلهن وانقطاعهن وترفعهن عن اكل اللحوم واكتفاءهن بالخبز والبرغل والزيت وخضوعهن لراهبــة ينتقيها البطريرك لتدبير شؤونهن وقيام امينين على ادارة الدير احدهما كاهن من كهنة الدير والاخرعلماني من دمشق او صيدنايا . وبعد ذكر الايقونة العجائبية والكنيسة يخلص الى القول : « ان الدير جنينة ازهار مكرسة لفائقة الطهارة ومستشفى لشفاء النفوس الخاطئة وينبوع نعمة ومبعث نور للعذارى » . ودير مار تقــلا معلولا « عش النسر » مهمول ليس فيه سوى هيغومينس وشماس ومبتدئين .

ثم ينتقل واضع هــذه النبذه الى اديار الابرشيات فيذكر بايجــاز ديري القــديس دوميتيوس والنبي الياس في ابرشية عرقــة وديورة مار يعقوب وسيدة الناطور وسيدة كفتين ومار متر ومار جرجس في ابرشية طرابلس واديار سيدة حماطورة وكفتون والنورية ومــار جرجس الجرف ومار ميخائيل بقعاتا ومــار جرجس سوق الغرب في ابرشية بيروت .

الكهنة : والكهنة خدام الرعيــة يذكروننا بعهد الرسل فانهم ينتقون من الشعب انتقاء مواطنين متعلمين محترمين مزوجين متقدمين في السن ضابطين امورهم البيتية . والكاهن السوري لا يعول على رعيته فانه مستقل في اموره المادية له بيته ورزقه وابناء يقومون بحاجاته عند الكبر . وهو اول خدام الشعب يعمل وفــق رغائبه ويضحي لاجل خلاصه عمــلاً باوامر السيد . وهو لا يستكبر ولا يتجاوز حــده خشية استبداله بغيره . ويختلف الشعب في امر انتقاء الكاهن فينقسم على نفسه وعندئذ يتدخل الاسقف بلباقة ليعيد السلام والوئام .

وليس لكنيسة انطاكيــة طبقة من الوعاظ المتجولين . ففي القسطنطينية وازمير واوروشليم وغيرها وعاظ متجولون يرشدون حيثما تدعو الحاجــة باذن

الاسقف وامتثالا لامره . والكنائس الشرقية فرقت منذ القدم بين الكهنة المعلمين المرشدين والكهنة خدام الرعية اذ ليس على هؤلاء الا ان يتحلوا بالايمان والصلاح اما اولئك فيجب ان تكون لهم موهبة الفصاحة .

ولا بد من الاعتراف برزانة الكاهن الانطاكي وتواضعه وترفعه عن الغرض ومحافظته على القانون الكنسي واجتهاده في تعليم اولاد رعيته .

وبين الذين يعملون في حقل الرب ويقدمون المثال الصالح وكيل البطريرك الارشمندريت اغاثنغلوس *Agathangelos* فهو يوناني وديع في الاناضول يجيـد التركية والعربية ويحسن تصريف الاعمال . ومنهم اثناسيوس هيغومينس دير البلمند . فهو وقور موهوب نشيط يجيـد الوعظ ويحسن الادارة . ومكاريوس هيغومينس دير النبي الياس يوناني يحظى بعطف الامير حيدر الحاكم في لبنان . وقد افتقد الامير في محنته يوم نفي بأمر السلطات المصرية فآوى زوجة الامير واولاده وهو غيور يستعطف الامير لحماية الارثوذكسيين من الظلم ولـذا تعلق هؤلاء به وزاد احترامهم له . واشعيا هيغومينس دير حماطور يوناني ايضاً يجيد اللغة العربية ويفهم تقاليد الرعية وعاداتها . وهو فصيح اللسان سليم الاستنتاج . والاب يوسف (مهنا) خادم رعية دمشق ابو عائلـة كبيرة تقي صبور متواضع . وقد لبى دعوة البطريرك فحث الاهلين على ارسال اولادهم الى مدرسـة الطائفة . وتولى تعليم الاسفار فيها واللغة العربية والمنطق . وقد ادى اهتمامه بالمدرسة الى الانقطاع عن خدمة الرعية فانقطع عنه وارد البطرشيل وهب اولاده لمعونته المادية ليتمكن من تكريس وقته للمدرسة والاب اسبيريدون خادم الرعية في طرابلس احد تلامذة الاب يوسف . وهو طرابلسي رزين يدرس قواعـد اللغـة العربية في مدرسة طرابلس . والاب المعرّف المرشد في ابرشيـة بيروت تقي ورع يعمل في المطبعة لاعداد المخطوطات وطبع الكتب الكنسية .

المدارس والتعليم : وقلما يخلف ابناء الكهنة اباءهم في الخدمـة . ومن هنا خلو الكنيسة الانطاكية من كهنة في مقتبل العمر . ورغب البطريرك مثوديوس في جمع اثني عشر شاباً من مختلف الابرشيات لاعدادهم للخدمة الروحية . ثم عدل

لضيق المكان وقلة المورد وليس للطائفـة مدارس للعامـة . فانتقاء الكهنة يتم بالانتخاب وليس هنالك خدمة معينون (قندلفت) ولا كتبة وبالتالي فان الضرورة تقضي بالجمع في مدارس الطائفة بين تعليم العامة والتعليم الكنسي . وجميع الطلبة يتعلمون الموسيقى الكنسيـة والتعليم المسيحي والتاريخ المقـدس ليفهموا دينهم ويحسنوا التعبد في الكنيسة .

ويقترح صاحب النبذة انشاء معهد للوعظ والتبشير يضم عدداً من الرهبان الصغار الذين زهدوا في العالم وكرسوا حياتهم لله والكنيسة والعلم فيعدهم ملحاً للارض ونوراً للعالم ويؤهلهم للوعظ ورئاسة الكهنوت . ثم يقول ان هذا كان رائد مدرسة البلمند ويضيف ان للطائفـة مدارس ثلاث في دمشق وبيروت وطرابلس . ويؤكد صاحبنا ان مثوذيوس البطريرك انشأ مدرسة دمشق وان المال اللازم لانشائها جاء من الاحسانات التي جمعت في روسية في السنتين ١٧٣٦ و١٨٣٩ ومن تبرعات روسية افرادية جمعها لهذه الغاية بطريرك اورشليم . اما التعليم في هذه المدرسة فانه كان ابتدائياً وثانوياً وشمل الثانوي اللغات العربية والتركيـة واليونانية وشيئاً عن البيان والمنطق تلقاه بعض الطلبة على يد الأب يوسف مهنا .

ونشأت مدرسة بيروت في المطرانية وبتبرعات ابناء الطائفة ومساعدات اديار الابرشية . ثم وسعت في السنة ١٨٤١ بالمال الذي جاءها من الشعب الروسي لهذه الغاية وبالمعونة التي قدمتها خزينـة القبر المقدس . وبرنامج التعليم فيها هو برنامج مدرسة دمشق يضاف اليه اعتناء خصوصي باللغتين اليونانيـة والايطالية وبالحساب والجغرافية .. وبلغ عدد الطلبة في هذه المدرسة في السنة ١٨٤٣ المئتين .

وقامت مدرسة طرابلس في المطرانية ايضاً في بيت يخص القـبر المقدس وبتبرعات المطران وصندوق الكنيسة . وشمل التعليم فيها الدورة الابتدائية وصفاً ثانوياً واحداً . وعلم معلم علماني سبعين طالباً العلوم الابتدائية في بيت بالقرب من كنيسة القديس جاورجيوس في المينا وذلك على حساب الاهالي .

ومطبعة بيروت قديمة العهد تعطلت بعدان قصف الروس بيروت ثم عادت الى العمل في السنة ١٨٤٢ بعد ان استوردت امهات الحروف من فرنسة . وهي

تطبع الوف النسخ من المزامير وخدمة القداس .

الشعب والكنائس : والشعب الارثوذكسي الانطاكي متدين متزن معتدل نشيط . وحماة الايمان فيه الامهات والكهنة والتقاليد والعادات . وعلى الرغم من كثرة الضرائب وتنوع البلص وشدة الفقر فان الشعب يؤدي بوجه طليق النورية للاساقفة والتبرعات للاديار والمدارس والكنائس .

وتسمح السلطات العثمانية بترميم الكنائس واعادة بنائها . ولكنها تطلب شهادة المسلمين بصحة مـــا يطلبه النصارى من حيث المكان الذي يقام فيه البناء وحجم هذا البناء . واذا رغب الشعب في انشاء كنيسة جديدة فانهم يكرسون بيتاً من البيوت لهذه الغاية ويتعبدون فيه مدة من الزمن ثم يسعون للحصول على شهادة من المسلمين تثبت قيام كنيسة في محل البيت المهدوم .

ولا تخلو مدينة او قرية من كنيسة. وكنائس المدن انيقة اما كنائس القرى فانها فقيرة . وعدد الكنائس التي هدمتها الزلازل او نهبتها ايدي الالبانيين ورعاع القوم في الحوادث الاخيرة في لبنان يربو على السبعين . ولا بد من ترميم هـــذه الكنائس وتأثيثها والواجب يقضي بالتعاون مع اخواننا المسيحيين في سوريـــة . وفرنسة والنمسة تمدان الموارنة والمتحدين مع رومة بمبالغ كبيرةمن المال فهل ينسى الشعب الروسي السوريين المتحدين معه بالايمان . وموسكو قلب روسية قد رحبت بالاستجداء الذي قام به متروبوليت هيليوبوليس .

ويذكر صاحب هذه النبذة عدد الارثوذكسيين في ابرشيات انطاكية في السنة ١٨٥٠ فيجعلهم ١٤٠٠ في ابرشية ادنة و٤٠٠٠ في ابرشية اللاذقية و٤١٦٠ في ابرشية حماة و٣٢٠٠ في ابرشية حمص و١٢٠٨٠ في ابرشية عرقـــة و٧٨٠٠ في ابرشية طرابلس و٢٠،٠٠٠ في ابرشية بيروت و٥٦٠٠ في ابرشية صور وصيدا و٢٨٠٠ في ابرشية سلفكية وهيليوبوليس و٤٨٠٠ في انطاكية ودمشق وحوران و٥٠٠ في حلب بحيث يصبح مجموعهم ٦٦٣٤٠ نسمة . ويذكر لهذه المناسبة ان عدد الروم الكاثوليكيين كان آنئذ ٣٦٧٣٥ وعدد الموارنة ١٢٠٦٧٧ .

ايروثيوس البطريرك الانطاكي : (١٨٥٠ ــ ١٨٨٥) وكان اثناسيوس الخامس البطريرك الاوروشليمي قد رقد بالرب في السنة ١٨٤٤ بعد رئاسة دامت سبعة عشر عاماً . وكان قد اقام في قيد حياته ايروثيوس مطران الطور ووكيله في القسطنطينية خليفة لهفي الكرسي الاوروشليمي. فعُرف ايروثيوس بالذياذوخوس وكان هذا الامر اي ولاية العهد قد جرى بعض مرات في الكرسي الاوروشليمي وانتهى بولاية عهد ايروثيوس . وحرص ايروثيوس في اثناء ولايـــة عهده على استقلال الكرسي الاوروشليمي فصد تدخل البطريرك المسكوني في امور اوروشليم مراراً . فلما قضى اثناسيوس في السنة ١٨٤٤ سعى البطريرك المسكوني بايروثيوس لدى السلطات العثمانية وأفسد الحالة فأشار الى تجوال ايروثيوس في روسية لجمع الحسنات واتهمه بالتحيز للروس وخدمـــة مصالحهم . فاعترض الباب العالي على ترشيح ايروثيوس فانتخب المجمع الاوروشليمي كيرلس متروبوليت الله بطريركاً على اوروشليم فعرف بكيرلس الثاني (١٨٤٥ ــ ١٨٧٢) .

وعقيب رقـــاد البطريرك مثوديوس البطريرك الانطاكي انتدب الشعب الانطاكي ايروثيوس متروبوليت بيروت بطريركاً لانطاكيـــة والتمسوا بواسطة البطريركية القسطنطينية قبول ذلـــك الانتخاب لدى المراجع الايجابية . ولكن ايروثيوس الذياذوخوس مطران الطور بذل الوسائل لتخويله هـــذه المنصة كما يستفاد من تحرير زخريا مطران معلولا الى زخريا مطران عكار الصادر عن دير مار تقلا في اول تشرين الاول سنة ١٨٥٠ . وفازت المساعي فنُصب ايروثيوس الذياذوخوس بطريركاً على انطاكية في القسطنطينية واستلم عصا الرعاية في كنيسة بطريركيتها في التاسع من تشرين الاول سنة ١٨٥٠ . ولم يشأ ايروثيوس بيروت مناصبته العداوة خوفاً من ان تجد الايدي الاجنبية الغربية يداً للفساد (١) .

ابرشيات انطاكية : وجاء في السينتغماتيون *Syntagmation* الصادر عن البطريركية المسكونية سنة ١٨٥٥ ان المطارنـــة الخاضعين لكيريوس ايروثيوس

1) *Williams, G., Appendices to Nealés Patriarchate of Antioch, 190. 189, n. 1.*

الفائق الغبطة والفائق القداسة بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق كانوا كمايلي : ١) متروبوليت حلب واكسرخوس سورية الاولى الفائق الشرف ٢) متروبوليت ابيفانية واكسرخوس سورية الثانية الفائق الشرف ٣) متروبوليت اللاذقية واكسرخوس الثيوذورياذة الفائق الشرف ٤) متروبوليت سلفكية اومعلولا واكسرخوس سورية الفائق الشرف ٥) متروبوليت آمد او ايديسة واكسرخوس ما بين النهرين الفائق الشرف ٦) متروبوليت صور وصيدا وا كسرخوس فينيقية الساحلية الفائق الشرف ٧) متروبوليت طرابلس واكسرخوس فينيقية اللبنانية الفائق الشرف ٨) متروبوليت بيروت واكسرخوس فينيقية الساحلية الفائق الشرف ٩) متروبوليت ادنة التي تدعى باياس واكسرخوس قيلقية الاولى والثانية الفائق الشرف ١٠) هيليوبوليس التي تدعى بعلبك وقد تضاءلت ١١) بالميراس وقد اختفت ١٢) اركاذية التي تدعى عرقة وعكار. ١٣) متروبوليت ثيودوسيوبوليس التي تدعى ارضروم واكسرخوس ارمينية الكبرى الفائق الشرف ١٤) متروبوليت اكيكوس الفائق الشرف (١) .

الخط الهمايوني ونظم الكنيسة : (١٨٥٦) وأحب نبوليون الثالث ان يستميل الاكليروس الكاثوليكي في فرنسة لتدعيم سلطته فيها فداهن وتملق واظهر اهتماماً كبيراً وغيرة شديدة على مصالح الكنيسة اللاتينية في الشرق فأثار قضية الاماكن المقدسة في اوروشليم وتوابعها . فهب الروس للدفاع عن حقوق الروم الموروثة في هذه الاماكن نفسها . ولم ترض بريطانية عن مطامع الروس في شرق المتوسط والبلقان فاختطت لنفسها سياسة « المحافظة على سلامة الدولة العثمانية » . وكانت حرب في القرم وكانت معاهدة في باريس سنة ١٨٥٦ . واوجبت هذه المعاهدة عدم التدخل في شؤون الدولة العثمانية الداخلية وعدم الانفراد في حل ما ينشب من مشاكل بين الدول المسيحية وبين السلطان . ورأى السلطان ان يطمئن الدول المسيحية وشعوبها عن مصير رعاياه المسيحيين فأصدر خطاً همايونياً أعلن فيه المساواة بين المسلمين والمسيحيين في السلطنة والحقه بنص معاهدة باريز (٢) .

1) *Mansi, Vol. 40, Col. 497 - 498.*
2) *Testa, I., Recueil des Traités de la Porte Ottomane avec les Puissances Étrangères, V, 132 - 137.*

فدخلت النصرانية في دور قانوني جديد في علاقاتها بالاسلام والمسلمين .

وكان البطريرك القسطنطيني بعد ان ينتخبه مطارنة كرسيه ووجهاء شعبه ينال براءة سلطانية تؤيد حقوق الملة وتمنع مداخلات الحكام والموظفين في المسائل الروحية والملية وفي الاختلافات الواقعة بين الرؤساء الروحيين والشعب . وكان لدى البطريرك المنوه به مجلس مختلط مؤلف من اكليروس ابرشية القسطنطينية وبعض العلمانيين كوكيل البطريرك لدى الباب العالي وترجمان البطريركية وغيرهما . وكان هذا المجلس يهتم في جميع الشؤون الكنسية وغيرها مما يتعلق بملة الروم . وفي زمن البطريرك صموئيل في السنة ١٧٦٨ تألف مجمع من اثني عشر مطراناً من متقدمي مطارنة الكرسي القسطنطيني وأنيط به امر العناية بالمسائل التي تتعلق بعموم الابرشيات للكرسي القسطنطيني . واما المجلس المختلط فتركت له العناية والاهتمام بشؤون القسطنطينية وحدها .

وبعد نشر الخط الهمايوني سنة ١٨٥٦ ألغي هذان المجلسان وتغيرت طريقة الادارة والنظام تغيراً كلياً . ففصلت سلطة الرؤساء الروحيين في اقامة محاكم لديهم وتقرر تأليف محاكم نظامية مختلطة يحكم فيها بالسواء لجميع رعايا السلطان من اي مذهب او ملة كانوا . وصدرت الادارة السنية بأن يتألف قوميسيون عمومي من اكليروس وعلمانيين لكل ملة ينظر في شؤونها بحسب الامتيازات الممنوحة قديماً للرؤساء الروحيين ويحدد بموجب هذه الامتيازات حقوق الاكليروس وواجباتهم وفقاً للسنن الدينية ومقتضيات العصر ويرتب كيفية انتخاب البطاركة والمطارنة مبيناً كل ذلك في لوائح تعرض على الحكومة العثمانية في مدة محدودة لتصديقها .

واجابة لمنطوق هذا الخط الهمايوني اجتمع في السنة ١٨٥٧ قوميسيون عمومي للملة الأرثوذكسية مؤلف من اكليروس وعلمانيين من آباء وأبناء كنيسة القسطنطينية . وترتبت امور الملة في هذا القوميسيون طبقاً للمبادىء الأساسية التي وضعت في الخط الهمايوني . وبعد مجادلات شديدة ومذكرات طويلة اذاع هذا القوميسيون نظاماً للبطريركية القسطنطينية سنة ١٨٦٠ وأقرته الحكومة

العثمانية وأدرجته في دستور الدولة كجزء من نظامها (١) . وبعد مدة زوجع في قوميسيون جديد وتنقحت بعض المواد .

وتحدد في هذا النظام الجديد ان يصير انتخاب البطريرك القسطنطيني من جمعية مؤلفة من أعضاء المجمع ومن وجهاء الملة وكبار الموظفين لدى الحكومة من أبناء الطائفة ومن وكلاء أرباب الصنائع والحرف ونواب أحياء القسطنطينية وممثلي الأبرشيات التابعة للكرسي القسطنطيني . واعطي الحق لكل من مطارنة الأبرشيات ان يقدم في مدة اربعين يوماً الى الهيئة المنتخبة اسم مرشح من مطارنة الكرسي القسطنطيني الذين يكونون قد خدموا في احدى الأبرشيات القسطنطينية مدة لا تقل عن سبع سنوات . وكان على المطران ان يرسل ورقة الترشيح ضمن ظرف مختوم . وتقررت ايضاً طريقة لاشتراك الشعب في الترشيح وتعين ان تقدم لائحة بأسماء المرشحين الى الباب العالي الذي له ان يستثني من هذه اللائحة أسماء الأشخاص الذين لا يرى فيهم اللياقة بالنظر الى امور الملكية ثم يرجع اللائحة الى البطريركية في ظرف اربع وعشرين ساعة من ارسالها مستبقياً من الأسماء المدرجة فيها ما لا يقل عن الثلاثة . ومن هذه الأسماء الباقية في اللائحة بعد ارجاعها من الباب العالي ينتخب جميع أعضاء مجلس الانتخاب الاكليريكيين والعلمانيين ثلاثة بالاكثرية . وبعيد ذلك يجتمع اعضاء الهيئة المنتخبة الاكليريكيون فقط وينتخبون بعد الصلاة واستلهام الروح القدس في الكنيسة الكتدرائية واحداً من هؤلاء الثلاثة بطريركاً مسكونياً . ثم يبلغ الباب العالي فتصدر ادارة سلطانية بقبوله .

وتألف بموجب هذا النظام الجديد مجمع من اثني عشر عضواً يكون بمعية البطريرك ليشترك معه بالمذاكرة في الشؤون الكنسية المحضة والحكم فيها وفي كل ما يتعلق بادارة الكرسي . واشترك في عضوية هذا المجمع بالتناوب جميع مطارنة الكرسي القسطنطيني بنوع ان كل سنة يتجدد نصف اعضائه فيخدمون فيه سنتين .

واقيم ايضاً مجلس مختلط مؤلف بمعرفة البطريرك من اربعة من اعضاء

١) الدستور ترجمه من اللغة التركية نوفل نعمة الله نوفل بمراجعة وتدقيق خليل الخوري مدير مطبوعات ولاية سوريا (بيروت ١٣٠١) ج ٢ ص ٨١٣ — ٨٤٨ .

المجمع المقدس اقدمهم ينوب عن قداسته في رئاسة هذا المجلس ومن ثمانية اعضاء من وجهاء الملة . وتخصص له النظر في المسائل المتفرعة عن الزيجات والطلاق والارث ومالية الاديار البطريركية وسائر الاملاك والاوقاف في العاصمة وما يحال اليه من شؤون الملة الزمنية من الابرشيات .

وفرض ان يشترك جميع اعضاء المجمع في العمل والادارة وفي التوقيع مع البطريرك على جميع المذاكرات والكتابات والاوراق المتعلقة بأدارة الكرسي . وفرض ان يلبث البطريرك في الكرسي مدى الحياة الا اذا ظهرت منه حركة مخالفة للقوانين والنظامات فيطلب المجلس المختلط فصلا باكثرية ثلثي المجمع والمجلس وعندما تعرض مسائل مهمة يجمع البطريرك جمعية عمومية من هيئة اعضاء المجمع والمجلس للمذاكرة وتنوير ما يلزم .

وتحددت شروط ترشيح الاساقفة وانتخابهم . وكان اهمها السيرة الحسنة والخبرة في الادارة واجادة اللغات اليونانية والتركية والسلافية واكمال العلوم الكنسية بعرف اساتذة كلية خالكي (١) . وتقلدوا مناصبهم ببراءات سلطانية فزاد نفوذهم عند الولاة . وتوجب ان يكون لدى كل اسقف مجلس روحي من كهنة وقوميسيون زمني من المتقدمين والشيوخ يستشيرهم الاساقفة في الظروف المهمة وينظرون في امور المسيحيين ويشتركون مع الاساقفة في ادارة الشؤون الملية كما تسوغه القوانين المقدسة والنظامات العالية .

وسنت كنيسة اوروشليم قانوناً مماثلاً في السنة ١٨٧٣ فأقرته الحكومة العثمانية وأصبح ساري المفعول . اما كنيسة انطاكية فانها شرعت في وضع قانون لها في السنة ١٨٩٠ ولكنها لم تنجزه قبل السنة ١٨٩٨ وسيجيء الكلام عنه في حينه وظل البطريرك الانطاكي ومعظم الاساقفة ينالون براءات سلطانية تشبه براءات اخوانهم القسطنطينيين وظلوا يعرضون امورهم الهامة على الباب العالي بواسطة بطاركة القسطنطينية وجاء في كتاب الارج الزاكي لامين ضاهر خيرالله ان ايروثيوس استخف بالمجمع الانطاكي المقدس وأشاح سمعاً عن نصائحه ولكنه عندما عجز عن

١) الدستور ترجمة نوفل نوفل ج ٢ ص ٨١٨ — ٨٢٢

القيام بالاعمال في أواخر أيامه سمح بالقوميسيون الزمني فتدرجت الطائفـــة في مراقي النجاح وكثر في دمشق رجالها وازدهرت مدارسها (١) .

عودة الى الارثوذكسية : (١٨٥٧ ـ ١٩٥٩) وفي اوائل السنة ١٨٥٧ دعا اكليمنضدس بطريرك الروم الكاثوليك الى الحساب الغربي فقبل البعض بذلك وامتنع البعض الآخر . وكان على رأس الممتنعين اساقفة بيروت وزحلة وبعلبك وصيدا والخوري يوحنا حبيب والخوري غبريال جباره . واشتد الخلاف فعقد الأساقفة مجمعاً في عين الذوق فوق زحلة وأم الآستانة الكاهنان يوحنا حبيب وغبريل جباره . فوصلاها في ايار السنة ١٨٥٩ واتصلا بمجمع البطاركة المنعقد فيها آنئذ وفاوضا باسم انصارهمـــا في سورية ومصر وعادا الى حضن الكنيسة بقرار من مجمع البطاركة سجله باللغة العربية غفرائيل كاتب البطريرك ايروثيوس الذي أصبح فيما بعد متروبوليت بيروت (٢) .

الحركة او الطوشة : (١٨٦٠) وفي السنة ١٨٣٢ انتشر على المسيحيين رأيهم والتبس عليهم وجه الصواب فرأوا في انتصـــار المصريين على الأتراك العثمانيين فوزاً لهم وانطلاقاً وتحريراً فنزعوا ملابس التحرز وأزالوا كلفة الاحتشام فخرج بعض السفلة من نصارى دمشق « وزوقوا جملا وركبوا عليه رجلا مسلماً من اهالي حارة الخراب يسمى حمزة الذكرة وأعطوه مسودتي عرق وأحضروا المشاعل وزوقوها بالأزهار والفاكهة وعملوها على كسم الصلبان . ومشوا من طالع القبة في صفوف وأخذوا يغنون « ابراهيم باشا يا منصور الله يلعن المقهور » وكانوا كلما مشوا بعض خطوات يقفون فيمسك حمزة المسودة بيـــده ويلوح بها ويصرخ المسيح قام . فغضب المسلمون وتوعدوا » (٣) .

وخرج المصريون وعادوا الى مصر (١٨٤١) وجـــاء العثمانيون يرتبون

---

١) الارج الزاكي في تهاني غبطة البطريرك الانطاكي (بعبدا ١٨٩٩) ص ٤٢ ـ ٤٣

٢) الارج الزاكي لامين ضاهر خير الله ص ١٢١ ومختصر تاريخ طائفـــة الروم الملكيين ص ١٢٨ ـ ١٣٠ .

٣) مذكرات تاريخيـــة لاحد كتاب الحكومة الدمشقيين عني بنشرها الخوري قسطنطين الباشا ص ٦٧ ـ ٦٨ .

الأموال الأميرية على لبنان كما كانت في عهد الشهابي الكبير فقبل الدروز بها . اما الموارنة فانهم عارضوا « وعملوا جمعيات متعددة حضرها الوجوه والمطارنة وحرروا عروضاً للدولة. ومن جملة ما حرروه ان مال الجزية يتوجب دفعه على من يحتاج حماية الدولة واما هم لا يحتاجون اليها لا بل انهم يحمون جوارهم وقدموه للوالي لكي يقدمه للدولة. فنصحهم ان يسترجعوه وراجعهم بذلك مراراً فما زاده الا غروراً واستكباراً فالتزم الوالي لتقديمه . وجاهروا بانتمائهم لدولة أجنبية فتغير باطن الدولة نحو النصارى » (١) .

وجاء الخط الهمايوني في السنة ١٨٥٦ يساوي النصارى بالمسلمين أمـــام القانون ويبطل مفعـــول الشرع في امور وامور . وشرعت السلطات العثمانية بتطبيقه . فتساقط البعض في الغرور واوغلوا وتجاوزوا الحد في الغواية . وقضت مصالح نبوليون الثالث الشخصية بالظهور بمظهر المدافـــع عن حقوق الكنيسة الكاثوليكية في الشرق . ولم يرضَ الموارنة عن نظام القائمقاميتين ورأوا فيـــه اجحافاً بحقوق الطائفة في القائمقاميـــة الدرزية وأحبوا العودة الى حكومـــة لبنانيـــة موحدة واختلفوا في عـــودة الشهابيين الى الحكم فاقترح قنصل فرنسة في بيروت جعـــل الرئيس الروحي اي البطريرك رئيساً زمنيـاً على غرار دولة الفاتيكان فلاقى اقتراحـــه ترحيباً في نفس المطران طوبيا عون وراح هذا يدعو الى « كسر الجرة » في دير القمر على حد قول جرجس بك صفا واتصل قنصل فرنسة بخطار بك العماد للغرض نفسه كما شهد بذلك الخوري ابراهيم كيوان امام رشيد بك نخله . ثم انكسرت الجرة في بيت مري كتف عين سعادة مقر المطران طوبيا عون . وحرض والي دمشق الدروز وسلحهم كما يشهد بذلك الدكتور ميخائيل مشاقه وتودد « وود » القنصل الانكليزي الى الدروز وشجعهم على التدخل في شؤون النصارى في حاصبيا وحماية الاقلية منهم ضد رأي الاغلبية كما سبق واثبتنا فكان ما كان من امر الحركة في لبنان والطوشة في دمشق وبعض المدن الاخرى .

---

١) منتخبات من الجواب على اقتراح الاحباب للدكتور ميخائيل مشاقه (بيروت ١٩٥٦) ص ١٥٥

واتصل القس جورج وليامس الانكليزي بالبطريرك ايرونيوس في اوائل آب السنة ١٨٦٥ فحل ضيفاً عليه في دير مارالياس الشوير. وأطلع القس البطريرك على ماكان يقوم به القس يوحنا نيل من تفتيش عن المصادر لتاريخ كنيسة انطاكية ورجاه ان يسمح له بالاطلاع على محفوظات الكرسي الانطاكي فقال البطريرك انه لم يبق من هذه شيء بعد احراق البطريركية في دمشق (١) .

وطالب ايروثيوس الحكومة العثمانية بالتعويض عما حل بالبطريركية والكنيسة المريمية من تخريب وتدمير في اثناء الطوشة وقام الى الآستانة بنفسه مرتين لهذه الغاية فنال مبلغاً من المال انفقه في ترميم المقر البطريركي واعادة بناء الكنيسة المريمية كما تنطق بذلك الكتابة المنقوشة على جدار هذه الكنيسة .

التوراة والانجيل : (١٨٤٨ — ١٨٦٥) ورغب المرسلون البروتستانتيون في نشر الكتاب المقدس على العرب اجمعين فالفوا في السنة ١٨٤٧ لجنة لهذه الغاية برئاسة الدكتور عالي سميث وعضوية الدكتورين ولـيم طومس وكرنيليوس فانديك . فاتصلت اللجنة بالمراجع العليا في الولايات المتحدة وحثتهم على الموافقة راجية اجتذاب العرب المسلمين الى مطالعة التوراة والانجيل . وفي الحادي عشر من شباط سنة ١٨٤٨ فاوضت هذه اللجنة جمعية انتشار الكتاب المقدس الاميركية في أمر ترجمته الى اللغة العربية وقررت نقل المعلم بطرس البستاني من عبيه الى بيروت ليكون تحت تصرف لجنة الترجمة . واستعانت بمواهب الشيخ نصيف اليازجي للغاية نفسها . فكان المعلم بطرس ينقل النص من العبرية او اليونانية الى العربية مستعيناً بالسريانية ثم يحيل ما يعرّب الى الشيخ نصيف لينقيه من كل صبغة اعجمية وكان الدكتور عالي سميث يعيد النظر بالمقابلة بين النص العربي والاصل العبري او اليوناني . وكانوا عند الانتهاء من هذه المراحل الثلاث يدفعون بما عربوا الى المطبعة لصف الاحرف واعداد ثلاثين نسخة توزع على الثقاة في سورية ومصر والمانية فتعاد الى اللجنة منقحة حاملة عدداً من الملاحظات . واشهر الثقاة الالمان الذين اشتركوا في هذا العمل الاساتذة فلايشر *Fletischer* في ليبزيغ وروديغر

1) *Neale, J. M., op., cit., XV.*

Rodiger في هالي وفلويغل *Flugel* في درزدن وبرناور *Behrnaver* في فيينة . ورأى البعض ان يأتي التعريب في اسلوب فصيح قرآني ولكن معظم البروتستانت الوطنيين آثروا عبارة بسيطة صحيحة . وتم تعريب الانجيل في التاسع من اذار سنة ١٨٦٠ والتوراة في العاشر من اذار سنة ١٨٦٥ . واشرف الشيخ يوسف الاسير اشرافاً نهائياً على اللغة والاسلوب (١) .

وظهر الكتاب بثوب قشيب ووزع توزيعاً واقبل المسيحيون على اقتنائه وقراءته . وتصفحه الآباء الكاثوليكيون فهالهم حذف بعض الاسفار وادعاء المرسلين ان ما حذفوا ليس من الكتاب الكريم وانهم ألفوا في موضوع الحذف كتباً طبعوها ووزعوها بين الناس . ولمس الآباء الكاثوليكيون اختلافاً في الترجمة في بعض آيات الانجيل والرسائل فاعتبروا هذا الاختلاف تحريفاً لموافقة مذهب البروتستانت . فاوعز رئيس الرسالة اليسوعية الى بعض رهبانه ان يكتب شيئاً في الرد على البروتستانت. فألف في ذلك كتابين عنوان الاول منهما « كشف المغالطات السفسطية ضد بعض الاسفار الالهية » وهو يتضمن الادلة على ان نسخة كتاب الله الكاثوليكية والأسفار القانونية الثانوية صحيحة النص صادقة الرواية لم يدخل عليها دخل و لافساد. وعنوان الثاني « كشف التلاعب والتحريف في مسّ بعض آيات الكتاب الشريف » وفيه بيان الآيات التي « لعبت بها يد البروتستانت وحرفتها عن مواضعها » لموافقة مذهبهم .

وفي غضون ذلك ورد استحسان المجمع المقدس في رومة لما رفع اليه من امر ترجمة كتاب الله الى اللغة العربية لمقاومة البروتستانت برعاية بطريرك اللاتين في اوروشليم . فترجم الآباء الكتاب عن العبرانية واليونانية وجمعوا الى النص الاصلي النسخ القديمة التي في يد الكنيسة الكاثوليكية لمقابلته وهي الترجمة اللاتينية والسريانية واليونانية المعروفة بالسبعينية . « غير انه كان اذا عرض اشكال في بعض الآيات التي تتعلق بالايمان او الاداب يكون الاعتماد على ما في النسخة اللاتينية» التي اتخذها الآباء دستوراً يرجع اليه على الاطلاق لانها هي المعول عليها في الكنيسة

1) *Jessup, H., Fifty Three Years in Syria, I, 66 - 78.*

الكاثوليكية وقد ثبتت في المجمع التريدنتيني . فظهر الكتاب الشريف في السنوات ١٨٧٦ ـ ١٨٧٨ على غاية ما يرام من الرونق وحسن الوقع (١) . وساعد الآباء في تصحيح العبارة وتثقيفها الشيخ إبراهيم اليازجي فجاءت مهذبة اللفظ محكمة النسج متينة الحبك (٢) .

وكنيستنا الارثوذكسية تميز الاسفار بعضها عن بعض فتدعو بعضها كتباً قانونية والباقي منها تدعوه كتباً غير داخلة في القانون او كتباً كنسية او كتب التلاوة . واللفظ اليوناني قانون *Canon* يدل على معان كثيرة منها المسطرة والجدول والقاعدة واللائحة . والمراد بكلمة قانون في كلامنا هذا هو الجدول او مجموعة الكتب المقدسة التي تعتبرها الكنيسة موحى بها من الله وتتخذها قانوناً للحقيقة . والكتب القانونية هي التي نظمتها الكنيسة في قانون الاسفار المقدسة بحسب تعليم الرسل الالهيين والآباء الطاهرين والمجامع المقدسة وتعتبر الكنيسة هذه الكتب القانونية قانوناً للحقيقة لا يتغير كما قال القديس اثناسيوس الكبير في رسالته في الاعياد : « اننا نقبل الكتب التي دخلت في القانون ونعتبرها الهية لانها مصدر الخلاص . فليرو العطشان ظمأه بالكلمات التي فيها . وهي وحدها تكرز بتعليم حسن العبادة . ولا يزيدن احد عليها شيئاً ولا يحذفن منها شيئاً » .

والقانون الذي نعتبره جدولاً لاسفار العهد القديم يتضمن الاسفار الاتية : ١) كتاب التكوين ٢) كتاب الخروج ٣) كتاب اللاويين ٤) كتاب العدد ٥) تثنية الاشتراع ٦) كتاب يشوع بن نون ٧) كتاب القضاة وسفر راعوت كذيل له ٨) كتاب الملوك الاول والثاني كقسمين لكتاب واحد ٩) كتابا الملوك الثالث والرابع ١٠) كتاب الايام الاول والثاني ١١) كتاب عزرا الاول والثاني وهذا دعاه اليونان كتاب نحميا ١٢) كتاب استير ١٣) ايوب ١٤) المزامير ١٥) امثال سليمان ١٦) الجامعة له ١٧) نشيد الانشاد له ايضاً ١٨) اشعيا النبي ١٩) ارميا ٢٠) حزقيال ٢١) دانيال ٢٢) الانبياء الاثني عشر الصغار .

والقانون الذي نعتبره جدولاً لاسفار العهد الجديد يتضمن البشائر الاربع

١) العهد العتيق المجلد الاول مقدمة المترجمين ص ٥ ـ ٨

٢) آداب اللغة العربية في القرن التاسع عشر للاب لويس شيخو ج ٢ ص ٥

لمتى ومرقس ولوقا ويوحنا والرسائل الاربع عشرة لبولس ورسالتين لبطرس وثلاثاً ليوحنا وواحدة ليعقوب وواحدة ليهوذا وكتابي اعمال الرسل والرؤيا (١).

واما الكتب التي لم تدخل في القانون فعلى شهادة باسيليوس الكبير هي الاسفار التي فرض الآباء قراءتها على المسيحيين ولا سيما على من اقبل الى الديانة المسيحية حديثاً ولذلك دعيت ايضاً كتب التلاوة . وبما انها كانت تتلى في الكنائس لتعليم الموعوظين والمؤمنين سميت كتباً كنسية . وقد قال فيها يوحنا الدمشقي في شرحه للايمان الارثوذكسي انها تدعى مفيدة ومعزية ولكنها لم تحص مع الكتب الاولى . وكنيستنا لا تزال حتى الان تضمها الى الاسفار القانونية في مجموعة واحدة جرياً على ما تلقته من المسيحيين القدماء الذين كانوا يضمون اليها كتباً مفيدة كرسائل اقليمس ورسالة هرماس . وكانوا يتلون من فصولها في الصلوات والاجتماعات . ولكن يجب الا يغيب عن البال ان الكتب القانونية جاءت بوحي من الله واما المتلوة فانها مفيدة وجديرة بكل اكرام . وقد قبلتها كنيستنا لتهذيب الاخلاق بآدابها النقية التي تنطبق على كلام الله والناموس الالهي والكتب التي لم تنتظم في قانون الكتاب المقدس محصورة في العهد العتيق وهي كتاب طوبيت وكتاب يهوديت وحكمة سليمان وحكمة يشوع ابن سيراخ وسفرا عزرا الثاني والثالث واسفار المكابيين الثلاثة . ويضاف الى منزلة هذه الكتب نبذ تتبع الكتب القانونية عادة وهي صلاة منسى كذيل لكتاب الايام الثاني ونبذ من سفر استير وتسبحة الفتية الثلاثة تضم الى الفصل الثالث من نبوة دانيال وتاريخ سوسنة العفيفة في الفصل الثالث عشر من تلك النبوة وقصة بعل والتنين في الفصل الرابع عشر من تلك النبوة ايضاً .

وكتب التلاوة شيء وكتب الابوكريفة شيء آخر . فهذه معزوة اختلاقاً الى الرسل او الى تلامذتهم ولم تحص في قانون الكتاب المقدس ولا كانت بمثابة

١) تجد ايها القارىء غذاء للنفس علاوة على الدليل التاريخي في مطالعة رسالة القديس باسيليوس الكبير في الأعياد وكتابة السينوبسس : « هاك عدد واسماء كتب العهد الجديد القانونية التي هي قاعدة ايماننا وعموده ومرساه . وقد كتبها رسل المسيح المخلص ونشروها بعد ما خاطبوه وتعلموا منه » .

كتب التلاوة بل ان الكنيســة اعلنت انها في عــداد الكتب المزورة ونبذتها وحرمت مطالعتها (١) .

وليس لدينا من النصوص المعاصرة مــا يفصّل لنــا موقف البطريرك ايروثيوس من النزاع الذي نشب بين المرسلين البروتستانيين والمرسلين اللاتينيين حول الكتاب المقدس في النصف الثاني من القرن الماضي . ولكننا لا نشك في انه وقف موقفاً ارثوذكسياً .

وما رواه هنري جِسَّب عن الاب غفرائيل جبارة من تقدير للترجمــة البروتستانتية واعجاب بنشاط الدكتورين عالي سميث وكرنيليوس فانديك لا يعني في حد ذاته ان الاب غفرائيل جبارة وافق على ما جاء من اختلاف في ترجمة سفر الاعمال والرسائل بين النصوص الارثوذكسية والكاثوليكية من الجهة الواحدة وبين النصوص البروتستانتية من الجهة الاخرى (٢) . بــل يجب الا ننسى ان الاب مكاريوس الرملي هب لطبع كتب التلاوة لدى ظهور الترجمة البروتستانتية واجتهد في المقدمة ان يبرهن ان هذه الكتب هي مما يجب الحاقه بالكتاب المقدس .

وكان مثل هــذا قد جرى في اواسط القرن التاسع عشر في الاوساط الارثوذكسية اليونانية . فانه عندما حاول بعض المرسلين البروتستانتيين ان ينشروا ترجمة العهد القديم الى اللغة اليونانية الحديثــة بدون ان يضموا اليها كتب التلاوة قام الكاهن قسطنطين ايكونوموس كنيسة القسطنطينية وألف كتابــاً كبيراً لتفنيد مزاعم البروتستانت وطبعه سنة ١٨٤٩ .

ومما تجدر الاشارة اليه انــه في السنة ١٨٦٧ التأم مؤتمر لامبث *Lambeth* الاول فوجه الدكتور ارشيبولد كامبل رئيس اساقفة كانتربري نداء الى البطريرك المسكوني غريغوريوس السادس اظهر فيه رغبته في اتحاد الكنيستين الانكليكانية والارثوذكسية . فأجابه غريغوريوس جوابــاً لطيفاً ولكنه لم يخفِ الصعوبات التي اعترضت السبيل .

1) *James, M. R., the Apocryphal New Testament, being the Apocryphal Gospels, Acts, Epistles, and Apocalypses, Oxford, 1953.*
2) *Jessup, H. op. cit., I, 78.*

ايروثيوس والقضية البلغارية : (١٨٥٨ ــ ١٨٧٢) وصــدر الخط الهمايوني (١٨٥٦) وأمر الباب العالي بتنفيــذه واجتمع الاكليروس القسطنطيني والوجوه والأعيان للنظر في تطبيقه . فاجتهد مطارنة اليونان ان يكون أعضاء القوميسيون من اليونان فقط . وبالكد دخل فيه أربعة أعضاء من البلغار . والشعب البلغاري الخاضع للبطريركية المسكونية آنئذ ضاهى عدد اليونان او زاد . ولما اجتمع القوميسون وشرع في وضع النظام الجديد للملة الارثوذكسية لم يعبأ بالتشكيات التي عرضها نواب الأبرشيات البلغارية وحــدد ان يصير انتداب المطارنة من البطريرك القسطنطيني ومجمعه ورتب انتخاب البطريرك على طريقة توافق شعور اليونانيين فقط .

ولما كان من واجبات هذا القوميسيون ان ينظر في كيفية تسديد الديون البطريركية البالغة آنئذ ثمانيــة ملايين غرش حدد ان يشترك في تسديدها جميــع الارثوذكسيين الخاضعين للبطريرك القسطنطيني . فرفض نواب الولايات البلغارية ان يوافقوا على هــذه القرارات وانسحبوا من القوميسيون واعترضوا على كيفية تأليفه . واهتمت الحكومة العثمانية لمطالب البلغاريين ولم توافق على النظام الجديد للملة الارثوذكسية الا بعد ان اضافت المادة الثامنة عشرة وهذا نصها :

« تصرف الدقة الكاملة وتبذل الملاحظات اللازمة من طرف مجمع المطارنة على التشكيات المعروضة على البطركخانة بالتتابع من طرف طائفة البلغار بسبب الصلوات والمواعظ التي تتلى في الكنائس . وبعد ان يجري التدقيق والتحقيق على هذه التشكيات وبأية درجة هي يحصل السعي وتبذل الغيرة على اسباب ووسائط ما يلزم لتسدية الكيفية لأجل راحــة المرقومين وتسكين خواطرهم » (١) .

وكان للبلغار في الآستانة كنيسة في بلطة يقيمون فيها فروضهم الدينية باللغة البلغارية . وكانوا قد اقاموا كنيسة اخرى في السنة ١٨٥١ في الفنار . وكان في السنة ١٨٦٠ مترئساً على كنيسة بلطة الاسقف ايلاريون . وفي قداس الفصح لم يذكر ايلاريون البطريرك ولم يقم الدعــاء له بل ذكر كل اسقفيــة ارثوذكسية . ودعي الى المجمع بحضور البطاركة الاسكندري والانطاكي

١) الدستور تعريب نوفل نوفل ج ٢ ص ٨٣١

والاوورشليمي فأجاب ان تصرفه يتفق ورغائب الشعب البلغاري . ثم دعي ثانية الى المجمع فلم يلبِ الطلب ولم يتأخر عن رسم كهنة وشمامسة بدون اذن البطريرك. ووافق البطريرك المسكوني كيرلس السابع (١٨٥٥ ــ ١٨٦٠) على انتقاء الاساقفة بدون تفريق بين يوناني وبلغاري . فلم يرضَ البلغاريون بهـذا الحل وقاموا بتظاهرات في القسطنطينية وفي بعض المدن البلغاريـة . فاضطرب الباب العالي وتوجس خيفة فقـدم كيرلس البطريرك استعفاءه (١) . ولم يعترف ايلاريون بالقائمقام البطريركي . وبعد مدة اتحد معه افكسنتيوس مطران دراخ وبائيسيوس مطران فيليبوبولي واعلنوا استقلال الكنيسة البلغارية ورئاسة ايلاريون (٢) . ثم انضم الى هؤلاء المطارنة اربعة مطارنة آخرين . وبدأ هؤلاء يتجولون بين صفوف الشعب البلغاري يحرضونه على نبـذ الطاعة للبطريرك المسكوني . وكان وجهاء الشعب البلغاري في اثناء هـذه الامور قد عينوا لهم نواباً في الآستانة وفوضوهم النظر في هذه المسألة . فأخذوا يتداولون في ايجاد وسيلة لحسم الخلاف وقرروا ما يجب اجراؤه ليتم الاتفاق عليه وحصروه في ثمانية بنود وقدم للبطريركية المسكونية بواسطة الحكومة العثمانية فجمع صفرونيوس البطريرك المسكوني (١٨٦٣ــ١٨٦٦) مجلساً عمومياً واوضح امامه سير الحوادث ومطالب البلغار . فرفض المجلس هذه المطالب فأصرّ البلغار فاقترح البطريرك الجديد غريغوريوس السادس (١٨٦٧ ــ ١٨٧١) اقامة اكسرخسية بلغارية تشمل جميع الابرشيات الواقعة بين جبال البلقان ونهر الدانوب . فلم يلقَ هذا الاقتراح قبولا في الاوساط البلغارية ولم يرضَ عنه البطاركة السابقون . وبينما كان البطريرك يؤمل ان توافق الحكومة العثمانيـة على اقتراحه وردت اليـه تذكرة من وزير الخارجية في الثالث من تشرين الثاني سنة ١٨٦٨ مصحوبة بلائحتين لاجل حسم الخلاف . وطلبت منه ان يقبل واحدة منها او ان يرى في طريقة اخرى تنطبق على رغائب الفريقين . فأجاب البطريرك في منتصف كانون الاول ان الطريقة المثلى لحسم الخلاف هي عقد مجمع مسكوني لان سلطته على بلغاريـة مستمدة في اساسها من قرارات المجامع المسكونية . وحرر

1) *Young, G., Corps de Droit Ottoman, II, 58.*
2) *Avril, A., La Serbie Chrétienne, 56, 59.*

البطريرك في الوقت نفسه الى جميع الكنائس الارثوذكسية المستقلة عارضاً افكاره بشأن عقد مجمع مسكوني للنظر في القضية البلغارية . على ان الباب العالي لم يظهر ارتياحه الى عقد هذا المجمع ولم يرخص به بل باشر حسم الخلاف وأصدر في ١١ اذار سنة ١٨٧٠ فرماناً سلطانياً اعترف فيه باستقلال كنيسة البلغار (١) .

مجمـع القسطنطينية : (١٨٧١) ولما صـدر الفرمان السلطاني اضطر البطريرك المسكوني ان يلح بشأن عقد المجمع المسكوني . فرفضت الحكومة العثمانية طلبه ولم تستحسن كنائس روسية ورومانيـة والصرب عقـد المجمع وحرضت البطريرك المسكوني على معاملة الشعب البلغاري بالرفق والتساهل والمحبة المسيحية فاضطر البطريرك ان يستعفي فانتخب المجمع خليفة له انثيميوس السادس (١٨٧١ ١٨٧٣) . فاحتج انثيميوس على تأسيس الآكسرخوسية . فلم يلتفت البلغار الى احتجاجه . فدعا للبطريرك المسكوني البطاركة في اواخر آب السنة ١٨٧٢ للنظر في المسألة القائمة . فلبى الدعوة صفرونيوس البطريرك الاسكندري وايروثيوس البطريرك الانطاكي وصفرونيوس رئيس اساقفة قبرص . واشترك في اعمال هذا المجمع ثلاثة من البطاركة القسطنطينيين المتنازلين وخمسـة وعشرون من مطارنة الكرسي القسطنطيني . وفي السادس عشر من ايلول سنة ١٨٧١ اصدروا الحكم على السيد انثيميوس اكسرخوس البلغار ومن تبعـه او تشرطن منـه من الاساقفة والكهنة والشمامسة والشعب واعتبرهم مشاقين وقطعوهم مـن الشركة مع الكنيسة الارثوذكسية لانهم احبـوا العرق وفرقوا بين الاجناس البشريـة واثاروا الفتن القومية (٢) .

اجتماع بيروت : (١٨٧٢) وأعلنت البطريركية المسكونيـة حكم مجمع القسطنطينية الى الكنائس الارثوذكسية المستقلة التي لم تشترك في المجمع . فأظهرت هذه الكنائس عدم استحسانها وكـان كيرلس الثاني البطريرك الاورشليمي في الآستانة ولكنه لم يشترك في اعمال المجمع ولم يقبل بحدوده . فاجتمع رهبان اخوية القبر وحكموا عليه بالعزل وانتخبوا بروكوبيوس متروبوليت غزة بطريركاً محله .

1) *Yonng, G., op. cit., II, 61.*
2) *Jehag. F. van Steen, Sujets Ottomans Non-Musulmans, 157 - 158.*

فهاج الشعب الارثوذكسي في فلسطين وامتنع معظم رؤساء الكنائس المستقلة عن ارسال الرسائل السلامية .

وأظهر الشعب الانطاكي كدره ايضاً . واجتمع المطارنة في بيروت في السنة ١٨٧٢ واقاموا الحجة على بطريركهم لخروجه على الطريقة التي حددوها له في رسالة بعثوا بها اليه يحرضونه فيها ان يكون رسول سلام بين اليونان والبلغار وان يجتهد في اقناع كنيسة القسطنطينية ان تسلك بالتساهل وطول الاناة وتتخذ التدابير السلمية المقتضية حيث لا خطر في المذهب وان الانشقاق الممقوت الناتج عن غيرة لكن ليس بمعرفة حسب قول رسول الامم الالهي هو مذموم ومستوجب لعنة جميع الاجيال المسيحية السالفة . واخيراً ألحوا عليه ان يسحب توقيعه من اعمال هذا المجمع (١) .

الجمعية الروسية الارثوذكسية : (١٨٨٢) واضطر الارشمندريت بورفيريوس اوسبنسكي ان يغادر فلسطين عند نشوب حرب القرم (١٨٥٣) ولم يعد اليها . ووضعت الحرب اوزارها (١٨٥٦) فعاد المؤمنون الروس الى الاهتمام بشؤون الاراضي المقدسة والحجاج . فأوفدوا في السنة ١٨٥٨ قوميسيوناً روسياً برئاسة كيرلس اسقف ميليتوبوليس . فتبنى القوميسيون برنامج بورفيريوس اوسبنسكي وجاء الغراندوق قسطنطين في السنة ١٨٥٩ فوضع حجر الزاوية لكنيسة الثالوث الاقدس « المسكوبية » .

وفي ربيع السنة ١٨٨١ أم اوروشليم الامراء سرجيوس وبولس وقسطنطين حاجين مصلين فاستقبلهم البطريرك الاوروشلمي ايروثيوس وكافة الاكليروس وحياهم الشعب بالهتاف « اورا » فزاروا القبر المقدس وجثوا مصلين لنفوس الراقدين من ابائهم . ثم حياهم البطريرك باسم ام الكنائس وشكر الله والدمع يتساقط على خديه لاهتمام الشعب الروسي بالكنيسة المقدسة . وتعددت صلوات الامراء عند المهد والقبر وبللت دموعهم الارض . وأنشاؤوا تذكاراً لوالدتهم في بستان الجثمانية هيكلاً لا تنقطع الصلاة فيه . ولدى عودتهم الى روسية انتظم اصدقاء

1) *Williams, G., Neale, J. M., op. cit., 190.*

فلسطين فيها جمعية امبراطورية ارثوذكسية برئاسة الامين سرجيوس وعطف القيصر . واحتفل بتأسيس هذه الجمعية في الحادي والعشرين من ايار سنة ١٨٨٢ في بطرس برج في قصر الامير الحاج نقولا الاكبر وبحضور الاميرة الزائرة الاولى الكسندرة . وافتتح الاكتتاب لهذه الجمعية بلاتون متروبوليت كيف فقدم الف ريال . واتخذت الجمعية الناصرة مركزاً لاعمالها فعنيت بالتعليم الابتدائي والتطبيب المجاني .

ايروثيوس مخلص وفي : وقضى ايروثيوس خمسة وثلاثين عاماً في رعاية كنيسة الله في انطاكية وسائر المشرق متحلياً بنقاوة الايمان واستقامة الرأي واعلاء منار الدين مترفعاً عن كل ما يمت الى العنصرية بصلة غير مفرق بين يوناني وعربي وكان ثاقب النظر عالي الهمة يحسن انتقاء الرجال لخدمة الكنيسة فسام عدداً من كبار الرجال الذين خدموا كنيسة انطاكية افضل الخدمات . وليس من العلم او العدل بشيء ان نقول مع بعض من كتب في جو الثورة على البطريرك اسبريدون ان البطاركة اليونانيين المتأخرين « لم يعملوا الا على انحطاط الارثوذكسية لا على تقويمها فقد أهملوا تعليم الشعب مبادىء الايمان الارثوذكسي ولم يكترثوا لتهذيب الأحداث ولم يعتنوا في اعداد وعاظ ولم يصرفوا أقل عناية من أجل الأديار بل قد اهملوا كل ما به خير الكرسي . وعند وفاتهم كانوا يتركون لاقاربهم او للمشيدات الخيرية في اوطانهم كل ما كانوا يجمعونه من الاموال الوافرة من دخل الكرسي دون ان يترك البعض منهم شيئاً يستحق الذكر لمصلحة الكرسي او لعضد الارثوذكسية فيه او لعمل الخير في هذه البلاد » ، نقول ليس من العدل بشيء ان نطلق الكلام بهذا الشكل ونتناسى جهاد مثوديوس في سبيل الأرثوذكسية الحقة وسعيه لاعلاء شأن الكنيسة في جميع الأبرشيات الخاضعة له . وقد سبق لنا الكلام في أعماله ومبراته . ولم يكن ايروثيوس أقل منه فضلا . وقد ذكرنا شيئاً من مآثره ولنا في ما يأتي عن بعض المطارنة في عهده ما يثبت اهتمامه برعاية الكنيسة

1) *Jehay, F. Van Steen, Sujets Ottomans Mon-Musulmans, 157 - 158.*
2) *Williams. G., Neale, J. M., op. cit., 190.*

رعاية صالحة ومساهمته في يقظـة ارثوذكسية محلية مباركة أنبعثت ثمارها بعد وفاته .

ملاتيوس اللاذقية : هو ميخائيل ابن موسى الدوماني الدمشقي ولد في دمشق في الثامن من تشرين الثاني سنة ١٨٣٧ . ونشأ في دمشق والتحق بالمدرسة البطريركية فأخذ منها مبادىء اللغات العربية واليونانيـة والتركية والايطالية . ومال بكل عواطفه الى التوشح بالاسكيم فانتقـل الى المدرسة الاكليريكية البطريركية التي كانت آنئذ بادارة الخوري يوسف مهنا فاستنفد علومها وقدم النذر في السنة ١٨٥٧ . ونال من البطريرك ايروثيوس التفاتاً وعناية . فلما شخص البطريرك الى الآستانة في ١٨ ايـلول سنة ١٨٥٨ كان ملاتيوس من خواص حاشيته . وهناك حلّ في مقام جليل لدى البطاركة الأربعة الملتئمين وقتئذ للنظر في تنظيم الكنائس على ضوء الخط الهمايوني ولحل المشكلة البلغارية وغير ذلك . فسامه البطريرك الاوروشليمي كيرلس شماساً بادارة ايروثيوس البطريرك الانطاكي وذلك في احد العنصرة في ٢٢ ايار سنة ١٨٦٠ . وعاد ملاتيوس مع معلمه سنة ١٨٦١ الى بيروت. وقدر ايروثيوس اتعاب ملاتيوس ومواهبه فرقاه في درجات الكهنوت . فلما ترملت ابرشية اللاذقية سنة ١٨٧٥ رشحه لرعايتها . والقى الله في روع المطارنة فأنتخبوه وسيم مطراناً على اللاذقية في ١٩ تشرين الثاني سنة ١٨٦٥ .

واستلم ملاتيوس مهام الابرشية في اوائـل السنة ١٨٦٦ فجمع اوقاف الكنائس الى قـلم واحد وأسس مدرسة للذكور وخصص واردات الاوقاف للمدرسة . واعتنى بترميم الكنائس في اللاذقيـة وفي توابعها فجدد سبع كنائس في الابرشية . وفي السنة ١٨٦٩ منحه السلطان الوسام المجيدي والملك جورج وسام المخلص الذهبي . ولمزيد اهتمامه بنشر العلوم الدينية ارسل على نفقته الارشمندريت جراسيموس مسرة والاستاذ باسيل جبارة الى مدرسة خالكي اللاهوتية فنـالا شهادتها (١) .

ميصائيل صور وصيدا : هو ابن الخوري صموئيل استيريان ايكونوموس

١) البطاركة الانطاكيون لنطاس قندلفت : مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٤٢٤

كرسي اللاذقية من عائلة شريفة عريقة بالكهنوت تتوارثه ابآً عن جد . وكانت ولادته في اول تشرين الثاني سنة ١٨٢٨ في نفس مدينة اللاذقية . وتربى منذ الصغر على الآداب الارثوذكسية ونشأ على مبادىء الديانة القويمة يرضعها في بيت ابويه. ولما شب ارسله والده الى دمشق حيث تلقى العلوم اللاهوتية على الخوري يوسف مهنا وغيره وباقي العلوم المدنية واللغتين التركية واليونانية وآداب اللغة العربية . وبعد ان اكمل دروسه انفذه البطريرك ايروثيوس الى دير البلمند ليدرس الرهبان العلوم اللاهوتية واللغتين التركية واليونانية . وذهب البطريرك الى الآستانة للنظر في قضية البلغار مع اخيه القسطنطيني . ولدى وصوله اليها انفـذ له امراً يطلبه ليكون في معيته مديراً للقلم العربي . وبايعاز من البطريرك رسمـه صفرونيوس مطران طرابلس شماساً انجيلياً في ايـار السنة ١٨٥٨ . وعقيب ذلك لبي دعوة البطريرك وسافر حالاً الى الآستانة . وبقي بمعيته سنتين في الآستانة فأتقن دروسه فيها وعاد مع البطريرك الى دمشق . وكان البطريرك يعتمد على درايته وحسن مداركه في قضاء الامور المهمة . وفي السنة ١٨٦٢ ارسلـه الى صور لاجل بناء كنيستها فبقي في صور الى ان اكمل بناء الكنيسة . وأرسله البطريرك الى جهات مختلفة لفض المشاكل فكان يتميز بالاستقامة وحسن السياسة . وفي أواخر السنة ١٨٦٥ سافر البطريرك الى الآستانة فترك ميصائيل وكيلا عنـه في الكرسي البطريركي . وطال غياب البطريرك سنتين تقريباً فحل ميصائيل مشكلة كنيسة القديس يوحنا الدمشقي واسترجعهـا من يد الكاثوليك . وكان ذلك في ايام ولاية رشدي باشا الملقب بشرواني زاده . وعاد البطريرك الى دمشق في حوالي السنة ١٨٦٧ فأنفذ ميصائيل الى مصر لقضاء بعض الامور الطائفيـة . ثم توفي جراسيموس (طراد) متروبوليت صور وصيدا فانتخب المجمع بناء على ترشيح البطريرك ايروثيوس الاب ميصائيل مطراناً على صور وصيدا . وتمت سيامته في المريمية في دمشق بحضور مثوديوس زحلة وصفرونيوس طرابلس وسيرافيم .

واتخذ ميصائيل حاصبيا مركزاً لسكناه فذبّ فيها عن الطائفة صامداً في وجه المرسلين البروتستانت . وكان كثير التجول في انحاء الابرشيـة راداً هجمات الطوائف الغربية مصلحاً شؤون الرعية باذلا بسخاء من وقته وماله .

غفرائيل بيروت : ولد في دمشق في الخامس من شباط سنة ١٨٢٥ من ابوين ارثوذكسيين تقيين هما نعمةالله شاتيلا وتقلا مخلع . وكانت والدتــه ابنة بروتوبسلتي الكرسي الانطاكي يوسف مخــلع . وكان عمــاها مطرانين احدهما اثناسيوس متروبوليت بيروت والآخر جراسميوس متروبوليت سلفكياس . وتلقى « جورجي » علومه الابتدائية في المدرسة البطريركية فاكملها في التاسعة من عمره وبعدها اخذ في نساخه الكتب . وفي العاشرة دخل المدرسة البطريركية التي انشأها البطريرك مثوديوس وعين لهــا معلماً كاتبه يني بابا دوبولوس فدرس جورجي فيها مبادىء اليونانية . ثم تجرد لاقتباس صناعة نسج الحرير . وفي الرابعة عشرة اخذه والده لمحل شغله في دمشق ليدربه بنفسه على اعمالــه وليتوكأ على همته في اشغاله التجارية . وبعد نصف سنة توفي الوالد فاخــذ جورجي على عاتقه القيام بحاجات بيت ابيه وتربية اشقائه القاصرين . ثم شب اخوه فضل الله فاعتمد عليه في دمشق وشخص الى القدس الشريف تبركاً واستدراراً للفائدة التجارية . وذهب منها الى ازمير فالآستانة لمهام تجارية .

وتوفي البطريرك مثوديوس وجورجي شاتيلا في الآستانة . فحضر حفلة تنصيب ايروثيوس . ولما رأى وداعة البطريرك الجديد وتقواه القي الله في روعه ان يكرس حياته لخدمته تعالى . فرغب الى البطريرك الجديــد بواسطة ديمتري شحاده ان يجعله راهباً ليكون بمعيتــه . وكان البطريرك ايروثيوس في حاجة الى رجل يعرف العربية واليونانية ليكون كاتباً ومساعداً له في اشغاله فضم غفرائيل الى معيته والبسه ثوب الرهبنة في امطوش القبر المقدس فى الآستانة في التاسع من اذار سنة ١٨٥١ وسماه غفرائيل بدلا من جورجي . وعاد ايروثيوس الى دمشق وعاد شماسه معه ونفث الله في صــدر غفرائيل ان يسعى لدى ايروثيوس بانشاء مدرسة يتثقف بها فتيــان وطنيون في العلوم الروحيــة تهيؤاً للانتظام في سلك الاكليروس . فتكلل مسعاه بالنجاح وتألف فريق من اثني عشر تلميذاً لهذه الغاية واستقدم البطريرك معلمين للغة اليونانية احدهما من ازمير والآخر من اثينه وعين لمساعدة الخوري يوسف مهنا المعلم يوسف عربيلي والمعلم يوسف الدوماني . وفي

ايلول السنة ١٨٥٨ قام البطريرك الى الآستانة فرافقه غفرائيل ونال عطف البطاركة الاربعة لما فطر عليه من الامانة والتقوى والغيرة . وفي ايــار السنة ١٨٦٠ احتفل بخدمة القداس في امطوش القبر المقــدس في الآستانــة البطريركان الانطاكي والاوروشليمي فســام ايروثيوس غفرائيل قساً وســام البطريرك الاوروشليمي ملاتيوس (الدوماني) شماساً. وفي عيد الميلاد من السنة نفسها رقي ايروثيوس الاب غفرائيل الى رتبة ارشمندريت وعينه رئيساً للامطوش الانطاكي في موسكو .

وقام غفرائيل من الآستانة الى موسكو في الخامس من آب سنة ١٨٦١ واقام هناك تسع سنوات . فجدد كنيسة الامطوش وقــام بمهامه بأمانة ونشاط وغيرة فأحبه متروبوليت موسكو فيلاريتوس وشمله القيصر اسكندر الثاني بعطفه. واغتنم غفرائيل فرصة وجوده في روسية فأرسل كثيراً من الايقونات التي يزدان بها ايقونسطاس كاتدرائية دمشق وجدرانها وارسل ايضاً كثيراً من الاواني .

وفي السابع والعشرين من ايلول سنة ١٨٦٩ اجتمع مطارنــة الكرسي الانطاكي في دير سيدة البلمند لانتخاب مطران لكرسي بيروت . فأجمع المطارنة على انتخاب غفرائيل . فأجاب شاكراً مستعفياً . ثم تكرر الطلب من البطريرك والشعب فدافع دون القبول نحواً من سنة ثم أحنى عنقه . وقــام من موسكو الى بيروت فوصلها في الثاني والعشرين من ايلول سنة ١٨٧٠ . وأم دمشق فسامــه معلمه البطريرك ايروثيوس بمشاركة مثوديوس سلفكياس وميصائيل صور وصيدا وسيرافيم ايرينوبوليس . وتوسم الشعب خــيراً وسكنت عواصف الاضطراب والانقسام التي استغرقت خمس سنوات كانت فيها الابرشيات مترملة .

واول عمل قام به غفرائيل انه دفع من ماله الخاص نحواً من خمسة وسبعين الف غرش كانت ديوناً على اديرة الابرشية لا تكفي ايرادات الاديرة لدفع فائدتها. واخذ يهــتم في اصلاح ارزاق الاديرة وبناياتها وايجاد الرهبان فيها منفقاً من ماله الخاص حيثما يرى موارد الاديرة غير كافية .

وكان في اثناء اقامته في روسية قد ابتاع من ماله الخاص كثيراً من الاواني الكنسية والملابس الكهنوتية الجديــدة فوزعها على كنائس الابرشية . وتحقيقاً

لرغائبه في تعليم الاكليروس اخذ على عهدته مدرسة الطائفـــة الكبرى في بيروت وانفق عليها من ماله نحواً من الف ليرة عثمانية ذهباً علاوة على ايرادها ودعا اليها تلامذة من ابرشيته لينظمهم فيا بعد في سلك الاكليروس فنبغ من هؤلاء غريغوريوس حداد الذي اصبح فيا بعد مطراناً على طرابلس وبطريركاً انطاكياً . ومنهم ايضاً مكاريوس صوايا . ثم اخرجت تلك المدرسة من يـد غفرائيل . فانشأ في السنة ١٨٨٣ مدرسة اكليريكية على حسابه الخاص واتخذ لهـا مقراً في قلايته نفسها . وانشأ او جدد ثلاثين كنيسة وسام سبعة وسبعين كاهناً منفقاً على اكثرهم مـدة تعلمهم في قلايته . ومهد السبيل لانشاء الجمعيات الخيرية فأسس في السنة ١٨٧٧ جمعية التعليم المسيحي لتتلو في ايـام الآحاد على شبان الملة واولادها فصولا من الكتاب المقدس وتآليف الاباء ومواعظ وخطباً دينية . وفي السنة التالية (١٨٧٨) نظم جمعية القديس جاورجيوس للعناية بالمرضى وتدريب الممرضات وانشأ مستشفى القديس جاورجيوس . وفي السنة ١٨٨٠ أسس جمعية زهرة الاحسان لتعليم البنات وتدريب الممرضات . وقامت في السنة ١٨٨٢ جمعيـــة القديس بولس لمساعدة كنائس الابرشية والاعتناء بالكهنة .

نيقوذيموس عكار : هو نقولا ابن قسطنطين زوغرا فوبولوس . ولد في الآستانة سنة ١٨٣٩ . وكان وحيداً لوالديه ومحبوباً منهما . وبعد ولادته ببضعة شهور توفيت والدته ثم والده فعاد يتيما . فأخذه اليهما عماه نقولا وباسيلي فعاش عندهما نحواً من سنتين . وفي السنة ١٨٥٤ سافر مع احد اقربائه الى القدس قاصداً الانتظام في سلك الرهبنة . فمثل لدى البطريرك كيرلس فأعجبتـــه نجابته ولوائح ذكائه ونشاطه فدفعه الى مطران الاردن ليكون مبتدئاً عنده . فأدخله هذا المطران في المدرسة الطائفية هناك . ولما أتم دروسه لبس الاسكيم . وفي السنة ١٨٦٦ غادر القدس ذاهباً الى وطنه مدينة القسطنطينية . فمر في ثغر بيروت ودفع الى البطريرك الانطاكي ايروثيوس تحارير كان قد سلمــه اياها رهبان القدس يطلبون بهـــا الى البطريرك الانطاكي ان يبقيه لديه ليتدرج في مراتب الكهنوت لما كانوا قد توسموه به من النشاط والاقتدار . فامسكه البطريرك الانطاكي لديه ولم يأذن له بالذهاب.

وفي تلك السنة سيم خريسندوس (اليوناني) مطراناً على عكـــار فارسل البطريرك نيقوذيموس ليكون شماساً عنده . وفي السنـــة ١٨٦٧ سام خريسندوس الراهب نيقوذيموس شماساً . وفي السنة ١٨٧٠ سامه كاهناً وارسله رئيساً على دير القديس ضوماتيوس في قضاء الحصن . فأقام هناك ست سنوات . وفي السنة ١٨٧٦ سيم ارشمندريتاً ورئيساً على دير مارالياس الريح في قضاء صافيتا ووكيلا عن المطران في جميع اشغال الابرشيـــة . وبقي هناك ثماني سنوات . وفي سنـــة ١٨٨٤ توفي خريسندوس فعهد ايروثيوس بالوكالة على الابرشية الى نيقوذيموس .

ويلاحظ هنا ان بعض رجال الاكليروس اليوناني الذين تسلموا كراسي الابرشيات الانطاكية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كانوا مثـــال التقوى والصلاح وانهم خدموا الكنيسة الانطاكية خدمة مسيحية كاملة . فالسيد بنيامين متروبوليت غفرائيل وسلفه كان من التقوى والغيرة والفضيلة على جانب عظيم . والسيد ايوانيكيوس متروبوليت طرابلس كان متوشحاً بالعفاف متجملا بافضل الصفات المسيحية . واجمعت الالسن على غيرة الارشمندريت اغاثنجلوس يمين مثوديوس البطريرك وعلى طهارته ورأفته وتكريس حياته لخير الكنيسة . وأجاد بعضهم اللغة العربية فانثيميوس متروبوليت صيدا وضـــع قاموس مفردات بين اليونانية والعربية ونيكيفوروس متروبوليت حمـــاة خط المزامير بالعربيـــة بيده وباخوميوس متروبوليت صدنايا استنسخ الانجيل بالعربية .

ايروثيوس والعلوم الاكليريكية العالية : وترفع ايروثيوس عن النعرة الجنسية فأوفد الى مدرسة خالكي ومدارس روسية من الاكليريكيين الوطنيين من عاد الى كنيسة انطاكية ودافع عنها ورفع شأنها . فانه علم في السنة ١٨٧٠ بنجاح اسعد عطاالله في مدرسة سوق الغرب الارثوذكسية التي كان يديرها المعلم يوسف عربيلي . وتثبت البطريرك من نبالة اسعد ودماثة اخلاقه فضمه الى بطانته متوسماً به ان يكون من متقدمي خدمة الاسرار الالهية . ووشحه بالاسكيم واخذه الى دمشق وألحقه بالمدرسة البطريركية . وفي السنة ١٨٧١ سامه متوحداً واطلق عليـــه اسم المجاهد العظيم عن الايمان القويم اثناسيوس . وفي السنة ١٨٧٢ رسمه شماساً انجيلياً

وصحبه معه الى الآستانة . ثم اذن لـه في ١٨٧٩ ان يلتحق بمدرسة خالكي . وفي السنة ١٨٨٣ سامه ارشمندريتاً ورأسه على دير مار الياس الشوير . فأقام فيه ثلاث سنوات متفانياً في الخدمة . وجمع لديه فريقاً من التلامذة اعدهم للرهبنة ودرّسهم بنفسه اللغتين اليونانية والعربيـة والموسيقى والحساب والجغرافية منهم الخوري موسى مرهج الشويري .

جراسيموس يارد : (١٨٤٠ — ١٨٩٩) وزار ايروثيوس البطريرك راشيا في السنة ١٨٥١ فتقدم منه الولد الارثوذكسي جورجي اسبر يارد والتمس الحاقه بمدرسة دمشق البطريركية فوعده بذلك . ولمـا عاد البطريرك الى دمشق طلب جورجي اليه وأدخله الى المدرسة . فدرس العربية واليونانية على الخوري يوسف مهنا . وفي السنة ١٨٥٨ انتدب معلماً لمدرسة حماة الارثوذكسية فاظهر من براعة التعليم والتهذيب ما خلد له الذكر الحسن في تلك المدينة . ثم رأى البطريرك ان يزيد علم هذا الشاب النابغة فالبسه الاسكيم ودعاه جراسيموس والحقه بخالكي سنة ١٨٦٠ ثم بامطوش موسكو سنة ١٨٦١ وفي السنة ١٨٦٢ التحق جراسيموس بمدرسة موسكو الاكليريكية فاتم دروسه القانونية فيها سنة ١٨٦٨ . ومن ثم دخل كلية بطرس برج العليا فحاز قصب السبق على اقرانه واكمل العلوم اللاهوتيـة والفلسفية واتقن لغات اوروبية جديدة . وفي السنة ١٨٧٢ نال الشهادة الرسمية من الصنف الاعلى وسمي استاذاً لمدرسة بسكوف . ثم اختير رئيساً لمدرسة ريغـا في فنلاندة ثم استاذاً لتاريخ الكنيسة الشرقية في مدرسة بطرس برج . فبحث وصنف في مواضيع متعددة . وخص فوطيوس العظيم بشطر وافر من وقته فوضع كتاباً في هذا الموضوع لا يزال مرجعاً من افضل المراجع حتى يومنا هذا (١) . وكان يلقي المواعظ والخطب في الكنائس الروسية الكبرى والمحافل والاندية فيحتشد الوف مؤلفة لاستماع عظاته النفيسة وخطبه البليغة وسنة ١٨٨٣ انتقاه نيقوذيموس البطريرك الاوروشليمي واعظاً للكرسي الاوروشليمي . وسنة ١٨٨٥ جاء بمعية هذا البطريرك

1) *Gerazim Yared, Otzuivui Sovremennikov o sv. Fotiye Patr. Konst., Khristyanskoe Chtenie, 1872 - 1873; Dvornik. F., The Photian Schism, 382, 430.*

الى بيروت فارتقى منـبر الكنيسة الكاتدرائيـة وفسر خبر جريح اللصوص فادهش الجمهور.

البطريرك جراسيموس : (١٨٨٥ — ١٨٩١) واقام السيد ايروثيوس على المنصة البطريركية الانطاكية خمسـة وثلاثين عاماً . ثم دعاه الله الى شيخوخة متناهية فخلا مكانه في السنة ١٨٨٥ . واجتمع الاساقفة للنظر في من يخلفه . واراد بعض الوطنيين منهم ان يشركو الشعب في الانتخاب فنابذهم غفرائيل متروبوليت بيروت . فاحتكموا للناموس وعنـد مطالعته لم يجدوا قانوناً يخول الشعب حقوق التدخل . فقال اغابيوس (صليبا) انه وارد لاحد الشراح رأياً خصوصياً لا قانونياً كنسياً . واحضر الحاشية المشار اليها . وعندئذ قرر المجمع ان يرشح مـن يريد كالسابق ثم يظهر اسم المرشحين لعقلاء الشعب (الاراخنة ليظهروا ما لديهم حتى اذا لم يكن للشعب ما يقال يظل للمجمع ملء الحرية . ومن تلك السنـة اي سنة ١٨٨٥ سرت هذه العادة في الكنيسة الانطاكية (١) .

وخشيت المقامات اليونانية الاكليريكية امر ترشيح اكليريكي وطني فنقلوا الى السلطات العثمانيـة ان الوطنيين يميلون الى الروس . وتدخـل يواكيم الرابع البطريرك المسكوني ونيقوذيموس البطريرك الاوروشلمي في امر الانتخاب فأيدت السلطات العثمانـية ترشيح جراسيموس متروبوليت سكيثوبوليس (بيـسان) فتم انتخابه في ٢٩ ايار سنـة ١٨٨٥ وصدرت البراءة السلطانية بـه بطريركاً على انطاكية وسائر المشرق (٢) ويرى بافييذس المؤرخ اليوناني ان الدعاة الروسيين كانوا منذ منتصف القرن التاسع عشر قـد بدأوا يثيرون نعرة عنصرية علمانية في ابرشيات الكرسي الانطاكي (٣) مافتئت ان ذرت قرنها في انتخاب جراسيموس ثم في اسقاط اسبيريدون .

« باسم الاله المثلث الاقانيم غير المنقسم . قد التأمنا نحن مطارنة الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس في كنيسة دمشق الكاتدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم . وبناء

١) حاشية امين ضاهر خيرالله على متن الصفحة ٥١ من كتابه الارج الزاكي . والشيخ الجليل الذي لم يسميه اجلالا هو في ترجيحنا غفرائيل متروبوليت بيروت .

٢) الارج الزاكي ايضاً ص ٤٥ .

3) *Bapheidès, Ecc. Ist., III. 273.*

على ما تقرر في الجلسات الاولى والثانية من عمـل الانتخاب شرعنا في الانتداب قانونياً وفي وسطنا ايقونة ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الطاهرة لايجاد وانتخاب شخص فيه الاهلية واللياقة لضبط زمام الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس والقيام بمهامه روحياً وزمنياً . فوضعنا اولا اسم قدس اخينا جراسيموس مطران بيسان الكلي الطهر من مطارنة الكرسي الرسولي البطريركي الاوروشليمي المقدس وثانياً قدس اخينا يوحنا مطران قيسارية الجزيل الوقار من مطارنة الكرسي الرسولي القسطنطيني المقدس وثالثاً اسم قدس اخينا فيلوثاوس مطران ازمير الجزيل طهره من مطارنة الكرسي القسطنطيني ايضاً الذين ادرجت اسماؤهم في هذا السجل البطريركي الشريف لبيان دائم وايضاح ثابت . وبعـد التضرع والابتهال الى الهنا العظيم واستمداد روحه القدوس واعطائنا انتدابنا السري القانوني وقـع الانتخاب بصوت عمومي على قدس جراسيموس مطران بيسان الكلي الطهر . فقدمنا لله الضابط الكل الشكر القلبي وبادرنا بتقديم التلغراف الاشعاري لسيادة المنتخب الموما اليه ممضياً من جميعنا . وقـد صار هذا الاجتماع يوم الاربعاء الواقع في ٢٩ شهر ايار سنة ١٨٨٥ مسيحية في دمشق الشام المحمية .

« التواقيع : ملاتيوس مطران اللاذقية سيرافيم مطران ايرينوبوليس ونائب بائيسيوس مطران ارضروم ميصائيل مطران صور وصيدا غفرائيل مطران بيروت ولبنان ونائب صفرونيوس مطران طرابلس اغابيوس مطران اداسيس جرمانوس مطران ترسيس واطنـة خريسانثوس مطران عكار مثوديوس مطران زحلة ونائب جرمانوس مطران حماة » (١) .

وأبصر جراسيموس النور في استروس في شبه جزيرة المورة في الثامن عشر من اب سنة ١٨٣٩ . ونشأ نحيف الجسم حاد الذكاء رقيق المعاشرة لطيفاً لبقاً . وتحلى بالعلوم الاكليريكية العالية واجاد اليونانية والتركية وتكلم العربية . وأحبه مطارنة الكرسي الانطاكي وتعاونوا معه . وأحب هو كنيسة انطاكية وتمنى لها النجاح والرقي . وتعاون مع الشعب فنظم مجلساً ملياً بطريركياً وسام عدداً من المطارنة الاكفاء وأحب الارشمندريت اثناسيوس عطاالله ورغب اليه ان يقيم لديه ليكون يده اليمنى واذنه المستمعة اصوات الرعية وعينه الباصرة حاجات الشعب وابقاه عنده خمسة اشهر غير ان لحاجة الشعب في حمص وتوابعها وتعلقهم بأثناسيوس جعل البطريرك يرشحه لكرسي حمص وسامه مطراناً عليها في ٢٥ اذار سنة ١٨٨٦ وفي هذه السنة نفسها رقد بالرب السيد جرمانوس (زيوت) متروبوليت حماة . فرفع المؤمنون الحمويون عريضة الى البطريرك يلتمسون بها الارشمندريت غريغوريوس جبارة راعياً لهم . وكان جراسيموس يتجول في تفقد شؤون الابرشيات فلما وصل الى

١) عن السجل البطريركي بالتاريخ بذيله

طرابلس اجتمع لديه عدد من المطارنة للمذاكرة فجرى ترشيح غريغوريوس واخذت اصوات الحاضرين والغائبين كالسيد نيقوذيموس مطران ديار بكر فأصابت الدعوة الالهية غريغوريوس فشخص البطريرك الى اللاذقية وسامه مطراناً على حماة وتوابعها في شبـاط السنة ١٨٨٧ . وفي السنة ١٨٨٩ توفي بيسوع خريسنذوس (صليبا) متروبوليت عكار ومتوديوس (صليبا) متروبوليت سلفكياس . وكان نيقوذيموس محبوباً جداً من الشعب في عكار وكان قد قضى خمس سنين يقاسي أمرّ العذاب في كرسي ديار بكر فانتخبه المجمـع مطراناً على عكار . وانتخب المجمع جراسيموس (يارد) واعظ الكرسي الاوروشليمي مطرانـاً على سلفكياس فسامه البطريرك بالاشتراك مع اغابيوس (صليبا) متروبوليت اداسيس وسيرافيم متروبوليت ايرينوبوليس وذلك في الكنيسة المريمية وفي يوم عيـد البشارة سنة ١٨٨٩ . وكان الشقاق قد ثار في طرابلس في آخر ايام راعيها صفرونيوس (نجار) . فلما مضى مستقبلا وجـه البقاء ثارت عواصف المخاصمات فانتقى البطريرك جراسيموس الشماس غريغوريوس حداد قائداً لسفينة طرابلس في ايـام محنتها فأحسن الانتقاء للمرة الخامسة! وكان غريغوريوس لا يزال في بيروت فسامه غفرائيل قساً ونال نعمة رئاسة الكهنوت في العاشر من ايار سنة ١٨٩٠ من يد البطريرك جراسيموس بمشاركة السيدين سيرافيم ونيقوذيموس . وهل يقال في من ينتدب هؤلاء الرجال الكبار الى الكراسي الشاغرة انه غير مكترث للمسؤولية الملقاة على عاتقه ! وهل يقال انه آثر اليونانيين على الوطنيين بعد هذا الانتقاء :

الانوار في الاسرار : ومن مآثر هـذا البطريرك اليوناني انه اعترف بعلم الشماس جراسيموس مسرة وفضله فشجعه على اداء رسالته ومنحه لقب « واعظ الكرسي الانطاكي » . وكان ملاتيوس متروبوليت اللاذقية قد استنشق في جرجي ابن اسبيريدون مسرة في اللاذقية نسيم أمل فدعاه لتكريس النفس في خدمة الله فلبى وترك بيت ابيـه في صيف السنة ١٨٧٣ وتوشح بالاسكيم باسم جراسيموس يوم عيد الميلاد من السنة نفسها . ثم توسم ملاتيوس في هـذا الراهب مستقبلا جيداً فأرسله في صيف السنة ١٨٧٥ الى القسطنطينية ليلتحق بمدرسة خالكي منيطاً بالعناية فيه الشيخ ديمتري شحاده نزيل القسطنطينية آنئذ . وعاد جراسيموس الى اللاذقية في صيف السنة ١٨٧٩ فسامه معلمه شماساً انجيلياً يوم عيد الرب ثم دفتريفوناً لكرسي اللاذقية . وعاد الشماس جراسيموس الى خالكي واتم دروسه فيهـا ونال شهادتها في السنة ١٨٨٢ عضية من رئيس المدرسة ومصدقة من البطريرك

المسكوني يواكيم الثالث . وهي اول ديبلومة نالهـا سوري من تلك المدرسة . ثم عاد الى اللاذقية واقام في خدمة كنيستها سنتين فدعاه ايروثيوس السعيد الذكر ليستلم ادارة القلم اليوناني في البطريركية وجاء البطريرك جراسيموس فسماه في احد العنصرة سنة ١٨٨٦ في حفلة حافلة في الكتدرائية المريمية واعظ الكرسي الانطاكي (١) .

« ولما كانت الكتب الدينية الغريبة عن روح الكنيسة الارثوذكسية قد تكاثرت في البـلاد العثمانية واللغة العربية وكانت ايادي العلماء تتداولها ويقرأها الفقهاء والبسطاء . ولمـا كانت الكتب الارثوذكسية الموضحة صحيح التعليم والمفندة ما بعد عن الرأي القويم قليلة العدد حيث وجدت لانحصار ما وجد منها خطاً ببعض افراد او لا وجود لها مطلقاً في اكثر الانحاء والبلاد . ولما كانت الخدمة في نشر الحقائق الدينية القويمـة فرضاً واجباً ومعاضدة ابناء الكنيسة الارثوذكسية ديناً لازباً » (٢) هب هذا المعلم في اللاهوت لخدمة كنيسة انطاكية بالتأليف والتعريب لنشر تعليم الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية . فنشر اولا رسالة افجانيوس البلغاري المعروفـة بالبينات الجليلة واتبعها بكتاب جليل عنوانه الانوار في الاسرار وطبعه بالمطبعة اللبنانية في بيروت سنة ١٨٨٧ .

وقال جراسيموس مسرة في تقديم هذا الكتاب انـه لما كانت اسرار الكنيسة السبعة موضوع اختلافات متعددة بين الكنيسة المقدسة الجامعة وبين سواها من الكنائس رأى ان يجعل مقدمة خدمته الدينية كتاباً في الاسرار السبعة يبحث فيها اجمالا وفي كل منها افراداً نشأتها وتاريخها وما أحدث فيها وابتدع فطالع وقابل ما كتبه في ذلك اشهر المؤلفين الكنائسيين من شرقيين وغربيين ارثوذكسيين وغير ارثوذكسيين . وعد منهم ما عدا القدماء ارميا بطريرك القسطنطينية وغفرائيل مطران فيلادلفية وسمعان التسالونيكي ويوحنا الدمشقي ومكاريوس مطران موسكو واعتراف الرأي القويم ورسالة البطاركة والتعليم المسيحي وكتب الخدمة . فجاء كتاباً مستوفي الشروط وافياً بالمقصود .

وفي السنة ١٨٨٨ دعاه بطريرك الاسكندريـة لخدمة الكنيسة السورية في الاسكندرية فسامه البطريرك الانطاكي قساً ثم ارشمندريتاً في ٢١ تشرين الثاني من هـذه السنة . وفي اذار السنة ١٨٨٩ جعـله البطريرك صفرونيوس الاسكندري معلماً للاعتراف في كنيسة القديس مرقس . وفي حزيران السنة التالية انتخبه المجمع الانطاكي مطراناً لحلب ولكنه لم يلب الدعوة « لاعتبارات صحية » .

استقالـة البطريرك جراسيموس : (١٨٩١) واستقال نيقوذيموس البطريرك الاوروشليمي في السنة ١٨٩٠ وارتحـل الى القسطنطينية واقام فيها . فلبث الكرسي شاغراً مدة الى ان اجتمع السينودس بعد انقضاء الاعياد الميلادية . وبينما كان الناس في حـدس من امر المنتخب شاع الخبر وتناقلتـه الجرائد ان

١) روض المسرة لابراهم الاسود ص ٨ ـ ١٠

٢) مقدمة الانوار في الاسرار لجراسيموس مسرة ص ٤ ـ ٥

لجراسيموس البطريرك الانطاكي حظـوة في السينودس الاوروشليمي . وفي منتصف اذار السنة ١٨٩١ وردت برقية على جراسيموس من سينودس اوروشليم تبشره بانتخابه بطريركاً على ام الكنائس . فأمر البطريرك باجتماع قوميسيون الملة وانتدب بعض الاعيان ايضاً . وحضر الاجتماع اغابيوس متروبوليت اداسيس وسيرافيم متروبوليت ايرينوبوليس وجمهور الكهنة . فأبلغهم البطريرك خبر انتخابه وطلب اليهم المذاكرة فيما يرونـه موافقاً لمصلحة الكرسي اولا ولمصلحة الكرسي الاوروشليمي ثانياً . فاجمع الحضور على عدم الموافقـة واستعطفوا البطريرك الى رفض الانتخاب . وفي الغـد ابرق البطريرك الى المجمـع الاوروشليمي يشكر ويقول ان قبوله موقوف على رضى الكنيسة الانطاكية وموافقة الحكومة . وفي اليوم التالي عاد القوميسيون الى الاجتماع وقرر الابراق الى المطارنـة بعدم الموافقة وبوجوب الالتماس الى من يلزم بهذا المعنى . وشفـع القوميسيون هـذه البرقية برسالة عمومية افصح بها واوضح .

« غب المصافحة الاخوية واستمداد الدعاء نعرض قد ورد تلغراف من السينودس الروحي باوروشليم المقدسة لغبطة بطريركنا الكلي القداسة يعلن انتخاب غبطته بطريركاً للكرسي الاوروشليمي المقدس . وبمـا ان انتقال غبطته من الكرسي الانطاكي في الايام الحاضرة والقيام بانتخاب خلف لغبطته موجب لاتعاب كلية تذهب براحـة الكرسي الانطاكي عموماً والشعب الارثوذكسي في دمشق خصوصاً . وبمـا ان غبطته حين بلغه تقديم اسماء المرشحين للبطريركية الاوروشليمية ووجود اسم غبطته بين اسماء المرشحين حرر لمقام الصدارة العظمى يبين لزوم وجوده في الكرسي الانطاكي ويستدعي الالتفات لمـا ينشأ عن انتقاله . وبعد ورود تلغراف الانتخاب لغبطته من السينودس الاوروشليمي المقدس حرر ان قبوله موقوف على رضى وقبول الحكومة السنية والكرسي الانطاكي المقدس . وبما ان تصرف غبطة بطريركنا المشار اليه بصورة موافقة للرضى العالي قد اوجب التفات ورضى الحكومة السنية حتى الان ونحن في راحة نرغب بقاءها . تقرر في اجتماع عقد بتاريخه تقديم عريضة للحكومة السنية نبين فيها ما ذكر ونطلب ابقاء غبطته على الكرسي الانطاكي ومخابرة سيادتكم بهـذا الشأن . وعليه بادرنا لتقديم تحريرنا هـذا نبين فيه رغبتنا في بقاء غبطة بطريركنا قياماً بواجب الاحترام المفروض ومحافظة على الراحة ومنعاً للاتعاب التي يخشى وقوعها على فرض اضطرار الكرسي الانطاكي المقدس للقيام باعباء انتخاب خلف . فنرجو من سيادتكم ان توافقوا المركز في حاساته هذه واجراء المخابرات اللازمة بسرعـة حذراً من فوات الوقت . في ٢ مارت (شرقي) سنة ١٨٩١ . اخوكم بالمسيح سيرافيم مطران ايرينوبوليس اغابيوس مطران اداسيس الارشمندريت اثناسيوس ابـو شعر الخوري عبدالله القصمة الخوري ميخائيل كركر اولادكم يوسف طنوس عبده عجمي جرجي روميـة

مخايل صيدح جبرائيل اسبر امين ابو شعر جبرائيل شامية سمعان لاذقاني نعمان ابو شعر جبران لويس مخائيل كليلة » .

ورفع القوميسيون عريضة موقعة من المطارنة والاراخنة الى والي سورية يظهرون بها امتنانهم من البطريرك جراسيموس وانهم في راحة يرغبون استمرارها وان انتقال البطريرك للكسي الاوروشليمي مقيـد باتفاق الكنيستين لا باحداها فقط وعليه يلتمسون من دولته مخابرة من يلزم في توقيف الانتخاب . وحمل هذه العريضة الى الوالي المطرانان سيرافيـم واغابيوس وبعض الوجهاء . فرحب بهم الوالي واعرب عن استحسانه وقال ان دمشق بأسرها تأسف لفراق رجل لطيف محب مثل غبطته واسرع فرفع العريضة الى الصدارة العظمى . وبعـد يومين جاء والي سورية الى البطريركية وبلغ البطريرك والوجهاء ان الصدارة ترى ذهاب البطريرك مناسباً وموافقاً نظراً لاهمية المركز وثقـة الدولة بالبطريرك وانه يجب اتخاذ الاحتياطات اللازمة في انتخاب خلف بكل راحة .

وبعد انصراف الوالي عجل البطريرك في استقدام المطارنـة وعين السابع عشر من اذار حساباً شرقياً موعداً للمذاكرة في شؤون الطائفة وما يؤول الى صالح الكنيسة وخيرها . وتقاعد المطارنة الا احدهم السيـد نيقوذيموس متروبوليت عكار . فاستعد البطريرك للسفر وانفذ خبراً الى الوفد المقدسي يستقدمه الى دمشق فجاء هذا الوفد وفيه بتريكيوس مطران عكة والارشمندريت فوطيوس الصغير .

وفي الثامن والعشرين من اذار حساباً شرقياً استدعى البطريرك المطارنة والكهنة واعضاء القومسيون وتلا على مسامعهم استعفاءه من الكرسي الانطاكي . وامر ان يدرج في سجل البطريركية فأدرجوه ووقع عليـه بخط يده واهم ما جاء فيه ما يلي :

« ان ارتباطنا عظيم من الكنيستين . ففي الاولى ولدنا وتربينا وكبرنا وفيها قصصنا شعر راسنا ولخدمتها تركنا العالم واقسمنا باننا سنكون منصبين اليها حتى آخر نسمة من حياتنا . وفي الثانيـة نخدم بامانة وكنا نؤمل ان كل حياتنا ستصرف لاجلها . تلك امنا تستدعينا وهـذه تملك عقلنا وقلبنا وفؤادنا . فما العمل انخالف الرحمـة الالهية حاشا وكلا ! « ان كنا نعيش بالروح فللروح نخضع » وكيف نناقض نعمة الله طالما الرسول يصرخ « لا اناقض نعمة الله » . وهكذا بحسب قوانا

الضعيفة وبحسب ارادة ذاك الذي قوته بالضعف تكمل نؤمل في اننا نساعد على خدمة ليست مختصة بهذه الكنيسة فقط او بتلك بل شاملة كل جسد الكنيسة التي نحن اعضاؤها متحدين بجسم واحد تحت راس واحد الهنا ومخلصنا وربنا يسوع المسيح . وبانفصالنا عنكم نرجوكم ونعظكم قائلين احترسوا لانفسكم ولجميع الرعية التي اقامكم فيها الروح القدس اساقفـة وارعوها بخوف الله وبمحبة الرعية . واهربوا بكل اجتهاد من كل مستجد يزعج سلام الكنيسة والنظام السائد فيها بدون ان تنسوا اللعنة التي وضعها الرسول بولس معلم هذه الكنيسة ضد من يخترع اموراً مستجدة ويدخل غير ما تسلمتموه واحفظوا الوديعة سالمة » .

وفي السابع من نيسان احتفل البطريرك بقداس حبري وبارك الشعب في ختامه واستودعه الله . ثم ركب وبطانته والوفد الاوروشليمي العربات قاصدين بيروت . وساروا تواً الى شتورة حيث قضوا الليـل فلقيهم فيها جراسيموس (يارد) متروبوليت زحلة وتوابعها ففند للبطريرك قوله في الاستعفاء وأكد له ان لا مجمع ولا كنيسة يمكنها ارغامه على قبول الانتقال من كرسي الى اخر طالما هو مستوٍ على الكرسي الرسولي الانطاكي وان حجة غبطته في وجوب الرضوخ الى ارادة الباب العالي واهية . وتابع البطريرك السير فوصل بيروت مساء الاثنين . ويوم الاربعاء العاشر من نيسان ركب الباخرة الخديويـة الى يافـة . وقام على وداعه اهالي بيروت احسن قيام فشيعوه حتى البحر مستمطرين بركاتـه وداعين له بالسلامة .

تسرع الاب هنري موسه : وفي السابـع عشر من نيسان سنة ١٨٩١ أدرجت صحيفة النيولوغس اليونانية رسالة صدرت عن بيروت وتضمنت خبر استعفاء البطريرك . ومما جاء في هذه الرسالة ان شعائر الشعب الانطاكي تحركت وانهم بكوا لما علموا ان بطريركهم استعفى وان البطريرك توجع قلبـه وتمزق ولكنه قضى ست سنوات « في ارض قحلة غير مضيفة الغريب » . فانبرى للرد على هذا الكلام الأخير سليمان الجهيني فأثبت في كتابه الخلاصـة الوافية وفي الصفحة ١٩ ما دخل على البطريرك جراسيموس مـدة وجوده في الكرسي (١٨٨٥ ــ ١٨٩١) فجعله نقلا عن السجل البطريركي ١١٤٩٣ ليرة عثمانيـة . وقال ان الكرسي الانطاكي فقير بالنسبة الى الكرسي الاوروشليمي .

وتـــولى الاب هنري موسه الابيض تدريس التاريخ الكنسي في مدرسة القديسة حنة في اوروشليم وأعد كتاباً في موضوعه اسماه تاريخ النصرانية ولا سيا في الشرق . واتى في الجزء الثالث على تاريخ الكرسي الانطاكي في القرن التاسع عشر فجعل همّ البطاركة الارثوذكسيين جمع المال ونقله الى ذويهم وقال عن جراسيموس الطيب الذكر : « انه جزّ الرعية ونهبها فخطف من دمشق احد عشر الف لــيرة عثمانية » (١) . والواقع ان هــذا المبلغ يمثل دخل الكرسي في ست سنوات ولا يشمل النفقات . وكان يجدر بهذا الاب الفاضل رحمه الله ان يذكر ان مثل هــذا التسرع لا يقرب وحدة الكنيسة وان العلاج الوحيد لجمع الصفوف هو المحبة تلك التي « تتأنى وترفق ولا تظن السوء » !

دخل الكرسي البطويركي : (١٨٨٥ — ١٨٩١) وقــد يفيد ان نفصل الكلام في هذا الموضوع . فقد بلغ مجموع دخــل الاوقاف في بساريبة في هذه السنوات الست ١٦١٣ ليرة عثمانــية وريع الاديرة البطريركية ١٦٥٨ ليرة ومن مطارنة الكرسي ١٧١ ومن دمشق والميدان ٣٦٩ ومن الجولة الرعائية ٨٣٨ ومن القداسات ٤٥١ ومن كوبونات عثمانيــة ٦٢ ومن برآات ووسامات ١٣٦ ومن راتب دولة اليونان ٢٢٣٩ ومن حسنات للمدرسة الاكليريكية ٢٢٧ ومن حسنات من روسية ١٨٦ ومن اخوية القبر المقدس ١٨٠٣ ومن بيوع متفرقــة ٤٤٧ ومن انطاكية ١٩٥ ومن حسنات لكنيسة كفرمشكي (سنة ١٨٨٦) ٦١ ومن حوالات ٣٥٥ ومن حسنة من الغراندوقات الروس ٥٤ ومن مطران سلفكية ٢٥ ومن دير موسكو ١٣ ومن وقفية في روسية ٣٨ ومن ديون جرى استقراضها ١٧٢ ومن فضلة رصيد ٨٧٣ .

* * *

1) *Musset, H., Hist. du Christ. Spécialement en Orient, III, 152 - 153.*

الفصل الثاني والخمسون

اسبيريدون وملاتيوس

سيرافيم القائمقام البطويركي : ولدى خروج البطريرك جراسيموس من دمشق دعا المطارنة الثلاثة سيرافيم واغابيوس ونيقوديموس وجوه الطائفة وكهنتها الى اجتماع يبحثون فيه أمر تعيين قائمقام بطريركي . فرغب البعض السلوك في ذلك بموجب القوانين الكنسية اي بتفويض مطارنــة ابرشيات الكرسي في تسمية من يشاؤون . فعارضهم في ذلك فريق أصر على تسميــة السيــد سيرافيم لانه اكبر المطارنة سناً ولانــه سبق ان قام بالوكالــة بعد وفاة الطيب الذكر البطريرك ايروثيوس . وكتب سيرافيم بذلك الى اساقفــة الكرسي لاستجلاب موافقتهم فأجاب بعضهم موافقاً ولزم آخرون الصمت . ثم قدمت عريضــة بذلك الى الوالي فرفعت لمحلها وصدق عليها .

تشاغل الافكار في انتخاب الخلف : واتجهت بعض الخــواطر الى انتخاب البطريرك الجديد من اساقفة المجمع الانطاكي وان تعذر ذلك لاختلاف يقع بين الاساقفة يلجأ الى انتخاب يواكيم الرابع البطريرك القسطنطيني المستقيل او احد اساقفــة الكرسي القسطنطيني . وقال آخرون بانتخاب البطريرك بين اساقفة الكرسي الاوروشليمي . وكان قــد ساعد على هــذا القول البطريرك جراسيموس نفســه . واضاف هؤلاء ان الكرسي الانطاكي فقير وان حاجاته متنوعة متعددة وان الاولى تفضيل رهبان القبر المقدس وفيهم جماعة قد ادخروا الاموال «فان اتينا باحدهم كفانا مؤونة الفقر والحاجة» وخصوا بالذكر انثيموس مطران بيت لحم وبتريكيوس مطران عكة واسبيريدونس مطران طابور .

الجوائد اليونانية : وبينا كان الشعب الانطاكي ينتظر التئام الاساقفــة

كانت الجرائد اليونانية تدعو لانتخاب يوناني للكرسي الانطاكي . وبين هذه الجرائد جريدة النيولوغس وجريدة باليينكيسيا في اثينه وجريدة ميثارثيميسيس في الاسكندرية . وجاء في هذه الجريدة الاخيرة في عددها الصادر في الرابع من حزيران سنة ١٨٩٢ ان الانطاكيين يرغبون في ان يروا مطراناً وطنياً برأسهم ولكن هذه الرغبة لا تتفق ومصلحة الكرسي الانطاكي والكنيسة جمعاء والملة اليونانية وذلك للاسباب التالية : ١) لانه لا يوجد وطني لاهوتي والكنيسة الانطاكية في حاجة الى فصاحة يوحنا الذهبي الفم وقوة فوطيوس لتقاوم بها الدعايات التي تحيط بها . ٢) لانه يتعذر على الوطني ان يسطو على من يعرف اصله وفصله . ٣) لان رئيس هذا الحزب او ذاك له اضداد يقاومونه. ٤) لانه يتعذر على بطريرك وطني التوفيق بين مصالح رعيته ورغبات الباب العالي .

ملاتيوس اليافاوي : وجاء بيروت تاجر يوناني اسمه ملاتيوس يدعو لاسبيريدون متروبوليت طابور واتصل بقنصل اليونان المسيو مارييناكي وبخليل الخوري « مأمور بوليتيكة ولاية سورية وترجمانها » . وتفاوض هؤلاء الثلاثة في الأمر واشاروا بقيام احدهم ملاتيوس الى دمشق وباتصاله بوكيل قنصل اليونان فيها وببعض وجهاء الروم . ففعل ملاتيوس واتصل وسرت اشاعة في دمشق ان اسبيريدون مستعد لشراء عقار في دمشق بمبلغ عشرة الاف ليرة ولحبسه على الكرسي الانطاكي وقفاً مؤبداً .

الارثوذكسيون جميعهم واحد : وخرج عاصم باشا والي سورية يتفقد أنحاء الولاية . فجاء المعلقة مركز قضاء البقاع . ووفد عليه جراسيموس (يارد) العالم مسلماً مهنئاً . فرحب به الوالي وأخذا في الحديث الى ان أتيا على ذكر الانتخاب البطريركي . فقال الوالي أظن ان الانتخاب سيجري في وقت قريب . فأجابه جراسيموس نعم سيجتمع المطارنة في دمشق لهذه الغاية . فقال الوالي أظن لا يخلو الانتخاب من بعض الصعوبات . فأجاب المطران لا بد من الصعوبات ولكنها ستذلل بتوجيهات الدولة . فقال الوالي تسهل اذا بقي القديم على قدمه وقد جرت العادة ان ينتخب غريب لهذه الوظيفة ولا يجب الآن الخروج عن هذه

الخطة . فأجاب جراسيموس جوابه التاريخي : « لا يوجد بين الارثوذكسيين غريب وقريب لأن الكل واحد . وهم جميعاً متساوو الحقوق . ولا شك في انه يجب ان يكون المنتخب ذا خبرة في الامور عارفاً مشرب البلاد ولغة الأهالي متعلقاً أشد التعلق بالاريكة العثمانية يفرح لفرح الأهالي ويبكي لبكاهم » .

وبينما كان عاصم باشا في المعلقة جاءه خليل افندي الخوري قادماً من بيروت ليعرض على مسامعه اشياء واشياء كان قد اتفق عليها مع قنصل اليونان ورسول اسبيريدون .

ملاتيوس وخليل : ورحل خليل على عجل واقبل على دمشق قبل وصول المطارنة بيوم واحد . ولم يلبث ان وافاه الى فندق فيكتورية ملاتيوس رسول اسبيريدون وأقاما في دار واحدة يجتمعان في كل آونة . وحمل ملاتيوس تعهداً خطياً من اسبيريدون الى جبرائيل افندي اسبر بالعربية انه اذا تمت المسألة يدفع المبلغ وارفق سفتجة بعشرة الاف ليرة من محل فروتيكر في القدس لامر اسبيريدون . فلم تحظ قبولا . فكتب ملاتيوس الى القدس فجاءت سفتجة بالافرنسية من محل فروتيكر مفادها ان اسبيريدون اودع المحل المرقوم عشرة الاف ليرة فرنساوية تحت امره وامر جبرائيل افندي اسبر والياس افندي قدسي حتى اذا صار انتخابه للبطريركية تدفع بواسطة البنك العثماني في بيروت يوم تثبيت الانتخاب وتستخدم في اقتناء عقارات بمعرفة لجنة مخصوصة تحت رئاسة الواهب مؤلفة من كبار الاكليروس والعامة لنفع الكرسي .

الدعاية لاسبيريدون : وطفق الوجوه يخابرون من اجتمع بدمشق من المطارنة ويستطلعون أفكارهم . وأجهدوا النفس في الدعاية لاسبيريدون لكثرة ماله وما يترتب على ذلك من النفع للكرسي . ثم هددوا فقالوا ان الحكومة اليونانية قد تقطع الاعانة السنوية البالغة عشرة الاف فرنك التي خصصتها الى السيد جراسيموس بل قد لا تمكننا من استغلال المال الذي حبسه ايروثيوس في بنك اثينة ودخله لا يقل عن الخمس مئة ليرة . وقد نحرم اذا استوى على الكرسي الانطاكي غير اسبيريدون من خدمات وكيل البطريرك الاوروشليمي في الآستانة

وقد نمنع من مساعدة البطريرك المسكوني .

المجمع الانطاكي: وبعد ان اكتمل عدد المطارنة المجتمعين في دمشق عقدوا مجمعاً ابتداء من الثاني والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ وذلك برئاسة المطران سيرافيم . وهاك بيان أعمال الجاسة الاولى نقلا عن السجل البطريركي :

« انه في يوم السبت الواقع في ٢٢ حزيران سنة ١٨٩١ التأمت تحت رئاسة القائمقام البطريركي نيافة مطران ايرينوبوليس كيريوس سيرافيم هيئة المجمع الانطاكي المقدس مؤلفة من السادة ملاتيوس مطران اللاذقية وميصائيل مطران صور وصيدا وغفرائيل مطران بيروت ولبنان واغابيوس مطران اداسيس وجرمانوس مطران ترسيس ونيقوذيموس مطران عكـار واثناسيوس مطران حمص وجراسيموس مطران زحلة وغريغوريوس مطران طرابلس .

« وبعد الصلاة الاعتادية قال سيادة القائمقام ان اول مسئلة يظن بوجوب الابتداء بهـا مسئلة انتخاب المرشحين وقال ان للكرسي الانطاكي الحق ان ينتخب من يشاء ومن ايـة كنيسة كانت . فاجابه مطران اللاذقية نعم ان كرسينا حر ويوجد فيه مطارنـة بهم كل اللياقة ليكونوا مرشحين ولذلك اظن انـه يمكننا الافتكار بانتخاب بطريرك من اكليروس الكرسي . وسيادة مطران صور وصيدا وافق على ذلك قائـلا يجب الا يكون المنتخب من خارج الدائرة . وسيادة مطران بيروت وسيادة مطران اداسيس وافقا على ذلك . اما سيادة مطران ترسيس فقال انه يجب ان ندقق في هل مجمعنا هذا قانوني وهل يمكنه ان ينتخب بطريركاً للكنيسة بدون ادنى مانع . فطلب سيادة مطران طرابلس الايضاح عن ذلك . وبعد المذاكرة تقرر ان المجمع قانوني وله ملء الحق ان يباشر العمل .

« ثم بحثت المسائل الاتيـة : من هم المرشحون من المرشحون وكيف يرشحون . وجرت مذاكرة كثيرة بهذه المواد الثلاثة انتهت الى القرارات الاتية: اولا ان شعب دمشق وانطاكية التابعة للكرسي الانطاكي راساً وشعب حلب وديار بكر الابرشيتين المترملتين لهم الحق ان يرشحوا كل على حدة مثل واحد من الاساقفة . ثانياً ان يكون عدد المرشحين من واحد الى ثلاثة من كل من له حق الترشيح . ثالثاً بخصوص مسئلة من يرشح تقرر انه لما كانت الظروف التي جعلت الكنيسة الانطاكية ان تنتخب سابقاً بطاركة من خارج كرسيها قد زالت ومضت وعدا ذلك يوجد اليوم بـين ابناء الكنيسة اشخاص فيهم كل اللياقة الكنائسية والخبرة الادارية ليكونوا بطاركة بنعمة من قال « ان قوتـه بالضعف تكمل » لذلك لا نرى ضرورة ولا حاجة لتوجيه الانظار الى خارج دائرة الكرسي الانطاكي. وقد وافق على ذلك السادة المطارنة ملاتيوس وميصائيل وغفرائيل واغابيوس واثناسيوس وجراسيموس وغريغوريوس . اما سيادة المطارنة سيرافيم وجرمانوس ونيقوذيموس فقد قالوا عن هذا القرار انه يجب ان يحفظ الحق بحرية الترشيح من ابناء الكرسي الانطاكي ومن غيره ايضاً . وعلى هذا وافق ايضاً المطران ميصائيل » .

وفي الخامس والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ اجتمع أعيـان دمشق وكهنتها خمسة واربعين وترأس اجتماعهم سيرافيم . وحضر الاجتماع معاونـه اغابيوس. وتغيب عن الحضور ستة من وجوه الطائفة اولئك الذين كانوا يعملون لاسبيريدون . فرشح المجتمعون مطارنة بيروت واللاذقية وحماة .

وفي السابع والعشرين من الشهر نفسه عاد عاصم باشا الى دمشق فذهب المطارنة للسلام فاقتبلهم بالرعاية والاكرام . وأظهر ارتياحه الى وجود الراحة والوفاق في انتخاب بطريرك جديد يتحـلى بالصفات المطلوبة وان يكون ذلك حسب العادة السابقة . وقال ايضاً انه يود بقـاء الاتفاق بين كنيستي الآستانة ودمشق وان انتخاب البطريرك على وجهين روحي وسياسي . أما الوجه الروحي فلا دخل له فيه وأما السياسي فله فيه نظر . وانصرف المطارنة شاكرين . وفي اليوم التالي الثامن والعشرين عقدوا جلسة مجمعية ثانية هذا ضبطها :

« انه في يوم الجمعة الواقع في ٢٨ حزيران سنة ١٨٩١ التأمت هيئة المجمع المقدس بحضور السادات المطارنة المذكورين في الجلسة الاولى . وبعد الصلاة وقراءة اعمال الجلسة الماضية والتوقيع عليها طرح سيادة القائمقام تلغرافين من انطاكية أحدهما باسمه بتاريخ ٢٣ حزيران بامضاء كهنـة انطاكية ونصه : « سيادتكم وكيلا من قبلنا بالانتخاب » والآخر بتاريخ ٢٦ حزيران بامضاء طائفة الروم الارثوذكس بانطاكية ونصه : « نوكل الشماس بولس عقل (ابي عضل) نفوضه بترشيح من يكون اهلا للبطركية » . وجرت المذاكرة بشأن هذا الاختلاف وتقرر انه لما كان توكيل اثنين من بلدة واحدة غير ممكن اقتضى ان تجري مخابرة الكهنة والعلمانية في انطاكية هكذا : « عينوا اكليريكياً واحداً للترشيح من قبل عموم الكهنة والشعب . ثم تقرر تعيين سيادة مطران اللاذقيـة ومطران اداسيس ومطران زحلة ومطران طرابلس ليؤلفوا قانوناً يجري عليه غبطة البطريرك المستقبل في ادارة الكرسي والأديرة والأوقاف .

« ثم طرحت المسئلة الآتية : « هل تقبل وكالة احد المطارنة لأجل الترشيح للبطريركية اذا تعين من قبل مطران آخر غائب او من ابرشية خالية من راع بما انه في اعمال الجلسة السابقة من الدور الثاني بتاريخ ١٣ كانون الاول سنة ١٨٨٩ ذكر ما يأتي بخصوص العادة الجارية عندنا وقت انتخاب مطران ما اي ان المطارنة الذين لا يحضرون بانفسهم وقت الانتخاب عوضاً عن ان يرسلوا ورقة انتخابهم الى البطريركية يوكلون بعض المطارنة الموجودين هنا الذين يكون لهم وقتئذ صوتان او ثلاثة . . . تقرر باتفاق الاصوات انه وقت اجراء انتخاب ما يجوز اعطـاء الصوت فقط للمطارنة الذين يحضرون شخصياً وللذين يرسلون اوراق انتخابهم واما اعطاء الصوت بالنيابة من

احد فلا يكون مقبولا في المستقبل » فتقرر انه بما ان ذلك القرار لم يتبلغ لباقي المطارنة وللابرشيات الخالية والقرار المذكور يصرح عن انتخاب اسقف الابرشية لا عن انتخاب البطريرك لذلك يجوز للوكيل ان يقدم صوتين عنه وعن موكله بشرط ان يكون الصوتان بالاسماء ذاتها » .

الوالي والترشيح : وفي التاسع والعشرين من حزيران يوم عيد هامتي الرسل بعث عاصم باشا ترجمانه خليل افندي الخوري يبلغ المطارنة ورود برقية من الصدارة توجب الاسراع في تنظيم دفتر بأسماء من يجدون اهــلا للانتخاب والى تقديمه الى الباب العالي عملا بنص القانون الساري المفعول لانتخاب بطريرك في الآستانة . وفي اول تموز جاء الوالي نفسه فقال بالعربية عهدت الى خليل افندي ان يبلغكم الأمر الصادر من الصدارة العظمى بالاسراع في الترشيح وتقديم دفتر بمن تشاؤن بحرية وبعد ان يرجع اليكم الدفتر تنتخبون ثلاثة ذوات من الذوات المصدق عليهم وتصعدون الى الكنيسة وفيها تقترعون على واحد منهم سراً . قال هــذا وأشار الى النظام العمومي المختص بانتخاب بطريرك القسطنطينية ثم انصرف .

الترشيح : وفي الثاني من تموز سنة ١٨٩١ عقد المجمع جلسته الثالثــة للترشيح . فبلغ عدد من اشترك في الترشيح ستة عشر وهم شعب انطاكية وقــد ناب عنه الشماس بولس ابي عضل وشعب دمشق ومطارنة بيروت واللاذقيــة وحمص وطرابلس وزحلة وترسيس وعكار وصور وصيدا وسيرافيم ايرينوبوليس واغابيوس اداسيس وناب عن مطران حماة مطران اللاذقية . واستناب مطران ارضروم سيرافيم . وناب نيقوذيموس عن أبرشية ديار بكر . وبلغ عدد الذوات المرشحين عشرة أحد ذاتاً .

ورفع المطارنة هــذه النتيجة الى ولاية سورية مع دفتر الذوات الذين انتخبوا ووجدت فيهم الاهلية لتبوء الكرسي البطريركي :

« اننا نحن العاجزين مطارنة الابرشيات المنضوية للكرسي البطريركي الانطاكي بنعمة الله تعالى وبالظل الظليل الشاهاني قد اجتمعنا في مركز الكرسي هذا دمشق لانتخاب خلف لغبطــة البطريرك جراسيموس المستقيل . وباتفاق اصوات من لهم حق الترشيح قد جرى الترشيح فأصاب احد عشر ذاتاً اسماؤهم مدونة بذيله مع بيان ما اكتسبه كل واحد من الاصوات بناء ان ننتخب واحداً من

الذوات الموما اليهم بطريركاً للكرسي الانطاكي بحسب قوانين كنيستنا الارثوذكسية . فنلتمس من دولتكم مخابرة الباب العالي بذلك وايضاح الكيفية لمعاليه والتكرم باستحصال الجواب . وبكل حال الأمر لمن له الامر افندم .

عدد الاصوات	اسماء الذوات المرشحين		
٩	ملاتيوس متروبوليت اللاذقية	تسعة	
٨	جراسيموس متروبوليت زحلة	ثمانية	
٧	غفرائيل متروبوليت بيروت	سبعة	
٦	اسبيريدون متروبوليت ثابور	ستة	عن بطريركية قدس شريف
٥	فيلوثيوس متروبوليت ازمير	خمسة	عن بطريركية القسطنطينية
٣	اغابيوس متروبوليت اداسيس	ثلاثة	
٣	جرمانوس متروبوليت ترسيس	ثلاثة	
٣	نيقوذيموس متروبوليت عكار	ثلاثة	
٢	ميصائيل متروبوليت صور وصيدا	اثنين	
١	اثناسيوس متروبوليت حمص	واحد	
١	غريغوريوس متروبوليت حماة	واحد	

فقط احد عشر ذاتاً . الداعي سيرافيم قائمقام البطريركية الانطاكية الداعي ملاتيوس مطران اللاذقية الداعي ميصائيل مطران صور وصيدا الداعي غفرائيل مطران بيروت ولبنان الداعي اغابيوس مطران اداسيس الداعي جرمانوس مطران ترسيس واطنة الداعي اثناسيوس مطران حمص وتوابعها الداعي جراسيموس مطران زحلة وبعلبك ومعلولا الداعي غريغوريوس مطران طرابلس » .

الاحتجاج على ترشيح اسبيريدون : واختلفت الاوساط الارثوذكسية الانطاكية في لياقــة اسبيريدون مطران طابور وتشعبت آراؤهم فقدم بعضهم العرائض الى المجمــع الانطاكي ملتمسين منع السجس والاضطراب في الكنيسة بعدم انتخاب اسبيريدون « لانه غــير متصف بالصفات التي تنطبق على رغائب الشعب ولاستخدامه السيمونية » مؤكدين رفضه رفضاً تاماً ورفض المطران الذي يصوت لــه . ورُفعت البرقيات الى الصدارة العظمى . فجاء في احداها : « بينما هؤلاء العبيد قائمون على فريضة الدعاء بزيادة شوكة مولانا الخليفــة الاعظم بلغ مسامعنا تشبث المجمــع الانطاكي الارثوذكسي بالشام بانتخاب مطران طابور ومطران ازمير مرشحين للبطريركية فبتنــا في يأس حيث الذاتين المرقومين لا

يصلحان لتدبير امورنا الروحية . فنسترحم استرحام الاذلاء من العواطف الشاهانية ان تنظر بالاشفاق الى عبوديتنا لمنع قبول المرشحين المذكورين » .

وشاع عن اسبيريدون انه اضاع السنين التي قضاها في المدرسة في كسل وبطالة لان الله لم يؤته ذكاء . فسيم شماساً ولبث مدة طويلة في هذه الخدمة ثم شرطن قساً . وتوفي عمه فترك له ثلاثين الف ليرة فاستولى عليها واصبح من ذوي الحل والعقد في دير القدس . وسيم مطراناً على جبل طابور فرمم الابنية وزين المعبد فاستجلب الحجاج الروس واستنبط لنفسه ينبوع ثروة من عطائهم . ثم انتدب وكيلا على دير بيت لحم فساعده الحظ ان جمع من المال مبلغاً كبيراً .

جواب الباب العالي : ولما كان يوم السبت الواقع في ٢٧ تموز سنة ١٨٩١ قام خليل الخوري الى الدار البطريركية وسلم المطارنة المجتمعين فيها تذكرة من والي الولاية جاء فيها ان الصدارة العظمى أمرت باستثناء الافندية مطران زحلة جراسيموس يارد ومطران بيروت وجبل لبنان غفرائيل ومطران اداسيس اغابيوس ومطران حمص اثناسيوس ووضع السبعة المطارنة الباقين للانتخاب وفقاً للاصول وتنظيم المضبطة اللازمة بالذات الذي سيتعين للبطريركية لاجراء مأموريته .

حرب العرائض : وتعارضت اهواء المطارنة فأصر الوطنيون منهم على انتخاب مطران انطاكي للكرسي البطريركي . ورأى اليونانيون منهم غير هذا فانتقضت عقدة المطارنة واضطرب حبلهم . وألف الوطنيون اكثرية فحاول اليونانيون اضعاف هذه الاكثرية فحرموا اغابيوس حق التصويت مدعين ان لا ابرشية له . واعترضوا على صوت ابرشية بيروت ولبنان بداعي المرض الذي ألمّ بغفرائيل . واجتذب دعاة اسبيريدون مطران صور وصيدا . وماطل اليونانيون وامتنعوا عن الاجتماع منتظرين أمراً من الآستانة يؤيد موقفهم من اغابيوس وغفرائيل .

واسقط الوطنيون سيرافيم من رتبة القائمقامية محتجين على تحيزه ومماطلته في تطبيق القانون وذلك في اليوم الثاني من آب . وكتبوا بهذا المعني الى الوالي واضافوا

ان لقبه « مطران ايرينوبوليس » لقب شرفي . فايرينوبوليس هي سلمية . وسلمية بلدة اسماعيلية لا نصارى فيها ! ثم نُقل الى الوطنيين ان سيرافيم وجرمانوس ونيقوديموس ذهبوا الى بيت رافائيل شامية حيث اجتمعوا بجبرائيل اسبر وجبرائيل شامية وميخائيل صيدح وجبران لويس وسليم شاهين وموسى الصباغ وتشاوروا فأعدوا مضبطة انتخاب وكتبوا في المضبطة انه لدى اجتماع اعضاء مجمع الكرسي الانطاكي واجراء الانتخاب القانوني أصابت الاكثرية سيادة المطران اسبيريدونس فنودي به بطريركاً مع التماس التصديق على انتخابه من الباب العالي . ونُقل ايضاً ان جرمانوس ونيقوديموس وقع هذه المضبطة اما سيرافيم فتمنع فابتدره رافائيل شامية بكلام شديد قادح فوقع على المضبطة وان ميصائيل وقع بدوره . ونقل الى المطارنة الوطنيين ان هذه الوثيقة رفعت الى المقامات الحكومية مشفوعة بعريضة من الشعب تؤيد هذا الانتخاب وترجو تصديقه قطعاً لدابر الفساد . وادعى انصار اسبيريدون ان مرشحهم فاز بخمسة اصوات من ثمانية . اما الخمسة فهم ميصائيل وسيرافيم وجرمانوس ونيقوذيموس وباثيسيوس . واما الثلاثة المعارضون فهم اثناسيوس وجراسيموس وغريغوريوس حماة . واسقط الاسبيريدونيون صوت مطران بيروت لمرضه وصوت مطران طرابلس لاعطائه الورقة كما علمناه وصوت مطران اللاذقية لكونه مرشحاً لاصوت له وصوت اغابيوس لانه لا ابرشية له .

فاحتج المطارنة الوطنيون بعريضة قدموها الى والي سورية في السابع من آب سنة ١٨٩١ وببرقيتين رفعوها الى الصدارة ونظارة المذاهب والاديان . وهاك بعض ما جاء في برقية الصدارة .

ان المغدورية والاجحاف بحقوقنا الدينية والملية وحجز الحرية الممنوحة لنا بشأن انتخاب بطريرك الكرسي الانطاكي بحسب قواعد ديننا وعوائدنا المرعية الاجراء واسر ارادتنا باشياء مستجدة من قبل دولتلو عاصم باشا والي سورية وصلت الى درجة اضطهاد عنيف .

« اولا : منع بواسطة القائمقام البطريركي جلسة المجمع يوم الخميس غرة الجاري المعينة لاجل

الانتخاب . ثانياً : لم يسمح بالجلسة الانتخابية في ثاني آب . ثالثاً : اقتبل من القائمقام البطريركي ومطراني ترسيس وعكار اليوناني الجنس تهماً واراجيف بحق بعض المطارنة وبلغنا انه عرضها للمراجع العالية بدون ان يفحص او يسأل احداً منا عنها . رابعاً : عارض حرية الانتخاب بمنع احدنا اغابيوس من حق الاقتراع . خامساً : لم يأخذ استرحاماتنا بعين الاعتبار واظهر ميلا نحو مطران ترسيس الذي صدر الامر السامي بعزله سنة ١٣٠٥ الذي صرح في احد اجتماعاتنا بعدم امنيته بالدولة العلية واعلن ان مسيحيي الشرق اذا تركوا من حماية الدولة اليونانية يعدمون حقوقهم الامر الذي تبلغ لمسامع دولته . سادساً : أبطل عاداتنا الدينية في انه قسم المجمع شطرين وطلب الى القسم الاقل عدداً ان يقدم له مضبطة انتخاب بدون اشتراك القسم الاكثر . وصرح لنا نحن القسم الاكبر بانه يقبل مضبطة اخرى بمنتخب اخر . فاجبنا دولته في الحال بان هذا مناف لقواعد ديننا . وانما كان ذلك منه بقصد تمهيد السبيل لايصال اسبيريدون افندي مطران طابور الى البطريركية بطريق الرشوة والسيمونيا . سابعاً : لم يكتف دولته بغض النظر عن تعديات القائمقام البطريركي بل تعصب له ودافع عنه بالشدة والتهديد وتصويب جميع ما اجراه . ثامناً : اقتبل مضبطة لفقت في بيت احد الافندية تحكي عن انتخاب اسبيريدون افندي الامر الذي لم يجر قط لانه للان ما عقدنا جمعية التفريق ولا صار اختيار ثلاثة اسماء .

« فبناء على جميع ذلك نسترحم تخويلنا الحريـة الدينية بانتخاب بطريرك لكرسينا بمقتضى قوانين كنيسة الروم الشرقية وعوائدنا القديمة المرعية الاجراء واعطاءنا الامنية على انفسنا مدة وجودنا ضمن ولاية سورية من الظلم لنتمكن من اتمام عملنا بوجه السرعة وبحسب قوانين كنيستنا ورضا عظمة مولانا الخليفة الاعظم » (١) .

ولجأ الاسبيريدونيون الى استباق الحوادث فاذاعوا خبر فوز مرشحهم وتناقلته الصحف اليونانية كجريدة امالثيا اليونانية التي كانت تصدر في ازمير . فانها نشرت في الثالث عشر من آب خبر انتخاب اسبيريدون ولمحة من تاريخ حياته . ويلاحظ هنا ان جل ما قالته هذه الصحيفة الموالية لاسبيريدون انه في الخامسة والخمسين من عمره وانه ليس من المتعلمين بحسب الاصول ولكنه من الحائزين على خبرة كافيـة في الامور الكنسية . واشارت هذه الصحيفة الى ان اسبيريدون كان يحمل الى الكرسي مبلغ عشرة الاف ليرة من ماله الخاص عربوناً له ليقوم باحتياجات كنيسة انطاكية الكثيرة المتعددة الانواع .

واحتج الوطنيون لدى السلطات المحلية والمركزية بلهجة قوية (٢) فاضطر

١) الخلاصة الوافية في انتخاب بطريرك انطاكية لسليمان الجهيني ص ١١٠ – ١١٧

٢) المرجع نفسه ص ١٢٠ – ١٤٢

الباب العالي ان يبطل مفعول المضبطة الانتخابية التي انفرد بها مؤيدو اسبيريدون. وصدرت جريدة امالثيا نفسها في الحادي والعشرين من آب تكذب نبأ انتخاب اسبيريدون . وجاء في جريدة المونيتور اورنيتال الصادرة في الآستانة بالافرنسية والانكليزية ان الباب العالي بعد مخابرات طويلة مع ولايتي سورية وبيروت اصدر الامر بالغاء الانتخاب لعدم انطباقه على القانون وان الصدر الاعظم كامل باشا ابلغ السلطات المحلية ان لا فرق عند الدولة اذا كان البطريرك من ابناء البلاد او غريباً عنها وان رغبتها منصرفة الى ان يجري الانتخاب بحسب النظام وان يكون المنتخب من ذوي الاهلية والاستحقاق وحائزاً على ثقة الحكومة .

روسية والانتخاب : وادعى الاسبيريدونيون ان سليم افنـدي طراد نزيل دمشق آنئذ جاء رسولا من قبل قنصلية روسيـة في بيروت ليحرك المطارنة والشعب ويغريهم على انتخاب بطريرك وطني . فاضطر قنصل روسيـة في دمشق ان يصرح « وينادي على اعلا السطوح انه صدر لـه الامر من حكومته بتجنيب كل مداخلة في الانتخاب اذ ليس لروسية أرب في المسألة البطريركية ولا غاية لها لتسعى في طلبها فسيان عندها من ينتخب » . ولزم القنصل العزلـة وبذل النصح الى المطارنة ان يتفقوا وينتخبوا واحداً اياً كان (١) .

تدخل الباب العالي : واعلن الباب العالي رأيه في النزاع القائم بين الوطنيين والاسبيريدونيين حول حق بعض المطارنة في التصويت فجاء في صالح الاسبيريدونيين. وادعى الباب العالي المحافظة على الحرية الدينية والقوانين المذهبية فاستفتى بطريركية القسطنطينية في حق اغابيوس وسيرافيم في التصويت . فأجابت هذه البطريركية ان المطران التيتولاريوس هو ذاك الذي لا ابرشية له ولا شعب يدبر شؤونه وان هذا النوع من المطارنة لا حق له في الاشتراك بانتخاب البطاركة عملا بالقوانين الكنسية . ولم يقف الباب العالي عند هـذا الحد بل ذهب الى ابعد من ذلك في تأييد الاسبيريدونيين فحرم متروبوليت بيروت من حق التصويت بداعي العجز الصحي العقلي !

١) المرجع نفسه ايضاً ص ١٤٩

وفي الثامن والعشرين من ايلول سنة ١٨٩١ ذهب ترجمان الولاية خليل افندي الخوري الى الدار البطريركية وجمع المطارنة ودفع اليهم بكتابة رسمية هذا تعريبها :

« الى قائمقام بطريركية انطاكية: رتبتلو افندي : انه قبلاً تقدم للباب العالي الاوراق التي اعطيت من قبل المطارنة الذين اجتمعوا في دمشق بناء على تحويل مأمورية رتبتلو جراسيموس افندي الى بطريركية القدس الشريف لانتخاب ذات سواه لبطريركية انطاكية التي أضحت محلولة . وهذه الاوراق هي التي اعطيت للولاية من الطرفين حاوية بعض اختلاف اراء وقع بينهم .

« وبما انه قد صدر الامر والاشعار من مقام الصدارة السامي بتلغراف مؤرخ في ٢٦ ايلول سنة ١٣٠٧ بأنه لما كان من مقتضى القرار العالي المنيف استثناء غفرائيل افندي مطران بيروت واغابيوس افندي من اعطاء الرأي يجب ان يجتمع باقي المطارنة ويقدموا بسرعة المضبطة اللازمة بخصوص الذات الذي ينتخبونه لبطريركية انطاكية المذكورة ضمن دائرة الاصول . بناء عليه ابتدر لترقيم هذه التذكرة المخصوصة كي بعد استثناء المومأ اليهما غفرائيل افندي واغابيوس افندي من اعطاء الرأي بموجب القرار العالي يجتمع باقي الاساقفة ويجروا سريعاً اصول الانتخاب ويسرعوا الى اعطاء المضبطة اللازمة لجانب الولاية لاجل تقديمها لمركز الدولة افندم . في ٧ ربيع الاول سنة ١٣٠٩ و٢٨ ايلول سنة ١٣٠٧ والي سورية» .

ولما تليت هذه الكتابة على مسمع من المطارنة استغربها بعضهم وعجبوا من استثناء مطران بيروت بعد ان قدموا الشهادات الطبيية اللازمة بسلامة عقله (١) .

١) حضرات الاجلاء الافاضل رئيس وأعضاء الجمعية الخيرية الارثوذكسية : جواباً على تحريركم رقم تاريخه نفيدكم ان ما كان حصل الى سيادة السيد الجليل غفرائيل مطران بيروت ولبنان هو مجرد احتقان دماغي بسيط اشتدت اعراضه ليلة الاربعاء في ٢٣ تموز سنة ٩١ والحمد لله بواسطة المداركة لم يحدث عن ذلك لا فالج ولا خلل في الوظائف العقلية . وقد أخذت صحة سيادته بالتحسن يوماً فيوماً سوى انه بحالة ضعف قليل يؤمل زواله عن قريب . وهو الآن متمتع بصحة الجسم والعقل . كاتبه الدكتور حبيب طوبجي في ٢ آب ١٨٩١ » .

فقال ملاتيوس متروبوليت اللاذقية : نسألك يا سعادة خليل افندي عن السبب الذي استثني لاجله غفرائيل . فأجابه انا لست مأموراً ان اعطيك ايضاحات . فهذه أوامر الباب العالي عليكم الامتثال لها . ومن اراد ان يعترض عليها فليتقدم بذلك . وأضاف وانا مأمور ان اخبركم انه لا يجوز لاحد ان يعترض بكتابة شيء ما على مضبطة الانتخاب ولا يقبل منكم ذلك . وانصرف فأتم رغبة الوالي في ان يسطو على المطارنة فلا يعترض احدهم ولا يتأخروا عن اتمام الانتخاب مخافة ان يرشقوا بالتمرد والعصيان على اوامر السلطان . ثم وفدت عليهم الرسالة التالية من القائمقام البطريركي .

« بعد المصافحة الاخوية : بهذا النهار صدر امر عالي من الولاية الجليلة مبني على تلغراف وارد من جانب الصدارة العظمى بقرار عالي مؤرخ في ٢٨ ايلول سنة ١٣٠٧ مضمونه السامي استثناء اخوتنا بالرب المطران غفرائيل مطران بيروت والمطران اغابيوس من اعطاء الرأي بالانتخاب المزمعين نجريه بتعيين خلف للبطريركية الانطاكية وان يصير اجتماعنا لاتمام الانتخاب وتقديم المضبطة باللذي يحوز اكثرية الاراء للبطريركية الانطاكية بالسرعة يصير تقديمها لجانب الباب العالي لتصدر عليها الارادة السنية حسب الاصول . وهذا الامر صارت قراءته علناً على اخوتكم بمعرفة المأمور المعين لتسليمه وهو سعادتلو خليل افندي الخوري ترجمان ولاية سورية الجليلة هذا النهار .

« وحيث المضمون المسارعة بالانتخاب فعليه قد عينا الساعة الثانية صباحاً من نهار الاثنين القادم الواقع في ٣٠ الجاري للاجتماع في قاعة البطريركية لاجل الانتخاب القانوني للبطريركية وضمن الكنيسة المقدسة حسب الاصول الكنائسية واستمداد الروح الكلي قدسه . فنؤمل من اخوتكم توقيع امضاءاتكم على هذا بالقبول حيث انه بالوقت المعين تجدونا بانتظاركم ضمن قاعة البطريركية المعدة للاجتماع . ونعمته تعالى لتكن معنا وفيما بيننا دائماً . في ٢٨ ايلول سنة ١٨٩١ . اخوكم بالمسيح سيرافيم مطران ايرينوبوليس قائمقام البطريركية الانطاكية بالشام » .

وتبلغ المطارنة نص هذه المذكرة واشاروا بوجوب عقد جمعية التفريق قبل الانتخاب ووجوب التحرير للمرشحين من الكرسي فيلوثيوس مطران نيقوميذية واسبيريدون مطران طابور ليصرحا رسمياً بقبول الترشيح .

اسبيريدون بطريرك انطاكية : وأبرق المطران سيرافيم الى المطران اسبيريدون والمطران فيلوثيوس يطلب موافقتهما على الترشيح . فامتنع فيلوثيوس عن القبول وأبرق اسبيريدون انه اذا شاءت العناية الالهية انتخابه فيخضع شاكراً.

وجاء جبرائيل افندي اسبر واطلع المطارنة على التعهد الذي بيده بالعشرة آلاف ليرة . فطلب المطارنة تعهداً جديداً بأن القيمة المذكورة تحبس على اعمال البر والتعليم . فأبرق جبرائيل بذلك. فأجاب اخو اسبيريدون . ما الفائدة من تكرار التأمينات وعندكم وثيقة كافية وافية . وصرح جرمانوس مطران ترسيس ونيقوذيموس مطران عكار بانسحابهما من الترشيح فلم يبقى سوى ثلاثة من السبعة المرشحين وهم ملاتيوس مطران اللاذقية وغريغوريوس مطران حماة واسبيريدونس مطران طابور .

وفي الثاني من تشرين الاول سنة ١٨٩١ عقد المطارنة مجمعاً حافلا وبعد اجراء رسوم التفريق اي بعد تسطير اسماء المرشحين الثلاثة دخل المطارنة الكنيسة واجروا فيها اقتراعاً سرياً فأصابت الاكثرية اسبيريدونس مطران طابور . وهي اكثرية مؤلفة من مطارنة ايرينوبوليس وارضروم وترسيس وعكار وصور وصيدا وزحلة وحماة . وأصاب السيد ملاتيوس صوتان وأصاب مطران حماة صوت واحد . ونودي باسبيريدونس بطريركاً على انطاكية في الكنيسة الكاتدرائية . ودونت اعمال الانتخاب في السجل البطريركي بنص مماثل كل المماثلة لنص انتخاب جراسيموس البطريرك السابق . وقد سبق اثبات هذا النص فليراجع في محله . ووقع المطارنة اشعاراً بالانتخاب رفعوه الى السلطات العثمانية .

قانون الانتخاب البطريركي : (١٨٩١) وكان هذا المجمع الانطاكي قد انتدب في جلسته الثانية في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٨٩١ كلا من مطران اللاذقية ومطران اداسيس ومطران زحلة ليعملوا في وضع قانون للانتخاب البطريركي وسن نظام لتدبير الاوقاف والاديرة. ولكن لما تمّ الانتخاب البطريركي أسرع المطارنة الى الانهزام من دمشق هرباً من الهواء الاصفر . وبقي السيد سيرافيم وحده في دمشق يدير مهام البطريركية . ثم تشاغل المطارنة عن مشروع القانون بالمنازعات الشخصية وببعض المآرب الخصوصية حالت دون ائتلافهم .

بيروت تحتج : واحتج غفرائيل متروبوليت بيروت على اغفال اسمه من لائحة المطارنة المنتخبين فأبرق في الرابع من تشرين الاول سنة ١٨٩١ الى المابين

والى نظارة العدلية يقول ان حرمانه حق الاشتراك في الانتخاب جلب اليأس لنفسه ولابناء ابرشيته لانه بلا سبب وانه يسترحم العدل وعدم الاجحاف . ووقع الوجهاء عريضة بمثل ما تقدم ورفعوها الى الوالي ولاية بيروت عزيز باشا .

وأم دار المطرانية في يوم الاحد في الثالث عشر من تشرين الاول الكهنة والوجوه والاعيان واتخذوا القرارات التالية : اولا : ان الملة الارثوذكسية في بيروت ولبنان لا فرق عندها بين يوناني ووطني لانه ليس في كنيسة المسيح يوناني ولا عربي بل الجميع اخوة بالمسيح وانما يهمها ان ينتخب البطريرك انتخاباً قانونياً وان يكون المنتخب معروفاً بحسن الصفات والغيرة الرسولية . ثانياً : تأسف الملة لصدور تبليغات كاذبة ودسائس مختلقة بني عليها حرمان مطران الابرشية من حق الاشتراك في انتخاب البطريرك . ثالثاً : ان الملة تقيم الحجة على الانتخاب لانه كان غير قانوني ولان المنتخب تذرع بوسائل لا يجيزها الدين القويم للوصول الى الرئاسة . رابعاً ابلاغ الوالي والمطران هذه القرارات (١) .

وفي السابع من تشرين الثاني عاد الكهنة والوجوه والاعيان الى الاجتماع فقرروا بصوت واحد عدم الاعتراف بالسيد اسبيريدون بطريركاً عليهم وعدم استقباله والاحتفاء به وتشكيل لجنة تفوض اجراء ما يلزم دفاعاً عن حق الطائفة وكرامتها (٢) .

اسقاط اسبيريدون في دمشق : وتسرع سيرافيم وجرمانوس فأقاما في الثالث من تشرين الثاني قداساً حبرياً في كتدرائية دمشق ورفعا اسم اسبيريدون بطريركاً فنادى الشعب . «فليسقط» ! وعلت الضجة ودخل قسم من الشعب الى الهيكل لاخراج سيرافيم منه فسقط على الارض وجلا . وكان جرمانوس مستوياً على الكرسي في الخوروس فلم يفه بشيء ولم يبد حركة واقبلت الضابطة فاحاطوا بالكنيسة . وسكنت الضوضاء وانتهت خدمة القداس فواكب رجال الضابطة المطرانين حتى دار البطريركية .

١) الخلاصة الوافية المشار اليها ص ١٨٧ – ١٩٤
٢) المرجع نفسه ص ١٩٧ – ٢٠١

قدوم البطريرك المنتخب : وأرسل اسبيريدون يستقدم الوفـــد الدمشقي اليه . وكان قد ضجر من الانتظار. فترأس الوفد المطارنة جرمانوس ونيقوذيموس وجراسيموس. واشترك فيه من الشعب الدمشقي كل من جبرائيل اسبر ونعمان ابي شعر وموسى الصباغ وسليم شاهين ونقولا شاهين . وسار الوفـــد عبر الاردن ودخل اوروشليم ليلة عيد الميلاد . وجاء بيروت والٍ جديد اسماعيل كمال بك فكتب اليه اسبيريدون مهنئاً وطلب الى خليل افندي الخوري ان ينقل الى الوالي الجديد عزم البطريرك على القيام الى مقره بحراً ووجوب مروره في بيروت وانه يصعب عليه جداً الا يصادف فيها احتفالا كنسياً . فاتصل كمال بك بالمطران غفرائيل واتفق الاثنان على ان يكتب البطريرك الى غفرائيل منبئاً بيوم وصوله فيرد عليه المطران بأنه يستقبله اذا اجاب التماسه في النظر في دعواه وان البطريرك يحرر ثانية مؤكداً النظر في التماسه حال وصوله الى كرسيه. فكتب خليل الخوري الى البطريرك المنتخب بما تم الاتفاق عليه . ولكن البطريرك المنتخب ابى ان يعمل بالمحبـــة المفروضة فأبرق الى غفرائيل محدداً تاريخ وصوله موجباً استقباله كنسياً لانـــه سيخرج من الباخرة توآ الى الكنيسة . فسكت غفرائيل عن الجواب واطلع الوالي على نص البرقية فأشار عليه هذا ان يخرج وحده الى استقبال البطريرك ليقيم الدليل على طاعته للدولة وان يمتنع عن اقامة الاحتفال الكنسي .

وبلـــغ البطريرك المنتخب بيروت في التاسع عشر من كانون الثاني سنة ١٨٩٢ فلقيه مكتوبجي الولاية مندوباً عن الوالي واركبه العربـــة وسار محفوفاً بالضابطة الى السراي . اما غفرائيل فانه لم يدرك اسبيريدون الا بعد ان ركب العربـــة فتبعه الى دار الحكومة وصافحه في قاعتها الكبرى . وألقى اسبيريدون خطاباً باليونانية داعياً بحفظ الذات السلطانية شاكراً للوالي. ثم تلاه غفرائيل فقال انـــه يستقبل امتثالا للاوامر السلطانية ويمتنع عن الاحتفال الروحي احتجاجاً على ما جرى في اثناء الانتخاب . وقضى اسبيريدون عشرة ايام في بيروت على ضيافة حبيب طراد . وأعد لـــه بعض الوجوه مآدب مخصوصة ولكن الكنائس ظلت مقفولة في وجهه . فعمد الى الرحيل الى دمشق .

ووصل اسبيريدون الى دمشق في غاية كانون الثاني فاستقبله في الهامة بعض الموظفين الرسميين وكوكبة من الفرسان وتراجمة القناصل فجاءوا بـــه الى دار الحكومة فدار البطريركية . فدخل الكنيسة توآ وتليت الصلاة وأجريت الرسوم الدينية لتبوء الكرسي وتسليم العصا . وكان الشعب الدمشقي قـــد لجأ الى كنيسة مار يوحنا مذ أصر المطارنة على رفع اسم اسبيريدون في الكنيسة الكاتدرائية فلما استقر البطريرك في مركزه أمر بأقفال كنيسة مار يوحنا فأخذ الشعب يجتمع للصلاة في مقبرة القديس جاورجيوس .

الرسائل السلامية : وفي الرابع من شباط سنة ١٨٩٢ وجـّه البطريرك رسائله السلامية الى رؤساء الكهنة يفيد ارتقاءه الكرسي الرسولي ويؤكد استعداده لرفع شأن الكنيسة وحفظ عقائدها ويطلب ذكر اسمه في خدمـــة الأسرار . فأجاب المطارنة على الرسائل السلامية وخضعوا للبطريرك الجديد الا غفرائيل بيروت وملاتيوس اللاذقية واثناسيوس حمص وغريغوريوس طرابلس . وشكا البطريرك أمره الى الحكومة العثمانية فتدخـــل الولاة والمتصرفون وضغطوا على هؤلاء السادة فقبـــلوا وذكروا اسم البطريرك في خدمة الأسرار . ولكن النفور تمكن من نفوس الشعب وكمن فيها .

سخف واستبداد : واختلط على اسبيريدون رأيه والتبس عليه وجـــه الصواب وانقاد الى طفلاريوس (١) . فسام الارشمندريت بنيامـــين الراهب اليوناني مطراناً على ديار بكر قبل اعتراف المطارنة الأربعة بغبطته . ثم شرطن في

١) يوناني ولد في جزيرة كالمنوس ودرس العلوم الشرعية والقوانين في مدارس اليونان وأجـــاد اليونانية والافرنسية والتركية . وتعاطى المحامـــاة في الآستانة فعرف « بالزلافة والعرطسة والعبقرة والفسفسة » وتدخل في السياسة ففر الى بلاد اليونان . ثم برز في الاسكندرية ودخل في خدمة بطريركها فطرد لشدة مكره وخداعه . فعاد الى الآستانة ودخل في خدمـــة الحكومة العثمانية فطرد منها ايضاً . ولما تبوأ البطريرك نيقوديموس الكرسي الاوروشليمي عثر بطفلاريوس في الآستانة فاتخذه كاتباً لليونانية والافرنسية وجاء به الى القدس . فـــما عتم ان استولى على أفكار البطريرك واستبد به فهاج رهبان القبر واستصرخوا متصرف القدس للتخلص منه فحتم المتصرف طرد طفلاريوس . فعاد الى الآستانة حيث أقام بضع سنين . فلما رقي اسبيريدون الكرسي الانطاكي نصحت الحكومة اليونانية باتخاذ طفلاريوس مدبراً ومشيراً .

السابع عشر من ايار سنة ١٨٩٢ نكتاريوس اليوناني مطراناً على حلب قبل ان يبلغ الثلاثين من العمر وفصل الاسكندرونة عن ابرشية ترسيس وألحقها بأبرشية حلب وضم انطاكية الى حلب قبل استرشاد المطارنة أصحاب الرأي واستنصاحهم وطفق طفلاريوس يأمر وينهي ويحكم ويفصل ويربط ويقطع ويحرم ويحلل وليس من يسأل . ولم يرضَ طفلاريوس عن قيام قوميسيون زمني او روحي فامتعض وجهاء الطائفة في دمشق حتى الذين سعوا لاسبيريدون في البطريركية . فتألفت لجنة شعبية لحل المشادة التي كانت لا تزال قائمة بين البطريرك وبين الشعب الذين لم يرضوا عن انتخابه . وتقدمت هذه الجنة من البطريرك بمواد اربع : ١) انشاء مدرسة اكليريكية على نفقـة البطريرك ٢) توسيع نطاق المدرسة البطريركية ٣) اعادة الجمعيات الخيرية التي اقفلت ٤) الاعتراف بحقوق القوميسيون البطريركي الزمني في النظر في مصالح المـلة . فرفض البطريرك وابى القبول وخرج الى دير صدنايا !

دمشق تستصرخ : واشتد ضيق العيش على الكهنة خدمـة الشعب في دمشق لامتناع المؤمنين عن طاعة البطريرك وابتعادهم عن الكنائس . فتقدموا الى البطريرك يلتمسون منـه أما النظر في استرضاء الشعب ليعود الى ممارسة واجباته الدينية وأما ان يعين لهم راتبـاً يقتاتون به . فقابلهم طفلاريوس بالبطريرك واغلظ لهم الكلام وعاملهم بالجفـاء . فخرجوا مغتاظين ولحقوا بالشعب وامتنعوا عن خدمـة القداس . وحرروا عريضة بواقع الحال وبعثوا بها الى رؤساء اساقفة الكرسي الانطاكي . وهاك نصها :

« ايها السادة اساقفة الكرسي الانطاكي الجزيل طهرهم : عهدنا بكم رعاة فاضلين انكرتم ذاتكم لرعاية الخراف وحفظها من التبديد والاختطاف لا تهربون ممن يتهددها ويهمكم شأنها كل الاهميـة لكونها خاصة السيد الراعي الصالح الذي تعرف صوته كما تعرف صوتكم فنلتجيء اليكم بلساننـا الضعيف مستمدة الحماية والرعاية مستغيثة بحوزتكم اذ قد لعبت بها ايدي الاختطاف والتبديد . وقد عملنا غاية جهدنا في حفظها ومنع تشتتها وربطها بعرى الاتحاد فلم نتمكن من شيء لانها

ترى امامها راعياً تجعلها الشكوك ان لا تعرف صوته ولا تستعبد بل تهرب منه . فتشتت شملها وحرمت منذ امد طويل الغذاء الروحاني غذاء الكنيسـة المقدسة . اطفالها يشبون بدون الاصطباغ بجرن المعمودية المقدسة الخلاصيـة شبانها يبعدون عن ممارسة الاسرار الالهية والتأملات الشريفة التي بها تتحـد مع رأس الخلاص وتنمو اعضاء للكنيسة التي أسسها المخلص. والرجال يضطهدون تصادمهم عواصف الاغراض الدنيوية وتداهمهم امطار الوشايات والدسائس لدى الدولة العلية التي اخلاص الطائفة لديها اشهر من نار على علم. يقاومهم اصحاب المبادىء المنافية لروح الانجيل الشريف وكثيراً ما يكون دفن موتاهم بدون الصلاة الاخيرة المفروضة .

«الكهنة ألزمتهم الامور هذه ان يمنعوا ذواتهم عن الخدمة فأصبحت الكنائس مسلوبة زينتها وبهجتها اعني الطقوس الالهية فضلا عن ان روح المحبـة المسيحية اساس كل الفضائل والكمال قد اضمحل من قلوب الشعب الارثوذكسي في مركز الكرسي. وسادت بينهم البغضاء والانشقاقات والاحزاب والتجأ عدد كبير منهم الى كنائس غريبة. ومع ان لهفتهم وتعلقهم بالكنيسة الارثوذكسية اقوى من كل مصادم ولم تتمكن من ان تفصل جدودهم واباءهم عنها كل القرون السالفة بطولها وشقاء احوالها وصعوبة ظروفها فان الظروف والاحـوال الحاضرة جعلتهم ان يفصلوا اولادهم عن مدارس الطائفة فادخلوهم الى مدارس يرضعون فيها سم التعاليم المعوجة. وكل ذلك على اثر الانتخاب الذي حصـل في العام الماضي للسـدة البطريركية وانتداب السيد اسبيريدونس اليها بطريقة لم يقنع الشعب انهـا عارية عن استعمال وسائط محرمة في الكتاب الطاهر وفي قوانين الكنيسة الشريفة .

« وقد زاد الطين بلة واتسع الخرق اذ ان فئـة من الذين ساعدوا السيد اسبيريدون لتبوء السدة البطريركية املا بالفائدة للكنيسة الانطاكية المحاطة باعداء كثيرين وظناً انه صاحب دراية وقدرة واهلية لسياسة الشعب وادارة مهامه وتدبير شؤونه هؤلاء قد لاحظوا ان كل آمالهم قد خابت وظنونهم لم تصدق وما توسموه بهذا لا اصل له . واعظم شاهد يؤيد لديهم ذلك اتخاذه عمالا اجانب غربـاء المكان واللسان ليسوسوا عوضاً عنه امور الشعب مستأجرين لا يبالون بالخراف .

ومع عدم لياقتهم بكونهم غـير اكليريكيين فليس في افئدتهم ولا ذرة من روح الانجيل والمبادىء المسيحية ليساعدوا من يستخدمهم على احتقار القوانين الشريفة بانتداب اساقفة على خلاف مـا تحدده النظامات الكنائسية . ويصنعون هكذا بمغايرات عديدة شكوكاً كثيرة امام الشعب البسيط ويعملون غاية ما في وسعهم على انشقاق الشعب ورمي الاحن بين افراده. وسيبذلون الجهد في تذليل كباره واحتقار صغاره لا يسألون عن اولئك الذين شردوا كما انهم يزاحمون الامور ليعجلوا على شرود من لم يشرد حتى الان .

« فنهرع اليكم والحالة هذه سائلين غيرتكم ان تلتفتوا الى هـذا القطيع وتعملوا ما يستدعيه صوت ذلـك الراعي الالهي الذي حسب قول النبي ارميا (١٣ : ٢٠) سوف يقول لكل من الرعاة اين هو القطيع الذي اعطيته اين الغنم التي هي مجدك .

« نعم ان لكل منكم رعيـة خصوصية وانما الرعية التي تنتسب الى مقر الكرسي الانطاكي تحسب من رعيتكم كما ان امر تعيين راعيها منوط الى صوتكم المتفق . وكل منكم عليه ان يهتم بأمرها كما يهتم برعيته الخاصة . كيف لا وهـذه المهمة تقتضيها الغيرة الانجيليـة والحمية الرسولية صارخة اليكم ان تناضلوا ضمن الطريقة القانونية لاجل رفع هـذه الحالة والالتجاء الى كل ما به اصلاحها مع الشرف والخير لكنيسة مدينة الله انطاكية . فأن صوتكم المتفق او المتغلب بالاكثرية يقوم مقام مجمع انطاكية المقدس وحكمه بمسائل كهذه يوجب امتثال من تعيينه لا يقوم الا بصوتكم . فاتفقوا كلكم او اغلبكم على ما بـه الصالح والشرف والخير . ودراية كل منكم وخبرته اوفر من ان تطرح لديها الوسائط الواجب استعمالها امـا بالطلب من السيد اسبيريدون ان ينتبه هو ذاته لاصلاح ذات البين وأماء بالتجاء الى دائرة كنسية اوسع حسب القوانين المقدسة وأما اخـيراً وأولا بقرع أبواب الحكومة العادلة التي أيدها الله اذا شرحت لها الامور لا شك في انها سوف تأخذ بناصر الحق الذي يعلو ولا يعلى عليـه . في دمشق تحريراً في ١٧ حزيران سنة ١٨٩٢ تواقيع خمسة من الآباء الكهنة وخمسة من الوجوه » (١) .

١) الخلاصة الوافية ص ٢٤٧ ـ ٢٤٩

المدارس الروسية : (١٨٩٥) ولجأ بعض الأساقفة الى المقامات الروسية الرسمية والاكليريكية متذمرين . وأفلت روفائيل اسقف بروكلين من يد اليونان وكان لا يزال آنئذ الارشمندريت روفائيل هواويني ، وزار روسية واتصـل بخيتروفو مؤسس الجمعية الامبراطورية الارثوذكسية الفلسطينية . وتحدث اليه في موضوع العمـل في فلسطين . فشكا خيتروفو من خمول الاكليروس اليوناني وأعراضه ومصارمته . فاقترح الارشمندريت ايفاد أحد نظار مدارس الجمعية لزيارة مطارنة الكرسي الانطاكي . فقاطعه خيتروفو قائلا انه يخشى ان يكون هؤلاء مثل زملائهم في فلسطين يحبون المـال ويصرفونه على أنفسهم . فأطرى الارشمندريت بأخلاق اثناسيوس متروبوليت حمص واهتمامـه بالعلم والتعليم . فأخذ خيترفو برأي الارشمندريت وأوفد اسكندر قوزما رئيس سمينار الناصرة لزيارة مطارنة الكرسي الانطاكي . فطاف اسكندر قوزما في أبرشيات انطاكية وتحدث الى المطارنة ورفع تقريراً حبذ فيـه العمل في سورية ولبنان . فبادرت الجمعية الامبراطورية للعمل في حمص في السنة ١٨٩٤ . وفي السنة التالية أخذت على عاتقها مدرسة البنات في دمشق والشويفات ومدرسة الصبيان في عاليه وراشيا الوادي وفتحت ست عشرة مدرسة اخرى معظمها في قرى لبنان. وعني خيتروفو بنقل الكتب المدرسية الى اللغة العربية وعهد بذلك الى اسكندر قوزما وميخائيل عطايا واسكندر ياكوبوفيتش وديمتري بوغوانوف وبولس نيقولايفسكي . وحث آخرين على التصنيف فاشتهر بين هؤلاء خليل بيدس .

موقفنا من رومـة : (١٨٩٥) واغتنم حبر رومة لاوون الثالث عشر (١٨٧٨ ـ ١٩٠٣) فرصة يوبيله الاسقفي فوجـه في العشرين من حزيران سنة ١٨٩٤ رسالة الى امراء المسكونة تدعى *Praeclara gratulationis* دعا بها كنيستنا الارثوذكسية الجامعة الرسولية الى الاتحـاد بالكرسي الروماني ذاهباً الى ان هذا الاتحاد ممكن بمجرد الاعتراف بانه الحبر الاعظم والرئيس الروحي والمدني الاسمى لجميع الكنائس والنائب الوحيد على الارض للمسيح والموزع لكل نعمة وموهبة.

فرد على هذه الرسالة البطريرك المسكوني انتيميوس السابـع (١٨٩٥ ـ

١٨٩٧) برسالة بطريركية مجمعية تجوز تسميتها على الطريقة الرومانية الرسالة «كل نفس ارثوذكسية تقية» لانها بدأت بهذه العبارة وذلك في آب السنة ١٨٩٥. وقد نقلها الى العربية آنئذ غطاس قندلفت وعاد فاذن بطبعها ثانيـة سيادة كيريوس ايليا متروبوليت بيروت وتوابعها الجزيل البر والتقوى (١). وهاك خلاصتها:

«كل نفس ارثوذكسية تقيـة لها غيرة حقيقية مخلصة على مجد الله تحزن حزناً عميقاً وتتوجع توجعاً عظيماً حين ترى ان الشيطان باغض الخيرات الذي قتل الانسان من البدء لا يزال بدافع حسده من خلاص البشر يزرع في كل وقت اصنافاً من الزؤان في حقل الرب ليغربل الحنطة ويبيدها. ففي الازمنة الاخيرة فصل الشرير عن كنيسة المسيح الارثوذكسية امماً برمتهـا في بلاد الغرب اذ نفخ في بعض اساقفة رومة افكار كبرياء ولدت بدعاً جديدة متنوعة خارجـة عن القانون ومخالفة للانجيل.

«ومن ذلك ان بابا رومة الحالي لاوون الثالث عشر الجزيل الغبطة اغتنم فرصة يوبيله الاسقفي ووجه في شهر حزيران من السنة الخلاصية الماضية منشوراً الى امراء المسكونة وشعوبها دعا به كنيستنا ايضاً كنيسة المسيح الارثوذكسية الجامعة الرسولية الى الاتحاد بالكرسي البابوي ذاهباً الى ان هذا الاتحاد ممكن بمجرد الاعتراف به انه الحبر الأعظم والرئيس الروحي والمدني الاسمى لعموم الكنائس والنائب الوحيد على الأرض للمسيح والموزع لكل نعمة وموهبة.

«ولا ريب في ان على كل قلب مسيحي ان يمتلىء شوقاً الى اتحـاد الكنائس. ولذا تصلي الكنيسة كل يوم الى الرب من أجل جمع المشتتين ورجوع الضالين الى طريق الحقيقة المستقيم الذي وحده يؤدي الى حياة الكل ابن الله الوحيد وكلمته ربنـا يسوع المسيح. وكنيستنا كنيسة المسيح الارثوذكسية على استعداد دائم لأن تقبل كل ما من شأنه الاتحاد اذا كان اسقف رومـة يرفض

١) رسالة بطريركية ومجمعية جواباً على رسالة البابا لاوون الثالث عشر في اتحاد الكنائس وقف على طبعها ثالثة حضرة الاب الارشمندريتي اغناطيوس هزيم (بيروت ١٩٥٨).

رفضاً باتاً سلسلة التعاليم الجديدة التي ادخلت في كنيسته وكانت سبب الانفصال المحزن بين الكنائس في الشرق والغرب.

«وتود كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية الارثوذكسية وداً مقدساً لو ان الكنائس المنشقة تتحد معها على اساس دستور الايمان الواحد. لانه بدون الاتحاد في الايمان على هذه الصورة يستحيل اتحاد الكنائس المرغوب.

«ولاتمام الرغبة التقوية في اتحاد الكنائس يقتضي تعيين مبدأ واحد يرجع اليه. ولا مبدأ سليماً وقاعدة عامـة الا تعليم الانجيل الشريف والمجامع السبعة المسكونية المقدسة. ولا نعني الخلافات السطحية والفروق الطقسية بـل نعني الاختلافات الجوهرية المتعلقة بعقائد الايمان المسلمة من الله وبنظام ادارة الكنائس القانوني المؤسس من الله ايضاً.

«ان الطريقة المقربـة الى الاتحاد هي رجوع الكنيسة الغربية الى النظام القديم عقيدة وادارة لان الايمان لا يمكن ان يتغير مع الزمان ولا مع الظروف بل يبقى دائماً هو نفسه.

«وكانت الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية كنيسة المجامع المسكونيـة السبعة تؤمن وتعتقد وفقاً للاقوال الانجيلية بأن الروح القدس ينبثق من الآب. ولكن الغرب بدأ منذ القرن التاسع ينشر الرأي بان الروح القدس ينبثق من الابن ايضاً فاذا كانت كنيسة رومة تبقى مصرة ولا ترجع الى اعتقاد المجامع المسكونية تكون قد ألقت نفسها تحت المسؤولية التامة امام كنيسة المسيح الواحدة المقدسة الرسولية التي لا تزال تتمسك بالتعاليم الابوية تمسكاً شديداً وتحفظ وديعة الايمان المسلمة اليها غير متغيرة في شيء خاضعة للوصية الرسولية القائلة: «احفظ الوديعة الحسنة بالروح القدس الساكن فيهـا معرضاً عن الكلام الباطل الدنس ومناقضات العلم الكاذب الاسم الذي انتحله قوم فزاغوا عن الايمان» (١).

«وكنيسة المجامع المسكونية السبعة اقامت سر المعمودية منـذ القديم بثلاث

١) الرسالة الثانية الى تيموثاوس ١ : ١٣ ــ ١٤ والاولى الى تيموثاوس ٦ : ٢٠

٢) باسيليوس الكبير في رسالته ال ٢٤٣ الى الاساقفة الايطاليين والافرنسيين

غطسات في الماء ، ولم يزل التعميد بثلاث غطسات محفوظاً في الغرب الى القرن الثالث عشر عينه . واحواض المعمودية التي لا تزال قائمة الى الان في اقدم هياكل ايطالية شهود تنادي عن الحقيقة بكل صراحة . اما نحن الارثوذكسيين فبثباتنا امناء على التعليم الرسولي « قد وقفنا مجاهدين عن المتاع العام اعني الكنز الابوي كنز الايمان الصحيح .

« والكنيسة الواحدة المقدسة الرسولية لبثت الف سنة ونيف تتمم سر الشكر الالهي في الشرق والغرب بخبز مختمر على مثال مخلصنا كما يشهد محبو الحقيقة من علماء اللاهوت الباباويين أنفسهم .

« وكنيسة المجامع المسكونية السبعة كانت تعتقد ان القرابين تقدس ببركة الكاهن بعد صلاة استدعاء الروح القدس الا ان الكنيسة الباباوية ابتدعت بعد ذلك بدعة جديدة واستبدت بقولها ان تقديس القرابين المكرمة يتم بمجرد لفظ الأقوال الربانية « خذوا كلوا هذا هو جسدي واشربوا منه كلكم هذا هو دمي » .

« وكنيسة المجامع المسكونية السبعة تبعث وصية الرب القائلة «اشربوا منه كلكم » فناولت الجميع « كلهكم » من الكأس المقدسة . اما الكنيسة البابابوية فانها حرمت الشعب من الكأس خلافاً لوصية الرب ولعرف الكنيسة القديمة العام .

« وكنيسة المجامع المسكونية السبعة اتبعت تعليم الكتاب المقدس والتسليم الرسولي فصلت وطلبت رحمة الله للعفو عن الراقدين بالرب وراحتهم . ولكن الكنيسة البابوية قالت منذ القرن الثاني عشر بالنار المطهرة وزيادة فضائل القديسين وتوزيعها على المحتاجين معتقدة ايضاً بأن الصديقين يحصلون على تمام المكافأة قبل القيامة العامة والدينونة .

« والكنيسة الواحدة المقدسة الرسولية كنيسة المجامع المسكونية السبعة تعتقد بأن التجسد المتعالي عن الطبيعة تجسد كلمة الله الابن الوحيد من الروح القدس ومريم البتول هو وحده كان نقياً وبلا دنس . الا ان الكنيسة البابابوية ابتدعت من

مدة لا تزيد عن الاربعين سنة واعتقدت اعتقاداً جديداً بالحبل بلا دنس بوالدة الاله مريم الدائمة بتوليتها . وهذه العقيدة لم تعرفها الكنيسة القديمة .

« واذا راجعنا ما قاله ابناء الكنيسة ومجامعها في القرون التسعة الاولى نجد ان اسقف رومة لم يعتبر ولا مرة رئيساً اعلى ورأساً معصوماً في الكنيسة وان كل اسقف انما هو رأس كنيسته المحلية خاضع لاوامر واحكام مجامع الكنيسة الجامعة بما انها هي وحدها سليمة من الغلط . ولا يستثنى من هذا القانون اسقف رومة مطلقاً كما يوضح التاريخ الكنائسي وان رئيس الكنيسة الابدي ورأسها السرمدي انما هو يسوع المسيح ربنا لانه هو رأس جسم الكنيسة وهو قال لتلاميذه ورسله « وها انا معكم كل الايام والى منتهى الدهر » .

« وبطرس الرسول يتحدث في مجمع اوروشليم الرسولي بلسان شخص مساو للحاضرين وهم مساوون له حتى ان بولس وبخه مرة توبيخاً مراً كما يتضح من الرسالة الى الغلاطيين (١) . والآية « انت بطرس وعلى هذه الصخرة سأبني كنيستي » (٢) تشير الى الاعتراف القويم الذي اعترف به بطرس بالرب « انه هو المسيح ابن الله الحي » (٣) وعلى هذا الاعتراف والايمان أسس الرسل جميعهم وخلفاؤهم التعليم الانجيلي الخلاصي . وهكذا شرح بولس الرسول هذه الآية الالهية شرحاً صريحاً حيث نطق بروح الوحي وقال « بحسب نعمة الله المعطاة لي كبناء حكيم وضعت اساساً وآخر يبني عليه ... اذ لا يستطيع احد ان يضع اساساً آخر غير الموضوع الذي هو يسوع المسيح » (٤) .

« كرّم الآباء اسقف رومة لانه اسقف اول مدينة في المملكة فمنحوه شرف التقدم في الجلسات واعتبروه اول اسقف في الرتبة فقط أعني اولا بين متساوين وهذا التقدم منحوه فيما بعد لاسقف القسطنطينية حين صارت هذه المدينة

١) « ولكن لما قدم كيفا الى انطاكية قاومته وجهاً لوجه لأنه كان ملوماً » ٢ : ١١
٢) بشارة متى ١٦ : ١٨
٣) بشارة متى ١٦ : ١٦
٤) رسالة بولس الاولى الى الكورنثيين ٣ : ١٠ – ١١

عاصمة المملكة كما يشهد القانون الثامن والعشرون من قوانين المجمع المسكوني الرابع . ولم يرد اي تلميح لا في قانون من القوانين ولا في كتاب أب من الآباء ان اسقف رومة هو وحده رئيس الكنيسة عموماً وقاض معصوم عن الغلط .

«وكل كنيسة ذات رئاسة كانت في اعصر المجامع المسكونية السبعة مستقلة عن غيرها ضابطة سياستها بيدها . وعندما كانت تقوم قضايا مهمة تحتاج الى تصديق الكنيسة كلها كانت تستأنف الى مجمع مسكوني . لان المجمع المسكوني هو وحده كان ولم يزل المحكمة العليا للكنيسة الجامعة كلها . وان كان بعض اساقفة رومة إعتراهم احياناً حب المجد فقاموا يطلبون حقوقاً تزيدعن ملء كيلهم مدعين برئاسة مطلقة فهؤلاء وبخوا او زجروا كما كان يليق .

« وعلاقة الشرق مع الغرب علاقة مستقلة تتضح من اقوال باسيليوس الكبير في رسالته الى افسابيوس اسقف سيمساط حيث يقول : « وحقاً ان من طبيعة الاخلاق الصلفة انها متى وجدت من يلاطفها ازدادت تشامخاً . فانه اذا تعطف الرب علينا فالى اي شيء اكثر من تعطفه نحن محتاجون . ولكن اذا استمر غضب الله فماذا تكون مساعدة حاجب كبرياء الغربيين ! فانهم والحق يقال ليسوا على شيء من العلم ولا يطيقون ان يتعلموا . ولكونهم مليئين بالوساوس الكاذبة يفعلون الان ما كانوا يفعلونه قبلا بمركلوس » . هذا والاوامر الايسودورية كاذبة مزورة .

« وقد وسعت كنيسة رومة الهوة بين الفريقين باعلانها رسمياً في اواخر القرن التاسع عشر ان اسقف رومة معصوم من الغلط فادهشت العالم المسيحي . ان كنيسة المسيح لا تعرف احداً وجد على الارض معصوماً من الغلط غير ابن الله وكلمته . وبطرس الرسول نفسه الذي يظن البابا انه خليفته انكر الرب ثلاث مرات ووبخه بولس الرسول مرتين بأنه لا يسعى مستقيماً الى حقيقة الانجيل . والبابا ليباريوس وقع اعترافاً آريوسياً في القرن الرابع . والبابا زوسيموس في القرن الخامس استحسن اعترافاً هرطوقياً متنكراً للخطيئة الجدية . والبابا فيجليوس حكم عليه المجمع الخامس في القرن السادس بسبب سوء

عقيدته . والبابا اونوريوس سقط في هرطقة المشيئة الواحدة فحكم عليه المجمع السادس واعترف خلفاؤه بهذا الحكم .

« ايها الشعوب المحبة للمسيح شعوب البلاد الغربية الأماجد نفرح بكم اذ نرى فيكم غيرة المسيح بانقيادكم للحقيقة التي تعرفونها انه بدون الايمان بالمسيح لا يمكن ارضاء الله . ولكن الايمان بالمسيح يجب ان يكون مستقيماً موافقاً للكتاب والتقليد . وكنيسة الله الجامعة الحافظة في أحضانها هذا الايمان الخلاصي بصفته الحقيقية اي كوديعة الهية لا تمس ايماناً واحداً صحيحاً وسليماً من كل غش كما أُسلم اليها منذ القديم وكما شرحه الآباء المتوشحون بالله ان هذه الكنيسة هي واحدة على الدوام وليست كثرة ولا تتنوع مع امتداد الزمن لأن الحقائق الانجيلية لا تقبل تغييراً ولا تطوراً في الزمن كالفلسفات المتنوعة « لأن المسيح يسوع هو أمس واليوم والى الدهور » .

« ولنحذر الرسل الكذبة الذين يأتون بشكل الحملان ويحاولون ان يصطادوا البسطاء فينا بأوعاد متنوعة غشاشة ويحسبون كل شيء حلالا ويتسامحون به في سبيل الاتحاد بالاعتراف بأن بابا رومة رئيس أعلى ومعصوم وله سلطان مطلق على الكنيسة كلها نائب وحيد للمسيح على الأرض وينبوع لكل نعمة .

« واله كل نعمة الذي دعانا الى مجده الأبدي في المسيح يسوع هو يجعلنا كاملين راسخين مؤيدين مؤسسين . وليمنح جميع الذين هم خارج الحظيرة الواحدة المقدسة الجامعة الارثوذكسية ان يستنيروا بنور نعمته ومعرفة الحق له المجد والعزة الى أبد الآبدين آمين » .

خشونة وفظاظة : وقسا قلب اسبيريدون وولى الاستعطاف اذناً صماء . وفتىء طفلاريوس يثير الشعب باذلا قصارى همته في اذلال الشعب واسبيريدون ضعيف الارادة لا يحيد عما يوحيه اليه المشيرون « حتى غدا الديدن يتمادى في الارجاف والانتقاص من رجال الفضل والسعي في تحقير بعض المطارنة واذلال الرعية . وكانت الرعية تقوّم الاود بالحزم وتارة تنيل الراحة مظهرة ما تسر من النوايا النقية فتعكف على تنشيط لجانها الخيرية ومدارسها المجانية » . ولكن هذه الفرص

كانت تغتنم في ابتداع مشاكل جديدة ومتاعب عديدة . ومما يروي والرواية صحيحة ان احد السادة المطارنة خوّف البطريرك عاقبـــة الاقدام على احدى الفريّات التي تغضب الشعب وحبب اليه عيش الدعة والموادعة وانذره بأن سخط الشعب من سخط الله . فأبى وأوعد بما لا خير فيه (١) .

المناداة بالسقوط : ولما رأى الشعب عــدول اسبيريدون عن جادة الاستقامة قام عليه قومة رجل واحد في يوم عيــد الرسولين بطرس وبولس في التاسع والعشرين من حزيران سنة ١٨٩٧ ونادى بسقوطه . فذهب الوالي حسن باشا بنفسه الى دار البطريركية وسمـــع دعوى الشعب فأعرض عن تطلبات السيد اسبيريدون .

وتولى ناظم باشا ولاية سوريـــة والمسألة البطريركية في معظم اشتدادها فسلك فيها مسلك الاستقامــــة ورفع الى الباب العالي شكاوي الشعب الانطاكي . فصدرت الارادة السنية السلطانية بوجوب اجتماع المطارنـــة للنظر في المعضلة والتداول في حلها . فاقبلوا من ابرشياتهم . ملاتيوس اللاذقيـــة وميصائيل صور وصيدا وجرمانوس ترسيس ونيقوذيموس عكار واثناسيوس حمص وغريغوريوس حمـــاة وجراسيموس سلفكياس وغريغوريوس طرابلس وبنيامـــين ديار بكر ونكتاريوس حلب . ولم يستطـــع غفرائيل بيروت الحضور فاستناب مطران طرابلس . وبذل اسبيريدون جهده للبقاء على الســـدة البطريركية لكن بالقسوة والجفاء لا بالحب والولاء . وتحقق لدى السلطات الزمنية المحليـــة ان هذه الحال غير ممكنة ونصح بعض المخلصين من المطارنة لغبطته ان يستعفي فقدم استعفاءه في الحادي والثلاثين من كانون الثاني سنة ١٨٩٨ .

وقام بعدحين الارشمندريت كاراباتاكي فصنف لمناسبة يوبيل اسبيريدون الاسقفي كتاباً استغرق مئة وعشرين صفحة بحجم كبير عنونه «البطريرك اسبيريدون والمسألة البطريركية الانطاكية» ضمنه سيرة حياة اسبيريدون في صفحات قليلة وافاض في الكلام بشأن انتخابه الى الكرسي الانطاكي فعزا سقوطه الى ما ارتكبه من اخطاء

١) الارج الزاكي ص ٥٢

والى تدخل الروس واثارة النعرة القومية . وجاء بفيذس فافترض افتراضاً ان اسبيريدون قوى العنصر الوطني في اثناء بطريركيته وخدم مآرب الروس وارتكب ما ارتكب فكان ما كان من امر تسقيطه (١) .

جرمانوس القائمقام البطريركي : (١٨٩٨) وقبل المجمع الانطاكي المقدس استعفاء اسبيريدون في جلسة السادس من شباط سنة ١٨٩٨ وانتخب جرمانوس متروبوليت ترسيس قائمقاماً بطريركاً وابلغ السلطات المحلية بذلك فرفعته الى الباب العالي فورد التصديق عليه في الثالث والعشرين من الشهر نفسه .

ولما رأى جرمانوس ان المطارنة خولوه هذه المرتبة السامية وان الشعب مسرور به طمع بالكرسي البطريركي . ونفخ نكتاريوس متروبوليت حلب في انف جرمانوس شيئاً من الغرور فأصغى جرمانوس اليـــه وعوّل على البقاء في الكرسي مهما كلفـــه الامر . وكان نكتاريوس موطناً نفسه على بلوغ الذروة البطريركية متوكئاً على عكاز جرمانوس . ولكن رحمـــة الله تداركت الكنيسة فكشفت برقع الغرور وتمحلات نكتاريوس ومقاوماته غير المشروعة التي استمر عليها مع ما توجه من المجمع من النصائح والانذارات خطاً وشفاهاً (٢) .

ثم صوّبت الحكومة العثمانية مراعاة الاكثريـــة في قرار المجمع ولم تعتبر الاكتفاء بالمرشحين من ضمن مطارنة الكرسي الانطاكي ذنباً فأقبل جميع مطارنـــة ونواب الامة على اجراء الترشيح للمركز البطريركي في السادس من ايـــار سنة ١٨٩٨ . فأصاب كل مطارنة الكرسي الاحد عشر خطاً من الترشيح . واستثني منهم بنيامين ديار بكر ونكتاريوس حلب لانهما لم يكملا سبع سنوات في ابرشيتيهما عملا بالقانون البطريركي القسطنطيني الذي كان ساري المفعول آنئذ في القسطنطينية وانطاكية .

ولم يرق هـــذا الامر لنكتاريوس فصوّر المسألة بصورة التعصب الجنسي واثار خواطر جرمانوس وبنيامين لمشايعته . وشكا امره على هـــذا الاساس الى

1) *Bapheidès, op. cit., III, 275.*

٢) الارج الزاكي ص ٥٤ — ٥٥

البطريركين المسكوني والاوروشليمي . والواقع ان المجمع الانطاكي شمل مطارنة من العرب واليونان فأين التعصب الجنسي في الترشيح ؟ واذا كان هنالك شيء من ذلك فالمسؤولية فيـــه تقع على نكتاريوس وبنيامين وجرمانوس اليونانيين الذين تشبثوا بادخال مرشحين من خارج الكرسي الانطاكي وليس في خارجه أحـــد من الاكليروس العربي ! وبولس الرسول قال: «ولبستم الانسان الجديد فثمة ليس بعد يوناني ولا يهودي لا ختانٌ ولا قلف لا أعجمي ولا أسكوتي لا عبد ولا حر بل المسيحُ هو كلُ شيء وفي كل شيء » (١) .

ملاتيوس القائمقام البطريركي : (١٨٩٨ ـ ١٧٩٩) وتدارك المددُ العلويُ المجمع الانطاكي ففصل جرمانوس عن القائمقامية بعـــد أن أنذره مراراً وانتخب في الثاني عشر من ايار سنة ١٨٩٨ ملاتيوس اللاذقية للقائمقامية. وكثرت التدخلات وتنوعت فلم تصدر الارادة السنية بالتثبيت قبل الثالث والعشرين من شباط سنة ١٨٩٩ .

البطريرك ملاتيوس الثاني . (١٨٩٩ ـ ١٩٠٦) وقبلت السلطات العثمانية دفتر الترشيح بلا استثناء بنيامين ونكتاريوس . ودعـــا القائمقام الجديد المجمع المقدس الى العمل فتمنّع المطارنة المخالفون عن الاشتراك وكتبوا انهم لا يعرفون السيد ملاتيوس قائمقاماً رسمياً . فالتأمت هيئة المجمع ثانية واعيد استدعاء المطارنة الثلاثة فأبوا فاستدعتهم الهيئة للمرة الثالثـــة فأبوا وأضافوا أن فصل جرمانوس وتثبيت ملاتيوس هو بغير محله . فحينئذ قرر المجمع قانونية الجلسات السابقة منذ السادس من ايار . وعمل المجمع بدونهم وأرسل دفتر الترشيح الى الآستانة . وبعد ان قُيل فيه وأخذ في المعاملات عليه عرض من المداخلات ما أعاق ارجاعه حتى الثالث من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ . فاستدعى القائمقام المطارنـــة المخالفين فلم يشاؤوا . ولما كان العمل الانتخابي تاماً منذ الخامس عشر من نيسان سنة ١٨٩٩ ولم يعرض عليه ما يفسده تقدمت المضبطة القانونية بتثبيت ذلك العمـــل . وفي

١) رسالة القديس بولس الى الكولسيين ٣ : ١٠ ـ ١١

الثالث والعشرين من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ صدرت الارادة السلطانيـــة بقبول الانتخاب وتصديق مأمورية ملاتيوس الثاني بطريركاً على انطاكيـــة وسائر المشرق (١) .

وامتلأت القلوب سروراً وحمل البرق البشرى الى الشعب الانطاكي في أقاصي الأرض . ونشرت الجرائد في مصر والشام هـــذه البشرى بعبارات ملؤها التهنئة .

« وجاء دافعتنا الأيام فيه فوجدت منا قلوباً أشد على الدهر من الدهر وأثبت على الصبر من الصبر ونفوساً أصلب من الحديد تميد لها الجبال ولا تميد وعزائم تفري الصوارم وترغم كل مراغم حتى ساعف الاقبال وسعد المآل وصدحت البشرى بالاماني فرددتها القلوب ترديداً وكررتها شداء ونشيداً فتمت النعمة العظمى والمنحة الكبرى الا وان العناية الالهية قد انتدبت الى السدة البطريركية الانطاكية مثال الكمال الاكمل وعلم العلم الامثل نبراس الطهارة وعنوان البرارة حنانيا مصره مقاماً وافوذيوس عصره مقاماً الحبر الجليل الغيور والراعي النبيل الوقور كيريوس كيريوس ملاتيوس الجزيـــل الطوبى والفائق القداسة بطريرك مدينـــة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق مطران اللاذقية سابقاً » (٢) .

تنصيب البطريرك : وما لاح نور صباح الاحد في الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٨٩٩ حتى غصت الكاتدرائية المريميـــة داخلا وخارجاً ودار البطريركية بجماهير المؤمنين الارثوذكسيين وغيرهم . وفي الساعـــة التاسعة حضر قناصل الدول وفي مقدمتهم الكسيس بيلاييف قنصل روسيـــة العام في دمشق والبرنس شوخوفسكي كونشليرها . فخرج الجميع من دار البطريركيـــة يتقدمهم خفراء القناصل ويواكبهم عدد كبير من الجند وقصدوا الكنيسة . ولدى وصولهم الى بابها قدم خسرو باشا وخلوصي باشا من قبل المشير ويوسف طنوس وخليل الخوري من قبل الوالي .

فاتشح غبطته بالميتة والبطرشيل والاموفوريون ودخل الى الهيكل وامامه الشموع والمرتلون يرتلون «بواجب الاستيهال» والشمامسة يبخرون حتى وصل الى

١) الارج الزاكي ص ٥٦ والمحبة تاريخ ٢٤ نيسان سنة ١٨٩٩
٢) بشرى المحبة من قلم امين ضاهر خيرالله : الارج الزاكي ص ٥٧ ـ ٦٠ . راجع ايضاً مجـلة المنار ١٨٩٩ ص ٣٣٢ ـ ٣٣٣ .

الباب الملوكي . فانتصب امام المائدة المقدسة والسادة المطارنـــة على جانبيها . وحينئذ ابتدأت صــلاة التنصيب . فتلا احــد السادة التريصاغيون . ثم رتلت طروبارية احد حلول الروح القدس « مبارك انت ايهـــا المسيح الهنا » والقنداق « لما انحدر العلي مبلبلاً للالسن » . ثم ابتدأ غبطتـــه بطلبات وختمهـــا بالحل . وبعدئذ وقف في الباب الملوكي متجهاً الى الشعب فمثل امامه الارشمندريت بولس ابو عضل كاتب المجمع المقدس ففاه بالاعلام العظيم الميغا منيا وهذا نصه :

ان المجمع الانطاكي المقدس ومصف الاكليروس الموقر وجماعة الشعب الارثوذكسي المبارك قد انتخبوا غبطتكم باتفاق الرأي بطريركاً على مدينـــة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق بالهام الله وتعطفات المتبوع الاعظم. وهم يدعونكم بواسطة الابن الحقير الى هــذا الكرسي البطريركي المقدس المؤسس من هامتي الرسل بطرس وبولس الالهيين . فارتقوا اذن اليه أيها السيد الكلي الغبطة وزينوه عمراً مديداً كما زينـــه أسلافكم الرسل الاطهـــار واغناطيوس المتوشح بالله وافستاثيوس الكبير وملاتيوس الشريف وسائر الذين تقلدوا زمام هذا الكرسي المقدس بخوف الله » (١) .

ثم تقدم متروبوليت بيروت ولبنان اول الاساقفة سيامة وسلّم البطريرك عصا الرعاية البطريركية وقال: « الله معك يا مبارك الرب. تشجع وتقوّ بالرب. وكن اميناً في الخدمة التي اختارها لك الله الهك . وارعَ بخوف الله وامانة ونشاط الرعية المفتداة بالدم الكريم في مراعي الخلاص . وأوردها ينابيع الحياة الالهيـــة حافظاً الايمان ساهراً في الصلاة محباً لله ولشعبه المختار معلماً الجميع وصايا الرب وحقوقه صائراً مثالا في كل عدل . وخذ بيمينك هـــذه العصا القويمة لتكون لك نحو الجهال والمتمردين للتأديب والتربيةونحو العقلاء والخاضعين للرعاية والعناية» .

فقبض البطريرك على عكاز الرعاية وخرج من الباب الملوكي يتبعه لفيف الاساقفة ورقي سدة الرسولين واخذ الصليب وبارك الشعب وقال : « ان جلالة

١) الارشمندريت بولس ابو عضل الى ادارة المحبة ١٨٩٩ ص٧٠٧٠ . والتحفة الفنية في وصف حفلة السيامة البطريركية (جمعية القديس يوحنا الدمشقي) .

المنصب بالنسبة الى حقارتنا تزيدنا شعوراً بضعفنا واحتياجنا الى نعمة القدير الذي منه كل رئاسة وسلطة فنستعين بنعمة القائل « ان قوتي في الضعف تكمل » ونتقدم لاتمام رغبة اخواننا بالرب الكلي الطهر وابنائنا الاحباء بالروح القدس بارتقائنا الى هذا الكرسي الرسولي المقدس معاهدين الله الضابط الكل على ان نبـــذل جهد القدرة للقيام بامانة ونشاط بواجبات المنصب الذي عُهد الينا ثابتين ومحافظين على الناموس الالهي والترتيبات الشريفة ونفوس الرعية وحقوق الملة حتى النهايـــة شاكرين لاخوتنا الكلي طهرهم انتخابهم لنا على ما بنا من الضعة ولبنينا الاعزاء ثقتهم بنا على ما بنا من الضعف مستمدين العون الالهي والمساعدة الاخوية والطاعة البنوية للبلوغ الى غاية رضى الاله الذي يدين جميع الخليقة . فنظهر جميعاً اهـــلا للدعوة التي دعيناها ولميراث ملكوت السماوات بنعمة المسيح الهنا الذي له المجـــد والعزة والاكرام والسجود مع ابيه وروحه القدوس الى أبد الدهر آمين » .

ثم لفظ اثناسيوس متروبوليت حمص وتوابعها خطاباً اهم ما جاء فيـــه قوله : « لنشكر الله الكريم اذ اجزل العطايا وكلل الجهاد بالظفر . فاهنئي ايتها الكنيسة وسرّ يا مصفّ رؤساء كهنة الكرسي الانطاكي بقطف اثمـــار اتعابك اليانعة وابتهج ايها الشعب المجاهد في سبيل النجاح والتقدم واعتصم دوماً بحبـــال الالفة والاتحاد والتكاتف » .

واختتمت حفلة التنصيب وبدىء بالقداس الالهي فخدم البطريرك الاسرار المقدسة يعاونه مطارنة بيروت وعكار وحمص وطرابلس واداسيس . وفي ختام القداس رقي غريغوريوس متروبوليت طرابلس المنبر وقال ما خلاصته: افرحوا بالرب ايها السيد الكلي الغبطة والاخوة الجزيلو الطهر والذوات الاجلاء والابناء الاعزاء . تعلمون ان المراحم الالهية بعد ان أنارت العقل البشري بالاعلان الالهي ورسمت له الكهنوت وشرّفت بعض البشر برئاسته ما كان من عـــدو البشر الا نهض فنصب الفخاخ في سبيل الرؤساء والمرؤوسين وحرّك عواصف المجد الفارغ في رؤوس بعض الامم فاحتملت الكنيسة من شواذهم مصائب ونوائب في كل جيل . ولم ننج نحن سكان هذه البلاد من تجارب عدو الخير لاننا لا نزال في العالم

الا ان الذي لا يدع المؤمنين باسمه يتجربون فوق ما يطيقون بل يجعل مع المحنة المخرج قد استيقظ فضرب اعداءه . ولم يختر سبط افرام بل اختار سبط يهوذا . ورضي الان ما كان رضيه سابقاً لداود اذ اخذه ليرعى يعقوب عبده واسرائيل ميراثه . وهكذا ارتضى الان ان يرحمنا لانه نظر الى مسكنتنا وحزننا اذ اكلنا الرماد مثل الخبز وشربنا الدموع بالكيل . فماذا نكافيء الرب على كل ما اعطانا لو ان الرب يؤثر المحرقات لكنا الآن نعطي. لكن الذبيحة لله روح منسحق. والقلب المتخشع المتواضع ما يرذله الله .

وهذا القلب وهذا الروح قد وجدناهما اليوم في السيد الجليل والراعي النبيل فخر طغمتنا الرهبانية وقدوة ملتنا الارثوذكسية . فانه حبر مجرب في الرئاسة والسياسة مشهور بالدماثة بعيد عن الشكاسة ذو اطلاع على واجبات الراعي ويعلم ان تعليم الرعية ينبوع حياتها وان دوام الالفة عنوان ثباتها وان كل بنيه اخوة وهو لهم اب بالرب . يسهر على نفوسهم من الذئاب الخاطفة حذراً على ايمانهم من سيول الطغيان الجارفة » (١) .

المجمع والبطاركة : (١٨٩٩) وكان اعضاء المجمع الانطاكي قد اعدوا رسالة باللغة اليونانية وبعثوا بها في اول ايار سنة ١٨٩٩ الى « الكلي القداسة والغبطة كيريوس كيريوس قسطنطين البطريرك المسكوني والى كيريوس كيريوس صفرونيوس البطريرك الاسكندري والى كيريوس كيريوس داميانوس البطريرك الاوروشلمي الفائقي الاحترام » فذكر بها السادة البطاركة بامور اهمها ما يأتي اذا كنا ثابتين في المحبة فلنا ملءُ الامل بقداستكم الوادة الله وبمجمعكم الشريف الا تمسوا حرية الكنيسة الانطاكية الرسولية المقدسة التي هي اقدم الكنائس بعد كنيسة اوروشليم الحرية التي جاد بها المسيح نفسه على المؤمنين باسمه وان لا تزعزعوا اساس السلام ولا تجرحوا محيا المحبة الجميل. ولننس ما مضى اذ اقلقتم افكار الحكومة بتقديم استدعاءات واعتراضات رسمية ضد الكنيسة الانطاكية واجتهدتم باحباط اعمال مجمعها المقدس القانونية ناسبين اليه مخالفة لتعامل قديم لا تعلق له بالاصول الدينية .

١) الارج الزاكي ص ٦٩ — ٨٢

والقوانين المسكونية الشريفة تأمر بصراحة وجلاء بان مجمع كل ابرشية له وحده الحق المطلق في ان ينتخب بملء حريته مرشحين من حيث يشاء. ثم اننا نذكر لفطنة قداستكم بمحبة واحترام ان التاريخ الكنسي يروي ان كثيرين من الكرسي الانطاكي تبوأوا كرسي القسطنطينية وكرسي اوروشليم فلماذا لا تعتبر كل من هاتين الكنيستين ذلك تعاملا قديماً ولا ترشح في انتخاباتها من الكرسي الانطاكي بل تحصر الانتخاب ضمن دائرتها الروحانية فقط ! ان احتضانكم لمخالفة المطرانين (نكتاريوس وبنيامين) وسعيكم لمساعدتهما بابطال انتخاب المرشحين الذي تم والزام المجمع بانتخاب مرشحين من مطارنة الكرسي القسطنطيني او الاوروشليمي يوسعان مجالا للظنون .

او لم يكف لدمار الارثوذكسية في أبرشيات انطاكية ان أسلافنا رحمهم الله صدقوا ما كانت تذيعه الجرائد عن استعداد وفضائل البعض وانتخبوا منهم بطاركة كانوا لعدم معرفتهم لغة الرعية واحتياجاتها يتصرفون معها بلا اكتراث او لاسباب اخرى كانوا يسلكون غير المسلك الجدير بهم فسببوا نفور آلاف كثيرة من الارثوذكسيين تؤلف منهم اليوم طوائف كثيرة لم يكن لها قبل وجود في ابرشيات انطاكية. وهذه الطوائف تحارب الارثوذكسية بواسطة البروبوغندات الغنية والرهبنات الكثيرة حرباً عواناً بالمدارس والكتب والجرائد وغيرها .

ان الظروف الحالية تقضي أكثر من ذي قبل على الرؤساء الروحيين الارثوذكسيين في كل مكان بأن يحافظوا على وحدانية الروح برباط السلام ويبذلوا كل ما عز وهان في هذا السبيل ويسعوا جميعهم لرفع شأن الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية الارثوذكسية ولاعادتها الى مجدها الاول (١) .

فلما كان ما كان من أمر الانتخاب والتنصيب وجّه البطريرك الجديد ملاتيوس الثاني الرسائل السلامية القانونية الى متقدمي جميع الكنائس الارثوذكسية

١) السجل البطريركي : اول ايار سنة ١٨٩٩ رقم ٣٧١ . اطلب ايضاً مجلة المنار سنة ١٨٩٨ ص ٣٦١ — ٣٦٦ .

المستقلة اي الى البطريرك المسكوني والقائمقام البطريركي في الاسكندرية وبطريرك اوروشليم ورئيس اساقفـة قبرص ورؤساء المجامع المقدسة في روسية واليونان ورومانية والصرب والجبل الاسود والى بطريرك التمسة . فأعلن لهؤلاء الرؤساء تبوءه السدة الانطاكية بانتداب المجمع والشعب وموافقة السلطان بعد انحلال المسند البطريركي سنتين . وطلب منهم جميعاً الادعية الاخويـة والمعاضدة التي تقتضيها المحبة المسيحية وروح السلام . فردّ جميع الرؤساء التحية بمثلها واعترفوا ببطريركية ملاتيوس الثاني ما عدا البطاركة الثلاثة وغيرهم من اليونانيين (١) .

* * *

١) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ١٤١

الفصل الثالث والخمسون

ملاتيوس الثاني

مدرسة البلمند : (١٨٩٩ ــ ١٩٠٠) وجعل البطريرك ملاتيوس والمجمع باكورة اعمالهم العودة الى مدرسة اكليريكية لتثقيف عقول المرشحين لخدمة الكنيسة وتهذيبهم في علوم الدين والدنيا (١) . فأقروا افتتاحها في مطلع السنة ١٩٠٠ في دير البلمند واختاروا غريغوريوس الراهب الورع متروبوليت طرابلس وكيلاً لها وغطاس قندلفت خريج مدارس اليونـان الاكليريكية مديراً واستاذاً للعلوم اللاهوتيـة فيها . وأسرع غريغوريوس الى بيروت لايجاد سائر الاساتذة فخصّ جرجس همام الشويري بشطر وافر من جهده ودعاه لتعليم الرياضيات واللغـة العربية . وكان الهمّام قد عاد من جامعة ادنبرج مبرزاً في الرياضيات العاليـة وفي الاسلوب الحديث في التعليم ولا سيما في طريقته المستحدثة في تعليم اللغة العربية .

وفي الثامن والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ أعلـن غريغوريوس وكيل المدرسة الاكليريكية الجديدة شروط الدخول ولائحـة الدروس . فجاءت الشروط هكذا : ١) لا يقبل تلميذ في صف دروس السنة الاولى قبـل بلوغه الخامسة والعشرين من عمره . ٢) يسمح بدخول التلميذ في اي صف من الصفوف الثلاثة الاولى بحسب استعداده الذي يظهر باختباره عند الدخول . واما في صف السنة الرابعة فبعد مطالعـة دروس الصف الذي قبله . ٣) عند الدخول يختبر التلميذ في القراءة الفصحى العربية وفي مبادىء الصرف والنحو والجغرافيـة والحساب والتاريخ الشريف وفي مبادىء اليونانية ان امكن . ٤) لا ينقل تلميذ من دروس سنة الا بعد ان يطالعها في السنة القانونيـة ويختبر فيها في آخر السنة ويظهر اهلا للانتقال الى دروس سنة اعلى . ٥) يشترط على التلميذ قبل دخوله

١) المحبة ١٨٩٩ ص ٧٣٧ — ٧٣٨

ان يظهر لمدير المدرسة شهادة معمودية وشهادة تبين حسن سلوكه قبل دخوله ويقدم لغبطة البطريرك الانطاكي صك تعهد بأنه عند حلول الوقت المناسب يدخل في الطغمة الاكليريكية ويكون تحت امر غبطته ويخضع لنظام المدرسة ويبقى فيها الى نهاية دروسه . ويقدم كفيلا معتمداً يكفله بأنه اذا خالف التعهد يدفع عنه عشرين ليرة عثمانية مقابلة لمصاريف تعليمه وملبوسه وسكنه ومأكوله وسائر لوازمه عن كل سنة مدرسية ولو اقام منها في المدرسة وقتاً قليلاً . ٦) ان المدرسة تقدم للتلاميذ المتعهدين بالدخول في الطغمة الاكليريكية كل لوازمهم من كتب وملبوس وغير ذلك فضلا عن مصروف التعليم والمأكول والسكن . ولا تكلفهم بارة الفرد من اجل هذا كله . ٧) دروس المدرسة الزامية لجميع التلاميذ . ٨) لا يرخص لاحد من التلاميذ بالخروج من دائرة المدرسة الا لاسباب ضرورية وبمعرفة المدير . ٩) من يخالف نظام المدرسة الى حد يستدعي فصله عنها فلا يعفى من القيام بايفاء المبلغ الذي عليه كما لو خالف تعهده بالدخول في الطغمة الاكليريكية .

وجاء في لائحة الدروس عدد الساعات في كل سنة فكانت اثنتين وثلاثين في كل اسبوع في السنوات الثلاث الاولى وثلاثين في الرابعة والخامسة واربعة وعشرين في السادسة . اما اللغات فانها العربية واليونانية والعثمانية والروسية . واما العلوم فانها الحساب والجبر والهندسة والطبيعيات وعلم الهيئة والتاريخ الشريف وتاريخ الكنيسة والكتاب المقدس ومؤلفات الآباء الاطهار واللاهوت والفلسفة وتفسير القداس والصلوات والخطابة والوعظ والحقوق الكنسية والموسيقى الكنسية (١) .

وجوب تعليم الاكليروس : وحملت مجلة المنار الارثوذكسية في عددها الصادر في الخامس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٨٩٩ مقالا شائقاً لمدير هذه المدرسة غطاس قندلفت في تعليم المرشحين للخدمة الاكليريكية الشريفة جاء فيه ان هذه الخدمة لا تقوم بإتمام بعض الرسوم والاعمال والفروض الخارجية لان رائدها هو قيادة

١) المدرسة الاكليريكية البطريركية لفريغوريوس متروبوليت طرابلس

البشر الى الكمال بنعمة الله في الفضيلة والتقوى وانارتهم لمعرفة الله بالايمان به ايماناً قوياً ولنيل خير مرضاته . وأهم الصفات التي يجب ان يتحلى بها الاكليريكي هي الاستعداد الطبيعي لهذه الخدمة ومعرفة مقتضياتها وما تفرضه من الواجبات وحسن السيرة والسريرة وطيب الاثر والذكر . فالخدمة الاكليريكية هي اشرف الخدم تؤهل صاحبها ليكون آلة للنعمة الالهية وللكرازة الانجيلية ونوراً يضيء بالفضائل وينير العقول بالمبادىء وملحاً يصلح كل ما افسدته الايام وراعياً يقود الخراف الى مروج الخلاص ويبعد عنهم الذئاب الخاطفة وللحصول على ذلك يجب عليه ان يحمل عصا الرعاية الروحية التي هي عصا الخطابة والاقناع ويرفع ترس الايمان والفضائل ويستل سيف الحق ذا الحدين ليقطع به جميع ضلالات المناقضين .

والحرب اليوم عوان وهي اشد قوة من مصادمات العصور القديمة . فمحاربو الديانة المسيحية اليوم يقاومون الكتاب المقدس نفسه والتقليد الشريف بكل ما يسرته لهم مطالعات التاريخ والفلسفة . فهم ينبذون التقليد وينكرون سلطان الكتاب المقدس وصحته وصدق نسبته الى مؤلفيه ولا يعترفون بسلامته من التحريف . وكثيرون ينبذون المبادىء الاولية في الدين المسيحي فلا يقبلون بوجود اله روحي قائم بذاته ولا يميزون بين المادة والروح (١) .

افتتاح المدرسة الاكليريكية : وفي التاسع من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ احتفل في دير البلمند بقداس الهي وبعد نهايته تم تدشين المدرسة الجديدة على يد الارشمندريت ايوانيكيوس رئيس الدير الجديد وسائر آباء الدير وحضور جمع غفير من القرى المجاورة. فتقدم الشكر للاله العلي الذي ألهم لتأسيس هذا المشروع المقدس . ثم قدمت الأدعية للسلطان وللبطريرك وللمتروبوليت الوكيل . ووقف في الختام غطاس قندلفت مدير المدرسة واستاذ اللاهوت فيها فألقى خطاباً في فضل العلوم وفائدتها .

ملاحظات بطريركية: وفي أواخر السنة ١٨٩٩ حملت الجرائد والمجلات

١) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ١٦٤ ـ ١٦٨ . والمحبة ١٨٩٩ ص ٧٦٥ ـ ٧٦٦

الارثوذكسية منشوراً بطريركياً رعائياً شعاره : « وكونوا كاملين كما ان أباكم الذي في السموات هو كامل » . وتضمن هذا المنشور ملاحظات بطريركية « هدفت الى الحرص على آداب الملة وتوفير أسباب سعادتها وراحتها وتحسين ظروفها الصحية العامة » وتناولت الخطبة والعرس والمعمودية والمعايدات وزيارة المرضى ومواد متفرقة اخرى . وقال طيب الله ثراه : « اذا قللنا فئة ما يقدم عربوناً في الخطبة لا نقصد امتهان مقام الخطيب او الخطيبة بل بالاحرى تيسير الامور وتسهيل الطرق لتكثر هذه العلائق التي ينتج عنها ازدياد الملة ونموها ونضارتها وزهاؤها . وهكذا القول في الزواج فاننا نحترم شرف هذا السر ونعلم انه مكرم ومضجعه بغير دنس . والله انما خلق المرأة لتعين الرجل . ولو رأى استغناءه عنها لما أوجدها . ولذلك لا يجوز وضع العوائق والصعوبات في سُبل الزواج . والأعياد اجتماعات حبية تجلب البركة والخير على المحتفلين بها لا اللعنة والضيق اللذين ينجمان عن البذل والتبذير . والشفقة والحنو فضيلتان في الانسان ولكن عيادة المرضى في غرفهم تجلب العدوى في بعض الأحيان . والموت عند المسيحيين جسر ينقل الذين في الأرض الى السماء فلا يجوز الاجتماع حول الميت والندب والصراخ » (١) .

البراءة السلطانية : وثبتت الحكومة العثمانية انتخاب ملاتيوس الثاني وأصدرت بذلك براءة سلطانية وأرسلتها الى والي سورية . فأعلم الوالي البطريرك بوصولها . فقام البطريرك في السادس والعشرين من نيسان سنة ١٩٠٠ يصحبه مطارنة عكار واللاذقية وديار بكر لزيارة الوالي « دولتلو ناظم باشا » والتشرف باستلام البراءة . فاستقبل الوالي البطريرك « بما فطر عليه من اللطف والايناس » وأكد البطريرك اخلاصه لحكومة المتبوع الأعظم « وبسط اكف الضراعة والابتهال الى الاله المتعال ان يحرس ويصون بوقايته جلالة السلطان ابن السلطان الغازي عبد الحميد خان » (٢) .

١) مجلة المنار ١٨٩٩ ص ٢٤١ – ٢٤٦
٢) المنار ١٩٠٠ ص ٥٠٦

جولة رعائية : (١٩٠٠) وبدأ البطريرك جولاته الرعائية بزيارة ابرشية بيروت ولبنان . فخفت ركابه تفقد شؤون ديره في ضواحي الشوير في اواخر ايار السنة ١٩٠٠ . فأرسل ناظم باشا ياوره وخمسة فرسان الى المقر البطريركي واستناب في وداع البطريرك كلا من خليل الخوري ويوسف طنوس . واخذ سلام غبطته في محطة القطار فرقة من الضابطة . وصحب البطريرك نيقوذيموس مطران عكار وارسانيوس مطران اللاذقية والارشمندريت بولس ابو عضل وكاتب البطريرك حبيب كومين . فسار بهم القطار حتى صوفر فحل البطريرك وحاشيته ضيوفاً على جبران سرسق . وفي صباح اليوم التالي نهض البطريرك الى حمانا فقدم الشكر في كنيسة الملة وزار كنيسة الموارنة . وما ان جاوز خراج حمانا حتى لقيه وفد كبير من جميع طوائف ارصون يتقدمهم الكهنة والاعيان . ولدى وصوله الى ارصون قدم الشكر في كنيسة الطائفة وزار كنيسة الموارنة واستراح في منزل الخوري جرجس مجاعص ثم زار سليمان بك شقير بكباشي الضابطة اللبنانية . واستتلى المسير بموكبه فخرجت بعبدات لاستقباله عند السفيلة فزار مدرستها حيث القيت القصائد والخطب في اللغات العربية واليونانية والافرنسية والانكليزية . ولم يتجاوز موكبه بعبدات حتى اقبل عليه وفد من المحيدثة يتقدمهم مدير القاطع الشيخ يوسف حاتم . فقدم الشكر في كنيسة المحيدثة وسار الى دير مارالياس البطريركي في ضواحي الشوير . فضاقت الطرق بوفود الشوير وبتغرين وعين السنديانة وغيرها وامامهم الانجيل الطاهر ومدير الشوير حبيب ابو فاضل والكهنة بحللهم الكنسية وتلامذة مدرسة الشوير الارثوذكسية . وسار الجميع حتى الدير فكان الاباء كهنة الدير ورهبانه واباء الرهبانية الحلبية المارونية . فذهب الجميع الى الكنيسة حيث اسدى البطريرك لله شكراً خالصاً والقى الارشمندريت بولس ابو عضل كلمة اثنى فيها على العواطف البنوية ودعا للذات الشاهانية وسأل للجميع البركة . وفي يوم الاحد خدم البطريرك الاسرار الالهية وشاركه مطران عكار ومطران اللاذقية . وعقيب القداس اجتمع وجهاء الشوير وبقية القرى المجاورة في بهو الاستقبال فالقى بعض تلامذة مدرسة الشوير الارثوذكسية بحضور رئيسها الخوري يوحنا مجاعص القصائد ابتهاجاً بقدوم راعي الرعاة ، وفي

ظهر النهار نفسه قدم وفد الرهبانية الحناوية الشويرية الكاثوليكية والمطران نعمةالله سلوان الماروني . وعند الغروب وصل قنصل روسية المسيو ليشن وحاشيته . ويوم الجمعة في الثاني من حزيران زار الدير البطريركي قائمقام المتن الشيخ رشيد الخازن مهنئاً باسم نعوم باشا متصرف لبنان . ثم جاء وفد بسكنتا يتقدمهم الكهنة وملحم اغا نكد وراجي ابو حيدر فانبرى صبري اندريا احد اساتذة المدرسة الروسية في بسكنتا فأبان عظم السرور الذي حاق « جميع السوريين الارثوذكسيين » بارتقاء رئيس رعاتهم . وزار غبطته الشوير فاستقبلتـــه الجماهير على اختلاف المذاهب يتقدمهم الصليب الكريم والانجيل الطاهر والكهنة بملابسهم الحبرية . فسار غبطته تواً الى كنيسة السيدة الارثوذكسية ثم زار كنيسة مار بطرس للروم الكاثوليك .

وأعلن البطريرك رغبته في زيارة الرعية في بيروت في الثاني والعشرين من حزيران فأم الدير البطريركي وفد بيروتي من قبل مطران الابرشية ومجلس الملـــة فيها والجمعيات الخيريـــة الست الخيرية ودفن الموتى والتعليم المسيحي ومساعدة المرضى والقديس بولس واتحاد البر . وفي صباح الثاني والعشرين برح البطريرك الدير متجهاً نحو بيروت . فاستقبله في عين عار قائمقام المتن وفارسان من الضابطة اللبنانيـــة وساروا بمعيته حتى انطلياس . وكان ينتظر البطريرك هناك غفرائيل متروبوليت بيروت واسكندر بـــك التويني ممثل المتصرف وجم غفير من السراة والوجهاء . وخطب الخطباء فألقى ابراهيم بك الاسود صاحب جريـــدة لبنان قصيدة قال في مطلعها :

لمثلك لاق مدح المادحين   وشكرك واجب دَيناً ودينا
كأنا والقوافي زاهرات   نفوق بهـــا نظام الاولينا

ولدى وصول البطريرك الى جسر نهر بيروت حد الولاية رحب به ميشال افندي اده ترجمان الولايـــة باسم الوالي رشيد بك وقنصل روسية وانطون افندي سالم ترجمان قنصل اليونان ووفد ماروني من قبل جمعية طوبيا البار واخويـــة مار مارون واخوة الفقراء . وارتقى البطريرك عربة الوالي وامامه ياور الولايـــة

وكوكبة من الفرسان . وسار والجماهير وراءه حتى بلغ الحديقة الحميدية (ساحة البرج) فبارك الجماهير وترجل وذهب تواً الى الكاتدرائيـة يتقدمه الصليب الكريم والانجيل الشريف والكهنة والشمامسة وتلامذة مدرسة الثلاثـــة الاقمار . ودخل الكنيسة فقدم الشكر لله العالي ثم رقي السدة الرعائية وقال: نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن مع جميعكم . ما ابهج هذا اليوم السعيد الذي يسرت لنا فيه العناية الالهية البلوغ الى هذه المدينة الزاهرة والوقوف في هذه الكنيسة المقدسة ومشاهدة نيافة اخينا الوقور السيد غفرائيل واعيكم الجزيل الطهر وجميعكم على احسن حال من الصحة والرفـــاه سيمكم التمسك بالايمان المسيحي القويم وعلمكم التفاني في خدمة بعضكم بالمحبة تحت ظل حكومة متبوعنا الاعظم . فاسهروا واثبتوا في الايمان . كونوا رجالاً وتقووا . ولتصر كل اموركم في محبة. اسلكوا بحسب الدعوة التي دعيتم بها بكل تواضع ووداعة وطول انـــاة محتملين بعضكم بعضاً في المحبة مجتهدين ان تحفظوا وحدانية الروح برباط السلام لا تنسوا فعل الخير والشركة لانه بذبائح مثل هـــذه يُسَرّ الله . اخضعوا للرئاسات والسلاطين » .

وجاء قنصلا روسية واليونان مهنئين والسيدة مريم تشيركاسوف « رئيسة المدارس الروسية في بيروت » ولجنة مجلس الملـــة والوفد الماروني ومطران الروم الكاثوليك ملاتيوس فكاك . وزار البطريرك سراي الحكومة فجرى له استقبال شائق لائق وقابله الوالي باللطف والاحترام .

مدرسة جامعة في بيروت : وبحث البطريرك في اثناء وجوده في بيروت حاجات الطائفـــة مع مطرانها واعيانها فلمس لمس اليد خوف الطائفة من نشاط المرسلين الكاثوليكيين والبروتستانتيين في حقل الدعاية الدينية . وكان هذا الخوف قد تزايد فظهر اثره في الصحف والمجلات الارثوذكسية فقالت المحبـــة في عددها الصادر في اثناء اقامـــة البطريرك في بيروت : « ان المدارس التي جعلت غايتها اقتناص الاولاد من احضان والديهم واغرائهم على خيانـــة مذهبهم وتعليمهم التعصب وبغض كل من هو خارج عن دينهم فحقها ان تهدم هدماً وتحرق حرقاً

وتباد عن وجه الارض لانها انما وجدت لتفرق لا لتجمع وتهدم لا لتبني وتؤخر لا لترقي » . تقول لمس البطريرك هذا الخوف المتزايد فعين لجنة بيروتية للنظر في انشاء مدرسة جامعة برئاسة الارشمندريت بولس ابي عضل . وعقدت هذه اللجنة جلسات متتالية « فأقرت كل ما فيه نيل الرجاء وشرعت في اخراج هذا المشروع من حيز الفكر الى حيز العمل متدرعة بالحزم والحكمة » (١) .

البطريرك في اللاذقية : وفي الخامس والعشرين من تموز سنة ١٩٠٠ سار البطريرك الى سراي الحكومة في بيروت لزيارة الوالي واعلامه بعزمه على السفر الى اللاذقيــة . فاستقبل وشيع بالاجلال والاكرام . ثم زار البطريرك قنصلي روسية واليونان للغاية نفسها . وفي السادس والعشرين ركب غبطته متن الباخرة النمساوية فجرى له عند المرفأ وداع رسمي . وركب زورقاً خاصاً وحيته الباخرة برفع الاعلام وأبحرت تقل الحبر الانطاكي وحاشيته الى اللاذقية .

وبلغت الباخرة طرابلس فوفد اليها متروبوليتها غريغوريوس وعدد من الاعيان والوجهاء مسلمين مودعين . ثم جرت الباخرة قاصدة اللاذقيــة فرست امامهم في السابع والعشرين من تموز . وأحدقت بها الزوارق تقل وجهاء الروم يتقدمها توفيق افندي صوايا ترجمـان المتصرف وبعض رجال الحكومة . ولدى وصول البطريرك الى الرصيف استقبله قناصل الدول ووفــد ماروني . ثم سار الموكب يتقدمهم فصيلة من الجند وكوكبــة من الفرسان والبطريرك والمتروبوليت يباركان الملاقــين على الشمال وعلى اليمين حتى مداخل المدرسة . فاستقبله الكهنة بملابسهم الكهنوتية وبالصليب والانجيل ومشوا امامه مرتلين حتى كنيسة القديس نقولاوس الكاتدرائية . فصلى ودعا للسلطان وقــدم للشعب خلفه ارسانيوس المتروبوليت الجديد وحضّهم على طاعته ومحبته : وفي الغد زار غبطته ونيافــة المتروبوليت شمس الدين باشا متصرف اللاذقية وشريف بك قائمقام العسكرية فردا لهما الزيارة في اليوم نفسه في المطرانخانة . وفي نهار الاحد الواقع في ٣٠ تموز احتفل البطريرك بالقداس الالهي يشاركه ارسانيوس المتروبوليت الجديد . وفي ختــام

١) مجلة المنار : ١٣ تموز سنة ١٩٠٠ ص ٦٨٥ . اطلب ايضاً ص ٦٦٩.

القداس قرأ الارشمندريت بولس ابو عضل البراءة الكنائسية المؤذنة بانتخاب ارسانيوس وسيامته مطراناً على ابرشية اللاذقية وما يليها .

مجلس الملة في اللاذقية : وفي مساء الاثنين في الحادي والثلاثين من تموز سنة ١٩٠٠ حضر الى المطرانخانة وجهاء الطائفة وأعيانها لاجل النظر في شؤون الملة . ولما تكامل عددهم صلى البطريرك مستمداً المعونــة والهداية . ثم شكر المتروبوليت تلبية الدعوة وقال ان الغرض من الاجتماع هو تأليف مجلس ملي ينظر في شؤون الطائفة ويحامي عن حقوقها في كل الابرشية المحفوظة من الله . وبعدما ألم بأهمية المجلس وفائدته وأشار الى كيفية الانتخاب القانوني وزعت الاوراق على الجميع لينتخب كل منهم ثمانية أعضاء من أهل اللياقة والاستحقاق والغيرة والحمية . ثم جمعت الاوراق وأحصيت الاصوات بكل ضبط وتدقيق فأصابت الاكثرية ميخائيل سعادة وانطونيوس سعادة وكومين ويوسف صالح وابراهيم نصري وباسيلي كومين وابراهيم عفيف ويوسف فهد وحبيب مرقس . وفي يوم الثلاثاء في اول آب وزع المتروبوليت على الاعضاء رقاعاً يعلمهم بهــا بصورة رسمية تعيينهم أعضاء مجلس الملة ويدعوهم مساء الخميس في الثالث من آب لعقد جلسة يُنظم فيها هذا المجلس وتُسَنّ قوانينه .

وألف ارسانيوس ، والبطريرك لا يزال في اللاذقية ، محكمة روحية يرى فيها مع الكهنة « جميع القضايا الدينية » . وبحث أمر الفقراء والمرضى في مجلس الملة فانتقي بموافقة الاعضاء اربع عشرة سيدة وكتب اليهن ودعاهن الى بيت المسيو نقولا فيتالي قنصل انكلتره فبين غاية الجمعية التي سماها باكورة الاحسان وحثهن على كساء المعوزات من بنات السترة ومساعــدة الفقيرات وزيارة المريضات واصلاح بعض العادات عملا بالمنشور البطريركي الرعائي .

مجلس الملة في طرابلس : وفي السابع والعشرين من آب سنة ١٩٠٠ دعا غريغوريوس متروبوليت طرابلس عموم الشعب الارثوذكسي الى دار المطرانيــة لاجل انتخاب اعضاء المجلس الملي . فلبى الدعوة فريق من ابناء الملــة وجرى الانتخاب على محوره القانوني فنال اكثرية الاصوات قيصر بك نوفل والافنديـة

جرجس نقاش وحنا الغريب وسامي صراف وادوار كاتسقليس وعبدالله نحـــاس واسعد صوايا وسامي خلاط وابراهيم صدقة وانسطاسي زريق واسعد عرقية .

مـــا لقيصر لقيصر : ورأى البطريرك الانطاكي ان الواجب يقضي بالاحتفال بالعيد الفضي السلطاني فأرسل الى مطارنة الكرسي منشوراً رعائياً اوجب فيه بذل الجهد المستطاع في اعداد الزينة ابتهاجاً بالعيد الفضي السلطاني والاجتماع في الكنائس للدعاء ببقاء ولي النعم مؤيداً بالنصر . فنفذ الامر البطريركي في جميع الابرشيات وابرق المطارنة كل بمفرده وباسم رعيته الى الاعتاب السلطانية . ولنا في تقرير دونه باسيل جباره وضمنه اخبار هذا الاحتفال في حماة ما ينبئنا عما جرى في الكنائس من هذا القبيل . فهو يقول انه اقيم في يوم العيد في حماة قداس حبري حضره اعيان المسيحيين والشعب وانه قبيل ختام القداس حضر وكيل المتصرف « فرتلت اولا المجدلة الكبرى ثم قرئت رسالة بولس الرسول الآمرة باقامة صلوات وابتهالات من اجل الملوك والحكام والانجيل الذي صرح فيـــه السيد بوجوب اعطاءما لقيصر لقيصر وما لله لله وبعده تلا نيافة المطران غريغوريوس متروبوليت حماه طلبات حارة من اجل حفظ جلالـــة السلطان وتأييده بالنصر فأمن عليها الشعب اجمع . وفي الليل اقيمت الافراح عموماً حتى كنت تحسب ان في كل بيت عرساً (١) . وجرى مثل هذا في حلب برئاسة متروبوليت ديار بكر سلفسترس (زرعوني) .

حيث دُعي المؤمنون مسيحيين اولا : وفي الحادي والثلاثـــين من آب سنة ١٩٠٠ ابرق البطريرك الانطاكي الى رئاسة مجلس الملة في الاسكندرونة ينبيء بوصوله اليها بحراً في الرابع من ايلول . فاجتمعت الملة في بيت وكيل البطريرك حنا افندي ظندي صايغ . وانجلى قرار هـــذه الهيئة عن تأليف لجنة خصوصية للاستقبال . ثم ابرقت هذه اللجنة الى حلب وانطاكية وعرصوص بقدوم البطريرك فأخذت الوفود تتوارد من جميع الجهات . وفي صباح الرابـــع من ايلول اطلت الباخرة النمساوية رافعة العلم العثماني . فهرع لاستقبال غبطته اعضاء مجلس الملـــة

١) المنار : ٧ ايلول سنة ١٩٠٠ ص ٨١١ ــ ٨١٢

والوجهاء وممثلو الطوائف المسيحية . وارسل قومندان الدارعة العثمانية الراسية في مياه الاسكندرونة زورقاً خصوصياً لينقل البطريرك الى الـــبر . ولما ضاق ظهر الباخرة بالوفود نزل البطريرك والحاشية والوجوه والاعيان الى البر فاستقبله الكهنة الارثوذكسيون والارمن بالحلل الكنيسة والصليب والانجيل . واخذت سلامـــه فرقة عسكرية كاملة. فبارك الجماهير وذهب تواً الى الكنيسة فصلى وشكر وبارك. ثم صعد الكرسي وعلى جانبيه قائمقام البلدة علي نسيب بك وقائـــد الموقع وقنصل فرنسة . فلفظ الارشمندريت بولس ابو عضل خطابـــاً اختتمه بالدعاء للسلطان وتكلم الاب بابا يوركي باليونانية مرحباً. ثم انتقل البطريرك الى الكنيسة الارمنية « فدخل هيكلها وصلى وبارك » ثم قال ان اعظم سروره في الحيـــاة ان يرى الشعب المسيحي متحداً برابطة الحب مؤتلفاً ائتلافاً سلمياً تحت ظـل المتبوع الاعظم . ووقف كاهن الارمن وتكلم بالتركيـــة شاكراً . وفي اليوم التالي زار البطريرك القائمقام والقومندان وقنصل فرنسة فاستقبل بالحفاوة التامـــة . وأنعم غبطته على نجل حنا افندي صايغ وكيله في الاسكندرونة بثلاث مادوليونات من الذهب الخالص مرصعة بالحجارة الكريمة تمثل قيامة الفادي وعليها رسم البطريرك ملاتيوس الثاني (١) .

وتكاملت وفود الانطاكيين فركب البطريرك عربـــة خصوصية وواكبته كوكبة من الفرسان وخرج في طريقه الى حيث دُعي المؤمنون مسيحيين اولا . ولما بلغ موكبه منتصف الطريق اتى للترحيب بغبطته كاهن بيلان الارمني ووجوه طائفته فيها . فدخل كنيسة الارمن وصلى وبارك وحضّ الشعب على اداء فريضة العبودية للمليك الاعظم. وسار من بيلان قاصداً انطاكية. فلما بلغ نهر البطريركين وجد في استقباله كثيرين من اهالي انطاكية بينهم مهران افندي نجل قنصل المانية. فاستراح وتناول الغداء . ثم استأنف السير الى ان بلغ قسطل الدنك على بعـــد نصف ساعة عن انطاكية فوجد فيها كبار الموظفين والرجال العسكريين وحيتـــه فرقة كاملة من الجيش . وجلس عن يساره قائمقام انطاكية وسار باحتفال عظيم

١) تشريف غبطة البطريرك الانطاكي لجرجي حنا ديب : المنار ١٩٠٠ ص ٤٢ ــ ٤٤

فدخل مدينة الله انطاكية العظمى وذهب توّاً الى كنيسة القديسين بطرس وبولس وقدم الشكر لله ثم استناب الارشمندريت بولس ابا عضل ليدعو ويشكر . وزار في اليوم التالي السراي والثكنة .

كتاب التيبيكون : وبينما كان البطريرك يتفقد شؤون الرعية في ابرشيات الكرسي الانطاكي كان تلميذه البار الارشمندريت جراسيموس مسرّة يشتغل ليل نهار ليفاجيء معلمه بهدية تقر لها عينه. فانه اعتمد الطبعة القسطنطينية الاخيرة من كتاب التيبيكون المصدقة من مجمعها المستعملة في كنيستها العظمى واضاف اليها فوائد من تيبيكون القديس سابا وكتب الخدمة وسبكها بعبارة عربية خالصة وطبعها على نفقته وحبسها وقفاً توزع على جميع كنائس الكرسي الانطاكي وابرشياته واديرته في المدن والقرى تذكاراً لارتقاء معلمه راعي الرعاة كيريوس كيريوس ملاتيوس الثاني على السدة البطريركية الانطاكية .

وجاء تيبيكون جراسيموس العربي في لمحة واربعة اقسام وملحق . واللمحة حوت ترتيب فرض المساء والسحرية وخدمة القداس الالهي في ايام الاحاد والاعياد على مدار السنة في جميع ظروف وقوعها . والقسم الاول حوى ترتيب الفرض مساء وصباحاً وخدمة القداس الالهي في بحر الاسبوع وفي يوم الاحد وصلاة المساء الصغرى وترتيب السهرانة مع صلاة المساء الكبرى . والقسم الثاني تضمن تيبيكون الميناون اي اعياد الشهور الاثني عشر كالاعياد السيدية واعياد القديسين الممتازين. والقسم الثالث حوى تيبيكون التريودي الذي تضمن ترتيب الخدم من احد الفريسي والعشار الى يوم السبت العظيم المقدس كخدمة الصوم الاربعيني مع ما فيها من الصلوات المسائية والسحرية وصلاة النوم الكبرى وخدمة المديح وقداس البروجيازمينا وخدمة سبة الآلام المقدسة . والقسم الرابع تضمن خدمة اعياد البنديكستاري من احد الفصح المجيد الى احد جميع القديسين . والملحق شمل ترتيب حفلات كنائسية كتكريس الكنيسة والغسل الالهي الشريف الذي يقام يوم الخميس العظيم ولا سيما كيفية الاحتفال به في مدينة الله اوروشليم المقدسة وشرطونية رؤساء الكهنة وخدمة جنائز الراقدين . وذيل جراسيموس هذا الكتاب

بتفسير مختصر للكلمات اليونانية الواردة فيه .

التعاليم السنية : وبر بالبطريرك تلميذ اخر وهو غريغوريوس (جبارة) متروبوليت حماة فأكمل في اواخر السنة ١٩٠٠ كتاباً دافع به عن العقيدة الارثوذكسية وأسماه التعاليم السنية . ورفعه الى معلمه ملاتيوس الثاني البطريرك الانطاكي . فلمس المعلم فؤاد الكتاب الجديد فدفعه الى الطبع ورسم بأن يوزع مجاناً على كهنة الكرسي والجمعيات الخيرية .

واورد غريغوريوس في هذا الكتاب مقدمة في ماهية السر عند الكنيسة ثم استهل الابحاث اولا في سر الثالوث الاقدس . وهنا اثبت ما جاء في الكتاب المقدس من الآيات الباهرة الناطقة بهذا السر السامي على العقول البشرية . وبحث في انبثاق الروح الكلي قدسه من الله الآب . فقال ان الاعتقاد بأن الروح القدس ينبثق من الاب والابن مخالف للتعليم الالهي لان « الله لم يره احد قط الابن الوحيد الذي في حضن الاب هو نفسه قد أخبر » (١) . ولان هذا الابن الوحيد أخبر ان «ان الروح القدس من الاب ينبثق» (٢). ولان الواجب يقضي بالاقتناع بما علمه الرب والاعتقاد به بدون زيادة «والابن» حذراً من المذكور في الرؤيا «من زاد شيئاً على هذه يزيد الله عليه الضربات ومن اسقط يسقط الله نصيبه من الحياة» (٣) ثم يجيب غريغوريوس على الاعتراض بقول بولس « ارسل الله روح ابنه الى قلوبكم » (٤) وبالقول « كل ما للاب فهو لي » وغير ذلك من الاعتراضات .

ثم تكلم غريغوريوس في الاسرار اجمالا فتفصيلا . ولما اكمل البحث في هذه الاسرار الجليلة انتقل الى الكلام في رسم علامة الصليب الكريم وفي الآيات الكريمة التي تؤيد القول ان العذراء هي والدة الاله . ثم اتى على تحقيق الشفاعة ووجوب استمداد صلوات القديسين ثم ذكر الشواهد الكتابية على اكرام

١) انجيل يوحنا ١ : ١٨
٢) انجيل يوحنا ١٥ : ٢٦
٣) رؤيا يوحنا ٢٢ : ١٨
٤) الرسالة الى اهل غلاطية ٤ : ٦

الايقونات المقدسة وبحث بحثاً جليلا في ان الخلاص يلزم لنيله ايمان مستقيم واعمال صالحة . وقفّى بنبذة نفيسة في ان الصوم مأمور به من الله . واختتم هذه الحقائق بالكلام عن اعتقاد كنيستنا المقدسة الارثوذكسية وكونها ما حادت ولن تحيد عما تسلمته من الرسل الاطهار والآباء القديسين محافظة على وديعة الايمان النقي في كل العصور حتى انقضاء الدهر .

رفيق المسافر : ونشط في هـذه الفترة عينها عبده يني بابا دوبولوس فعرّب عن اليونانية كتاب رفيق المسافر الذي أعد بسعي المعلم فوتيرا وباجازة المجمع القسطنطيني المقدس . ومما قاله معربه ان الواجبات الدينية والفروض الكنائسية هي من اخص الالتزامات الاولية على كل مسيحي قويم الرأي. واضاف المعرب انه لما كانت هـذه الفروض صعبة التناول لتفرقها في كتب شتى اي في كتب الانجيل الشريف والرسائل والسواعي وخدمة القداس والتريودي والبندكستاري والميناون والمعزي وغيرها وكان جمعها لا يتسنى لكل فرد لندرة وجودها او لغلاء اثمانها فقضت الضرورة بنقل هـذا الكتاب من اليونانية الى العربية .

شفاعة القديسين : وظهر في حمص في السنة ١٨٩٦ بحث شائق متين في اثبات شفاعة القديسين . ومن اجمل ما جاءَ في هذا البحث الارثوذكسي المُغْفَل الذي نشرته جمعية الغاية الجليلة الارثوذكسية القول بوحدة المؤمنين بيسوع وبأنه لا شدة ولا ضيق ولا اضطهاد ولا جوع ولا عري ولا خطر ولا سيف بل ولا الموت نفسه يمكن ان يفصلنا وان انفصال المؤمنين عنا بحسب الجسد لا يمنع اتحادهم معنا بالروح. فالكنيسة موجودة على الارض وفي السماء. وهي منظورة. وغير منظورة فالاولى تحوي جميع الارثوذكسيين العائشين على الارض والثانية تضم نفوس الذين قضوا آجالهم في الايمان المستقيم والقداسة . ويؤيد وجود الكنيسة على الارض وفي السماء واتحاد الفريقين قول بولس : « قد اقتربتم من صهيون ومن مدينة الله الحي اوروشليم السماوية وجماعة ربوات الملائكة وموسم كنيسة الابكار المكتوبين في السماوات ومن الله ديان الجميع ومن ارواح الصديقين الكاملين ومن يسوع

وسيط العهد الجديد » . وهذا يدل دلالة واضحة على وجود الكنيسة في السماء وفي الارض . وبما ان رأس الكنيستين السماوية والارضية واحد وجب الاتحاد بينهما لئلا يكون للرأس الواحد جسمان .

وبناء على هذه الوحدة فالكنيسة المجاهدة على الارض تستدعي في صلواتها قديسي الكنيسة السماوية الظافرة لاجل معاضدتها لان صلاة البار تقتدر كثيراً في فعلها. وهكذا فان كنيستنا منذ نشأتها حتى الان تطلب في صلواتها شفاعة القديسين الذين جاهدوا على الارض لاجل المسيح لانهم بحسب درجاتهم اقرب لله منا ومتى اقترنت صلواتنا مع صلواتهم تتقدم الى عرش النعمة كبخور ذكي فينعم الله علينا بما نلتمسه منه لانه يستجيب للابرار .

جمعيات التعليم المسيحي : وأدى نشاط المبشرين الكاثوليكيين والبروتستانتيين في حقل التعليم واقدامهم على اجتذاب الاحداث الى كنائسهم الى نشاط مماثل في الاوساط الارثوذكسية وسعي حثيث لبث التعاليم المسيحية الارثوذكسية في المدارس الملية وخارجها . وسبقت ابرشية بيروت غيرها من الابرشيات في هـذا المضمار فنشأت فيها منذ السنة ١٨٧٧ جمعية التعليم المسيحي وتلتها في السنة ١٨٨٢ جمعية القديس بولس. ومرت العدوى الى سائر الابرشيات فلم تخلُ ابرشية من جمعية تعنى بنشر التعاليم المسيحية الارثوذكسية. وظلت بيروت في طليعة الابرشيات في هذا الحقل من العمل بهمة ايكونوموسها الخوري الياس مجاعص ونشاط ابنها الغيور فضل لله ابي حلقة. وبدأت هذه الجمعية بجمع شبان الملة واولادها في ايام الآحاد والاعياد لتتلو عليهم فصولا من الكتاب المقدس وتآليف الآباء الاطهار ومواعظ وخطباً تتناسب مع ظروف ذلك العصر . وكانت توزع على الاولاد صور بعض القديسين تنشيطاً وترغيباً . ثم دفعت عبده يني بابا دوبولوس الى وضع كتاب في التعليم المسيحي يتفق وسن الاحداث في الابرشية .

وفي مطلع السنة ١٨٩٩ أصدر احد اعضاء هذه الجمعية فضل الله ابو حلقة مجلة المحبة مرة في كل اسبوع وجعلها دينية علمية ادبية اخبارية ، وضمن عددها الاولى نبذة تاريخية في انتشار الديانة المسيحية في بلاد اليابان منقولة عن لسان

الياباني دانيال كونيسي ومقالة تاريخيـــة اخرى عن بيت لحم حيث ولد المسيح وذلك بعبارات انيقة رشيقة ترتاح لمطالعتها النفوس ووعدت المجلة يوم صدورها ان تقترح على ارباب الاقلام موضوعاً تجول فيه افكارهم وتعين لذلك جائزة لمن يحوز قصب السبق في هذا المضمار . وفي اوائل السنة ١٩٠٠ عينت جائزة قدرها عشر ليرات افرنسية وهو مبلغ كبير في ذلك العصر ، لمن يقدم لها تقريراً مسهباً عن الكرسي الانطاكي يشتمل على سلسلة البطاركة الانطاكيين بوجه الايجاز وعلى اقسام الابرشيات قديماً وحديثاً واسمـــاء المدن والقرى والمزارع وعدد سكانها الارثوذكسيين وعددالكنائس واسمائها في كل مدينة وقرية وعدد الكهنة وعددالكنائس والمعلمين والمعلمات والتلاميذ وحاجة الملة في كل ابرشية وسبيل سدد الخلل فيها .

جمعية القديس بولس البيروتية . وفي صيف السنة ١٨٨١ اصطاف احد الغيورين الارثوذكسيين في قرية برمانا من قضاء المتن . ولدى سماعـــه القداس الالهي في كنيستها لم يكد يفهم ماكان يتلوه كاهنها لقلة بضاعته وكبر شيخوخته وبعد انتهاء القداس اجتمع هذا الغيور ببعض وجوه القرية وقال انه لا يناسب ان يستمر كاهنكم في الخدمة لعجزه ولاسيما والملة كثيرة العدد هنا . فأجابوه : يا ليت هذا الكاهن مختص بخدمة كنيسنا فقط فانه يخدم كنائس اخرى في القرى المجاورة لخلوها من الكهنة . فحثهم على انتخاب كاهن او اثنين . ولدى عودته الى بيروت جمع بعض الاخوة من ذوي الغيرة والمحبة وبين لهم حالة الملة في لبنان وانه يجب النظر اليها بتأليف جمعية تعنى بقرى الابرشيـــة . فبدأ هؤلاء يواصلون الاجتماع ويقرأون الكتب ويقيمون الصلوات حتى السنـــة ١٨٨٣ عندما قابلوا غفرائيل متروبوليت الابرشية وعرضوا عليه مشروعهم . فسر الراعي الجليل وحض على مواصلة الاجتماع والصلوات وأطلق عليهم جمعية القديس بولس الرسول ثم سن لهم قانوناً وباركهم .

وفي اول ايار السنة ١٨٨٣ التأمت جمعية القديس بولس جمعية قانونية برئاسة غفرائيل ونيابة الشماس غريغوريوس حداد (المطران فالبطريرك) وعضوية الخوري جراسيموس فواز رئيس دير القديس يوحنا دومـــا والخوري جرجس قطيط

والخوري جرجس جنحو والاخوة ابراهيم حايك وابراهيم سعد والياس يوسف سعد وحنا ثابت وفرج الله رزق الله وفضول صباغة وفضول العم ولطف الله الزهار ولطف الله منسي ومتري حايك ومتري سماط وجبران بشور وجرجس قرداحي ونقولا كفوري .

واتصل رئيس الجمعية بالمجمع الروسي المقدس فتبرع هذا المجمع بالف روبل وبكثير من الايقونات والاواني الكنسية . وبذل اعضاء الجمعية من اموالهم الخاصة وجمعوا من غيرهم . واخذوا يطوفون في جهات لبنان من قرية الى قرية ومن مزرعة الى مزرعة يساعدون الكنائس ويؤسسون المدارس . واندفعوا الى خارج ابرشية بيروت ولبنان فعملوا في راشيا وكفرمشكي وظهر الاحمـــر وعكار وغيرها . وسعوا في نشر نفائس الكتب الدينية على نفقتهم فطبعوا البوق الانجيلي والاورولوغيون الكبير والتعليم المسيحي وما اشبه من الكتب الجليلة .

الغاية الجليلة في حمص « وهبّ مثـــال الغيرة والتقوى الطيب الذكر اثناسيوس متروبوليت حمص وتوابعها لرعاية ابرشيته فرأى كلمة الله حيـــة فعالة أمضى من كل سيف ذي حدين وخارقة الى مفرق النفس والروح والمفاصل فتدرع بالاعمال الصالحـــة التي بها اكمل الايمان فأنشأ المدارس بالتعاون مع الجمعيـــة الامبراطورية الروسية ووجد في خليل بيدس خير مدير لهذه المـــدارس ونظم الجمعيات واللجان للعمل . ففي السنة ١٨٩٦ ألف اثناسيوس جمعية الغاية الجليلة لنشر الفضيلة فعينت هذه الجمعية مطالعة الكتب المقدسة وتفسيرها وتأسيس مكتبة وطنية عمومية يستفيد من مطالعتها سواد الملة .

وانتظمت في السنة ١٨٩٨ جمعية بوق النجاح في نور العفاف والاصلاح فجمعت كتيبة نشيطة من سيدات حمص وكرائمها فكانت تلتئم كل اسبوع في يوم الاحد لتلاوة الاقوال الروحيـــة والاناشيد الدينية فيتذاكرن في كلمة الخلاص وينصرفن لتشجيع الاعمال اليدويـــة واقتلاع العادات الضارة لتخفيض نفقات ربات البيوت .

اخوية التقوى في أزمير : ولم تنحصر هذه النهضـــة المباركة في كنيسة

مدينة الله انطاكية العظمى وجدها فخطر التبشير الغربي هدد اخواتها في اوروبة واسية وافريقية كما هددها في جميع ابرشياتها . وكان من نتائج هذا التهديد في ازمير ان انتظمت في السنة ١٨٩٣ لجنة روحية اعضاؤها من العامة واكثرهم صناع وفعلة . واتخذت هذه اللجنة لنفسها الاسم اوسيبيا وجعلت غايتها انهاض الحياة الروحية والبشارة بالانجيل . وتزعم اعمالها كركور فافيادس وتكاثر الاعضاء العاملون حتى اصبحوا في السنة ١٢٠٠ سبع مئة بينهم ثلاثون مبشراً من العامة : وبارك متروبوليت ازمير هذا المشروع وايده في ذلك بطريرك الاسكندرية وغيره من الرؤساء الروحيين اليونانيين في كل مكان .

شغور الكواسي : (١٨٩٩ ـ ١٩٠٢) وشغر كرسي اللاذقية مذ تسنم ملاتيوس الثاني عرش الرسولين . وحرد جرمانوس متروبوليت حلب وبنيامين متروبوليت ديار بكر منذ انتخاب البطريرك . وتوفي متروبوليت ارضروم . وفي الرابع عشر من ايلول سنة ١٨٩٩ رقد بالرب جراسيموس متروبوليت سلفكياس (معلولا وبعلبك وزحلة) وفي السابع من كانون الثاني سنة ١٩٠١ فاضت نفس غفرائيل متروبوليت بيروت ولبنان. وفي الرابع من تشرين الاول من السنة نفسها انصرف نيقوديموس متروبوليت عكار الى جوار ربه .

انتقاء المطارنة : وكان المجمع الانطاكي المقدس قد اتخذ قراراً في ربيع السنة ١٨٩٨ بوضع نظام على غرار نظام بطريركية القسطنطينية. وكانت الحكومة العثمانية قد أذنت له بذلك (١٤ اذار ١٨٩٨) فألف لجنة برئاسة ملاتيوس اللاذقية وعضوية اثناسيوس حمص وغريغوريوس حماة وغريغوريوس طرابلس وجراسيموس سلفكياس واشتراك بعض العلمانيين المتضلعين في نواميس الكنيسة ونظاماتها . وكانت هذه اللجنة قد انجزت منذ صيف السنة ١٨٩٩ نظام انتخاب البطاركة والمطارنة ونظام تأليف المجمع الانطاكي المقدس « الدائم » ووصلت الى نظام المجلس الزمني .

وفي السنة ١٩٠١ دبج غطاس قندلفت احد اعضاء هذه اللجنة المشتركين سلسلة مقالات في انتخاب الاساقفة وشرطونيتهم ونشرها تباعاً في مجلة المنار

الارثوذكسية في بيروت فأعلن ان اللجنة المشار اليها اقرت مواداً ثلاثاً في الصفات اللازمة لمن ينتخب للاسقفية . ونشر نص هذه المواد فجاءت معربة عن سياسة البطريرك الجديد في انتقاء المطارنة ومجمعه المقدس .

وجاء في المادة الاولى انه يجب على كل منتخب ان يكون عثمانياً عن أب وبلا لوم تجاه الدولة والملة وان يكون قد احرز شهادة بحسن حاله من المحلات التي اقام فيها وان يكون قد اتمّ الثلاثين من عمره تام الاعضاء من الذوات المعروفين عند الكنيسة ملماً بلسان الابرشية التي يعين لها . وجاء في المادة الثانية ان « رتبة الاسقفية تعطى لمن يثبت انه تعلم العلوم الكنائسية الارثوذكسية في المدارس الارثوذكسية ونال شهادتها » . ونصت المادة الثالثة على كيفية الترشيح والانتخاب فأشركت الابرشية في « ترشيح ثلاثة من الذوات الذين احرزوا الصفات المحررة في المواد السابقة » وأوجبت على البطريرك ان يبلغ المطارنة اسماء هؤلاء في ظرف اسبوع واحد وان يدعوهم الى الانتخاب بعد اسبوعين (١) .

وأنهى غطاس قندلفت مقالاته سائلا الله ان يأخذ بيد البطريرك والمطارنة ويمكنهم «سريعاً » من اقامة الرعاة اللازمين الى الابرشيات المترملة « جرياً على ما تفرضه القوا ن الكنسية التي لا تسمح ان تلبث الابرشيات مترملة مدة طويلة وعملا بما يقتضيه صالح الرعية وتعزيز شأن الارثوذكسية دفعاً لمطامع من لا يرغبون في صالحها الحقيقي ويشمتون بضعفها وانحطاطها ويقفون لها بالمرصاد . ولا يهمهم نجاح كنيسة تاريخية قديمة مهمة في جسم الارثوذكسية » (٢) .

وعمل البطريرك بتوصيات المجمع وبمؤازرته فسام ارسانيوس (حداد) شماس غفرائيل متروبوليت بيروت مطراناً على اللاذقية في الثاني من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ وفي الخامس والعشرين من اذار السنة نفسها سام سلفسترس (زرعوني) مطراناً على ديار بكر . وكان سلفسترس قد لبس الاسكيم في دير البلمند ثم التحق بملاتيوس في اللاذقية فغريغوريوس في طرابلس شماساً انجيلياً . ثم رسم قساً وأرسل

١) انتخاب الاساقفة لغطاس قندلفت : مجلة المنار ١٩٠١ ص ٣٧٨
٢) المرجع نفسه ص ٣٧٨ ـ ٣٧٩

الى ترسيس لخدمة ابنائها فأقام فيها تسع سنوات (١) . وفي اول كانون الثاني سنة ١٩٠٢ سام قسطنديوس (طرزي) مطراناً على ارضروم . وكان قد لبس الاسكيم في دير مارتقلا معلولا سنة ١٨٥٩ ودرس اللاهوت وسائر العلوم الدينية فيمدرسة الريزاريون في اثينا وزار اوروبـــة واميركة وخدم في الكرسيين الاوروشليمي والاسكندري . وخص ملاتيوس الثاني حلب بعنايته فسام ابيفانيوس (السمرا) متروبوليتاً على حلب والاسكندرونة وتوابعها في الثاني من شباط سنة ١٩٠٢ . ولد في دمشق سنة ١٨٦٧ ودرس في المدرســـة البطريركية في دمشق . ثم التحق باثناسيوس متروبوليت حمص فأخذ عنه التقوى والورع والعلم والموسيقى . فلبس الاسكيم سنة ١٨٨٤ ثم تبع معلمـــه الى حمص ودخل في خدمـــة غريغوريوس متروبوليت طرابلس وتولى رئاسة دير البلمند ودير مارجرجس الحميرا . وتفوق في الوعظ والكتابة والترتيبات الكنائسية . ثم انتخب المجمع المقدس الارشمندريت الكسندروس (طحان) رئيس الامطوش الانطاكي في موسكو مطراناً لابرشية ترسيس فسامه البطريرك في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٠٣ . وكان الكسندروس قد تميز بعلمه ففاز بالشهادة اللاهوتية الاولى من مدرســـة خالكي وأجاد الموسيقى الكنسية واللغات العربية واليونانية والتركية والافرنسية والروسية . وتحلى بالورع والتقوى فغبط الارثوذكسيون اخوانهم في ابرشـــية ترسيس وتمنوا مثـــل حالهم الحسنة (٢) .

« وحق للكرسي الانطاكي ان ينتزع عنه اثواب الحداد ويبرز بملابس العيـــد ويقابل باصوات الشكر آلاء العناية وانعطافها عليـــه وبابتسامة البشر مستقبله الوضاح ونهضته المليـــة . وانقضى زمن الترمل والتراخي وجاء وقت الجـــد والعمل . مضى الخريف بيبسه وعريه وبدت طلائع ربيعـــه الجميل واخذت اغصانه تكتسي بالاوراق . واكتحلت عين الناظر بمشهد جميل اذ

١) مجلة المنار : ٣٠ اذار سنة ١٩٠٠ ص ٤٤٥ – ٤٤٧

٢) مجلة المحبة ٦ نيسان ١٩٠٢ ص ٢٠٩ والمحبة ايضاً ٢٧ ايلول ١٩٠٣ ص ٤٩٥ وفيها وصف حفلة الوداع في موسكو . والمحبـــة كذلك ٦ كانون الاول ١٩٠٣ ص ٦٤٣ – ٦٥٣ وفيها وصف سيامته .

رأى الكراسي الفارغة تمـــلأ الواحد بعـــد الاخر برجال الهـــدى والفضل وشعوبها المتفرقة تنضم تحت رايـــة الجامعة والتعاضد واطلالها الخالية تبـــدو بمظهر الشباب والعمران . ولا يسع الناظر الى هـــذا كله ان يسكت عن اسداء الشكر لراعي الرعاة واعضاء مجمعه المقدس الذين ابـــدوا من الاهتمام بانتخاب اساقفة للابرشيات المترملة حقق بهم الظن انهم الرعاة المختارون للسهر على الخراف وقيادتها الى مراعي الخلاص » (١) .

ابرشية بيروت ولبنان : (١٩٠١ – ١٩٠٢) وشعر غفرائيل بانحراف في صحته في السادس والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٩٠٠ . ووافق ذلك اليوم عيد مولد السلطان فخرج للكنيسة لاقامة الدعاء للسلطان ثم عاد الى القلاية فلبس اوسمته ونزل الى دار الحكومة للقيام بواجب التهنئة باسم الروم . ورجع نحو الظهر ولزم الفراش متألماً . وكانت نزلة صدرية تثاقلت مع مرور الايام فمضى مستقبلاً وجه البقاء في السابع من كانون الثاني سنة ١٩٠١ . فطيّر منعاه الى البطريرك ، وكان لا يزال في انطاكية في جولته الرعائية ، والى المطارنة . فكتب البطريرك في العاشر من كانون الثاني معزياً محرضاً كهنة الابرشية على القيام بواجباتهم الروحية غـــير متقاعدين لتأييد الوفاق والمحبة راجياً من اولاده الوجهاء اعضاء القوميسيون ان يواظبوا بلا فتور لرؤية مصالح الطائفة والنظر في الدعاوى . وفي الثالث عشر من الشهر نفسه حرر الى الاحباء بالرب الافنديـــة يوسف سرسق وعموم اعضاء قوميسيون المطرانخانـــة في بيروت ذاكراً مآثر غفرائيل موافقاً على برقيتهم التي اعلموه بها عن اتفاقهم على تسميـــة الخوري اسبر الباشا وكيلا روحياً ويوسف افندي سرسق وكيلا زمنياً (٢) .

وكانت ابرشية بيروت ولبنان آنئذ أكبر ابرشيات كنيسة انطاكيـــة . فاحصاءات الجمعية الامبراطورية الفلسطينية لقبيـــل السنة ١٩٠٠ تجعل عدد

١) الانتخابات الاسقفية في الكرسي الانطاكي لادارة مجلة المحبة ٩ شباط سنة ١٩٠٢ ص ٧٥ – ٧٦

٢) المحبة ٢٧ كانون الثاني سنة ١٩٠١ ص ٣٣ – ٣٦

« العائلات » الارثوذكسية في كنيسة انطاكية كما يلي (١) :

انطاكية ودمشق	٢٩٠٠	ديار بكر	١٠٠٠
صور وصيدا	١٨٠٠	ارضروم	١٢٠٠
سلفكياس (زحلة بعلبك)	٢٥٠٠	ترسيس وادنة	٢٠٥٠
حمص	٢٥٠٠	اللاذقية	٥٠٠٠
حماة	٢٨٠٠	عكار	١٠٠٠٠
حلب	٨٠٠	طرابلس	١٦٠٠٠
		بيروت ولبنان	٢٠٠٠٠

وكان غفرائيل يلاقي من المتاعب والمشقات في سياسة ابرشيته هـذه الواسعة الكبيرة ما ينوء بحمله كل رئيس . فان دورتـه الرعائية في لبنان كانت تستغرق اكثر من نصف السنة ومع ذلك لم يكن يستطيع النظر في كل الشؤون التي تعرض عليه ولا الاهتمام بكل ما تدعو اليه الحاجة من الاصلاح والاعتناء بشؤون الكهنة والكنائس. وكانت جمعية القديس بولس في بيروت قد لمست هذه المتاعب قبل وفاة غفرائيل ببضع سنوات فبحث أمر قسمة الابرشية الى ابرشيتين في احدى جلساتها العمومية . وقام نجيب طراد فالقى خطاباً في هـذا الموضوع على مسمع غفرائيل فأبان حالة الطائفة في لبنان وما كانت عليه من الانحطاط وأيـد كلامه بالتقارير الوافية وذكر المصاعب التي كان غفرائيل يلاقيها في اصلاح الخلل وما كان يحول دونه من كبر الابرشية وتعدد حاجاتها وكثرة مطالبها . فلاقي رأيـه استحساناً واستصواباً من جميع الحاضرين (٢) .

فلـما انتقل غفرائيل الى دار القرار تفاوض اللبنانيون في شأن فصلهم الروحي فأقرّ عليه رأيهم ورفعوا الى البطريرك والمجمع المقدس العريضة التالية :

« نحن ابناءكم الروحيين القاطنين في جبل لبنان نرفـع الى المجمع الانطاكي المكاني المقدس بشخص قداستكم الوافر الشرف هذه العريضة البنوية التي نقدمها بمزيـد الاحترام متضمنة طاعتنا وتمسكنا بالحقائق الارثوذكسية المقدسة وعرضنا ما يأتي :

1) *Echos d'Orient, 1900, 146 - 147 ; Vailhé, S., Antioche, Dict. Theol. Cath., I, Col. 1415 - 1416.*

٢) « بولس مطران جبيل والبترون » لادارة مجلة المحبة : ١٢ نيسان ١٩٠٣ ص ١٨٢ – ١٨٣

« ان الفادي رسول الخلاص العظيم عندما ارسل تلاميذه الرسل بعد قيامته للكرازة في المسكونة كلها اقترعوا على اماكن رسالتهم كما يخبرنا بذلك سفر اعمال الرسل فوقعت سوريـة التي نحن جزء منها نصيباً لسلفكم القديس بطرس الرسول . فأتى من اوروشليم ماراً بالمـدن حتى انتهى الى بيروت فاقام القديس كوارتس اسقفاً عليها . ثم مضى الى جبيل واقـام عليها اسقفاً القديس يوحنا الملقب مرقس . ثم مضى الى البترون فاقام القديس سيلا اسقفاً عليها . وهكذا تدرج الى الكراسي الاخرى كما شرحت ذلك كتب آبائنا القديسين وعلمائنا الاعـلام ولا سيا سلفكم الطيب الذكر البطريرك مكاريوس الحلبي .

وعليه فان لبنان وطننا العزيز كان فيه اسقفيتان من وضع القديس بطرس . وعلى هذا التقسيم الرسولي ظلت الكنيسة تنمو متدرجة في صدر الديانة المسيحية . ثم لمـا هدى الله القديس قسطنطين المعظم ازداد عدد الكراسي ونما كثيراً فكان للبنان في ايام ازدهار الايمـان كراسي كثيرة زاهرة بالرؤساء الروحيين الاتقياء والشعب الوافر الطاعة والمستقيم الايمان . لكن الله شاء بسماح الهي ان تجرب كنيسته وصادمها بعض المحن فقل عدد المسيحيين في لبنان كـما قل في سواه ولذلك ضم الى ابرشية بيروت .

« والان بنعمة الفادي ختن الكنيسة وعروسها الطاهر قد نمت ابناء البيعة المقدسة في ظل ظليل دولتنا الابدية القرار بجبل لبنان نمواً غزيراً . واصبحوا بحمده تعالى رعية متسعة نحو خمسين الف . وهو عدد يربو على عدد ابرشيتين سوى ابرشية بيروت في عهد المثلث الرحمـات المطران غفرائيل الطيب الذكر .

« ولما كانت تقاليد الكنيسة تؤذن للشعب العديد ان يتولى رعايته راع خاص وكانت ابرشية لبنان مستقلة اصلا عن بيروت كان من المعدلة والرحمـة ان تستجيبوا ملتمس ابنائكم الروحيين ابناء البيعة الارثوذكسية في لبنان وتمنحوهم بنعمة الله الانفصال روحياً عن ابرشية بيروت لانه يتعذر على الراعي ان يطوف في كل الابرشية ان كانت بيروت ولبنان ابرشية واحدة كـما ثبته الواقع في حياة المثلثي الرحمات رعاتنا السالفين حتى كان يمر بضع سنوات ولا تشاهد كنائسنا مطراننا الرسمي وذلك لاتساع دائرة الابرشية . فـمن الواجب ان نطلب الانفصال ليتمكن راعي لبنان الخاص ان يتفقد قطيعه بأسره .

« ولما كان رعاة لبنان الاولون لا ينقصون منزلة ورئاسة عن رعـاة بيروت ولا عن سواها جئنا نلتمس من جنابكم الرسولي ان تقيموا لنا راعياً من ذات درجـة احبار الابرشيات الاخر . ونحن مستعدون للقيام بكل احتياجاته عن رضى وطيبة نفس .

« ونؤكد لغبطتكم وللسادة المطارنة الاجلاء ان انفصالنا لا نقصد بـه الا الحصول على نجاح مستمر ونمو متواصل واننا كنا ولا نزال نحب اخواننا ابناء ابرشية بيروت حسبما اوصانا الرسول اننا نعرف انفسنا اننا اولاد الله لاننا نحب بعضنا بعضاً .

« فنسترحم من سدتكم الرسولية باسم ابنائكم ارثوذكسي ابرشية لبنان ان يلتئم مجمعكم المكاني

المقدس ويستدعي اليـه كهنتنا ونواب شعبنا لعرض حقوقهم العادلة ليجري الفصل قانونياً ويقرر تحت رئاستكم استجابة ملتمسنا كنائسياً . وفي الختام نسأل العزة الالهية دوام رئاستكم السعيدة ايهـا السيد الجزيل الطوبى » .

فصل لبنان عن بيروت : (١٩٠١) وعرض مـلاتيوس البطريرك هذه العريضة وغيرها على المجمع الانطاكي المقدس وجرت المفاوضـة بشأنها . وبعد المذاكرة قرر المجمـع باتفاق الاصوات في جلستـه المنعقدة يوم السبت في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ اجابة سؤل اللبنانيين وفصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلا روحياً مطرانية بيروت وجعلها ابرشية لوحدها منفصلـة روحياً عن بيروت . وأصدر البطريرك المنشور الاتي الى اللبنانيين :

نومرو ١٦٣٧ : ايهـا الابناء الاحباء بالرب قدس الكهنة الورعين والافندية والمشايخ والاختيارية وعموم المسيحيين الارثوذكسيين في انحـاء جبل لبنان المباركين . نعمة لكم ورحمـة وسلام من لدن الله الآب ابينا والرب يسوع المسيح فادينا والروح القدس المعزي الصالح ينبوع كل تعزية وعطية صالحة .

« وبعد فاننا نهديكم دوماً طالبين اليـه تعالى من اجل حفظكم وصيانتكم ونجاحكم روحياً وزمنياً ونموكم في كل اعمال الصلاح لاجل اعتلاء شؤونكم وزيادة معموريتكم وبنيانكم في الرب .

« وبناء على المعروضات المتقدمة الينا من لفيفكم قد افتكرنا ملياً مع هيئة السينودوس المقدس المجتمع لدينا الان . وفي الجلسة السينودسية المنعقدة اليوم قد تقرر فصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلاً روحياً لمطرانية بيروت . ولاجل هذه الغاية قـد انفذنا الان من قبلنا اخوينا السيدين كير اثناسيوس مطران حمص وما يليها وكير ارسانيوس مطران اللاذقية وما يليها الوقورين وهما يذكران للفيفكم المحبوب كل ذلك شفاهاً ايضاً .

« وبما ان العمل المشار اليه انمـا هو لاجل ازدياد معمورية لبنان روحياً وهناء احوال رعيته المحروسة وفلاحها في الرب لا شك انكم تقبلونه بملء الارتياح والرضا والشكر لعنايتنا الرعائية واهتمامات سينودس كنيستنا الانطاكيـة المقدسة وتبادروا معاً طالبين الى الهنا القادي الوحيد خـتن كنيستنا الارثوذكسية المقدسة

وراعي رعاتها الالهي ان يلهمكم لتسمية ثلاث مرشحين لموقع الانتخاب من رجال اكليروس كرسينا البطريركي المقدس المعروفـين بالفضيلة والتقوى والآداب المسيحية وسعة المعارف الروحية والاطلاع لتقدموهم الينا باقرب ما يمكن لاجل اجراء الانتخاب القانوني وتعيين من تختـاره نعمة الروح الكلي قدسه مطراناً لابرشيته هذه المحروسة .

« ونحن من الآن نبسط أكف التوسلات الحية تعالى سبحانه ان يوفقكم الى كل خير والصلاح ويصون حياتكم الثمينـة ويزيدكم نجاحاً وفلاحاً وينميكم كباراً وصغاراً بالعفاف وحسن العبادة وخوف الله ويباركـكم جميعاً بيمينه القدوسة وينقذكم من كل شر وضرر بشفاعة سيدتنا والدة الاله مريم البتول النقية وجميع القديسين .

« نعمة ربنا يسوع المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس لتكن مع جميعكم ايها الاحباء للدوام . عن الشام في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ .

الداعي لجميعكم بالرب
ملاتيوس
بطريرك انطاكية وسائر المشرق »

الترشيح والانتخاب : وعلى أثر ورود هـذا المنشور البطريركي اجتمع اللبنانيون من كل القرى وأقاموا وكلاء عنهم لاجراء الترشيح القانوني . وبعـد المذاكرة قرر هؤلاء باتفاق الأصوات رفع عريضة للبطريرك يفوضون بها غبطته والمجمع المقدس بانتخاب ذات يليق بالمنصب . فالتأم المجمع في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ وقرر باتفـاق الأصوات انتخاب الارشمندريت بولس ابي عضل مطراناً للابرشية الجديدة ابرشية جبيل والبترون وما يليها . وفي الثالث من شباط سنة ١٩٠٢ تمت السيامة في الكاتدرائية المريمية في دمشق .

بولس متروبوليت جبيل والبترون : (١٨٦٥ ــ ١٩٠٢) ولد في دمشق في السنة ١٨٦٥ من ابوين ارثوذكسيين حبيب وافذوكية فسمياه عزيزاً . ودخل المدرسة البطريركية فأخذ اليونانية والموسيقى الكنسية عن اثناسيوس متروبوليت

حمص فيما بعد . ودرس العربية والرياضيات على ضاهر خيرالله الشويري والتركية على جبران لويس . ومنحته المدرسة جائزة الامتياز في العلوم واللغات . وفي آب السنة ١٨٨١ أرسله ايروثيوس البطريرك الى القسطنطينية ليتمم دروسه فيهـا . فالتحق بمدرسة الفنار سنة واحدة ثم انتظم في سلك طلبة كلية خالكي اللاهوتية . وأقام في هذه الكلية سبع سنوات وانهى دروسه في السنة ١٨٨٩ نائـلا شهادة الحذاقة في اللاهوت مجيداً العربية واليونانيـة والتركية والافرنسية . وسيم شماساً انجيلياً في كنيسة خالكي وسمي بولس .

وعاد بولس الى الوطن فانضم الى معية البطريرك جراسيموس واحيلت اليه رئاسة القلم . واستمر في المعية البطريركية في عهد اسبيريدون . وسنة ١٨٩٤ سامه هذا البطريرك قساً وارشمندريتاً . وتولى بولس بالاضافـة الى اعماله القلمية رئاسة المدرسة البطريركية في السنتين ١٨٩٤ ١٨٩٥ . وانتظم في المحكمة الروحية البطريركية فسطر احكامها ونفذ مطالبها . وفاز بثقة المطارنـة اعضاء المجمع المقدس فأصبح كاتم اسرار هذا المجمع . واخلص لملاتيوس القائمقام البطريركي فالبطريرك فأحبه وعطف عليه .

منشور بولس الرعائي : (٣٠ اذار ١٩٠٢) وأصدر بولس متروبوليت جبيل والبترون وتوابعها منشوراً رعائياً في الثلاثين من اذار سنة ١٩٠٢ أعلن بـه انتخابه وسيامته وحض المؤمنين على الورع والتقوى والطاعة للسلطات الزمنيـة والدعاء للسلطان . وهو من افضل ما قرأنا لاي اسقف في اية لغة :

« المجد لله دائماً : بولس برحمة الله تعالى مطران جبيل والبترون ومـا يليها : النعمة الالهية والبركة السماوية فلتشملا نفوس واجساد ابنائنا الروحيين المحبوبين بالرب الكهنة الورعين والمشايخ المحترمين والذوات المعتبرين وارباب الحرف والفلاحين الاكرمين وسائر المسيحيين الحسني العبـادة الارثوذكسيين القاطنين في انحاء ابرشية جبيل والبترون ومـا يليها المحفوظة من الله . ليبارك الرب الاله عليهم وعلى حريمهم واولادهم وفي منازلهم وجميع اعمال ايديهم باتم البركات السماوية ويدفع عنهم شر كل محنة وبلية بشفاعات سيدتنا والدة الاله البتول النقية والرسل المشرفين الكلي مديحهم وسائر القديسين المختارين آمين .

امـا بعد فاننا نعلم محبتكم انـه بعد انتقال المثلث الرحمات السيد غفرائيل مطران

بيروت ولبنان الى الاخدار السماويـة وخلو الابرشية من راع قانوني لهـا ينظر في شؤونها ويدبر امورها رفع بنو الكنيسة الارثوذكسية المقدسة في جهات لبنان التابعة قبلا لهـذه الابرشية عرائض عديدة الى غبطة امام أحبارنا كيريوس كيريوس ملاتيوس بطريرك مدينة الله انطاكيـة العظمى وسائر المشرق الكلي الطوبى والفائق الاحترام مسترحمين فيها ان يقرر مجمعياً اعادة مجد كنيسة الله فيما بينهم بجعلهم ابرشية مستقلة كما كان في سابق الزمان وذلك لأسباب هامة سطروهـا في عرائضهم المذكورة . وبناء على ذلك عندما استدعى غبطته مصاف رؤساء كهنة الكرسي الانطاكي الرسولي المقدس الى دمشق مقره البطريركي ففي الجلسة المجمعية التي انعقدت يوم السبت الواقع في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ تحت رئاسته طرحت العرائض المذكورة لنظر المجمع المقدس . وبعـد قراءتها والتمعن بما حوته من الأسباب الموجبة لتقديمها والمذاكرة فيهـا ملياً اعطي القرار باتفاق الآراء « بفصل الانحاء اللبنانية التابعة قبلا روحياً مطرانية بيروت وجعلها ابرشية لوحدها منفصلة روحياً عن بيروت » كما قد اوضح غبطته ذلك في المنشور البطريركي الصادر في ٢٢ كانون الاول سنة ١٩٠١ تحت نمرو ١٦٣٧ . وانه بعد اجراء المعاملة القانونية لانتخاب رئيس لهـذه الابرشية عقد المجمع جلسة اخرى يوم الخميس الواقع في ٣١ كانون الثاني سنة ١٩٠٢ لاتمام الانتخاب . فعب اقامة الصلاة المفروضة واستدعاء نعمة الروح الكلي قدسه واعطاء الأصوات القانونيـة وقع الانتخاب بالاتفاق على حقارتنا . ويوم الأحد الواقع في ٣ شباط سنة ١٩٠٢ احتفل غبطته والسادة المطارنة الاجلاء بخدمة القداس الالهي وتمموا سيامتنا رئيس كهنة .

« وتقلدنا والحالة هذه رعاية ابرشية جبيل والبترون وما يليها المشتملة على ما كان تابعاً قبلا لابرشية بيروت ولبنان العامرة من المسيحيين الارثوذكسيين القاطنين في اقضية الشوف والمتن وكسروان والبترون والكورة بصفة مطران عليها لنقوم بايفاء مقتضياتها الروحية وبمهام الخدم الكنائسية التي مآلها نجاح أبنائها الروحيين من كهنة وعلمانيين في الايمان والتقوى والاعمال الصالحة لمجـد اسمه القدوس وخلاص النفوس .

وبناء عليه رأينا من الواجب ان نوجه الآن خطابنا هذا نحو محبتكم ايضاحاً لكل ما ذكر اعلاه وبياناً لما لنا وعلينا نحوكم من الحقوق والواجبات التي تتميمها يتكفل بالوصول الى الغايـة الحميدة التي لاجلها اسس رئيس ايماننـا العظيم ربنا يسوع المسيح كنيسته المقدسة واقام فيهـا الرعاة والمعلمين .

« ونوضح بادىء ذي بدء لمحبتكم اننا اذ قد اتخذنا على عاتقنا حمل هذه الرئاسة الثقيل نصرف كل ما في وسعنا لاتمام واجباتها الشريفة نحوكم اولا بالسهر على ثباتكم في الايمـان الارثوذكسي بالارشادات والتعاليم المبنية على « الكتب المقدسة القادرة ان تحكمكم للخلاص بالايمان الذي هو في يسوع المسيح » . وثانياً بالاهتمام في تدبير شؤونكم الروحية والنظر في مصالحكم بعين الحق والعدل واتخاذ كل الوسائط التي تؤول الى توطيد المحبة والالفة والسلام في ما بينكم وفي ما بـين جميع الناس لتكونوا راتعين في بحبوحة السعادة وتتنعموا بثمارها اللذيذة . واتكالنا في ذلك كله على نعمة الرب القائل «ان

قوتي في الضعف تكمل » « القادر ان يصنع كل شيء بحيث يفوق جداً ما نسأله او نتصوره على حسب القوة التي تعمل فينا . له المجد في الكنيسة في المسيح يسوع الى جميع اجيال دهر الدهور آمين » .

« اما واجباتكم ايها الابناء الاعزاء فتقوم بالطاعة لكلام الله والانقياد لنصائحنا وارشاداتنا الرعائية « حتى اذا تمسكتم بصورة الكلام الصحيح الذي تسمعونه منا في الايمان والمحبة التي في يسوع المسيح » « وحفظتم الوديعة الصالحة بالروح القدس الحال فيكم » تستحقون السعادة الحقيقية التي عني بها السيد بقوله « انما الطوبى للذين يسمعون كلمة الله ويحفظونها » . « فروضوا انفسكم على التقوى لان التقوى تنفع في كل شيء ولها موعد الحياة الحاضرة والمستقبلة » . اذا الواجبات عليكم بصفة كونكم مسيحيين حقيقيين هي ان تتمموا فروض الايمان القويم. ان تطالعوا الكتاب المقدس بالتمعن اللائق به . ان تسمعوا الصلوات في الكنائس بلا انقطاع بكل السكينة والاحترام لا سيما في ايام الاحاد والاعياد . ان تحافظوا على الصيامات الشريفة التي رتبها آباؤنا القديسون . ان تعملوا اعمالا تليق بالتوبة وتشتركوا بالاسرار الخلاصية الطاهرة بكل الوقار . وبالاجمال ان « تغنوا نفوسكم بكل عمل صالح » مستمرين على الايمان متأسسين وراسخين وغير منتقلين عن رجاء الانجيل الذي سمعتموه وكرز به في كل الخليقة التي تحت السماء » و « غير ناسين فعل الاحسان والمؤاساة لانه بذبائح مثل هذه يرتضي الله » . والله قادر ان يزيدكم كل نعمة حتى تكون لكم كل كفاية كل حين وفي كل شيء فتزدادوا في كل عمل صالح .

« وبنوع خاص نوصيكم ايها الكهنة الورعون : « احترسوا لانفسكم وللجماعة الرعية . كونوا قدوة لبنيكم الروحيين بالتعقل بالاحتشام بضيافة الغرباء بالحلم بالقناعة . مدبرين بيوتكم حسناً مجتهدين بتربية اولادكم في الخضوع بكل وقار . اتعبوا في كرمة الرب . وان عيرتم ليكن رجاؤكم وطيداً بالله الحي الذي هو مخلص الناس اجمعين ولا سيما المؤمنين . كونوا مثالا للمؤمنين في الكلام في التصرف في المحبة في الايمان في الطهارة . لاحظوا انفسكم والتعليم واستمروا على ذلك فانكم اذا فعلتم هذا تخلصون أنفسكم والذين يسمعونكم ايضاً » . صلوا من أجل سلامة العالم ومن أجلنا ذاكرين اسمنا في خدمة القداس الالهي وفي سائر الفروض الكنسية تبعاً للقوانين الشريفة .

« ايها الآباء لا تغيظوا اولادكم بل ربوهم بتأديب الرب وانذاره » . لا تتطلبوا لمعان المعارف الباطلة الخارجي الذي للتظاهر . بل اسعوا لتغذية نفوس بنيكم بالحقائق الراهنة التي تبهج العقل بنورها الوضاح وتنعش القلب بمعرفة الله المستخرجة من فحص نواميس مخلوقاته والتأمل بها . « لان قدرة الله الازلية والوهته ترى منذ خلق العالم مدركة بالمبرؤات » و « احذروا ان يسلبكم احد بالفلسفة والغرور الباطل حسب سنة الناس على مقتضى اركان العالم لا على مقتضى المسيح » . واذكروا ما قاله الحكيم ابن سيراخ « ان كان لك بنون فأحسن تربيتهم . وانه ولد واحد يتقي الرب خير من الف منافقين . والموت بلا ولد خير من الأولاد المنافقين » .

« وانتم ايها المعتنون بالكنائس والموكلون على المدارس والاوقاف لا تنسوا « ان بيت الرب

هو بيت صلاة » وان المدارس هي رياض للنفوس وان الاوقاف مال دائم لثبات كليهما تخصصه تقوى المتقدمين لخير مستقبل المتأخرين . واذكروا دوماً انكم اذ قد أؤتمنتم على ترتيبها وحسن ادارتها وجب عليكم ان تواظبوا على الاهتمام بتنظيم شؤونها والسعي وراء نجاحها لتسير في الطريق المؤدية الى الغاية الشريفة التي وجدت لاجلها .

« وبوجه الاجمال نقول لجميعكم انكم بالمحافظة على كنوز تعاليم الايمان الشريفة التي اخذتموها عن آبائكم وبفحصها بالتمعن ونشر حقائقها في الكنائس والمدارس والبيوت تضعون اساساً اميناً متيناً للنجاح الديني والادبي تبنون عليه ابنية الفضائل بحجارة كريمة مرصوصة بالتقوى والوداعة والصبر فتسكنون فيها فرحين بالروح وتتمتعون بنعيمها شاكرين كنز الصالحات ورازق الخيرات . هذا فضلا عن السعادة التي تحصلون عليها بصدق المعاملة والمسالمة مع الجميع بظل ظليل حامي المعارف وسابغ العوارف ولي عرش آل عثمان وفريدة عقد ملوك الزمان مولانا وولي نعمتنا بلا امتنان جلالة السلطان الغازي عبد الحميد خان » (١) .

جراسيموس متروبوليت بيروت : (١٩٠٢) وانحلت الأزمة فكتب ملاتيوس الى المجلس الملي في بيروت وعموم الارثوذكسيين يستحثهم على اجراء ترشيح راع لابرشيتهم المترملة . فأوفدت الطائفة جماعة من أعيانها ليرفعوا الى البطريرك خضوع الملة واحترامها ويفوضوا لحكمته أمر انتخاب راع يليق بالمنصب الجليل . وزودت الطائفة الوفد بعريضة مبنية على هذا القرار .

وذهب الوفد الى مركز الكرسي الانطاكي ومثلوا بحضرة البطريرك ورفعوا اليه عريضة الشعب البيروتي فتلقاهم البطريرك بالحنان الأبوي والصدر الرحيب . ثم دعا المجمع الانطاكي الى جلسة انتخابية . فالتأم المجمع في الثامن والعشرين من اذار سنة ١٩٠٢ وانتخب بالاجماع الارشمندريت جراسيموس مسرة رئيس الكنيسة السورية الارثوذكسية في الاسكندرية اسقفاً وراعياً لأبرشية بيروت المحروسة من الله . وفي مساء ذلك اليوم أبرق غبطته الى سيادة المنتخب يعلن وقوع الانتخاب عليه ويأمره بسرعة الحضور .

وبزغت شمس التاسع والعشرين من آذار تحمل الى بيروت البشرى

١) مجلة المحبة : ٦ نيسان سنة ١٩٠٢ ص ٢٠٠ ـ ٢٠٣

بانحلال الأزمة وتحقيق الأمل فصدرت مجلة المحبة لسان جمعية التعليم المسيحي الأرثوذكسية في بيروت في الثلاثين من الشهر نفسه تهنىء الملة والأبرشية بما قيض الله لها من زوال المحن بعد طول الصبر فمنّ عليها بالرجل الذي جعلته موضوع ثقتها واعتبرته الشخص الوحيد الذي يستطيع ان ينهض بها الى ذروة النجاح ويفتح لها أبواب التقدم والفلاح .

« وسيادته رجل عرك الدهر وجرّب الأيام وبلاها في حالتي بؤسها ونعيمها . ودرس أخلاق الامم وعرف أحوال الناس ووعى في صدره جميع ما يعوز من في مركزه من معارف النظر والاختبار . وهو أغنى من ان يحتاج الى افادة او تنبيه وأدرى بما تطالبه به واجبات الأمانة والشرف والدين » (١) .

وأبرق جراسيموس بالقبول والخضوع وقام من الاسكندرية الى بيروت ومنها الى دمشق محاطاً بوجوه الطائفة . ولدى وصولهم الى دمشق استقبلهم في محطتها وفد بطريركي برئاسة الارشمندريت افرام الدبس المنتخب آنئذ لأبرشية عكار . وسار الوفدان الى الدار البطريركية . فلثم جراسيموس يد البطريرك وصافح السادة المطارنة وأظهر خضوعه واستعداده لخدمة الكنيسة الانطاكية المقدسة فأجابه غريغوريوس متروبوليت طرابلس بخطبة بليغة أعرب فيها عن سرور المجمع المقدس بقدومه .

وفي يوم الخميس في السادس عشر من ايار سنة ١٩٠٢ احتفل البطريرك والمطارنة بسيامة جراسيموس مطراناً على بيروت فلفظ خطبة بليغة بعد تسلم عصا الرعاية استهلها بالاعتراف بفضل البطريرك عليه : « لقد لاق بك ايها السيد الجزيل الغبطة لقد لاق بك ان تكون انت القائم بهذا العمل الجليل المقدس لقد لاق بك دون سواك ان تكون انت المتمم كما كنت انت البادىء . لقد لاق بهذه اليمين المباركة ان ترتبني في مصاف الرؤساء في خدمة الكهنوت كما رتبتني من بادىء الأمر فيها وادخلتني اليها . وليس الفخر لي بهذا كله بل انما الفخر والشرف لك انت الأب والمربي والمعلم والمهذب والمؤسس والباني » .

١) مجلة المحبة : ٣٠ اذار سنة ١٩٠٢ ص ١٨٩

ومن أفضل ما جاء في خطابه الكتدرائي في بيروت ان أهم ما يطلب منه تربية رجال يخدمون الدين وتربية رجال يخدمون الأدب وان هذا الأمر لا يتم الا بالمدارس . « واذا سمعتم مني كلمة المدارس فلا تظنوا اني اعني بها المدارس الابتدائية والعادية . بل أعني المدارس العالية المدارس التي ترقي العقل بالعلوم العقلية وبالفنون الاصولية وتوجد في الملة حياة واستعداداً لسد كل احتياج عند اللزوم . فالكاهن المتنور المستعد والمدرسة الطائفية المجهزة بكل لوازم العلوم هما العنصران اللذان يحفظان مركز الطائفة ويرقيانها الى اوج النجاح . وعليه فاني أرى ان المشروع في أعمالي وخدمتي يجب ان يبدأ من هذه النقطة » (١) .

وتعددت الوفود المهنئة وتنوعت وكثرت الخطب وتفاوتت . وجاء الوفد الماروني فألقى نجيب حبيقة الشويري خطبة رائعة ضمنها دعوة الى التضامن والاتحاد فقال : « وهذا العيد لم تنحصر بهجته في طائفتك المحبوبة بل كان فيه حظ لسائر الطوائف ولا سيما طائفتنا التي يمثل وفدها الآن بين يديك مولاي ليجدد لسيادتك ولابرشيتك أخلص التهاني . فقد شاركنا اخواننا الأرثوذكس في حبك واجلالك . مثلهم رأينا فيك حبراً كريماً كبيراً . مثلهم علقنا عليك آمالا خطيرة . فنحن أيها السيد النبيل في عصر نقول فيه ما قاله ملك الفرنسيس لحفيده الصاعد الى عرش اسبانية « لم يعد بيننا جبال بيرينه » . نحن في عصر به غدت كل طائفة تنظر في أحبار سائر الطوائف آباء لها كما ترى في أبناء الطوائف اخوانها . نحن في عصر يدعونا الى الاتحاد والأخاء في ظل الراية العثمانية الرفيعة ونرى صالحنا وصلاحنا في الوفاق والوئام بين رؤسائنا كما بين أفرادنا » (٢) .

مجلس بيروت الملي : (١٩٠٢) وفي الثاني من حزيران السنة ١٩٠٢ اي بعد وصول جراسيموس الى كرسيه بخمسة عشر يوماً جرى انتخاب جديد لمجلس الملة . وقضى البند الثالث من قانون هذا المجلس المصدق من جانب

١) مجلة المحبة : ٢٥ ايار سنة ١٩٠٢ العدد ١٦٨ بكامله
٢) المحبة : ١ حزيران ١٩٠٢ ص ٣١٥

البطريركية بأن ينظر في جميع مهام الطائفة واحتياجاتها الأدبية والمادية ومراقبة أعمال الجمعيات وانتخاب وكلاء الكنائس وفحص حسابات الأوقاف والنظر في جميع المسائل التي تتحول الى المطرانخانة من قبل الحكومة بما يتعلق بامور الطائفة مع تقرير كيفية توزيع البدلات العسكرية وضبط تحصيلها والمفاوضة والرأي في شأن الانتخابات العمومية كأعضاء المجالس والمحاكم وما أشبه . وبالجملة فان خصائص هذا المجلس قضت بالبحث والنظر في كل ما يقع للطائفة من الامور والمشاكل والمحافظة على حقوقها ضمن دائرة الناموس الكنائسي والنظامات الشرعية وكان يشترط في الأعضاء بموجب البند التاسع ان يكون سن كل منهم فوق الثلاثين وان يكون مقيماً في بيروت ومن معتبري الطائفة حائزاً على الحقوق المدنية ذا أهلية تامة ومتمتعاً بالثقة العامة ومعروفاً بالمبادىء الصحيحة . ونص هذا البند ايضاً على ان يكون المطران رئيس المجلس الدائم .

واجتمع من المنتخبين في دار المطرانخانة ١٠٥ ذات من الذوات وهم ثلاثة ارباع المدعويين . فقرأ المطران اسماءهم . ولما كان عددهم كافياً لاجراء الانتخاب على ما صرح به القانون طلب المطران ان يكتب كل منهم قائمة باثني عشر منتخباً . ثم جمعت هذه القوائم وتليت علناً فنال الأكثرية بطرس داغر جرجي بسترس جرجي دباس سليم شحادة قسطنطين الخوري لطف الله ملكي نجيب سرسق نجيب نعمة طراد نخله التويني نصيف الريس نقولا منسى ووديع فياض .

مجلس حمص الملي : (١٩٠٢) وانتهت المدة المعينة لمجلس حمص الملي وعاد اثناسيوس اليها بعد غياب طويل . « فوزعت رقاع الانتخاب واعيدت ففضت في السابع عشر من حزيران » فأصابت أكثرية الأصوات سليمان الخوري عيسى فركوح انطون طرابلسي باسيل نصور نقولا حموي حبيب اسكندر عبد المسيح رزق الدكتور كامل لوقا نصرالله عطاالله انطونيوس سركيس نقولا عريضه ورزق الله رزق (١) .

١) مراسل المحبة : ٢٣ حزيران ١٩٠٢ ص ٣٨٣ — ٣٨٤

باسيليوس متروبوليت عكار : (١٩٠٣) هو امين ابن يوسف الدبس البيروتي ولد في ترسيس سنة ١٨٦٨ ونشأ فيها . وفي السنة ١٨٨١ توفيت امه ثم ابوه في السنة ١٨٨٢ . فانتقل امين باخوته الصغار الى بيروت حيث ربي في حجر عمه جبران الدبس . وحاول امين الانخراط في سلك الرهبنة فمانع ذووه فظل في بيروت يتعاطى الأشغال ويتردد على غريغوريوس الذي أصبح فيما بعد مطراناً على طرابلس . وسافر امين الى القطر المصري فأقام فيه ردحاً من الزمن ثم عاد الى بيروت سنة ١٨٩٢ وكل قواه منصرفة الى الزهد والحياة الرهبانية . وكان اخوته قد بلغوا رشدهم فتشدد عزمه وغادر بيروت قاصداً غريغوريوس في طرابلس . فوجده منهمكاً بتهيئة مدرسة كفتين . فدخل امين الدير في الثاني من آب سنة ١٨٩٣ . وفي السنة ١٨٩٤ أدخله غريغوريوس بمعيته في طرابلس . وفي اول نيسان سنة ١٨٩٥ سامه راهباً باسم افرام ثم انوغنوسطاً فشماساً . وفي صيف السنة ١٨٩٧ انتدبه غريغوريوس وكيلا لرئاسة دير سيدة ناطور . وفي السنة التالية سافر افرام الى دمشق وزار سيدة صدنايا فسامه اثناسيوس متروبوليت حمص قساً وعينه مرسلا انطاكياً في اميركة الشمالية بناء على طلب الارشمندريت روفائيل هواويني . ووصل افرام نيويورك في صيف السنة ١٨٩٨ . ثم انتقل الى كندا لخدمة الارثوذكسيين السوريين المنتشرين فيها . فعمل بغيرة ونشاط وأسس في السنة ١٨٩٩ اول كنيسة ارثوذكسية في كندا في مدينة مونتريال . وعلم تيخون مطران الاسكا الروسي بجهود افرام فسُرّ منها وأجاز له تعليق الصليب والحجر وقت الخدمة الالهية .

وبقي افرام في كندا مواظباً على واجباته بكل صلاح ونشاط مواصلا الوعظ والارشاد والاعتناء بشؤون أبنائه الروحية حتى السادس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٠٠ اذ اضطرته دواع صحية الى العودة الى الوطن . فوصل بيروت في خريف هذه السنة ثم التحق بمعلمه غريغوريوس في طرابلس . وبعد وفاة نيقوذيموس متروبوليت عكار عينه البطريرك وكيلا بطريركياً على عكار بطرس بركة مؤرخ في ٨ تشرين الاول سنة ١٩٠١ . فقام بواجبات الوظيفة خير

قيام . وفي السابع من نيسان سنة ١٩٠٢ رقاه البطريرك فجعله ارشمندريتاً . وبعد ذلك بخمسة عشر يوماً في الثاني والعشرين من نيسان انتخبه المجمع المقدس مطراناً على ابرشية عكار . وقضت الظروف بتأخير سيامته بضعـة أشهر حتى يوم الأحـد الواقع في ٢ شباط سنة ١٩٠٣ اذ صدرت أوامر البطريرك بسيامته مطراناً على عكار في مدينة حمص وعلى ايدي مطارنـة حمص وحماه وطرابلس فدعي باسيليوس .

مجلس ملي في دمشق : وفي حزيران السنة ١٩٠٣ تألفت هيئـة المجلس الملي في دمشق من اسبر لقيس اسكندر طوزي بطرس قندلفت جبران اسبر جبران شامية جبران عبد النور جبران لويس جبران ملوك سمعان لادقاني مخائيل صيدح ونقولا شاغوري .

استفانوس متروبوليت حلب : وقضى ابيفانيوس متروبوليت حلب في شرخ الشباب غير متجاوز السادسة والثلاثين . وقد أدركته المنية في دير صدنايا في الثالث من اذار سنة ١٩٠٣ حيث أقام مستشفياً من مرض ألم به واضطره ان يجتنب كل عمل وحركة . فانتخب المجمع خلفـاً له الارشمندريت استفانوس . فسامه البطريرك ومطرانا حماة واداسيس متروبوليتاً على حلب في السادس من آب سنة ١٩٠٣ (١) .

وهو خليل ابن يوسف مقبعـة الدمشقي . ولد في دمشق سنة ١٨٥٣ ونشأ وترعرع فيها . ثم دخل مدرستها البطريركية . وكان منذ حداثته زاهداً راغباً في الحياة الرهبانيـة فالتمس في السنة ١٨٨٥ من البطريرك جراسيموس السماح له بلبس الاسكيم فأرسله الى دير مار الياس الشوير حيث قدم النذر واتشح بالاسكيم على يد رئيس هذا الدير الارشمندريت اثناسيوس عطاالله فسمي استفانوس . ولما شرطن اثناسيوس مطراناً على حمص في بيروت استدعى استفانوس ورسمه شماساً انجيلياً في كنيسة بيروت الكتدرائية وألحقه بمعيته فأقام في حمص سنة ثم برحها الى

١) مجلة المحبة : ١٦ آب ١٩٠٣ ص ٤٢٩ — ٤٣٢

حماة لأسباب صحية . وفي السنة ١٨٩٤ انتقل الى بيروت ليتولى نظارة مدرستها الاكليريكية ويدرس الموسيقى الكنسية . وبقي في معيـة مطران بيروت متفقداً شؤون الأبرشية الواسعة حتى تسنم عرش الرسولين ملاتيوس الثاني . فلما جال جولته الرعائية وتحقق ما تحلى به استفانوس من النشاط والغيرة وحسن السيرة والسريرة عينه رئيساً قانونياً على دير البلمند في السابع من نيسان سنة ١٩٠١ . فتسلم مهامه وأحسن ادارة الدير وظل فيه حتى انتخابه لمطرانية حلب (١) .

يواكيم الثالث البطريرك المسكوني : وتبـوأ يواكيم الثالث السدة القسطنطينية في الرابع والعشرين من ايار سنة ١٩٠١ . وكان من خيرة السادات الأعلام وقد اشتهر فضله بين الأنام منذ ان رقي هذه السدة نفسها للمرة الأولى في السنة ١٨٧٨ خلفاً لسلفه السعيد الذكر يواكيم الثاني . فانه أدار شؤون الكنيسة العظمى آنئذ بحصافة عقل وحسن سياسة . ولما عـاد المجمع القسطنطيني المقدس ودعاه للكرسي مرة ثانية وقع انتخابه وقعاً حسناً في جميع الأوساط الرسمية والملية ووردت عليه رسائل التهاني بالالوف . وتوسم المؤمنون الأرثوذكسيون في جميع أقطار المسكونة في قداسته رجل المنصب الخطير وعلقوا على رئاسته خير الآمال .

يواكيم والكنيسة الارثوذكسية الجامعة : وكان قداسته شديد الغيرة على حسن العلاقة بين أعضاء الكنيسة الجامعـة وعلى توثيق روابطها فوجّه في اوائـل السنة ١٩٠٣ رسالة عمومية الى رؤساء الكنائس الأرثوذكسية المستقلة تتضمن السؤال عن رأي كل منهم في المسائل التالية : ١) في الوسائل الآئلة الى توثيق وحـدة كنائس الله المقدسة الارثوذكسية المستقلة وتوسيع دائرة العلائق بينها . ٢) في علاقة الكنائس الارثوذكسية مع فرعي الديانة المسيحية العظيمين اللاتين والبروتستانت ولا سيا مـع الكاثوليك القدماء والكنيسة الانكليكانية . والكاثوليكيون القدماء جماعـة من المؤمنين انفصلوا عن رومة سنة ١٨٧٠ لمناسبة القول بعصمة البابا واجتهدوا في ان يكونوا على الحالـة التي كانت فيها الكنيسة

١) المحبة ايضاً ٢٣ آب ١٩٠٣ ص ٤٤٤ — ٤٤٦

قبل انشقاقها الى فرعين يوناني ولاتيني واحترموا الكنيسة الارثوذكسية . ٣) في التاريخين اليولياني والغريغورياني . وأجابت الكنائس الارثوذكسية عن هـذه الاسئلة الثلاثة ونشرت خلاصة اجوبتها جريدة الاليثيا الصادرة عن القسطنطينية. والى القارىء ملخص هذه الاجوبة :

توثيق عوى الاتحاد بين الكنائس الارثوذكسية : وأيدت كنيسة اوروشليم توثيق العرى بين الكنائس الارثوذكسية وأوجبت ما يلي: ١) الاخلاص في الاميال والاعمال لكي تحفظ وديعة الايمان الشريفة المشتركة سالمة من كل شائبة ٢) صيانة الانجيل والكنائس من مفاسد المادة والسياسة . ٣) تغذية روح المحبة المتبادل والاحترام المتبادل واجتناب مداخلة الكنائس في امور غيرها. ٤) الاشتراك الاخوي في الخدمة الشريفة وتبادل الاخبار المسرة والمكدرة وتعاضد الكل وتكاتفهم لسد كل احتياج روحي او ادبي او مادي . ٥) عقد مجمع سنوي مؤلف من وكلاء الكنائس المستقلة في مراكز هـذه الكنائس بالتناوب للتداول وتبادل الرأي . ٦) السعي الحثيث لتربية نشىء صالح يتولى خدمة كل كنيسة ورعايتها .

وجاء الرد الروسي يؤيد عقد المجامع السنوية الدوارة ولكنه لم ير ذلك عملياً نظراً لوقوع مراكز الكنائس في ممالك ودول متعددة مختلفة. اما ما يمكن تأييده بالفعل لتوثيق العرى فانه : ١) تبادل الرسائل بصورة متواصلة . ٢) تبادل الاخبار المسرة والمكدرة . ٣) طلب النصح والارشاد . ٤) وجوب التشاور في مسائل الايمان والمبادىء الاساسية في النظم والقوانين . ٥) وجوب اعتبار الارتباط عربون الحقيقة والحياة الابدية .

ولم يطرق الردان اليوناني والروماني هذا الموضوع. اما كنيسة الصرب فانها ارتأت ان المحبة المتبادلة بين الكنائس الارثوذكسية المستقلة يجب ان تظهر في تبادل الرسائل في كل ما يتعلق في الحياة الكنائسية. وقالت بوجوب اجتماع وكلاء جميع الكنائس الارثوذكسية مدة بعد مدة. وأوجبت نقل المؤلفات القيمة التي تظهر بلغات

سائر الكنائس للدفاع عن الايمان المقدس . وجاء جواب كنيسة الجبل الأسود مماثلا لجواب الكنيسة الروسية .

اتحاد الكنائس المسيحية : ورأت كنيسة اوروشليم انه لا يجوز التفكير في التقرب من البروتستانت واللاتين ما دام هؤلاء يغرون البسطاء من الارثوذكسيين لابعادهم عن كنيستهم وما دامت اعمال التبشير هذه تجعل تبادل الاحترام والمحبة من الامور التي يتعذر منالها . وقالت كنيسة اليونان قول كنيسة اوروشليم واضافت انه يجب الاقتصار على المحبة المخلصة نحو جميع الكنائس وان ما هو غير مستطاع عند الناس فانه يصبح مستطاعاً في المستقبل بنعمة الله . وأكدت كنيسة روسية رغبتها في « اتحاد الكل » ولكنها رأت هذا الاتحاد غير ممكن مع البروتستانت واللاتين لانهم يسعون لتقويض اركان الارثوذكسية . اما كنيسة رومانية فانها لم تسمح بحذف او الغاء شيء من العقيدة والتقاليد الارثوذكسية وأضافت انه اذا رغب اللاتين والبروتستانت في الاتحاد فليس عليهم الا ان يقبلوا التعاليم الارثوذكسية كما هي . ولم تبد كنيسة الصرب رأياً بهذا الشأن .

الكاثوليك القدماء : ولم تر جميع الكنائس الارثوذكسية ما يمنع التقرب من الكاثوليك القدماء والتودد اليهم . وفرّقت الكنيسة الروسية بين المتصدرين من هؤلاء في الازمنة الاولى وبين رجالهم المتأخرين وأوجبت شرح التعاليم الارثوذكسية وتأكيد الاعتقاد الثابت بأن الكنيسة الارثوذكسية وحدها حفظت وديعة المسيح بدون فساد ومن ثم فهي ايضاً الكنيسة المسكونية .

الانكليكان : ورحبت كنيسة اوروشليم بالتفاهم والتعاون مع الانكليكان ولكنها أوجبت انتظام لجنة من كبار علماء اللاهوت الارثوذكسيين تجتمع في القسطنطينية بقرب « الاول بين الكراسي الارثوذكسية » وتتذاكر فيما يجب تحديده ثم تعلن بواسطة البطريرك المسكوني ما يمكن ان يتخذ اساساً للاتحاد المنشود. واشترطت كنيسة روسية قبل كل شيء وجوب اقصاء المبادىء الكلوينية ونشر الرغبة في الاتحاد في الأوساط الانكليكانية نفسها .

مسألة تصحيح التاريخ : وهنا أشارت كنيسة الصرب الى وقوع الخطأ الرياضي العالي في الحسابين الغريغورياني واليوناني وانه من المناسب تأليف لجنة من العلماء الاعلام لرفع هذا الخطأ وتقديم حساب جديد يكون أشد دقة من الحسابين . ورأت كنيسة رومانية ان تصحيح الحساب آنئذ يولد العثرات في سبيل المؤمنين . وأشارت كنيسة اليونان الى هذه العثرات وارتأت حساباً جديداً أصح وأضبط من الحسابين المذكورين . أما كنيسة روسية فانها أوجبت المحافظة على التاريخ اليولياني في الفصحيات وفي الأعياد الكنائسية وأجازت استعمال الحساب الغريغوري في غير ذلك .

يواكيم وكنيسة انطاكية : واستبشر الانطاكيون خيراً برجوع يواكيم الى الكرسي المسكوني وعلقوا عليه الأمل في الاعتراف بملاتيوس الثاني البطريرك الانطاكي لما عهدوه في قداسته من سعة الصدر واصالة الرأي وفرط المحبة والغيرة على الكنيسة الارثوذكسية الجامعة . ولكن البطريركية المسكونية أبت الا ان تميل اذنها الى ادعاء الأساقفة الانطاكيين المنفصلين فأوقفت الجواب عن رسالة الجلوس التي بعث بها ملاتيوس عند ارتقائه حسب التقاليد المألوفة ولم تستطلع رأي الكنيسة الانطاكية في المسائل التي بحثتها مع رؤساء سائر الكنائس الارثوذكسية المستقلة (1) .

الدعاية لاتحاد الكنائس : وحمس العلامة نقولا امبرازي الاستاذ في مدرسة فاكيون في اثينة فأصدر كتاباً يتضمن تواريخ الكنائس المسيحية ودساتير ايمانها واعترافاتها الرسمية من يونانية ولاتينية ولوثيرية وكلوينية وانكليكانية وارمنية وقبطية وحبشية ويعقوبية ونسطورية وأسباب انشقاق هذه الكنائس . ثم قابل بين عقائد هذه الكنائس في عدة مطالب مهمة كاعتبار قدر الكتاب المقدس وقيمة التقليد الشريف وتوحيد جوهر الله وتثليث اقانيمه وانبثاق الروح القدس وتكريم الايقونات وأسرار الكنيسة السبعة المقدسة . وأورد ما قاله بعض

1) الكنيسة الارثوذكسية والاتحاد للادارة المحبة ٢٠ كانون الاول ١٩٠٣ ص ٦٧٩ ومذكرات الكنائس الارثوذكسية في مجلة المنار ٣١ تموز ١٩٠٤ ص ١٦١ — ١٦٥ .

كبار رجال اللاهوت في الكنيسة الارثوذكسية كنيل الانكليزي وستروس الالماني ودولنغر الشهير وهرقز اسقف الكاثوليك القدماء وميشو أحد جهابذة هؤلاء ورأي يواكيم الثالث في اتحاد الكنائس . وأسرع الخوري يوحنا حزبون فنقل هذا المؤلف الى العربية ونشره بين قرائها في النصف الاول من السنة ١٩٠٤ وأسماه « كنز النفائس » .

وكان بعض رجال الكنيسة الانكليكانية قد نشطوا للعمل في سبيل التفاهم بين الكنائس فأسسوا في اوائل النصف الثاني من القرن التاسع عشر جمعية الكنائس الشرقية ثم جمعية انتشار ضم الكنائس فجمعية انتشار وحدة الكنائس . ثم أصدر الأب انكتابولس الارثوذكسي في الآونة التي نحن في صددها مجلة اتحاد الكنائس باللغتين اليونانية والانكليزية وذلك « لاظهار الشعائر المتبادلة بين الكنائس الرسولية الثلاث الارثوذكسية والرومانية والانكليكانية وتوطيد دعائم الصداقة والتعارف بينها والتعرف الى الفضائل الراسخة في وحدة الايمان والرجاء والمحبة . ومما قاله هذا الكاهن في اعداد جريدته الاولى ما تعريبه:

يزعم البعض ان اسباب الخلاف الذي يفصل الكنائس ناتج عن اختلاف التعاليم والطقوس لا عن سؤ تفاهم واستخفاف واثرة لا تجوز الا على الجاهل . فوجدت من الضروري ان نتقرب من بعضنا لمعرفة ما بين تعاليمنا من الاختلاف والاتفاق وادراك كنه الحقائق المسلم بها ضاربين صفحاً عن كل ما هو فاسد ومتخذين المحبة التي أوصى بها الرسول اساساً لاعمالنا وترساً يقينا لصد هجمات الاعداء وبمثل هذه الاستعدادات نوثق عرى الصداقة وندك اسس الموانع القائمة حتى نرى الغيرة تقودنا من غير انتباه الى الانضمام والبحث في العوامل التي تؤول الى الاتحاد .

« وبدون هذا النور الداخلي وتبادل الآراء للتعارف يستحيل اخماد نار الخصام والتعصب . ومن الواجب ان نبين للجمهور كل ما يحتمل الجدل والريب . ولهذه الغاية نناشد ائمة اللاهوت ان يمدونا بآرائهم في كل ما يمكن شرحه بحسب الاقوال الانجيلية . وبعد تبيين كل ذلك يجب على اعضاء الكنائس ان يسعوا وراء هذه الغاية سعياً فعلياً . وهذا السعي لا يقتصر على الرؤساء بل يشمل الجميع . فاذا كان الاكليروس لا يساعد والعوام لا يساعدون الاكليروس فتحبط كل المساعي وتسقط كل القوة . فالتكاتف بالاعمال امر ضروري للكل » .

اسقف على السوريين في اميركة : (١٩٠٤) وكان البطريرك الانطاكي ايروثيوس قد سام في السنة ١٨٧٤ روفائيل هواويني اناغنوسطاً في كنيسته

الكاتدرائية . فعاد وسامه برضى والديه راسفوراً (راهباً لابس جبــة) في السنة ١٨٧٩ . وكتب في ذلــك الوقت خريستوفوروس جباره عن القسطنطينية يقــول ان قداسة البطريرك المسكوني يواكيم الثالث أمره ان يحرر لغبطــة البطريرك الانطاكي لارسال تلميذ انطاكي الى مدرسة خالكي ليكون تحت عناية قداسته الخصوصية . فأوفــد البطريرك ايروثيوس الراسفور روفائيل الى القسطنطينية في اوائــل تموز السنة ١٨٧٩ . ودخل روفائيل مدرسة خالكي على حساب يواكيم الثالث . وعند نهايــة السنة الاولى سرّ قداستــه من نجاح روفائيل في اليونانية . وفي السنة السابعة لوجود هــذا الطالب الانطاكي في خالكي سامه متروبوليت سالونيك شماساً انجيلياً . وفي السنة ١٨٨٦ اجتاز روفائيل الامتحانات النهائية وفاز بالديبلومة من الدرجة الاولى . وعاد روفائيل الى دمشق والتحق بمعية البطريرك السعيد الذكر جراسيموس وجال معه جولة رعائية واسعة . وفي اثنــاء وجود البطريرك في بيروت طلب روفائيل ان يرسل الى احدى اكاديميات روسية اللاهوتية لمتابعة الدروس فيهــا . فكتب جراسيموس الى المجمع الروسي المقدس فجاء الجواب في السنة ١٨٨٨ بالقبول . فقام روفائيل في ايلول هذه السنة الى كيف والتحق بمدرستها . ثم عزل البطريرك الانطاكي خريستوفوروس جبــاره من رئاسة الامطوش الانطاكي في موسكو واضطر ان يفوض روفائيل بادارته . فسامــه افلاطون متروبوليت كيف قساً وتوجه الى موسكو في صيف السنة ١٨٨٩ .

ومما يجدر ذكره ان روفائيل سعى في اثناء اقامته في موسكو لاستقدام تلامذة انطاكيين واوروشليميين الى مدارس روسية الروحية واعدادهم لخدمــة الكنيستين . فوافق المجمع الروسي وأم روسية ثمانية من دمشق هم اسكندر شامية ومتري حرستاني ونعمان صيفي وكامل ابو عضــل وقسطنطين نجار وجرجي دير عطاني وستة من حمص وهم انطون بلان وليان الحلبي وعيسى عاقل واسبر مبيض وشكرالله عطاالله وداود صباغ واربعــة من بيروت وهم نخله هواويني والياس قدسي والياس ابو الروس وحنا رزوق واثنان من طرابلس وهما انطون

خشاب وعيسى زريق وواحد من حاصبيا نصيف ابو جعدة واربعة من اوروشليم وهم بندلي جوزي ويعقوب حنانيا وصالح سنونو واسكندر حكيم . فأدخلهم روفائيل في مدارس موسكو وخاركوف واوديسة وروستوف وكالومنا .

ثم كان ما كان من أمر البطريرك اسبيريدون الانطاكي فأيد روفائيل موقف الوطنيــين فعزله اسبيريدون من رئاسة امطوش موسكو فترك روفائيل موسكو وذهب الى قازان للتدريس فيها والمطالعــة والتصنيف (١٨٩٣) فنشر كراريسه في تاريخ الكنيسة المسيحية وتاريخ الكنيسة البابوية وتاريخ الامطوش الانطاكي في موسكو .

ولم تمض سنتان على اقامة الارشمندريت روفائيل في قازان حتى ورد عليه في ربيع السنة ١٨٩٥ تحرير من «الجمعية الخيرية السورية الارثوذكسية في نيويورك» تطلبه فيه راعياً في نيويورك وسائر اميركة الشمالية . فاستشار مطران قازان فأشار عليه ان يسافر الى بطرسبرج ليستشير نقولاووس مطران ألاسكا وسائر اميركة الشمالية . ففعل فحاز على القبول وعلى مساعدة مالية شهريــة من المجمع الروسي المقدس علاوة عما عينته له الجمعية في نيويورك . ووصل الى مدينة نيويورك في خريف السنة ١٨٩٥ واستأجر محــلا مناسباً لكنيسة في شارع واشنطون حيث السواد الاعظم من المهاجرين السوريين الانطاكيين . ثم شرع في جمع المال لشراء قطعة من الارض للدفن وقطعة ثانية لبناء كنيسة وثابر في ذلك وضحى من مالــه الخاص فجاءته المساعدة من السوريين في اميركة ومن روسية ومن الطائفــة في سورية ولبنان واستلف شيئاً من المال فانشأ المدفن واشترى في السنة ١٩٠٢ كنيسة مبنية برسم البيع في شارع الباسيفيك في بروكلين نيويورك !

واستقدم الكهنة والشمامسة وبين هؤلاء افرام الدبس كــما سبق واشرنا واعد كتاب التغذية الحقيقية في الصلوات الالهية . وفي السنة ١٩٠٠ أطل عليــه الخوري يوحنا مجاعص من الشوير لجمع الاحسان لمدرسته فساعده واستحصل له رخصة بذلــك من المطران تيخون . وفي السنة ١٩٠١ جاءه الارشمندريت

ملاتيوس كروم فعينه راعياً في كندا بدلا من الاب افرام الدبس .

ولمس المجمع الروسي المقدس نشاط روفائيل ونجاحه . واخـذ السادة الاعضاء بعين الاعتبار عدد السوريين المهاجرين الارثوذكسيين ومكانتهم فوافقوا على اقـتراح تيخون مطران ألاسكا وانتخبوا روفائيل اسقفاً على السوريين الارثوذكسيين في اميركا في السنة ١٩٠٤ . وطلبوا موافقة البطريرك الانطاكي . فكانت سيامة روفائيل اول خطوة لتأسيس ابرشيات انطاكية في الاميركيتين .

جرمانوس متروبوليت سلفكياس : (١٩٠٤) وكانت ابرشيـة سلفكياس (معلولا وبعلبك وزحلة) لا تزال مترملة بعـد وفاة عالم الكرسي الانطاكي الطيب الذكر جراسيموس (يارد) . فسعى البطريرك والمطارنة لايجاد خلف يقوم بأعباء الخدمة الروحية في بقاع العزيز . فوجدوا ضالتهم في اميركة الجنوبية ما بين الارجنتين والبرازيل في شخص الاب جرمانوس شحاده . وكان جرمانوس قد تحلى بالرصانة والتعقل والتواضع وحسن التدبير وشدة الغيرة على كنائس الارجنتين والبرازيل والتفاني في سبيل أبنائهـا . وكان تقي النفس وديع القلب بعيداً عن التعصب محباً للخير فاستبشر الزحليون به وعلقوا على رئاسته خير الامال . وفي الثاني عشر من ايلول سنة ١٩٠٤ احتفل البطريرك الانطاكي لاقامة القداس في الكاتدرائية المريمية يعاونه مطارنة حماة واداسيس وترسيس . وفي اثناء الخدمة جرت حفلة السيامة بوضع يد غبطته والسادة المطارنة حسب الترتيب المعروف . وبعد انتهائها وقف المطران الجديد والقى خطبة شكر بها للبطريرك والمطارنة والشعب ثقتهم بشخصه وطلب اليهم ان يشتركوا بالتوسل الى الله تعالى من أجله ليعطيه الحكمة والفهم والمقدرة لتكون خدمته لائقة لدى الله عز وجل ومفيدة للتبريك .

جولة رعائية بطريركية : (١٩٠٥) وبذل البطريرك طوقه في السنوات الخمس الاولى في تنظيم الكنيسة وحل مشاكلها فركب فيها كل صعب وذلول . وفي مطلع السنة ١٩٠٥ وضح الطريق واستبان البطريرك ما ينبغي سلوكه فاطمأنت

نفسه وعول على اكمال جولته الرعائية التي كانت قد انقطعت بوفاة غفرائيل في مطلع السنة ١٩٠١ .

وفي السابع عشر من ايار سنة ١٩٠٥ بارح الحبر الانطاكي دمشق قاصداً حمص فأرسل الوالي الى المقر البطريركي ياوره ويوزباشياً وعـدداً من الفرسان واستناب في الوداع نقولا افندي العضامي ترجمـان الولاية . وخرج أعضاء القوميسيون الزمني واللجان الخيرية وعدد كبير من وجهاء الطائفة وقنصل روسية في دمشق فحيت غبطتـه في المحطة فرقة من الضابطـة . ثم ركب البطريرك القطار يصحبه جرمانوس متروبوليت سلفكياس وكيله في البطريركيـة وحبيب كومين كاتم أسراره وحاشية اكليريكية . وخف لاستقبال البطريرك حتى محطة القصير كل من اثناسيوس راعي ابرشية حمص والكسندروس متروبوليت ترسيس ويوليوس بطرس مطران السريان ووفد من وجهاء الطائفة في حمص ولدى وصوله الى محطة حمص حيته كوكبة من الخيالة . فسار ووجهته كنيسة الاربعين والطريق على طوله مع النوافذ والسطوح ضائقة بالحمصيين على اختلاف الملل والنحل . واستقبله عند مداخل الكاتدرائية مصف الاكليروس بالحلل والصلبان والمباخر والشموع وقرع الأجراس ، وكانت هذه حديثة العهد في حمص ، فدخل الكنيسة وبارك وصلى . ثم دفع خطاباً ليد متروبوليت سلفكياس ليتلوه بالنيابة فألقاه بصوته الجلي . وفيـه الثناء على راعي الابرشية والحض على الطاعة والاخلاص للدولة . ثم سار الى دار المطرانية . فكان في طليعة المستقبلين اغابيوس معلوف متروبوليت بعلبك على الروم الكاثوليك وجـاء في التاسع عشر غريغوريوس متروبوليت حماة ووجهاؤها مرحبين داعين البطريرك لزيارتهم .

وفي السابع والعشرين من ايار قام البطريرك الى حمـاة فخفت الطائفة بأسرها لاستقباله في محطة القطار وأنفذ متصرف لواء حماة وفـداً لاستقبال البطريرك والترحيب به وكوكبة من الفرسان لتحيته ومواكبته الى الكنيسة ومنها الى محل اقامته في دار مخائيل عبدالله . ووصل البطريرك الى الكنيسة وصلى وبارك وشكر ودعا . ثم ألقى متروبوليت حماة خطاباً فرد متروبوليت ترسيس باسم

البطريرك . وزار البطريرك المتصرف وقائد الجند فردا الزيارة حالا . ثم تفقد المدارس فلمس تقدمها ونجاحها . وعاد الى حمص .

اجتماع الاخوة جميعاً : وفي الثاني من حزيران خرج البطريرك من حمص الى طرابلس فاستقبله في العبدة مطران طرابلس ومطران عكار وقيصر نحاس ممثل متصرف طرابلس وجورج كاتسفليس قنصل روسية ووفد من كهنة الموارنة وعدد كبير من ارباب المناصب ووجهاء القوم . وتابع السير الى طرابلس تواكبه كوكبة من الفرسان . فدخل الكاتدرائية وصلى وبارك ودعا للسلطان ثم قام منها الى كنيسة الموارنة فاستقبله كهنة الموارنة بالتراتيل عند مدخل الكنيسة فدخل وصلى وشكر وبارك فخطب احد الكهنة الموارنة شاكراً لغبطته محبته الابوية فأجابه غريغوريوس متروبوليت طرابلس بخطاب ارتجالي افتتحه بقوله : « ما أحلى ان يجتمع الاخوة جميعاً » . ثم زار غبطته المتصرف ووكيل قومندان الموقع. وفي اليوم التالي أطل وفد البطريرك الماروني ووجهاء زغرتا واعيانها فاستقبلهم البطريرك بكل احتفاء .

البطريرك في البلمند : وزار البطريرك ميناء طرابلس ثم تفقد شؤون المدارس الروسية في طرابلس وقام الى مدرسته الاكليريكية في البلمند . وجرت امتحانات الصف المنتهي في اللاهوت العقائدي والفلسفة والادب المسيحي ومؤلفات الآباء وتفسير الكتاب المقدس وقواعده والمدخل اليه والخطابة الكنائسية وتاريخ الكنيسة والنوموقانون واشرف البطريرك على معظم هذه الامتحانات . وكان احياناً يرافقه غريغوريوس طرابلس وباسيليوس عكار والكسندروس ترسيس .

وجاء موعد منح الشهادات في يوم الاحد في العاشر من تموز . فأقام البطريرك قداساً حبرياً شاركه فيه الكسندروس متروبوليت ترسيس . وعند النهاية خرج البطريرك الى الردهة البطريركية واصطف حوله الشمامسة المنتهون ثيودوسيوس ابو رجيلي وايصائيا عبود وفوطيوس صعب وفوطيوس خباز

واغناطيوس خوري وباسيليوس شاهين ويوسف ابو طبر والمبتدئان اسكندر يارد وجرجي دبو . فتقدمهم البطريرك في نشيد بعض الصلوات بصوته الرخيم . ثم اومأ الى مدير المدرسة غطاس قندلفت فتلا تقريراً عن سير المدرسة في السنة المنصرمة ووجه النصائح للمنتهين وذكرهم بالمبادىء الشريفة وحضهم على الاستمساك بها بكل حرص وبثها في غيرهم بكل غيرة . وعقبه الشماس فوطيوس صعب (بيروت) فلفظ خطاباً وداعياً بالنيابة عن رفاقه . ثم قدمت الشهادات لغبطته فوزعها . وتكلم الكسندروس متروبوليت ترسيس فأبان ما كان يخامر فؤاد البطريرك وفؤاده لمشاهدة الفعلة النشيطين الذين يخرجون للعمل في حقل الكنيسة وزودهم ببعض النصائح .

خطاب الدكتور حبيب مالك : ورفعت جولة البطريرك الرعائية صوت الانجيل وألفت القلوب بالمحبة وأظهرت قدر الكنيسة واحترام السلطات الزمنية لها وأحيت في قلوب المسيحيين العزة والغيرة . ولعل افضل ما عبر عن شعور الارثوذكسيين خطاب الدكتور حبيب مالك الذي فاه به في دير البلمند لمناسبة زيارة البطريرك :

« وسلام يا دمشق الفيحاء وعلى هوائك النقي وجوك الصافي ومائك الزلال الوف من التحية والاكرام لانه قد خرج منك مدبر يرعى شعب اسرائيل . وكيف لا نفرح ونسر ونحن نرى في افتقاد ابنائكم في انحاء الكرسي اعظم موجب واكبر داعٍ لذلك . وكيف لا نفرح ونحن نرى في شخصكم الطوباي حنو الوالد وانعطاف الاخ ومؤانسة الشريك وهمة البطل وسير الحاكم المقدام . ولنا على هذا عدة ادلة اكتفي بواحد منها هو تشييد مدرسة اساسها التهذيب وجدرانها العلم وسقفها الدين ومفاتيح ابوابها بيد رجل الفضل والفضيلة سيادة راعينا النبيل (غريغوريوس) قمر كنيستنا . ولا بد لي يا ذا الغبطة من التطفل مذكراً بتشييد مدرستين احداهما في دير مارجرجس الحصن والثانية في دير مار الياس الشوير وبذلك تحصل المساواة .

« ولنا وطيد الامل مما سمعناه ومما تحقق لدينا ان حالتنا في ايام غبطتكم

ستكون ارقى من امس ان دينياً وان ادبياً . والارض عطشانة والبزور حاضرة واسباب الخصب متوفرة والاعين محدقـــة بنا من كل جانب وما علينا سوى الارادة . واني اقرأ على جبين غبطتكم آيات مؤداها :

«مفتقدين ابناءكم لكي تحيوا في قلوبهم بزور المحبة والالفة ولكي تروا فيهم ابنـــاء للنور فيمجدون الآب السماوي ولكي تحيوا في قلوبهم حاسيات الشرف والشهامة والغيرة ولكي تزيدوهم تمسكاً بالعرش العثماني » (١) .

دير مار جرجس الحميرا : وعـــاد البطريرك من دير البلمند الى طرابلس فتل كلخ فدير مار جرجس الحميرا . فجرى لـه استقبال عظيم وصباح الاربعاء الموافق لعيد الصليب اقام قداساً حافلا حضره الجم الغفير من جميع الجهات المجاورة ثم نظر في شؤون الدير فانشأ سوقاً فيه شمل مئة وخمسين دكاناً فأنفق اكثر من الفي ليرة عثمانية .

دير مار الياس الشوير : وفي هـــذه السنة عينها وافق البطريرك على مد طريق عربات تصل ديره في الشوير بالطريق العام . وكان رئيس هـــذا الدير الارشمندريت جراسيموس الدمشقي قـــد بنى تسعة بيوت للشركاء في ابي ميزان وحارة في القنابة وحارتين في راميا وحارة في الزغرين وحفر اربعة ينابيع في ابي ميزان والقنابة وغرس ١٢٠٠٠ نصبة توت وانشأ مدرسة في الدير لتعليم ابنـــاء الطائفة من القرى المجاورة .

عيد تحرير الكرسي الانطاكي : وفي الحادي والثلاثين من تشرين الاول سنة ١٩٠٥ احتفل الاب اغناطيوس رئيس الامطوش الانطاكي في موسكو بقداس لمناسبة مرور سبـــع سنوات على وصول ملاتيوس الثاني الى الكرسي الانطاكي « ولذكرى تحرير هذا الكرسي وتعيين من هو جدير به من ابناء الوطن » . وخرج المؤمنون من الكنيسة لدار الامطوش يقدمون التهاني لرئيسه . ونشرت الجرائـــد الروسية خبر العيد الانطاكي مشاركة الانطاكيين بسرورهم (٢) .

---

١) المحبة ٦ آب سنة ١٩٠٥ ص ٤٩٠ — ٤٩٢

٢) الامطوش الانطاكي في موسكو لفوزي ابراهيم الخوري احد طلبة كلية اللغات الشرقية بموسكو : المحبة ١٧ كانون الاول ١٩٠٥ ص ٨١٤ — ٨١٥ .

الفصل الرابع والخمسون

غريغوريوس الرابع

وفاة ملاتيوس الثاني : وفي مساء الاربعاء الخامس والعشرين من كانون الثاني سنة ١٩٠٦ شعر ملاتيوس الثاني بتوعك بسيط فأفاد حاشيته بذلك واخـــذ بعض الادوية . ثم استدعى احـــد الاطباء فأسعفه ببعض العلاجات . وفي صباح الخميس تساءل افراد الحاشية عن صحته فقيل انـــه لم يزل راقداً . وكان الوقت ضحى فاستغربوا هذا الرقاد وتقدموا اليه فلم يفـــه ببنت شفة . وكانت علامات التنفس شديدة . فاستدعوا الاطباء فقرروا انـــه مصاب بسكتة دماغية شديدة الوطأة عظيمة الخطر . وعقد المجلس البطريركي المختلط جلسة فوق العـادة برئاسة اثناسيوس (ابي شعر) متروبوليت اداسيس فقرر وجوب اعـــلام الوالي والسادة المطارنة القريبين من دمشق . وارسل الوالي طبيبين ثم جاء بنفسه وشاهد البطريرك بحالة الخطر الشديد .

وبعد ساعة فاضت روحه بين يدي الاطباء ونودي بوفاتـــه . فعقد قوميسيون الطائفة المختلط جلسة ثانية وقرر اخبار جميع اساقفة الكرسي الانطاكي والنائب البطريركي في مدينة انطاكية . وأسرع الشمامسة فغسلوه بالزيت والخمر وألبسوه بدلة رئاسة الكهنوت ونقلوه الى صحن الكنيسة الكاتدرائية ووضعوه ضمن عرش مكلل بالزهور والرياحين . وأحاط به الكهنة والشمامسة يقرأون الاناجيل ويرنمون الزبور . وبقي هذا الترتيب متواصلا ليلاً نهاراً الى حين دفنه .

وقبيل ظهر الجمعة في السابع والعشرين من كانون الثاني حمل البرق رسالة من مطراني حمص وحمـــاة تفيد وصولها الى دمشق في المساء . فعقد القوميسيون المختلط جلسة ثالثة وقرر الاحتفال بمأتم البطريرك يوم السبت في الثامن والعشرين وابتداء من الساعة العاشرة قبل الظهر .

وتوافد القوم على الدار البطريركية للتعزية وفي مقدمتهم كثير من الرؤساء الروحيين . وأظهر الوفد الماروني من شعائر الحب والاخاء ما أوجب الشكر والثناء . فقد قال هذا الوفد : « حضرنا بالنيابة عن كل الطائفة المارونية لا لتعزيتكم بل لمشاركتكم بالحزن . فنحن بالمصاب سواء لان كل ما يسرّ الطائفة الارثوذكسية يسر الطائفة المارونية وكل ما يسوؤها يسوؤنا . وهذه شعائر الموارنة في جميع الاقطار .

وعند الساعة العاشرة من قبل ظهر السبت غصت الكنيسة الكاتدرائية بالقوم على اختلاف الطبقات . وكانت لجنة القوميسيون المختلط تستقبل الوفود . فأقبل الوالي والمشير وقناصل الدول والرؤساء الروحيون وممثلو الجمعيات والوجوه والاعيان . وقام بصلاة الجناز كل من اثناسيوس متروبوليت حمص وغريغوريوس متروبوليت حماة وبولس متروبوليت لبنان وجراسيموس متروبوليت بيروت وجرمانوس متروبوليت زحلة وعدد عديد من الكهنة والشمامسة . وتولى التأبين متروبوليت بيروت . ثم حمل الفقيد على اكف المطارنة وسير به الى دار الكنيسة واودع اللحد بصحن الدار .

وصباح الاحد احتفل السادة المطارنة ومصف الاكليروس بقداس وجناز عن نفس الفقيد وارتقى المنبر متروبوليت لبنان وتولى التأبين ثانية . وبعد الظهر قام وفد من المطارنة فرد الزيارة لكل من بطريرك الروم الكاثوليك وبقية الرؤساء الروحيين . وفي المساء عقد المطارنة مع اعضاء قوميسيون الملة جلسة عهدوا فيها وكالة اشغال البطريركية لاثناسيوس متربوليت حمص (١) . وفي اوائل اذار صدرت ارادة سنية سلطانية بتصديق قائمقامية اثناسيوس وبلغت من نظارة العدلية الى والي الولاية (٢) .

صدى الوفاة في القسطنطينية والاسكندرية : وحرر بعض اعيان الطائفة الارثوذكسية في ابرشية ترسيس وأذنه عرائض الى المجمع الانطاكي المقدس

١) المحبة ٤ شباط سنة ص ٦٥ ــ ٧٨

٢) المحبة : ١١ اذار سنة ١٩٠٦ ص ١٥٤

وطالبوا باجراء الانتخاب البطريركي الجديد على القاعدة القديمة لاعادة السلام الى احضان الكنيسة . وارسلوا نسخاً عن عرائضهم الى بطاركة القسطنطينية والاسكندرية واوروشليم . فكتب البطريرك الاسكندري الى زميله القسطنطيني يأسف لخروج الكرسي الانطاكي عن جادة الصواب ويقترح اعادة النظر في المشكلة الانطاكية وتمهيد السبيل لاعادة المطارنة المبعدين الى كراسيهم واشراكهم في انتخاب البطريرك الانطاكي الجديد . ولكن السينودس القسطنطيني المقدس آثر عدم التدخل خشية تفاقم الشقاق واتساعه .

الترشيح : وفي العشرين من نيسان سنة ١٩٠٦ التأم المجمع الانطاكي المقدس لجلسة الترشيح القانوني فجرى الترشيح بكل هدوء وسكينة وحاز كل السادة المطارنة اصواتاً . ولكن اثناسيوس متروبوليت حمص فاز بالاكثرية ونال غريغوريوس متروبوليت طرابلس اربعة اصوات والباقون اقل من ذلك . ونظم ضبط الترشيح ونُقل الى والي سورية ليعرضه على المراجع الايجابية . وقبلت هذه المراجع قائمة الترشيح بكاملها فاعتبرت كل مطران من مطارنة الكرسي الانطاكي اهلا للمنصب البطريركي .

غريغوريوس بطريرك انطاكية : وفي الخامس من حزيران سنة ١٩٠٦ عقدت جلسة التفريق برئاسة القائمقام البطريركي كيريوس اثناسيوس متروبوليت حمص وعضوية كل من السادة غريغوريوس مطران حماة وغريغوريوس مطران طرابلس وارسانيوس مطران اللاذقية وبولس مطران جبيل والبترون وجراسيموس مطران بيروت وباسيليوس مطران عكار واسطفانوس مطران حلب والكسندروس مطران ترسيس وجرمانوس مطران زحلة والخوري يوسف اليان والذوات جبرائيل ملوك وجبران لويس وسمعان اللاذقاني وبطرس قندلفت واسكندر ترزي وداود ابو شعر واسعد ابو شعر وامين يوسف ملوك ونقولا شباط . وقدم مطران طرابلس صك وكالة له من مطران ديار بكر وما بين النهرين مؤرخاً في ١٢ نيسان سنة ١٩٠٦ وصك وكالة له ايضاً من مطران صور وصيدا مؤرخاً في ٢٣ ايار سنة ١٩٠٦ . فكتب أعضاء هذا المجلس مجلس الانتخاب اوراقهم

السرية . ولدى فتحها تبين ان غريغوريوس متروبوليت طرابلس فاز بالاجماع .

« قرار المجمع الانطاكي المقدس بانتخاب السيد غريغوريوس حداد مطران طرابلس بطريركاً لانطاكية وسائر المشرق الجلسة الثامنة : باسم الاله المثلث الاقانيم غير المنقسم قد التأمنا نحن مطارنة الكرسي الرسولي الانطاكي المقدس في كنيسة دمشق الكاتدرائية المحمية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم وبناء على ما تقرر في الجلسات السابقة شرعنا في الانتداب قانونياً وفي وسطنا ايقونة ربنا والهنا ومخلصنا يسوع المسيح الطاهرة لايجاد شخص فيه الاهلية واللياقة وانتخابه لضبط زمام الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس والقيام بمهامه روحياً وزمنياً . فوضعنا اولا اسم اخينا السيد غريغوريوس مطران حماه . ثانياً اسم اخينا السيد غريغوريوس مطران طرابلس . وثالثاً اسم اخينا السيد جراسيموس مطران بيروت الموقرين الذين ادرجت اسماؤهم في هذا السجل البطريركي الشريف لبيان دائم وايضاح ثابت . وبعد التضرع والابتهال الى الهنا العظيم واستمداد نعمة روحه القدوس واعطائنا انتدابنا السري القانوني وقع الانتخاب على اخينا السيد غريغوريوس مطران طرابلس الوقور باتفاق الاصوات وهو اعطى صوته الى السيد جراسيموس مطران بيروت الوقور . فقدمنا للاله الضابط الكل الشكر القلبي على ذلك تحريراً في اليوم الخامس من شهر حزيران المبارك سنة الف وتسعمائة وست للميلاد ١٩٠٦ في دمشق » .

وكان اثناسيوس متروبوليت حمص قد اعلن عدم رغبته في الدخول في مصف المنتخبين بفتح الخاء . وأخذ متروبوليت لبنان نص القرار وتلاه على مسمع الجمهورخارج الكنيسة فعلت اصواتهم بالاستحسان. ثم انتصب اثناسيوس متروبوليت حمص مناظر غريغوريوس فهنأ مناظره بانتخابه بطريركاً وهنأ نفسه والسادة المطارنة وعموم الطائفة بالسيد الجليل « سائلا الله جل جلاله ان يرعاه بعين عنايته ويوفقه لان يرعى الطائفة وان يمنحه حكمة التدبير » . وعندئذ ألقى البطريرك المنتخب كلمة استهلها بالقول : « ان راعياً لغنم ابيه وصغيراً في اخوته أتي قديماً الى منصب عالٍ في شعبه . انا الراعي الفقير الذي شرفته النعمة الالهية واختصته ثقة اخوته به ودالة ابنائه عليه فرفعته الى المقام السامي في هيئة الكرسي الانطاكي . فيحمد الله على نعمته ويشكر اخوته السادة الاجلاء ويدعو لابنائه بالرب ضارعاً الى الله تعالى الذي منه كل قوة ومعونة ليؤهله معهم لحسن القيام بالواجب لنيل جميل المكافأة من الديان العادل » .

وهو غنطوس ابن جرجس ابن غنطوس الحداد . ولد في غرة تموز سنة

١٨٥٩ في قرية عبيه وترعرع فيها . وضعه والداه في مدرسة عبيه الاميريكية فورد من معين العلم زلالا وبرز على أقرانه ومال من صبوته الى الزهد والتأمل فأيد الله نيته ودفعه الى يد غفرائيل متروبوليت بيروت ولبنان في العاشر من ايار سنة ١٨٧٢ . فتثقف عليه في كل بر وفضيلة وحظي من جانب رضاه بما لم يحظَ به أحد قبله فألحقه بمدرسته الاكليريكية . وفي الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٨٧٥ اتخذه كاتباً له فانبثقت اشعةنشاطه وبان سمو آرائه . وفي التاسع عشر من شهر كانون الاول سنة ١٨٧٧ ألبسه معلمه الاسكيم الرهباني في دير سيدة النورية . ثم سامه شماساً في التاسع والعشرين من آب سنة ١٨٧٩ واناط به مهام عديدة منها انشاء جريدة الهدية ومنها ايضاً نيابة رئاسة جمعية القديس بولس ومنها وقوفه على طبع كتاب البوق الانجيلي .

ولما استأثرت رحمة الله بصفرونيوس (النجار) متروبوليت طرابلس انتدب غريغوريوس ليكون خلفاً له فسامه غفرائيل قساً في السادس من ايار سنة ١٨٩٠ . ثم نال نعمة رئاسة الكهنوت من يد البطريرك جراسيموس بمشاركة سيرافيم متروبوليت اداسيس ونيقوذيموس متروبوليت عكار وذلك في العاشرمن ايار من السنة نفسها . فاشتهر بنشاطه واستقامته وعفافه وزهده ودماثة اخلاقه . وكان ضليعاً في اللغة العربية من صرف ونحو وبيان وعروض وفي الرياضيات والمنطق وفي العلوم الشرعية من فقه وميراث. وكان له ذهن لا يعرض عليه نسيان وقريحة سيالة كالسحاب وتصورات من ابدع ما يعرض للمخيلة وشعر منسجم الحواشي مبتكر المعاني . وكان له اطلاع في اللغة اليونانية وبعض الالمام باللغتين التركية والروسية (١) .

حفلة التنصيب : وتبلغ غريغوريوس صدور الارادة السنية بالتصديق على انتخابه بطريركاً لانطاكية وسائر المشرق في السادس من اب سنة ١٩٠٦ فتقرر الاحتفال بتنصيبه يوم الاحد في الثالث عشر من الشهر نفسه .

---

١) الارج الزاكي لامين ضاهر خيرالله ص ١٤٣ – ١٤٥ والمنار ١٩٠١ ص ٧٤٨ – ٧٤٩ والمحبة : ١٠ حزيران ١٩٠٦ ص ٣٧٢ – ٣٧٣ .

وفي السابعة والنصف صباحاً قرعت الاجراس فتوارد المدعوون الى دار البطريركية وفي طليعتهم ممثلو الحكومة وقناصل الدول والوجهاء والاعيان ووفود الابرشيات .

وخرج البطريرك بموكبه الى الكنيسة الكاتدرائية المريمية لابساً بدلته العادية الجبة والصليب والشمسة والقلنسوة باللاطية . فمشى امامه القواسة ثم حملة الشموع والمراوح والصليب المقدس ثم المرتلون يرتلون الارمس التاسع للشعانين « الله الرب ظهر لنا » . ثم مشى الكهنة والارشمندريتيون ببدلاتهم الكهنوتية ثم الاساقفة ثم رؤساء الاساقفة ثم المطارنة غريغوريوس حماة واثناسيوس اداسيس وارسانيوس اللاذقية وبولس جبيل والبترون وجراسيموس بيروت وباسيليوس عكار والكسندروس ترسيس وجرمانوس سلفكياس ثم الشامسة يحملون الذيكاريات والتريكاريات والمباخر ثم حامل الشمعدان البطريركي ثم البطريرك المنتخب ووراءه اصحاب المقامات الرسمية .

ولدى وصول البطريرك المنتخب الى مدخل الكاتدرائية الغربي وولوجه النرثكس بدأ المرتلون بترتيل « بواجب الاستيهال » . وتقدم الشامسة فالبسوا البطريرك المنتخب المنتية . فدخل الكنيسة يبخره اثنان من الشامسة . ودخل الهيكل مع جميع هيئات الاكليروس وسجد وقبّل المائدة المقدسة . ثم تنحى فتقدم غريغوريوس متروبوليت حماة أقدم المطارنة شرطونية لابساً البطرشيل والاموفوريون الى امام المائدة المقدسة وبخرها . فقال الشماس بارك يا سيد . فرتل متروبوليت حماه «تبارك الله الهنا .. ايها الملك السماوي» الخ. ثم أعلن قائلا « لأنك اله رحيم » ثم ختم بعبارة العنصرة . وعندئذ لبس البطريرك المنتخب البطرشيل والامورفوريون وبخر حول المائدة المقدسة وأتمّ الصلاة كأول المطارنة . وبعد الحل تقدم الشامسة ونزعوا عنه البطرشيل والاموفوري وبعد ذلك خرج الموكب المؤلف من رؤساء الكهنة والكهنة والشامسة ووقفوا في الخورص صفين. ووقف البطريرك المنتخب في الباب الملوكي متجهاً نحو الشعب. فانتصب كاتب المجمع المقدس الشماس باسيليوس الصيداوي في بهرة الخورص وتلا

بصوت جهوري « الاعلام العظيم » .

« ان المجمع الانطاكي المقدس ومصف الاكليروس الموقر وجماعة الشعب الارثوذكسي المبارك قد انتخبوا غبطتكم باتفاق الرأي بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق بالهام الله وهم يدعونكم بواسطة الابن الحقير الى هذا الكرسي الانطاكي البطريركي المقدس المؤسس من هامتي الرسل بطرس وبولس الالهيين . فارتقوا اذاً اليه ايها السيد الكلي الغبطة وزينوه عمراً مديداً كما زينه اسلافكم الرسل الاطهار واغناطيوس المتوشح بالله وافستاثيوس الكبير وملاتيوس الشريف وسائر الذين تقلدوا زمام هذا الكرسي المقدس بخوف الله » .

وبعد هذا تقدم غريغوريوس متروبوليت حماة الاول سيامة بين المطارنة وسلم البطريرك عصا الرعاية قائلا : « الله معك يا مبارك الرب . تشجع وتقوَّ بالرب . وكن اميناً في الخدمة التي اختارك لها الله الملك . وارعَ بخوف الله وامانة ونشاط الرعية المفتداة بالدم الكريم في مراعي الخلاص . واوردها ينابيع الحياة الالهية حافظاً الايمان وساهراً في الصلاة محباً لله ولشعبه المختار ومعلماً الجميع وصايا الرب وحقوقه صائراً مثالا في كل عدل . وخذ بيمينك هذه العصا القويمة لتكون لك نحو الجهال والمتمردين للتأديب ونحو العقلاء والراضخين للرعاية والعناية » .

وقدم غريغوريوس الاول بين المطارنة العصا وقبل يمين البطريرك غريغوريوس . فتناولها البطريرك ونزل من الباب الملوكي يتقدمه الشامسة بالذيكاريات والتريكاريات وذهب فصعد الى السدة البطريركية ولفظ خطاباً مستمداً العون الالهي للقيام بمهام منصبه السامي :

« ان خطارة المنصب بالنسبة الى حقارتنا تزيدنا شعوراً بضعفنا واحتياجنا الى نعمة القدير . ونتقدم لاتمام رغبة اخوتنا بالرب الكلي طهرهم وابنائنا الاحباء بالروح القدس بارتقائنا الى هذا الكرسي الرسولي المقدس معاهدين ان نبذل جهد القدرة للقيام بامانة ونشاط بواجبات المنصب الذي عهد الينا ثابتين ومحافظين على الناموس الالهي والترتيبات الشريفة ونفوس الرعية وحقوق الله حتى النهاية شاكرين لاخوتنا الكلي طهرهم انتخابهم لنا على ما بنا من الضعة وبنينا الاعزاء ثقتهم بنا على

ما بنا من الضعف مستمدين جميعنا العون الالهي والمساعدة الاخوية والطاعة البنوية للبلوغ الى غاية رضى الذي يدين كل الخليقة . فنظهر جميعنا اهلا للدعوة التي دعتنا لميراث ملكوت السماوات » .

ثم وقف جراسيموس متروبوليت بيروت في الكرسي المقابل للكرسي البطريركي وأجاب غبطته على خطابه بخطاب ناب فيه عن هيئات الاكليروس والشعب بتهنئة غبطته . فوصف سرور البيعة الانطاكية براعي رعاتها واظهر ما علقته عليه من الآمال وما انتظرته من حكمته وحزمه .

فرتل المرتلون البوليخرونيون البطريركي وبارك البطريرك الشعب بالصليب الكريم . ثم احتفل غبطته ولفيف الاكليروس بخدمة القداس الالهي . وقبل تلاوة الرسائل اي بعد ترتيل « يا رب خلص المؤمنين واستجب لنا » ارتقى غبطته الكاتدرا الرسوليةفي صدر الهيكل فهتف متقدم المطارنة «اكسيوس» اي مستحق. ورتلهذه الكلمة المطارنة والاكليروس داخل الهيكل ثلاثاً والمرتلون في الخورصين ثلاثاً ثلاثاً . ثم اعلن الارشدياكون الفيمي البطريركية :

« غريغوريوس الاب الاقدس الطوباوي والجزيل الاحترام بطريرك مدينة الله انطاكية العظمى وسورية والعربية وكيليكية والبلاد الكرجية وما بين النهرين وسائر المشرق . ابو الآباء وراعي الرعاة ورئيس الرؤساء ثالثعشر الرسل القديسين الاطهار ابونا ورئيس رعاتنا لتكن سنوه عديدة» .

فرتلها المطارنة والاكليروس القائمون في الخدمة المقدسة من الهيكل اولا ثم أعادها المرتلون في الخورصين كل خورص لوحده . وبعد نهاية القداس خرج البطريرك بموكبه الى دار البطريركية (١) .

ولما استقر بالمجمع المقام نهض قنصل فرنسة في دمشق وتكلم باسمه وباسم زملائه قناصل الدول مهنئاً وتمنى للبطريرك وللطائفة الارثوذكسية التوفيق والهناء . فشكر البطريرك ما لقيه من المجاملة واللطف . ثم نهض اسكندر الطرزي فتكلم بالتركية فالدكتور داود ابو شعر شعراً ونثراً فجرجي عطية متفنناً بوصف سرور الملة فالدكتور خليل الحايك باسم ابرشية طرابلس فسليم شامية بالنيابة عن لجنة حب

١) كتاب خدمة رؤساء الكهنة لجراسيموس متروبوليت بيروت : « وهو الذي روعي يوم تنصيب غبطة البطريرك الحالي السيد غريغوريوس الرابع الجزيل القداسة » ص ٩٥ — ٩٦ .

الرحمة فسليم عازي . وفي النهاية وقف البطريرك نفسه فاستهل باستمداد العون الالهي وأعرب عن ثقته بمستقبل سعيد لما توسمه من مضافرة وجهاء الطائفة واعيانها ومساعدتهم اياه مادياً وادبياً (١) .

وسائل الجلوس : وفي الرابع عشر من اب سنة ١٩٠٦ اي بعد حفلة التنصيب بيوم واحد وجه البطريرك الجديد رسائل الجلوس الى البطاركة ورؤساء الكنائس المستقلة :

« بعد الديباجة : نبدي اننا نتبع ترتيباً شريفاً وعريقاً في القدم يوجب على رؤساء الكنائس المقدسة المستقلة الروحيين ان يعلموا بعضهم بعضاً بالحوادث المهمة التي تحدث حيناً فحيناً في كنائسهم وان يرسلوا الرسائل السلامية بياناً مخصوصاً لارتقائهم على منصة الرئاسة في تلك الكنيسة . فنتقدم برغبة فوادية لنعلم كلي قداستكم انه بعد انتقال سلفنا السعيد الذكر ملاتيوس الى الرب في اواخر شهر كانون الثاني للسنة الحالية اجتمعت الهيئة الانتخابية وهي مؤلفةمن مطارنة الكرسي الانطاكي الرسولي المقدس الجزيل طهرهم ومن الذوات نواب الشعب المحفوظ من الله فأتمت كل المعاملات التمهيدية للانتخاب بحسب الاصول المرعية في اجتماعاتها القانونية تحت رئاسة القائمقام البطريركي السيد اثناسيوس مطران حمص الكلي الاحترام . وفي اليوم الخامس من شهر حزيران سنة ١٩٠٦ اجتمع المجمع الانطاكي المقدس المؤلف من جميع مطارنة الكرسي الرسولي في كنيسة نياح سيدتنا والدة الاله الكاتدرائية في دمشق تحت رئاسة القائمقام البطريركي المشار اليه . وبتمام الحرية وبارشاد نعمة الروح الكلي قدسه مبدأ كل عمل مقدس وجه انظاره الى ضعفنا بانتخاب حقارتنا باتفاق تام وبرأي واحد بطريركاً لمدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق .

« وبعد ان صدق جلالة متبوعنا الاعظم صاحب الشوكة والاقتدار سلطاننا الافخم على انتخابنا القانوني الذي جرى بالصورة المبينة وأعلن رضاه الملوكاني العالي بارادته السنية الصادرة في ٥ آب سنة ١٩٠٦ تم يوم أمس الأحد الواقع ثالث عشر شهر آب الجاري ارتقاؤنا على حسب الاصول المرتبة ترتيباً الى الكرسي الرسولي البطريركي الانطاكي المقدس في الكنيسة الكاتدرائية المشار اليها في مدينة دمشق .

« ولما كان من أقدس اهتماماتنا ان نحافظ على رباط الاتحاد والمحبة في المسيح غير منقطع

١) المحبة : ١٩ آب ١٩٠٦ ص ٥٣٢ — ٥٣٨ . وبعد الصفحة ٥٤٤ « صورة اهم الخطب والقصائد التي تليتفي حفلة تسليم العكاز لغبطة العلامة المفضال كيريوس كيريوس غريغوريوس الرابع بطريركاً على مدينة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق الكلي الطوبى والجزيل الطهر » وبينها خطاب جراسيموس متروبوليت بيروت وخطاب بولس متروبوليت جبيل والبترون .

تبادر بتحريرنا هذا الاخوي الذي به نعرف كلي قداستكم الوقورة والمشتهاة ما تقدم ونصافحكم بشوق روحي ومقدس ونقبلكم القبلة الفوادية بالمسيح .

« على اننا باستلامنـا سكان السفينة المؤسسة من الله سفينة انطاكية المقدسة نلتهب بغيرة حارة ورغبة واحدة فقط في كيف يمكننا بمعونة الله ان ندبر السفينة المحفوظة تدبيراً نافعاً ومرضياً لله ونقودها بسلام لاتمام ارادة الرب الصالحة والكاملة وان نتبع خطوات راعي الرعاة العظيم لنأتي بشعب الرب الخاص المسلم لعهدتنا الى مراعي نعمة الانجيل وينابيع الخلاص كما يريد الله . غير انه سيكون من أقدس واحلى واجباتنا هذا الواجب اي ان نجتهد في ان نحافظ على الربط المقدسة مع قداستكم الوقورة ربط المحبة والسلام ونقدم صلوات وتضرعات من اجل ان تكون خدمتكم وخدمتنا مثمرة في كرم الرب لمجد اسمه الفائق التمجيد . ومن ثم نرغب من تقوى قداستكم الشيء ذاته اي ان نتمتع بمثل ما ذكر وننال منكم الرسائل المتتابعة تعزيزاً وتقوية لربط المحبة الاخوية بيننـا التي هي كمال الناموس واسمى وصايا المسيح مخلصنا وفادينا ولتوثيق عرى السلام المعطاة الطوبى لصانعيه من فم مخلصنا .

« فعلى هـذا نصافح هامتكم الموقرة ونطلب من الله مانح النعم ان تكون سنوكم كثيرة وخلاصية تتمتعون فيها بصحتي النفس والجسد . ونعمته تعالى فلتكن معنـا وفيما بيننا على الدوام آمين . مستمد دعاكم اخوكم بالمسيح المستعد لخدمتكم بالرب غريغوريوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق : حرر في رابع عشر شهر آب سنة ١٩٠٦ في مدينة دمشق » (١) .

وسبقت كنيسة موسكو اخواتها الأرثوذكسيات في المحبة فأقام الاسقف انسطاسيوس وكيل متروبوليت موسكو قداساً حبرياً في كنيسة امطوش الكرسي الانطاكي في يوم تنصيب غريغوريوس في الثالث عشر من اب سنة ١٩٠٦ ودعا دعاء حاراً للبطريرك الجديد وألقى كلمة باسم الكنيسة الروسية هنأ بها البطريرك الانطاكي غريغوريوس « عمود الكنيسة غير المتزعزع » . (٢) وأسرعت جميـع الكنائس المستقلة للرد على رسالة الجلوس بالمحبة الاخوية .

وأنعم السلطان العثماني بالوسام المجيدي الاول على غريغوريوس « جزاء اخلاصه وصدق خدمته » فكان هذا الانعام خير رد على اعتراض مطارنة اليونان الانطاكيين الاربعة البعيدين عن كراسيهم الذين اعتبروا مستقيلين . وكان رائد يواكيم البطريرك المسكوني مذ تسنم السدة القسطنطينية توثيق عرى المحبة والوفاق

١) مجلة النعمة : ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ص ٢٥٧ ـ ٢٦٠

٢) المحبة : ١٦ ايلول ١٩٠٦ ص ٦٠٤

بين الكنائس الارثوذكسية فرد على رسالة الجلوس الانطاكية في الرابع عشر من اب سنة ١٩٠٩ بأحلى منها :

« ايها الاخ المحبوب بالمسيح جداً الكلي الغبطة والقداسة بطريرك مدينـة الله انطاكية العظمى وسائر المشرق ومساهم حقارتنا في خدمة الاسرار الالهية المشوق اليه كثيراً كيريوس غريغوريوس . بعد مصافحة غبطتكم الجليلة اخوياً بالرب يحلو لدينا جداً ان نخاطبكم بما يأتي :

« ان رابوع البطريركيات الشريف المؤلف من كنائس الله الشرقية المقدسة كان دائمـاً بنعمة الله وبملء التقوى قاطعاً كلمة الحق باستقامة ومرتبطاً بعرى المحبة الاخوية والاتفاق والمعاضدة ارتباطاً لا ينفصم كما كان متحداً بالرأي . فتوطدت بذلك وحدته وأصبح معسكراً قوياً يؤيده التكاتف على المصالح المشتركة العائدة لخلاص وصيانة ذويه والقريبين منه فضلا عمـا يتأتى عنها من الارشاد والمساعدة للبعيدين . وبما ان هذا الرابوع يكرز برب واحد واله واحد ومعمودية واحدة فكانت ايضاً رغائبه مشتركة وكذلك مقاصده المقدسة والشريفة التي بها يرشد الى الخلاص ويعمل على البنيان وبكل غيرة حافظ على ثوب الوحدة والاتفاق في الرأي الذي نسجته يد علوية وعملت على صيانته من كل خرق . فالمجد لله الكلي الصلاح ورئيس السلام فانه بمسرته المقدسة وبنعمته تمكن رباط المحبـة القوي من ان يبعد النفرة التي دخلت حيث لم يكن لها محل . وأعاد ثانيـة القريبين والانسباء الى قرابتهم ونسبتهم السابقة التي ولدتها الفطرة والدعوة المشتركة كما شهد بذلك التاريخ القديم والتقليد على مر الدهور . فكان ذلك كله لتعزيتنا المشتركة وخلاصنا وفرحنا . فعسى ان لا تعود البتـة النفرة والانقسام اللذين لا محل لهما وقد تولد لنا عنهما حزن عظيم جداً .

« فعليه ونحن بملء الفرح على اعادة العلائق الحبيـة نتقدم بالحبور والشوق بناء على قرار مجمعي ونبادر لمجاوبتكم الجواب اللازم على التحرير الاخوي الذي من مدة ارسلته الينا غبطتكم الجليلة وبه بحسب العادة الجليلة والحسنة اخبرتنا عن انتدابها وارتقائها السعيد الى كرسي مدينـة الله . ونصافحكم مصافحة اخوية بابتهاج القلب ونهنئكم من صميم الفؤاد على انتخابكم . وبنوع خصوصي نظهر فرحنا اذ نرى في شخص غبطتكم الوقور رئيس كهنة هذيذة بالالهيات دوماً يحافظ على عقائـد حسن العبادة بكل دقة ويسوس الرعية بغيرة وحنكة وقد اضطرمت في فواده الغيرة على رعايـة الرعية التقية المؤتمن عليها وقيادتها الى ما يرضيه تعالى . كما نرى فيكم ايضاً اخاً كلي الكرامـة يحتسب من اقداس واحلى اهتماماته الغيرة في سبيل المحافظة على الربط الحبيـة الشريفة بيننا التي منها تتأتى الفوائد والبنيان والخلاص لكل منا على حدة ولمجموعنا سوية .

« واذ نلتمس اخوياً العون العلوي لغبطتكم والتأييد في رغائبكم ومقاصدكم المخلصة والمرضية لله نؤكد لكم اننا لا نفتر عن رفـع اكف الضراعة بحرارة لدى مؤسس الكنيسة ومديرها السماوي من اجلكم ومن اجل رعيتكم التقية . وبكل شوق وبعين الاعتبار نقبل دائما كل ما تكاتبنا بـه اخوتكم وتعلنه لنا . وبكل نشاط نقدم لكم مساعدتنا الاخوية في كل ما تحتاجون اليه وتطلبونه منا في سبيل الخير .

« وعليه نكرر مصافحتنا القلبية لغبطتكم الجليلة بقبلة اخوية ونقدم تحياتنا الاخوية من اجل جميع رؤساء كهنة الكرسي الكلي طهرهم الذين اخذنا رسالتهم المشتركة من مـدة ايضاً بمين الاعتبار والاكرام ولا نزال بملء المحبة الاخويـة . اخوكم المشتاق والمحب لكم بالمسيح يواكيم بطريرك القسطنطينية . القسطنطينية في ١٤ آب سنة ١٩٠٩ » .

وفي الخامس والعشرين من ايلول من هذه السنة نفسها كتب دميانوس بطريرك اوروشليم شاكراً المخلص الذي رفع سياج التباعد وأعاد ربط المحبـة والسلام موافيـاً من صهيون المقدسة مصافحاً في المسيح مبتهجاً لانتـداب غريغوريوس مصلياً امام القبر الاقدس والجلجلة الرهيبة متوسلا عضد البطريرك الانطاكي وتقويته (١) .

وانتهز فوطيوس بابا وبطريرك الاسكندرية حلول عيد الميلاد فتوج رده على رسالة الجلوس الانطاكية بالعبارة : « السلام بالمسيح الاله المولود اليوم » فحلّ الصمت الطويل وتقدم بالاسطر الاخوية فور خروجه من الهيكل الشريف ليتمتع بالبهجة والفرح المشتهى من زمن مديد ويشترك معيداً مع بطريرك انطاكية والكنيسة الانطاكية المقدسة لخلاص الجنس (٢) .

وكتب ثيوكليتوس متروبوليت اثينه ورئيس مجمع كنيسة اليونان المقدس في الوقت نفسه ماثلا امام غبطة البطريرك الانطاكي بالروح بنفس وقلب واحد مبتهجين مصافحاً بقبلة قديسة وأخوية بالرب مبتهلا من اجل حسن ثبات ومحبة الكنيسة الرسولية الشقيقة كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى التي قبل غيرها تشرفت بقلب المسيحية العزيز (٣) .

زخريا بين البطريرك : ولمس غريغوريوس مواهب شماسـه زخريا زخريا في الادارة والسياسة وتثبت من اخلاصه وتعلقـه بشخصه فجعل باكورة اعماله البطريركية ترقية هذا الشماس المخلص الامين الى درجة القسوسية . فأقام في

١) المخابرات الرسمية بين البطريركية الانطاكية والبطريركيات الاخرى الارثوذكسية : النعمـة ١٩٩ ص ٢٥٦ — ٢٦٤

٢) مجلة النعمة : ١٥ كانون الثاني ١٩١٠ ص ٤٥٩ — ٤٦٢

٣) مجلة النعمة ايضا : ٢٩ كانون الثاني ١٩١٠ ص ٤٩١ — ٤٩٤

الخامس عشر من اب سنة ١٩٠٦ اي بعد تنصيبه بيومين قداساً حبرياً لمناسبة عيد انتقال السيدة والدة الاله عاونه فيـه كل من ارسانيوس متروبوليت اللاذقية وجراسيموس متروبوليت بيروت وفي اثنائه سام زخريا قساً .

وبعد نهاية القداس ألقى زخريا في الدار البطريركية كلمة وجيزة استهلها بقول الحكيم : « تفاح من ذهب في اناء مفضض الكلمة المقولـة في حينها » . وأردف قائلاً : وتعداد ما لغبطتكم عليّ من الايادي البيضاء ، هو الكلمة المقولة في حينها . فيمينكم رفعتني من الحضيض في اوائل نيسان سنة ١٨٨٢ . ويمينكم التي وضعتموها في ١٤ ايلول سنة ١٩٠٠ على هامتي في ديركم العامر دير سيدة البلمند جعلتني اخطو خطوتي الاولى في سلك الرهبنة . ويمينكم هي التي رفعتني الى اولى درجات سلك الكهنوت وذلك في ٢٨ تشرين الاوط سنة ١٩٠١ . ويمينكم تجعلني اليوم باكورة عملها المقدس فترفعني الى الدرجـة الثانية . فتنازلوا لقبول هذه الكلمة المقولة في حينها (١) .

شغور الكراسي : وفقدت ابرشية صور وصيدا راعيها ميصائيل في السابع من تموز سنة ١٩٠٦ في حاصبيا اثر امراض نزلت على جسمـه اللطيف فانهكته . وكانت هذه الاسقام مصحوبة بصنوف الآلام والاوجاع فكان يقابلها برحابة صدر وثبات جنان ملقياً اتكاله على رحمة المولى .

وفي الحادي عشر من شباط سنـة ١٩٠٧ أفضى الى ربـه سلفسترس (زرعوني) متروبوليت ديار بكر وقد رماه التيفوئيد فأقصده . وتوفي وهو فرح لا ينطق بغير الكلمات : اقبل يارب اتعابي كفارة عن خطاياي الكثيرة » . وكان قد سلك مسلك الراعي الصالح فبذل نفسه عن الخراف ورضي بما لم يرض به غيره فان ابرشيته كانت تمتاز بفقرها فلا تؤدي الى راعيها اكثر من عشر ليرات ذهبية في السنة . وكان سلفسترس ينفق هذا الايراد في سبيل الخير ويزيد عليه مما يتناوله من البطريرك الانطاكي للقيام بنفقاته الخصوصية . وفي السنة ١٩٠٢ قام بجولـة

١) مجلة المحبة : ١٩ آب ١٩٠٦

رعائية فانفق خمساً وثلاثين ليرة مقابل عائدات تناولها من ابنائه الروحيين بلغت شوالا من حب الفصوليا وكيساً من الكشك . وعلى الرغم من هذا كله فانه انشأ مدرستين وباشر عمار كنيسة القديس جاورجيوس . وحافظ على ترتيب الكهنة ونظم الكنيسة والناموس . وعاش عيشة القناعــة والزهد والصبر محيياً لياليـه بالعبادة (١) .

وكانت ابرشيته ارضروم لا تزال مترملة منذ وفاة قسطنديوس كما سبق واشرنا . وكان على غريغوريوس ايضاً ان ينظر في امــور روم حوران وابرشية بصرى التي لم ترَ راعياً منذ استعفاء يوايكيوس (الحايك) المنتخب مطراناً عليها في السنة ١٩٠٠ .

رائد غريغوريوس وخطته : واتخذ البطريرك الانطاكي الجديد شعاراً له الاية السادسة والعشرين مــن سفر الأحبار (لاويين) من الفصل العشرين : « وكونوا لي قديسين لاني قدوس انا الرب وقد فرزتكم من الامم لتكونوا لي » . وكان يردد مراراً الاية الخامسة والعشرين من الاصحاح العاشر مــن بشارة متى : « وحسب التلميذ ان يكون كمعلمه » .

وقال طيب الله ثراه ان القداسة تقتضي إماتة اعضائنا التي على الارض لنكون نحن احياء في الجسد كمن لا اجسام لهم فنخدم بكل امانة ذاك الذي لا جسم له وهو محبة وقد أظهر محبته لنا « ببذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » وان نتشرف كابناء النــور بكل الصلاح والعدل والحق « ليرى الناس أعمالنا الصالحة ويمجدوا ابانا الذي في السماوات » . وان تكون العدالة قائمة في أعمالنا والرحمة والرأفة لا تبرحان من أمام عيوننــا لنقطع ما يلزم قطعه من أسباب الفساد وننعش ما يلزم انعاشه من وسائل الارضاء لله حباً بالله . وان نتخذ الطرائق المناسبة لنشر حقائق ايماننا بين أبنائنا اعترافــاً بنعمة الله العظمى علينا .

١) مجلس ملة الروم في ديار وبكر : المحبة ٢٧ ايار ١٩٠٦ ص ٣٥٠ - ٣٥٢ و٢١ تشرين الاول ص ٦٨١ - ٦٨٣ .

ولما كان الاكليروس من الشعب وللشعب وكان الاثنان يؤلفان الجسم الذي رأسه يسوع المسيح الحي على الدوام كان اختيار الاكليروس من افاضل الشعب أمراً ضرورياً . وهذا الأمر يتطلب من المتقدمين والوجهاء حسن تربية ابنائهم على ما يلائم هذه الدعوة الشريفة والمنزلة العليــة . ولما كان الكهنوت عندنا لا يورث وبابه مفتوح لكل ذي ميل كان لنا ان ننتظر من أبنائنــا ذوي الكفاءة واللياقة الاقبال عليه والسعي في سبيله لنيل ما يترتب عليه من رضى الله تعالى وخلاص النفوس وطيب الاحدوثة وتخليد الذكر .

وقال رحمه الله : وليعلم الشعب المبارك والاكليروس الموقر ان حياتنــا الدينية بهذه الأيام الاخيرة هي بنت سنين لا تزيد عن العشرة فيها عرفت الرعية صوت راعيها وفهمت لغتــه . فنحن نسير في سبيل الواجب للملة كابن عشر سنين فلا نقصر عن ابراز الخطوات بين صفوف المواطنين السائرين في طريــق الحياة على نغم نشيد السلام . ويشهد لنا بذلك قلة مشاكلنا مع مواطنينــا سواء كانوا من المسيحيين او من الملل الاخرى كما تشهد ايضاً رغبتنــا المستمرة في اقتلاع أشواك الخلاف وفي غرس اصول المودة والائتلاف .

ونبذل الجهد في ترقية الشؤون العلمية والأدبية بالمساعدة التي تمر من كفنا سراعــاً الى القائمين على الحرث الالهي لتنعش الأرواح وتنهض الهمم وتقوي العزائم . والأمل وطيد بأن يتسنى لنا وللملتنــا المحبوبة من وسائل الفلاح ما يرسم الرسوم البديعة في حياة الملة بألوان زاهية وسلامة ذوق فائقة .

وهوذا المطابع الارثوذكسية التي كانت قد ابتدأت في خدمة شؤون الملة منذ قرنين ونيف قد توفقنــا لاعادتها في دار البطريركية كما توفق السيد الأخ مطران حمص الكلي الوقار في انشاء مطبعــة وجريدة في حمص من خير الشعب ولاجل خدمته وقد اقدمنا على طلب امتيــاز لمجلة الكنيسة الانطاكية فصدرت الأوامر السامية بتمكيننا من اصدارها . وقد سميناها النعمة لنشر حقائق الايمان وبث روح المحبة واحياء ميت الرجاء .

وتلك المدارس الداخلية التي انشئت في دير سيدة البلمند في اوائل القرن التاسع عشر وما انشىء على اثرها من مثل مدرسة سوق الغرب ودير سيدة كفتين على عهديها الاول والثاني والمدرسة الاكليريكية في بيروت والمدرسة الاكليريكية المتجددة في دير سيدة البلمند شاهد عدل على سعي الرؤساء ومحبة الملة لبث روح العلم والفضيلة بين ابنائها . وقد اخذ سيادة الاخ مطران بيروت الكلي الوقار يجد في سبيل انشاء مدرسة عالية للملة حاملة اسم السلام كما ان سيادة الاخ مطران حمص ينشيء عن قريب مدرسة داخلية في مقر كرسيه المقدس لسد جانب من حاجة الملة . وكل من السادة الاطهار يهتم في دائرته بشؤون المدارس وبعضهم بالمياتم والمستشفيات وغيرها من المعالم الخيرية بمعاضدة رجال من الشعب .

وهذا الهلال الظاهر يبشر بأن نجاح الامة سيكون يوماً ما بدراً كاملا . والمساعي المبذولة من جميع الرؤساء انما هي لاجل حياة الشعب ولتسبيح رأس خلاصنا . فمن اللازم ان يستقبلها الشعب مهللا ويعينها بسخاء .

ومن واجبات الرئيس ان يكون ليناً فمن حيث نودي لبيّ . وكيفما طُلب انعطف. بدون ان يكون له ميل او صبغة او شكل مخصوص او حزب معروف. بل هو للملة جمعاء يمشي مع فقيرها ويحاضر مع غنيها يدخل في جميع اعمالها ويخرج منها بلا غرض يصمه ولا تعصب يلوثه . ولئن اقتضت المصلحة احتجابه فهو المحتجب الظاهر والبعيد القريب الذي يلبي الدعوة ويشترك في البلوى ويحسن ترجمة الافكار والتعبير عن الاحوال . ولا يزال هو البصر الذي يستضيء به الجسم والدليل الذي يؤمّن معه البلوغ الى المراد (١) .

مدرسة السلام : وفي منتصف حزيران السنة ١٩٠٦ حظي جراسيموس متروبوليت بيروت بفرمان سلطاني خوله حق انشاء مدرسة ملية ارثوذكسية فترنمت اجراس كنائس بيروت الارثوذكسية مبشرة بحلول هذه النعمة وخف جراسيموس الى سراي الحكومة فأدى مراسيم الشكر ودعا بتأييد العرش العثماني (٢). ثم استدعى

١) المنشور البطريركي « خطاب للاخوة السادة وللكهنة وللرهبنة وللشعب » ٥ حزيران ١٩٠٩
٢) المحبة ١٩٠٦ ص ٤١٠

اليه في دار القلاية كهنة الطائفة ومجلسها وجمعياتها ووكلاء كنائسها وطلب اليهم النظر في ما تقتضيه شؤون المدرسة وما يجب اجراؤه للقيام بها وجعلها من المدارس الكبرى ثم أطلعهم على الخريطة التي أعدها وحضهم على التعاون معه وطلب انتخاب لجنة لهذه الغاية . فجرى ذلك علناً وتم انتخاب خمسة وعشرين وجيهاً من وجهاء الطائفة للعناية بالمدرسة والنظر في شؤونها . وكان بين هؤلاء يوسف سرسق وبطرس داغر ويعقوب كرم ونجيب طراد وثيودوري جبيلي وجرجي عرمان وسعيد صباغة والياس مجدلاني ونخلة حبيب (١) .

وقالت المحبة لمناسبة تأليف هذه اللجنة ان المدرسة ستكون عثمانية ارثوذكسية تغني عن كثير من المدارس الاجنبية وتمكن الطالب من الخروج منها مكتفياً بما تلقاه فيها معتمداً بعد ذلك على دروسه ومطالعاته الخصوصية . ولا بد ان تنمو فتتحول الى جامعة كبرى علمية وطنية يليق بكل سوري بل بكل عثماني ان يلجأ اليها (٢) .

كلية حمص الارثوذكسية : (١٩١٠) وعني اثناسيوس متروبوليت حمص بانشاء مدرسة ارثوذكسية عالية . فاستدعى في السنة ١٩٠٧ العالم المربي الارثوذكسي جرجس همام الشويري واستشاره في امور التعليم والبناء . ثم بدأ بجمع المال فأقبل الحمصيون بما عرفوا به من غيرة وسخاء . وفي خريف السنة ١٩١٠ فتحت مدرسة حمص العالية ابوابها لقبول الطلاب . وتولى نيابة الرئاسة فيها الخوري عيسى اسعد واشرف على ادارتها وتعليم الرياضيات العالية فيها جرجس همام الشويري . وكانت كنيسة موسكو قد اهدت كنيسة حمص جرساً كبيراً ، فاعترضت بعض الاوساط الحمصية على استعماله فعلق بارادة سلطانية سنية .

ابرشية ترسيس : ووصل الكسندروس متروبوليت ترسيس الى مركز ابرشيته في الخامس من تشرين الثاني سنة ١٩٠٥ وأظهر كثيراً من التعقل والمرونة

١) المحبة : ١٨ تشرين الثاني ١٩٠٦ ص ٧٤٤
٢) المحبة : ٢٥ تشرين الثاني ١٩٠٦ ص ٧٦٠ — ٧٦١ . و٩ ايار ١٩٠٧ ص٢٩١ — ٢٩٦

ولكن اليونانيين من أبنــاء الأبرشية وقفوا الى جانب جرمانوس متروبوليت الابرشية السابق الذي اعترض على انتخاب ملاتيوس بطريركاً على انطاكيـــة . وتوفي ملاتيوس في مطلع السنة ١٩٠٦ فعاد الكسندروس الى دمشق وبقي فيها . ورقي السدة البطريركيـــة غريغوريوس وشغر كرسي طرابلس فانتخب المجمع الانطاكي المقدس الكسندروس مطراناً على طرابلس في الحادي والثلاثـــين من كانون الثاني سنة ١٩٠٨ .

« بما ان كرسي ابرشية طرابلس المحروسة من الله قد فرغت بانتخاب سيادة راعيها الجليل السيد غريغوريوس الجزيل الشرف والاحترام وارتقاء غبطته سدة بطريركية مدينة الله انطاكيـــة العظمى وسائر المشرق بتاريخ ١٣ آب ١٩٠٦ وبقيت هذه الابرشية بدون راع فقـــد اجتمعنا نحن مطارنة الكرسي البطريركي الانطاكي الموقعين بذيله في مدينـــة دمشق بأمر واجازة غبطته في الكنيسة البطريركية الكاتدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم واعطينا اصواتنـــا القانونية لايجاد شخص لائق ومستحق وانتخابه ليتقلد زمام ابرشية طرابلس ويرعى رعيتهـــا من الاسماء الثلاثة التي اعطاها لنا غبطته المرشحين من كهنة وشعب عموم الابرشية المومأ اليها وهم السيد الكسندروس مطران كيليكيا سابقاً والسيد رفائيل اسقف بروكلن الكلي طهرهما وقدس الارشمندريتي زخريا راجي الجزيل بره ولدى فتح بطاقات الانتخاب التي قدمها كل منا بيده بعد اقامـــة الصلاة المفروضة واستمداد نعمة الروح الكلي قدسه وقع الانتخاب باتفاق الاصوات على السيد الكسندروس طحان مطران كيليكيا سابقاً الجزيل طهره فسميناه مطراناً قانونياً على ابرشية طرابلس المحفوظة من الله . وايضاحاً لذلك كله سطر هذا العمل المجمعي في هذا السجل البطريركي موقعاً عليه بامضاواتنا واختامنـــا بالاصالة والوكالة تحريراً في اليوم الحادي والعشرين من شهر كانون الثاني سنة الف وتسعمائة وثمان ١٩٠٨ » .

وعادت العلائق الى مجراها الطبيعي بين الكرسي الانطاكي وبين الكراسي البطريركية الشقيقة فأبرق الخوري ابراهيم متقدم الكهنة في كنيسة ادنه للبطريرك الانطاكي مهنئاً . واعرض التهاني ايضاً وكيل البطريرك الانطاكي في ابرشيـــة ترسيس فأصدر غريغوريوس في خريف السنة ١٩٠٩ منشوراً رعائياً لابناء ابرشية ترسيس وادنه وسائر بلاد كيليكياس باليونانية والعربيـــة جواباً للتهاني واظهاراً للسرور بما كان من خواتم السلام واشارة الى انه سيرسل راعياً للابرشية يقودها الى مراعي الخلاص :

« لستم غرباء عن اوروشليم لنوضح لكم ماجريات الحوادث لا بل انتم شهود بعضها . وقد علمتم بما وقع من بعض اخوتنا المطارنة من عدم تسليمهم بالانتخاب البطريركي ومجافاتهم لرئيسهم زاعمين عدم صلاحية الرئيس ان لم يكن من جنس معلوم دون سواه كان نعمة المخلص لا تستطيع ان تدخل قلوب امثالنا . الا ان كنيسة المسيح العظمى التي يرأسها بطريرك تكلله شيخوخة سعيدة مترو في الاعمال عارف بالقوانين ويدبرها مجمع مقدس ضمّ شتات المعارف في صدور اعضائه وجمع حكمة الحكماء في رؤوس رجاله قد أفعمت المحبـــة المسيحية قلوب هؤلاء الافاضل كما أفعمت قلوب اخوانهم الاحباء غبطة بطريرك المدينة المقدسة ومجمعه المقدس فأطرحوا بالمحبة الخوف وتجاوزوا العقبات وبينوا انهم موقنون بسيادة المخلص على الجميع وسفكه دمه الكريم لاجلهم . فاننا الكل في المسكونة عبيد له وأعضاء لجسده المقدس مرتبطون بهذا الرأس الحي على الدوام » (١) .

وأرسل الوكيل البطريركي في ترسيس الخوري نقولا خشي بياناً بعدد بيوت الملة مجموعة ومفصلة في ابرشية ترسيس وعدد الكهنة والمدارس والكنائس فبلغ عدد العيال الارثوذكسية ١٦٥٠ بينها ٣٤٥ عائلة يونانية و٩٣٠ تركيـــة و٣٧٥ سورية . وبلغ عدد الكهنة في هذه الابرشية ١١ وعدد المدارس ٥ وعدد الكنائس ١٣ (٢) .

زخريا متروبوليت بصرى : وكانت ابرشيـــة بصرى حوران لا تزال خالية من راع قانوني منذ استعفاء راعيها المنتخب يوانيكيوس (حايك) في السنة ١٩٠٠ . فانتقى المجمع المقدس الارشمندريت زخريا راجي زخريا مطرانـــاً على هذه الابرشية في الثالث والعشرين من حزيران سنة ١٩٠٨ .

« انه بنـــاء على خلو ابرشية بصرى حوران وتوابعها من راع قانوني بسبب استعفاء الارشيمندريتي يوانيكيوس الحائك الجزيل بره المنتخب مطراناً عليها بتاريخ ٢١ آذار سنة ١٩٠٠ فقد اجتمعنا نحن مطارنة الكرسي البطريركي الانطاكي الموقعين بذيله في مدينة دمشق بأمر وباجازة

---

١) مجلة النعمة : ٣٠ ايلول ١٩٠٩ ص ٢٢٥ ــ ٢٣٠

٢) النعمة ايضاً ١٩٠٩ ص ٢٥٦

غبطة السيد الجليل والراعي النبيل كيريوس كيريوس غريغوريوس بطريرك انطاكية وسائر المشرق الجزيل الطوبى والاحترام في الكنيسة البطريركية الكاتدرائية التي على اسم نياح سيدتنا والدة الاله الدائمة البتولية مريم واعطينا اصواتنا القانونيـــة لايجاد وانتخاب شخص من الثلاثة الاشخاص المرشحين وهم : قدس الارشيمندريتي كير زخريا راجي وقدس الارشيمندريتي كير اغناطيوس ابو الروس وقدس القس اثناسيوس مطر الكلي برهم . وبعد اقامة الصلاة المفروضة واستمداد نعمة الروح الكلي قدسه فتحنا بطاقات الانتخاب التي ارسلها لغبطتـــه سائر السادة المطارنة الغائبين في ابرشياتهم وقـــع الانتخاب باكثرية الآراء على قدس الارشيمندريتي زخريا راجي الكلي بره فسمي مطرانا قانونيا على ابرشية بصرى حوران وتوابعها المحفوظة من الله . وايضاحا لذلك كله سطر هذا العمل المجمعي في هذا السجل البطريركي موقعا عليه بامضاواتنا واختامنا بالاصالة والنيابة » .

قاضي الشرع وطلاق النصارى : وكان محمد طاهر افندي نائب قضاء جسر شغور قد نظر في دعوى طلاق قائمة بين جرجس اندراوس من اهالي جسر شغور وبين زوجته ذيبة بنت فارس نقولا فرح من اهـــالي اريحا فحكم بالطلاق وأصدر اعلاماً شرعياً بذلك مؤرخـــاً في ١٤ جمادي الاخرة سنة ١٣٢٦ ممهوراً بختمه مسجلا لديه تحت نومرو الضبط ٤٢ صحيفة ١٤٤ ونمرو السجل صحيفة ٧٩ وتقاضى خرج اعلام قدره ١٢٠ غرشاً صاغاً .

واستغرب متروبوليت حلب هذا التدخل فأعلم البطريرك به . فاحتج البطريرك بعريضة قدمها الى ناظر العدلية وبين فيها مخالفة النائب الشرعي لنص البراءة السلطانية التي بيد البطريرك ونصوص البراءات السابقة . فانها جميعها تمنع التعرض لعقد النكاح او فسخه بين شخصين من مـــلة الروم الارثوذكس الا لذوي الاختصاص . فورد في الرابـــع والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٠٩ جواب ناظر العدليـــة موجباً اشعار مأموري الاجراء بعدم تنفيذ قرار هـــذا القاضي (١) .

الدستور العثماني والكنيسة : وشاع في صيف السنة ١٩٠٩ انه لمناسبة اعلان الدستور وانشاء حكومة ديموقراطية شعبية ستلغي حقوق الكنيسة وامتيازاتها التاريخية . وانتشر بريد هذا الخبر في الانحاء الارثوذكسية واضطربت به الالسن

١) مجلة النعمة : ١ تشرين الثاني ١٩٠٩ ص ٣٢٠ و٣٤٨ ــ ٣٥١

فاجتمع المجمع القسطنطيني المقدس والمجلس الملي الدائم المختلط برئاسة البطريرك المسكوني وتشاوروا في الأمر وارتأوا الاتصال المباشر بالصدر الاعظم والتحدث اليه في الموضوع . وفي العشرين من ايلول زار البطريرك المسكوني الصدر الاعظم فاستقبل باللطف والترحاب . وتذاكر الكبيران في الامتيازات فلم يظهر تباين جوهري في الرأي . فالصدر أظهر بجـــلاء ان امتيازات الكنيسة والملة تبقى كما كانت منذ فتح القسطنطينية وان حكومته لا تفكر في تعديلها ولا سيما ما يتعلق منها بمحاكمة المطارنة والكهنـــة ومسائل الزواج والطلاق والوصيات والمدارس واملاك الاديرة والكنائس وجميع المنشاءات الخيرية . وأكد البطريرك انه لن يتغاضى عن اللقب « ملت باشي » الذي منحه اياه محمد الفاتح وانه يجب ان يبقى له الحق بتمثيل الملة لدى الحكومة الدستورية . فأجاب الصدر انه على البطريرك ان يعلمه بأقل انتقاص من كرامة الدين والكنيسة والاكليروس وانه اذا وقع اي تعد على اي مسيحي فعـــلى البطريرك والمطارنة ان يعلنوا ذلك للحكومة كتابة او شفاهاً (١) .

تجنيد النصارى : (١٩٠٩) وصدر في السابع من آب سنة ١٩٠٩ تعديـــل لقانون اخذ العسكر في الدولة العثمانية فجاء في مادتين لا ثالثة لها . فأوجبت المادة الاولى الغاء البدلات العسكرية التي كانت تؤخذ من العناصر غير المسلمة اعتباراً من تاريخ صدور التعديل . وقضت المادة الثانية بتمثل الهيئات الروحية المحلية في مجالس « سحب القرعة » كما أوجبت اعفاء « كل منصوب ومعزول من بطاركة وكاتوغيكوس وحاخام باشي ومتروبوليت واسقف وارشمندريت ووارتابيت وباش حاخام ورؤساء الاديرة ورؤساء الرهبنات » من الخدمة العسكريـــة . واستثنى هـــذا التعديل ايضاً الخوارنة والشمامسة والذين يعيشون في الاديرة من رهبان وكهنة وطلبة المدارس المذهبية وتلامـــذة المكاتب العالية ومعلماً واحداً لكل مكتب ابتدائي رسمي في القرى والمعلم الاول والثـــاني والثالث في المدارس الابتدائية المنتظمة في المدن (٢) .

١) النعمة ايضا : ١٦ تشرين الثاني ١٩٠٩ ص ٣٣٦ ــ ٣٣٨
٢) الدستور : قانون اخذ العسكر : تعديله في ٢٠ رجب ١٣٢٧ و٢٥ تموز ١٣٢٥

وفي الحادي والعشرين من تشرين الاول سنة ١٩٠٩ استدعى والي ولاية سورية رؤساء الملل غير المسلمة لسماع تلاوة الفرمان السلطاني المؤذن بتجنيد أبناء مللهم للمرة الاولى . فقصد الرؤساء دار الحكومـة فقوبلوا بالعطف . ثم نزل الوالي والنائب والمفتي والرؤساء المومأ اليهم وبكباشي طابور الميدان وغيرهم من رجال الولاية الى ساحة السراي . فسلم الوالي بكل اجلال الفرمان العالي لمكتوبجي الولاية فقبله وتلاه . ثم خطب الوالي مبيناً أهمية الموضوع ومهنئاً الملل غير المسلمة بحصولها على المساواة بالجندية العثمانية . ثم لفظ المفتي الدعاء المعتاد .

ثم قرأ بطريركنا خطاباً في موضوع التجنيد وتلاه بطريرك الروم الكاثوليك بخطاب آخر . وختم كلاهما بالادعية المتوجبة . ثم توجه الجميع الى دائرة البلدية وابتدأوا باجراء المعاينة الثانية . ومن أفضل ما جاء في خطاب غريغوريوس قوله : « الحمد لله الذي جمعنا في الانسانية والوطنية ووحدنا في الجامعة العثمانية » وقوله : « لقد قبلنا بفرمان مولانا على الرأس والعين . وان خلا من مخاطبتنا نحن الرؤساء الروحيين فانه يدعو أبناءنا الى أحضانه وهذا يرضي الطرفين . وبات للكل يتجارون ولا يتناظرون في خدمة الوطن وينهضون بشأنه وان لم تنهضوا فمن ؟ » (١) .

وقدم البطريرك المسكوني تقريراً مسهباً للصدارة العظمى في موضوع تجنيد المسيحيين فاقترح ما يلي : ١) منع تغيير المذهب في اثناء التجنيد وطوال مدة ابتعاد الشباب عن احضان الوالدين . ٢) تعيين كهنة اتقياء للجنود المسيحيين يعنون بارشادهم الى الفضيلة والتقوى ويقومون باتمام احتياجاتهم الدينية . ٣) تخصيص محل ملائم للصلاة في اوقات معينة اسوة بالجنود المسلمين . ٤) السماح للجنود المسيحيين بممارسة جميع فروضهم المذهبية . ٥) تأليف فرق مسيحية صغيرة . ٦) ادخال الشباب المسيحيين الى المدارس العسكرية ليتضلعوا بفنونها وليصبحوا اهلا للترقي في رتبها (٢) .

١) مجلة النعمة : ١٦ تشرين الثاني ١٩٠٩ ص ٣٤٠ – ٣٤٢
٢) مجلة النعمة : ١٥ تشرين الاول ١٩٠٩ ص ٢٨١ – ٢٨٢

وفي صيف السنة ١٩١٠ تواردت الجنود من الآستانة وازمير لتعزيز الحملة على جبل الدروز بقيادة سامي باشا . وكان بينهم عدد وافر من ابناء الكنيسة الارثوذكسية الجامعة بعضهم من المشاة وبعضهم من المدفعيين . فترددوا في كل احد على الكنيسة في دمشق . وفي منتصف آب ورد امر تلغرافي من نظارة الحربية الى مركز الفيلق الخامس في دمشق يوجب السماح للجنود الارثوذكسيين بالقيام بالواجبات الدينية لمناسبة عيد انتقال السيدة . وكانت صلاة العيد قد انقضت فاقيم قداس خصوصي يوم ثالث العيد باللغة اليونانية . وتقبل الكاهن اعترافاتهم وتقدموا ازواجاً الى مناولة الاسرار الطاهرة . ثم تناولوا طعام الغداء على مائدة البطريرك .

المجمع الانطاكي المقدس : (١٩١٠) وفي الثاني والعشرين من حزيران سنة ١٩١٠ وفي الساعة التاسعة قبل الظهر أمّ الكاتدرائية المريمية كل من البطريرك والمطارنة اثناسيوس وغريغوريوس (حماة) وارسانيوس وبولس وجراسيموس وباسيليوس واسطفانوس والكسندروس وجرمانوس وملاتيوس (اميدس – دياربكر) وزخريا وايليا (صور وصيدا) .

فبدأ غبطته : تبارك الله . والمجد لك يا الهنا . وايها الملك السماوي . والارشدياكون (ميخائيل شحادة) قدوس الله وما يتلوها . والاعلان من غبطته ثم طروبارية العنصرة التي اعادها خورص اليمين بعد الذوكصا وقنداق العنصرة بعد الكائنين من خورص الشمال . ثم قال غبطته : ارحمنا يا الله ثلاث طلبات والرابعة . « لكي يرسل الرب الاله نعمة روحه القدوس على هيئة المجمع المقدس لتنيرها وترشدها وتهدي الى ما يرضي الرب لانها ملتجئة الى عظم غنى رحمته . ثم الاعلان : لانك اله رحيم والختم الصغير المختص بالعنصرة . وبصلوات آبائنا القديسين . ثم حضر البطريرك الى امام الانجيل الطاهر الموضوع على قراية في الوسط فسجد وقبله ثم سجد ثانية ورجع الى محله فوقف. فتقدم السادة كل بدوره فعل مثل ذلك ووقف في محله حتى انتهى الكل . وتدرعوا باشارة الصليب وجلسوا .

وافتتح البطريرك الجلسة مرحباً واشار الى انها المرة الاولى في تلك الاونة التي فيها اجتمع اثنا عشر مطراناً والبطريرك في دمشق . ثم قال بعد البسملة : كما يضم الاخ اخوته الغائبين كذلك اضمكم الى قلب يتحرك بحبكم يا رؤساء كهنة العلي ومطارنة الكرسي الانطاكي المقدس . تبارك الله الذي جمعنا في هذه المرة الثانية الى هذا المجمع الانطاكي المقدس وجميعنا بالصحة والعافية لكي نمجد بصوت متفق الروح القدس الذي نعمته اليوم جمعتنا وقدرته تقوينا للعمل المرضي لله في شعبه المبارك . ثم ذكر ما كان في غيابهم عن غبطته من الاشغال واحدة فواحدة وانه سيقدم لهم اوراق كل مسألة على حدة . ولفت النظر الى ترتيب برنامج للتعليم على قواعد المذهب الارثوذكسي والى ترجمة كتابي اصول المحاكمات الكنائسية وتطبيقها والى مسألة الوصية والاحكام الكنائسية وان تكون مرعية والى التعامل القديم الذي جرت عليه الكنائس في مصالح ابنائها والى مسألة الاراضي التي تطلب محلوليتها لمجرد كون المقيدة على اسمه لم يترك وارثاً مع ان مجرد القيد لا يجعل تلك الاملاك والاراضي مشتراة بمال المقيدة باسمه بل هو امر مشهور ومقرر لدى العموم وفي المراكز الرسمية ان تلك الاموال اموال الوقف وقد تقيدت تلك الاراضي باسم الوقف او باسم المتولي كمتول للوقف ثم ارادت النظارة فأجرت قيدها على اسم المتولي ويقال الان انه ليس له وارث . واشار البطريرك ايضاً الى ما كان في ايام الدستور من المشاغل الجديدة والى ما نجم من المشاكل عن عدم فهم معنى الحرية . وخصص بيان ما كان يجري في حلب وزحلة وارضروم وصور وصيدا . وتكلم ايضاً عن تأسيس المطبعة البطريركية ومجلتها النعمة وعن المباشرة بطبع الكتب الدينية اللازمة وعن حالة مدرسة البلمند الاكليريكية .

وتوالت الجلسات فكان من نتائجها رفع تقرير مجمعي الى نظارة العدلية والمذاهب بشأن الوصية وبشأن الامتيازات التي تمتعت بها ملة الروم وان هذه الملة واحدة لا تتجزأ ، ونظر المجمع في شكوى الطائفة في حلب ودقق في الاجراءات التي اتخذها اسطفانوس مطران حلب فثبتت نزاهته واستقامته . ولكن المجمع لمس في الوقت نفسه نفور الشعب من اسطفانوس وعدم استعداده للتعاون معه .

وأعرب اسطفانوس عن استعداده للتضحية في سبيل المصلحة العامة فاستعفى وقبل المجمع استعفاءه . وشكر المجمع لقداسة البطريرك المسكوني اهتمامه في قضية ارضروم وارساله الشماس جرفاسيوس اكسرخوساً . وكان اليونان من أبناء الملة في ابرشية ترسيس قد تقدموا الى البطريرك المسكوني بطلب راجين تدخله مع المجمع الانطاكي لتعيين اسقف يجيد اللغة اليونانية فتقرر ارسال ايليا متروبوليت صور وصيدا الى كيليكياس لدرس الحالة ورفع تقرير عنها .

واقترح متروبوليت طرابلس نقل مدرسة البلمند الى دمشق لتكون تحت أنظار البطريرك فاقترح متروبوليت بيروت نقلها الى دير مار الياس بيروت وجعلها تحت رعاية متروبوليت بيروت ومتروبوليت جبيل والبترون وان تبقى كما كانت مدرسة اكليريكية بطريركية .

الخطبة والزواج : واعتبر المجمع المقدس الخطبة اتفاقاً ببركة كنائسية بين ذكر وانثى مسيحيين حرين كفوءين يلتزمان به بالاقتران الناموسي المقدس . وبيّن قدم عهدها وشرفها . وسن لها قوانين معينة . ثم نظر المجمع في مشاكل الزواج التي نشأت عن الهجرة عبر البحار فاشترع ما يلي :

١) اذا كان الرجل والامرأة مقترنين عن اتفاق بينهما فقط ولم يكن بينهما مانع كنائسي وحضرا الى بلادنا وهما متفقان ينصح لهما لأخذ بركة الاكليل المقدس وتعطى لهما بحسب الرسوم . وان كانا غير متفقين فينصح لهما ان يتفقا ويقتبلا بركة الاكليل . فان رفضا بعد النصيحة اقتبال بركة الاكليل سواء كان في الحالة الاولى او الثانية فالكنيسة لا تعتبر قرانهما شرعياً ولا اولادهما شرعيين وترفض كل دعوى زوجية وكل دعوى ومعاملة ارثية لهما .

٢) اذا كان الرجل والامرأة مرتبطين مدنياً فقط ولا مانع كنائسي بينهما سواء كانا متفقين او مختلفين فينصح لهما بقبول بركة الاكليل . فاذا لم يقبلا لا تأذن الكنيسة اذ ذاك لها او لاحدهما بزواج آخر .

٣) اذا كان الرجل والامرأة مرتبطين مدنياً ونائلين بركة الاكليل من

كاهن غير ارثوذكسي ولا مانع كنائسي بينها فالكنيسة تجري معها بحسب القوانين الكنسية المرعية في هذا الباب .

وبحث المجمع اثر الهجرة في الصلة بين الزوج والزوجة فأوجب ما يلي : اذا سافر الرجل تاركاً امرأة لها منه اولاداً او بدون اولاد ولم يعد ينفق عليها فاذا تقدمت الشكوى فللرئيس الروحي ان يخابر الرجل رأساً او بواسطة الرئاسة الروحية هناك او غيرها لجلب نفقة للامرأة او ان تعطى الأمرأة اعلام نفقة تنفذ بواسطة الحكومة المحلية هناك والا فتعمل واسطة لتسفيرها الى حيث يقيم رجلها . اما اذا تركها وحدها او مع اولادها وتزوج بغيرها فبعد تقديم الشكوى للرئاسة الروحية يحكم بصحة عقد الزواج الصائر هنا ويعرف عنه اما للرئاسة الروحية او للحكومة المحلية هناك لاجل ابعاد الامرأة الاجنبية عنه وتحصيل النفقة منه لزوجته الشرعية . اما الزوجة فاذا سافرت برضى رجلها او بدون رضاه وامتنعت عن الحضور واثبتت عليها الخيانة الزوجية تنفسخ اذ ذاك عنه (١) .

البطريرك وحوران : (١٩١١) وكانت ابرشية بصرى وتوابعها لا تزال مترملة منذ ان استقال اغابيوس (صليبا) من وكالته عليها . فخصها غريغوريوس بعنايته وسام زخريا مطراناً عليها ومده بالمال للعمل فيها . وشملت ابرشية بصرى وتوابعها حين تسلم رعايتها زخريا جميع متصرفية حوران باقضيتها الخمسة السمية والسويدا وبصرى واذرع وعجلون . وبلغ عدد الدروز فيها ١٦٥٠٠ والمسلمين ٥٣٠٠ والارثوذكسيين ٣٥٠٠ والروم الكاثوليك ٢١٤ والبروتستانت ١٦١ (٢).

وفي تموز السنة ١٩١١ نهض البطريرك غريغوريوس بنفسه الى حوران في جولة رعائية يصحبه كل من البرنس بوريس شاخوفسكي قنصل روسية في دمشق وترجمانه يوسف السبع والمؤرخ الكنسي الشهير باولو كاروليدي والمؤرخ اللبناني عيسى اسكندر المعلوف وارشدياكون الكرسي الانطاكي ميخائيل شحاده . ووصل

١) المنشور البطريركي : « اننا نوضح لبنوتكم » ٢٧ آب سنة ١٩١٠

٢) اسقفية حوران الارثوذكسية لعيسى اسكندر المعلوف : النعمة ١ شباط ١٩١٢ ص ٧٢١ — ٧٣٥ . واحصاء المطران زخريا وهو لا يزال مخطوطاً لدى السيد نقولا زخريا .

البطريرك وصحبه الى محطة اذرع فركبوا الخيل وقاموا الى القرية يتقدمهم مطران حوران والكهنة والجنود وجموع غفيرة من فرسان ومشاة . وسار البطريرك تواً الى دير القديس جاورجيوس وصلى وبارك . وفي صباح الاحد اقام قداساً حافلا في الدير ودشن المائدة المقدسة التي جددت بعنايته وعناية القنصل والمطران . وخطب في الكنيسة فاشار الى قدمها وكيف تقلبت بها الايام « وأخنت عليها الليالي حتى انقذها الاله بعناية القيصر الذي نظر اليها من اقصى الشمال بعين النسر » . ودعا للامبراطور وللمحسنين . ثم استقدم اليه يوسف السبع فشكر له سعيه بتجديد الدين واعلاء شأن الدير والبسه الوسام الذي منحته اياه الدولة اليونانية ومنحه لقب لوغوثيتي الكرسي الانطاكي بصلاة وترتيب خاصين . وزار البطريرك قرية الدنيبة فشمسكين فغباغب . ثم عاد الى دمشق (١) .

اصلاح ومصالحة : ثم عاد البطريرك الى الطواف فزار عرنة ومجدل شمس والقرى المجاورة . فأصلح بين الاحزاب واعاد الى حظيرة الكنيسة الذين تركوها لمناسبة تلك التحزبات . وتكاثرت عليه الوفود من مرجعيون وحاصبيا وراشيا فانتقل الى مرجعيون . فتألف وفد من ابنائها وقصدوا مطرانهم السيد ايليا الذي كان قابعاً في زحلة فعادوا به الى ابرشيته . وعرج البطريرك على ميمس فشاهد فيها من آثار الغيرة المسيحية ما أقر عينه واثلج صدره . فابناؤها النازحون الى البرازيل كانوا قد الفوا جمعية وشيدوا في ميمس كنيسة متينة جميلة وبنوا مدرسة كبيرة ؛ ثم حدث ما ثنى الجمعية عن خطتها . فاشفق البطريرك ان تذهب هذه المكرمة بفواعل الاهمال . فتبرع بمبلغ من المال وأنفذ الى الجمعية في سان بولو كتاباً يحرك فيه غيرتها الى الاستمرار على العمل المتلاحق بره المتواصل اجره (٢) .

راشيا : (١٩١١) وقام غريغوريوس من ميمس الى الكفير فلم يجتز المسافة الا في ساعتين ونصف وهي لا ينبغي لها فوق النصف الساعة وذلك لكثرة

١) حفلة في اذرع : النعمة : تموز ١٩١١ ص ١٦٢ — ١٦٩

٢) قرية ميمس : النعمة : ايلول ١٩١١ ص ٣٣٥ — ٣٣٧

المستقبلين من المسيحيين والدروز . ثم بارح الكفير الى قرى عين عطا وشبعة وعين حرشه . وفي اثناء هذا الطواف انشأ عدة مدارس وساعد الجمعيات الخيرية وبث شعور النهضة في قلوب ابنائه الطائعين .

وعصارى الاثنين في السابع من تشرين الثاني قدم الى راشيا . فكان في طليعة الملاقين قائمقام القضاء وشرذمة من الجند فالرؤساء الروحيون بملابسهم الكهنوتية واعلام الكنيسة . ولما بلغ ظاهر البلدة ورأى علم الصليب المقدس ترجل عن جواده وسار بين الجمع حتى بلغ كنيسة السيدة حيث أدى الفروض الدينية ثم شكر المولى وبارك . وزار دار الحكومة والمدارس الروسية وحض التلامذة على الاجتهاد ونشط المعلمين على الخدمة .

البطريرك في زحلة : وفي الثاني والعشرين من تشرين الثاني غادر البطريرك قرية عين عرب ووجهته زحلة . وكان ينتظره عند جسر دير زينون موكب حافل من الزحليين . فترجل وارتاح ثم ركب عربة معدة له واستأنف السير يتبعه نحو اربعين عربة ويتقدمه جمهور غفير من الفرسان والشبان يقومون على ظهور الجياد بالعاب تدهش الأنظار . وكان ينتظره في محطة سعدنايل قائمقام زحلة وهيأة حكومة القضاء وجرمانوس مطران زحلة . فاستقبل الجميع بوجه وضاح ونظر بعين أب حنون يرى أبناءه بعد طول البعد . ثم جلس جرمانوس الى جانبه وسار ياوران لبنانيان امام عربته وثالث وراءها ومن اليمين واليسار فارسان قد أشهر كل منهم سيفه بيمناه . وجرت وراء موكب غبطته عربة القائمقام فعربة زخريا متروبوليت حوران فبقية العربات . وعندما بلغت الجموع مدينة زحلة استبشرت وازدادت حماساً وهتافاً وغطى الحشد الطرقات والباحات والسطوح . ودخل البطريرك كنيسة القديس نيقولاووس فصلى وبارك ودعا . ثم استقبل الوفود في دار المطرانية وفي طليعتهم القائمقام وهيئة الحكومة والبلدية والمطران كيرلس مغبغب والمطران بولس مراد ونائب البطريرك الماروني والقس مفيد عبد الكريم . وأولم متروبوليت الابرشية وليمة

دعا اليها وجهاء القوم فاختتمها غبطته بكلمة عبر بها عن موقف الطائفة من سائر الطوائف فجاءت رائعة فتانة :

« انني احب ابناء وطني من جميع المذاهب على السواء . ولا فرق بينهم عندي . الست واياهم ابناء اب واحد وام واحدة . او لسنا جميعاً صنعة خالق واحد . او لسنا نسكن ارضاً واحدة ونستنير بضوء شمس واحدة ونستظل بسماء واحدة وترف فوقنا راية واحدة هي راية الوطن العزيز . او لسنا نحن والمسلمون توحدنا جامعة الانتساب الى ارض واحدة ووطن واحد او لسنا معاً نعبد الهاً واحداً غير متجزىء .

« لقد انتعش قلبي حينما نشقت نسيم لبنان وانشرح خاطري عندما رأيت اللبنانيين الذين انا واحد منهم . وقد افتخرت بلبنانيتي في تلغراف بعثت به الى دولة المتصرف اشكره فيه على اوامره بشأني لسعادة القائمقام » (١) .

بيروت : وأوفدت بيروت نخبة من وجهائها برئاسة متروبوليتها جراسيموس الى زحلة لتحية البطريرك ودعوته لزيارة الثغر . فباركهم ورحب بهم . وكان هناك بانتظارهم اساقفة زحلة والمعلقة وحكام القضائين . فتبودلت الخطب وشرب الجميع نخب الوفد البيروتي . وبارك البطريرك مودعيه في الحادي والعشرين من كانون الاول وركب القطار الخصوصي الذي أنفذه يوسف سرسق لينقل غبطته الى بيروت . وبارك البطريرك في جديتا والمريجات ويحمدون وعاليه وعاريا . وفي بعبدا أخذت سلام غبطته فرقة من الجند اللبناني واستقبله في محطتها كبار مأموري الحكومة . ولما بلغ القطار محطة الحدث استقبله تلامذة المدرسة الروسية باناشيد رقيقة وانغام فاتنة .

واحتشد في محطة بيروت جمهور من المرحبين لا يحصره العد جمعهم اليها علمهم باقدار الرجال . ومشت عربات جمعيات الملة الارثوذكسية فعربات السريان الكاثوليك فالارمن الكاثوليك فالموارنة فالروم الكاثوليك فمجلس الملة الارثوذكسية فكوكبة من الفرسان فعربة نظمي بك قومندان الجندرمة في بيروت ومدير البوليس فعربة غبطة البطريرك فعربات السادة المطارنة . وتلتها سلسلة من العربات بلغت نحو المئتين والخمسين .

١) مجلة النعمة : تشرين الثاني ١٩١١ ص ٥١٤ ــ ٥١٨

وقصد البطريرك الكنيسة الكاتدرائية فصلى وبارك ودعـا . ورحب جراسيموس بغبطتـه ودعا للسلطان بالنصر وشكر المتصرف والوالي وقنصلي روسية واليونان . فرد البطريرك بخطاب بليغ حكيم .

واحتفل البطريرك بعيد الميلاد في الكاتدرائية وفي اليوم التالي في كنيسة القديس نيقولاووس . فتقاطر المؤمنون من جميع انحاء بيروت لحضور الصلاة . واستمر غبطته ساعة كاملـة يوزع الخبز المقـدس على الحضور ؛ ورد البطريرك الزيارة للوالي فاخذت سلامه ثلة من الجند . وزار المتصرف وقومندان الموقع وبطريرك السريان الكاثوليـك والقاصد الرسولي . وآسى المرضى العسكريين في المستشفى العسكري (قصر العدلية) واهداهم خزانة نفيسة الصنع . وخصّ الجامعة الاميركية (الكلية السورية الانجيلية) بزيارة بعد ظهر الثلاثاء في ٦ كانون الثاني ١٩١٢ . ومـا كاد موكبه الموقر يدخل في باب المنتدى الكبير حتى نهض الجميع اجلالا واحتراماً وقابلوه بالتصفيق الحاد المتواصل . وبعد ان رقي وحاشيته المنبر وجلسوا على الكراسي رحب الدكتور هوارد بلس الرئيس بالبطريرك والمطارنـة والآباء ثم انتدب الاستاذ جـبر ضومط ان ينوب عنه وعن العمدة بالافصاح بمـا يقتضيه الواجب . فقال استاذنا رحمة الله عليه مما قاله :

« لقد امرني حضرة الرئيس ان اقول ان غبطتكم فوق كل نعوت التعظيم والتبجيـل لان اقل ما يقال في مرتبتكم السامية انكم في كنيسة الله الانطاكية السامية ابو الآباء وراعي الرعاة . وملايين ابناء الكنيسة الارثوذكسية الجامعة يفتخرون انهم من ابنائكم ويدعون الله كما ندعوه الآن ان يطيل لنا في ايامكم ويعلي الوطن العثماني بكم آمين ثم آمين » .

وعلى اثر ذلك وقف الرئيس بلس وطلب الى البطريرك ان يخاطب الطلبة . فتبوأ البطريرك الانطاكي المنبر . وكم اعتز هذا المنبر بمن تبوأ من الخطباء والعلماء ورجال الفضل على اختلاف اجناسهم ومراتبهم ولكنه في هـذه المرة بلغ اوج اعتزازه بـأن تبوأه اسقف المدينة التي دُعي فيها المؤمنون مسيحيين اولا خليفة الرسولين بطرس وبولس ووريث الشهيد اغناطيوس المتوشح بالله وافستاثيوس العظيم وملاتيوس الشريف . وارتجل اسقف مدينة الله انطاكية العظمى خطبة غراء

كان لها اجمل وقع في النفوس . وكان كاتب هـذه الاسطر الحقير بين المؤمنين احد طلاب كلية الآداب في الجامعة فأسعده الحظ بسماع مافاه بههذا الاب الاقدس :

« قصدت زيارتكم في هذا المعهد العلمي العظيم وكنت اشاهد في طريقي ما كتبه احـد رجال الفضل على جدران الشوارع « الى العلم الى العلم » فقلت ما أجمل الذهاب الى بيت العلم . وقفت الآن لافرح معكم بهذا المعهد الذي تتجلى فيه مواهبكم وفيه يظهر ذكاؤكم الفطري . والعلم ينبوع . وكما ان الينبوع لا يميز بين الايدي الممدودة اليه بل يتدفق عليها جميعاً هكذا العلم لا يميز بين طالبيه بل يجري على كل طالب يمد اليه يداً مفتوحة . والعلم نور . والنور من بركات الخالق يشرق على الجميع على السواء . ولكن لا يراه الا الذي يفتح عينيه ويعودهما على استقبال النور » .

بين الحدث وبعبدا : وقصـد البطريرك مركز ابرشية جبيل والبترون فقام الى قرية الحدث ودخل الكاتدرائية اللبنانية وصلى وبارك . وزار متصرف لبنان آنئذ يوسف باشا فحيته مفرزة من الجند وخف لاستقباله عند باب سراي بعبدا كبار الموظفين . وجالس الباشا . ثم دعا البطريرك المتصرف الى الغداء في قلاية الحدث . فاشترك في تناول الغداء مع المتصرف الامير فايق شهاب ونسيب بك جنبلاط وحليم بك محاسبجي المتصرفية والاميرالاي ملحم بك خوري وسعدالله بـك الحويك نائب رئاسة مجلس الادارة وجرجس بـك صفا رئيس دائرة الجزا وسليم افندي باز وكيـل المدعي العام والياس افندي الشويري وجرجس افندي تامر عضوا الروم في مجلس الادارة وغيرهم . وقـال المتصرف : « انني لاول مرة قابلت بها غبطتكم بدمشق شعرت بعاطفة مخصوصة نحوكم ورأيت بنفسي شغفاً بمبادئكم . ثم انني اشاهدكم الان بمسقط رأسكم لبنان بين فريق من مواطنيكم يقدرونكم معي حق قدركم فتمكنت بي تلك العاطفة بما تجلى من صفاتكم الطيبة . وبناءً عليه فاني اشرب على ذكركم متمنياً لكم اقبالا مستمراً ولبنيكم سعادة كاملة بكم » .

وتناول غبطته الكأس وشرب نخب المتصرف واطلق لقريحتـه العنان فاستهل بالبيت :

بلادي وان جارت علي عزيزة ... وأهلي وان شحوا علي كرام

وأخذ يتدفق كالسيل واصفاً لبنـــان واهله وصفاً بديعاً . وتطرق الى وصف حكامه فخص دولة المتصرف بالذكر مبيناً الثمرات التي جناها اللبنانيون من عدله في عهده .

منشور المحبة : (١٩١٢) وأطل الصوم الكبير فأصدرالبطريرك عن مركز مطرانية بيروت في الثالث من اذار سنة ١٩١٢ منشوراً رعائياً يذكر بسر الفدا ويحض على المحبة المسيحية ووجوب الصوم استعداداً للاشتراك في جسدالرب ودمه:

« برحـــة الله تعالى غريغوريوس بطريرك انطاكيـــة وسائر المشرق : بمـــلء المحبـة الاخوية نعتنق بالروح الاخوة الاحبـــاء السادة مطارين كرسينـــا الانطاكي المقدس . ونهدي البركة الرسولية والادعيـــة الفوادية الى أبنائنـــا الاحبـــاء مصف الاكليروس الموقر الجزيل البر والورع . والذوات الافاضل والعلـــماء الاماثل والشيوخ المكرمين والتجار والصناع والفلاحين ولفيف الشعب الارثوذكسي التابع لكرسينا البطريركي الرسولي المقيم في مواطنه والمتغرب في الجهات الاخرى . سائلين للجميع حياة نقية سعيدة بمخافة الله ومزينـــة بعمل الصالحات واكتساء حلل الصحة والسلامة . فتفيض قلوبهم بالسرور وتنطق السنتهم بالحبور بالحـــان التسابيح والتماجيد . مبينين بجودة تصرفاتهم الدالة على خصوبة الثمر الروحي في حقول حياتهـــم المباركة انقيادهم بقوى النفوس والجسد الى اتمـــام الوصية الصادرة من فم الرسول بولس الالهي لمنائهم وكرامتهم : « اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » ــ اف ٥ : ٢ .

المحبة ايها الاخوة الاعزاء والابناء المحبوبون هي الرباط الذي يربط السماء والارض منذ البدء. فقد « خلق الله الانسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً وانثى خلقهم وباركهم الله وقال لهم اثمروا واكثروا واملأوا الارض واخضعوها وتسلطوا على سمك البحر وعلى طـــير السماء وعلى كل حيوان يدب على الارض » . فما اعظم هذه المحبة التي جعلت الانسان سيداً للمبروءات المنظورة .

« هذه المحبة العظيمة التي فاقت كل حد قد بدت بعدئذ بمظهر أعظم جداً كان لها مظهر الخلق رمزاً . وذلك ان الانسان حينما سقط في هوة الخطيئة بالمعصية فاضت النعمة الفائقة كل عقـــل على قياس تلك الزلة الفائقة كل حد لانه « حيث كثرت الخطيئة هناك طفحت النعمة » . فجاء اولا الوعد الالهي ان نسل المرأة يسحق رأس الحية . ومفاد هذا الوعد الشريف انه سيولد بالجسد ابن الله الوحيد الذي بمحبته للبشر على الارض ظهر وبين الناس تصرف لكي يعيد الجبلة البشرية الى طهارتها الاولى ويسقط عنها حكومة الموت . وقد تم هذا الوعد العظيم بولادة المخلص ربنا يسوع المسيح من العذراء الطاهرة مريم ابنة يواكيم المتحدر من سلالة داود . فهـــذه المحبة هي التي اوصانا الرسول بولس ان نتخذها لنا مسلكاً لا نحيد عنه بقوله : « اسلكوا في المحبة كما أحبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » .

« ان ما يوصينا الرسول به طي كلمة المحبة الوجيزة هو مـــا تضيق الصحف عن استيعابه لاحتوائه كل طهارة في قول وعمل ونية . فهو يستغرق في مضمونه كل تقوى وعفة ونزاهة وسيرة نقية . فنزرع بالبركات لنحصد بالبركات في هذا الدهر الحاضر ونرث الملكوت السماوي الذي اعده لمختاريه . فماذا يا ترى نستطيع ان نخرجه من هذا الكنز المملوء بالنفائس التي لا غنى عنها وهي فوق ما يتسع الوقت لبيانه . اننا نكتفي بالقليل القريب التناول . ولا نقول الممتاز بثمنه لان محتويات هذا الكنز كلها لا تقدر .

« المحبة التي وجه الرسول اليها مسلكنا هي التي ذكرها في رسائله مراراً عديدة كقوله « المحبة تبني » اي انها تنشر كلمة الخلاص في العالم وتزيد المؤمنين نمواً في الصلاح . فان التصرف بوداعة الحكمة الذي أمرنا نحن المسيحيين ان نجعله قاعدة لاعمالنا الزمنية يولينا كرامة في عيون شركائنا في الوطنية والتابعية واللسان والمصالح المعاشية . فيبتنى اعتبارنا على اساس راسخ ويزيدنـــا رسوخاً في ايماننا القويم ونمواً في العمل المرضي لله الذي به نحيا ونتحرك ونوجد .

« وكقوله ايضاً : « المحبة تتأنى وترفق . المحبة لا تحسد . المحبة لا تتفاخر ولا تنتفخ ولا تقبح ولا تطلب ما لنفسها ولا تحتد ولا تظن السوء ولا تفرح بالاثم بل تفرح بالحق وتحتمل كل شيء وتصدق كل شيء وترجو كل شيء » اي ان المحبة تستدعينا الى الروية في ما يعرض لنا من الافكار والاقوال والاعمال فلا نسارع الى افكار السوء « فان فكر الحماقة خطيئة ، ولا الى الاقوال الملومة فان كل كلمة بطالة يتكلم بهـــا الناس سوف يعطون عنها حساباً يوم الدين لانك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان » ولا الى اعمال السؤ لانه تعالى « يجازي كل احد نظير اعماله » . فهذا هو التأني الذي توجبه علينا المحبة وتجعله موصولا « بالكمال في كل فكر » فتبرز اقوالنا خالية من كل شائبـــة كما أوصانا الرسول بطرس قائلا « ان كان يتكلم احد فكأقوال الله » . وتقـــع اعمالنا على مقتضى الطهارة حسب تعليم الرسول بولس بقوله « وكل ما عملتم بقول او فعـــل فاعملوا الكل باسم الرب يسوع شاكرين الله والآب بـــه » . فبالسير على مقتضى ذلك كله تتوثق الثقة بينكم انتم بعضاً لبعض وبينكم وبين الآخرين الذين تربطكم معهم الروابط العديدة فلا يكون اثر للمماحكات الكلامية والمباحثات الغبية التي يحصل عنها الحسد الذي هو نخر العظام . وبانتفاء تلـــك الاسباب يرى كل واحد نفسه وضيعاً فيقول مع النبي داود « انا دودة ولست انساناً عار للبشر ورذالة للشعب » . فـــلا يتفاخر بآبائه او بجاهه ولا ينتفخ بغناه ولا بعمله . ولا يقبح رغبة في التميز والانفراد بالسؤدد او بصفاء الحياة . ولا يطلب ما لنفسه بل يعمل بحسب الوصية القائـــلة « لا تنظروا كل واحد الى ما هو لنفسه بل كل واحد الى ما هو للآخرين ايضاً » . وباتخاذه هذا المنهاج سبيلا لحياته يقدم نفسه في كل شيء قدوة للاعمال الحسنة متنقياً من الفجور والشهوات العالمية وعائشاً بالتعقل والبر والتقوى في العالم الحاضر . وهكذا يظهر التصاقه بالمحبة التي هي رباط الكمال وانصرافه بقوى نفسه وجسده الى اتمام الوصية القائلة «اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية» .

« ان البشرى بالنعمة تستوجب الفرح . واما نيل النعمة التي أتت بها البشرى فيطفح بها الفرح

كله . فاية بشرى اعظم من ان المسيح احبنا حتى اخذ صورة عبد صائراً في شبه الناس . واذ وجد في الهيئة كانسان وضع نفسه وأطاع حتى الموت موت الصليب . واي نعمة تنال اعظم من انه « هكذا احب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الابدية » . فاقتبل فادينا لاجلنا قرباناً وتمت بصلبه تقدمة الذبيحة لله فصعد الى السماء وأجلس بشرتنا في الميامن العلوية لانه « بدون سفك دم لا تحصل مغفرة » . فكثرت لنا النعمة والسلام بمقتضى علم الله الآب السابق في تقديس الروح ورش دم يسوع المسيح . فلنفرح اذن اكمل فرح لان البشرى السارة بالخلاص قد حصلت . وها نحن نعيد تذكارها قائلين مع الرسول « اسلكوا في المحبة كما احبنا المسيح وبذل نفسه لاجلنا قرباناً وذبيحة لله رائحة مرضية » .

« ونحن نعلم ان السيد المسيح اعطى القربان للمؤمنين حياة جديدة للنفس والجسد قائلا : « هذا هو الخبز الذي نزل من السماء . من يأكل هذا الخبز فانه يحيا الى الابد » . فمن هذا يتضح ان من لم يتقدم الى تناول جسد الرب الاله ودمه الثمينين فلا يأخذ القربان ولا تكون له حياة في ذاته .

« وقد حرم نفسه بنفسه من الاشتراك بالذبيحة لله التي هي رائحة مرضية . فليس هو بالحقيقة معيداً ولا منضماً بالروح الى بنيان الكنيسة . وهذا ما لا نريده لاحد منكم . فلذلك نوصي من تأخر الى هذه الساعة التي هي الحادية عشرة ان يسارع الى اغتنام النعمة الفائقة كل حد بعظمة محبة الله المبذولة لكل من يؤمن لترتفع عنه الدينونة الرهيبة فليتقدم الى الاشتراك بالقربان الحقيقي لانه هوذا وقت مقبول واوان خلاص . وحينئذ يكون استقبال الفصح حقيقياً حينئذ يكون الهتاف حياً بالترنيمة الالهية « المسيح قام من بين الأموات ووطىء الموت بالموت ووهب الحياة للذين في القبور » . حينئذ يكون هذا الهتاف بالفرح العظيم صاعداً من إعماق الضمائر دلالة على اذدخار النفوس الغبطة الصادقة ويكون « ذبيحة تسبيح اي ثمر شفاه معترفة باسمه » تعالى فيعطي للمتدربين بحسبها ثمر بر للسلام مقوماً الايدي المسترخية والركب المخلعة صانعاً مسالك مستقيمة لكي لا يكون اعتساف واتباع للسلام مع الجميع في القداسة التي بدونهما لن يرى احد الله .

« اعاد الله عليكم هذا العيد السعيد والفصح المقدس المجيد اعواماً كثيرة العدد وافرة الرغد زاهرة باثواب الصحة والعافية وحلل الكرامة الضافية وانتم تحت راية الدولة العلية الابدية القرار في حرز حريز من الخطوب والاضرار والاكدار والسنتكم كقلوبكم تدعو لها بدوام التأييد والسطوة والاقتدار وخفوق الاعلام في اعالي ذروات المجد والانتصار . وبان تطول حياة جلالة المتبوع الاعظم والخاقان الافخم السلطان ابن السلطان السلطان محمد رشاد خان والامجاد تخدم اعلامه الخافقة والسعادات تفيض على ممالكه الواسعة وسيرتكم الرضية الهنية مثال لحسن الطاعة والاخلاص في التابعية اخوكم بالمسيح والداعي لبنوتكم بطريرك انطاكية وسائر المشرق غريغوريوس في ٣ اذار سنة ١٩١٢ في بيروت » .

طرابلس : وفي الثالث عشر من اذار سنة **١٩١٢ أعلن غريغوريوس** عزمه على مبارحة بيروت الى طرابلس . فتقاطر المدعوون وفيهم والي بيروت ومتصرف لبنان والرؤساء الروحيون ورجال الحكومة والوجوه والأعيان . وركب المركب الروسي البرنسيس اوجيني فرفع ربانه العلم العثماني اكراماً للبطريرك . وأقلع المركب فوصل طرابلس صباح اليوم التالي . وخف لاستقباله على ظهر الباخرة متصرف طرابلس ومتروبوليتها الكسندروس ومتروبوليت عكار باسيليوس ومطران الروم الكاثوليك يوسف الدوماني . وركب الجميع الى البر . ولدى وصولهم الى الشاطىء صفقت الجموع وهتفت بحياة البطريرك . ثم ركب البطريرك والمتصرف عربة واحدة . وسار الجميع في قطار من العربات حتى بلغوا باحة السراي . فاستقبله هناك الكهنة بالحلل الكهنوتية والصليب فبارك الشعب وسار في طريق رفعت فيها اقواس النصر وزينت بالازهار والأعلام العثمانية الى ان بلغ الكاتدرائية . فصلى وبارك ودعا . والقى خطبته : هو الأب الذي يتنقل بين أبنائه يودعه ابن ويستقبله آخر . وسعيد هذا الوطن بهذه الالفة وهذا الاتحاد . وسعيدة طرابلس بمتصرف أظهر انه ليس حاكماً ولا سيداً بل ابناً للوطن وأخاً محباً وعضواً من هذا اللواء يفرح لفرحه ويسر لسروره » .

انضمام مطران السريان في حمص: (١٩١٢) وبينما كانت بيروت تفرح بابي الآباء وراعي الرعاة ثالث عشر الرسل الاطهار كانت حمص تبتهج بقبول كيريوس بطرس اسقف صدد ورعيته في حضن الكنيسة الارثوذكسية الجامعة . ففي الرابع من اذار سنة ١٩١٢ اجتمع الشعب الارثوذكسي في حمص بأسره في كنيسة الاربعين الكاتدرائية . وبعد ترتيل باصابنوي تحول اثناسيوس متروبوليت حمص عن الكاتدرا الى الباب الملوكي فلبس البطرشيل والاموفوريون ومشى الى باب الكنيسة الغربي لقبول بطرس اسقف صدد على اليعاقبة مصحوباً بكاهنين . فاتسم بطرس بالصليب المقدس وبات ينتظر دنو المتروبوليت . وكان مصف المرتلين يترنم بطروبارية الاربعين .

ولما انتهت الطروبارية سأل اثناسيوس بطرس قائلا : هل تريد ان تتحد مـع الكنيسة الارثوذكسية رافضاً غير الصحيح من معتقدات المذهب اليعقوبي ؟ فأجاب بطرس بورع : نعم اني اريد ذلك . فباركه اثناسيوس قائلا باسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد آمين . ثم وضع يده على رأس بطرس وقرأ الافشين التالي :

« ايها الرب اله الحق انظر الى عبدك الاسقف الآتي ليلتجيء الى كنيستك المقدسة الارثوذكسية ويكون محفوظاً تحت كنفها . رده من تيهه الاول الى الايمـان الحقيقي بك . امنحه نعمة ليسير في سبيل وصاياك . لتكن الحاظك ناظرة اليه برحمتك على الدوام واذناك منصتتين لسماع صوت تضرعه. وهكذا فليصر معدوداً من رعيتك المختارة . لان كل قوات السموات تسبحك وتمجدك ايهـا الآب والابن والروح القدس الى دهر الداهرين آمين » .

وكان الشماس في ذلك الحين يقدم طلبة « من الرب نطلب » ومصف المرنمين يؤمن على طلباته قائلا يا رب ارحم . وبعد الافشين ونجاز الطلبة وجه اثناسيوس الى بطرس الكلام التالي : اترفض تعليم اوطيخـه وثيودوروس وديوسقورس وسائر المعتقدين اعتقادهم . فأجاب بطرس : نعم اني ارفض ذلك فسأل اثناسيوس : اترفض التعليم الفاسد الذي يقال فيه ان يسوع المسيح ربنـا ليس فيه الا طبيعة واحدة فقط . فأجاب بطرس : نعم اني ارفض ذلك . فسأل اثناسيوس: هل تريد اذن ان تتحد بالكنيسة الشرقية المقدسة الارثوذكسية الجامعة وهل تتعهد ان تكون لها من اهل الطاعة . فأجاب بطرس : اريد وأتعهد بذلك من صميم قلبي. فسأل اثناسيوس: هل تؤمن بالاله الواحد الممجد في ثالوث وكيف تؤمن وهل تسجد له . فأجاب بطرس : « اؤمن باله واحد ممجـد في ثالوث الاب والابن والروح القدس واسجد له . ثم عمل مطانية ساجداً الى الحضيض وقرأ دستور الايمان هكذا :

« دستور ايمان الاسقف بطرس : باسم الآب والابن والروح القدس . انـا الحقير بطرس برحمة الله اسقف صدد وتوابعها ارجو الكنيسة المقدسة الجامعة الارثوذكسية محبة الله ان تقبلني في حظيرتها كأحد اولادها المؤمنين .

« نحن (اي هو والشعب المنقاد لصوته) نقبل بتعليمها الجامع ونعـد الكنيسة الارثوذكسية

بالطاعة القانونية واننا نترك نشوزنا السابق ونقصي كل هرطقة ولا سيما هرطقة اوطيخة لانـه كان يعلم تعليماً كاذباً بقوله « ان المسيح الهنا له طبيعة واحدة » . واما نحن فنؤمن ونعترف ونقر هكذا :

« ان ربنا المولود من الآب قبـل الدهور بحسب اللاهوت والمولود في آخر الازمان من البتول القديسة مريم بحسب الناسوت هو واحد بعينه بطبيعتين ووجه واحد واقنوم واحد مسيح واحد وابن واحد ورب واحد واله وانسان واحد . وايضاً نقول :

« اننا نؤمن ونعترف ونقر انـه مساو للآب في الجوهر بحسب اللاهوت . وهو نفسه مساو لنا في الجوهر بحسب الناسوت . وهو واحد من الثالوث الاقدس الاله الكلمة الذي اتخذ من البتول القديسة مريم طبيعة بشرية اعني نفساً ناطقة عاقلة وجسداً وصفـات بشرية وفعلا بشريا ومشيئة بشرية . ولما جعل متحداً الاله الكلمة في اقنومه الطبيعة البشرية الكاملة مع الطبيعة الالهية الكاملة صار انساناً ولم يزل الهاً اذ لم يبطل خواص الطبيعتين بالاتحاد ولم يضعف بل كل واحدة من الطبيعتين حفظت خواصها . ولهذا فان في المسيح يسوع ربنا طبيعتين صفتين فعلين ومشيئتين مستقرتين فيه بغير امتزاج ولا تغيير ولا انقسام ولا انفصال . ولهذا فالاقوال عن المسيح ربنـا المكتوبة في الانجيل ورسائل الرسل لا يجعل اللاهوتيون بينها تمييزاً . فان الكنيسة تعلن بحق ان المسيح هو الاله الكامل نفسه والانسان الكامل نفسه حافظاً خواص كل من الطبيعتين سالمة . ونحن نؤمن ونعترف ان الهنا يسوع المسيح الكائن الهاً بالطبع والصائر انساناً بحسب الطبيعة هو الابن الوحيد المثنى في الطبيعة وليس بالاقنوم .

« واما عن السيدة مريم القديسة الدائمة البتولية فنحن نعترف انها والدة الاله لانهـا ولدت بالحقيقة المسيح الهنا .

« ونقبل ايضاً بتلك المجامع المسكونية المقدسة التي لم تكن قبلا مفروضة عندنا واسماؤها هذه: المجمع الرابع الخلقيدوني المنعقد على عهد مركيانوس الذي رفض تعليم اوطيخة ومن قال قوله بطبيعة واحدة في المسيح ربنا بعد الاتحاد . المجمع الخامس وهو ذاته المجمع القسطنطيني الثاني المنعقد على عهد يوستنيانوس والذي افرز ثيودوروس وتعليمه . المجمع السادس وهو ذاته المجمع القسطنطيني الثالث المنعقد على عهـد قسطنطين (الرابـع) الذي علم ان في المسيح الهنـا طبيعتين وفعلين ومشيئتين . الا ان هاتين المشيئتين غـير مخالفة احداهما الاخرى بـل ان مشيئته الناسوتية لم تكن تخالف مشيئته الالهية بل بالاحرى كانت متفقة معها وخاضعة لها . المجمع السابع وهو ذاته المجمع النيقاوي الثاني المنعقد على عهـد قسطنطين وايريني الذي علم باستقامة السجود للايقونات اي للصور المقدسة سجوداً اكرامياً وافرز اولئك الذين كانوا يجدفون على الكنيسة المقدسة بقولهم عنها انها تسجد للايقونات على مثال الوثنيين الذين يعبدون اصنامهم . ولكننا نحن ابناء الكنيسة نسجد لها لا سجود عبادة كما يجب على المخلوق ان يسجد لخالقه بل سجود اكرام فقط كما نسجد لصليب المسيح وللانجيل . ونقبل ايضاً قوانين المجامع السبعة المسكونية وقوانين المجامع المكانية ناظرين اليها نظرنا الى مثال حسن الترتيب في كنائس الله المقدسة .

« ونتعهـد بأن نشترك فقط مع اولئك الذين تشترك معهم الكنيسة الارثوذكسية المقدسة . وكل الذين تعتبرهم خارجين عن الاشتراك نعتبرهم نحن ايضاً خارجين عن هذا الاشتراك . ونحن قد شرحنا في رسالتنا جل ما هو محرر هنا . اما الآن فاني أشد بهذا بشفتي ايضاً امام هذا المذبح المقدس وامامكم . ونؤمن ان رئيس الرعاة العظيم ربنا يسوع المسيح يبارك عملنا هذا له المجد مع الآب والروح القدس الى دهر الداهرين آمين » .

وبعد تلاوة هذا الصك دفعه بطرس ممضياً بخط يده الى اثناسيوس ليحفظ في الاوراق الكنائسية الى ما شاء الله . فأخذ اثناسيوس الصك وقال : « تبارك الله الذي ينير كل انسان وارد الى العالم » . ثم وجه الاسئلة التالية الى بطرس : هل تعتبر كل المجامع المسكونية السبعة وهل تقبل بالعقائد والقوانين التي حددتها هذه المجامع . فأجاب بطرس نعم اعتبرها واعتقد بها . فسأل اثناسيوس هل تعد انك تكرم الايقونات المقدسة المقبولة في الكنيسة الارثوذكسية بحسب اعتقاد هذه الكنيسة معيداً الاكرام المقدم لها الى الصورة الاصلية المرسومة فيهـا . فأجاب بطرس اني أعد ان اكرمهـا كما توصي بذلك الكنيسة الارثوذكسية . فسأل اثناسيوس هل تقبل بالقوانين الرسوليـة وسائر القوانين التي تحددت في المجامع السبعة المسكونية والتسعة المكانية وباقي التقاليـد والترتيبات التي في الكنيسة الارثوذكسية . فأجاب بطرس نعم اني اقبل بها .

حينئذ أعطى المتروبوليت اثناسيوس الاسقف بطرس طرف الاموفوريون وقال له بصوت مهيب ادخل الى الكنيسة الارثوذكسية وارفض كل ما ترفضه واكرم الآب الضابط الكل وابنه يسوع المسيح والروح القدس ثالوثاً متساوياً في الجوهر وغير منقسم . ثم سارا معـاً الى الباب الملوكي وصوت المرتلين مرتفع بالمزمور السادس والستين « ليترأف الله علينا » ولما بلغا الباب الملوكي وقفا ازاء طاولة عليها الانجيل المقدس والصليب الكريم . فجثا الاسقف امام الطاولة وقبل الانجيل والصليب وحنى ركبتيه وتلا : ترسل روحك فيخلقون وتجدد وجـه الارض . خلص يا رب عبدك المتكل عليك . كن له يا رب عمود قوة تجـاه العدو . يا رب استمع صلاتي وليأت اليك صراخي . ثم قال الشماس « من الرب

نطلب » ومصف المرتلين « يا رب ارحم » وكان بطرس قد اعترف عند كاهن قانوني فقرأ اثناسيوس هذه الصلاة :

« ايها السيد الاله الضابط الكل الواضع للخطأة طرائق التوبة الهادي الضالين الى الصراط المستقيم كي لا يهلك احد منهم بل ليكون للجميع ان يقبلوا الخلاص . نشكرك لأنك أثرت عبـدك الاسقف بطرس بنور معرفة حقك وجعلته اهلا للالتجاء الى كنيستك المقدسة الارثوذكسية الجامعة . فأعطه ان يتحد بها باخلاص وثبات عزم . أحصه مع رعيتك المختارة . اجعله اناء طاهراً ومسكناً لروحك القدوس حتى اذا كان مستنيراً به ومسترشداً يحفظ بدون زيغ وصاياك الخلاصيـة ويكون هكذا مستحقاً لقبول خيراتك السماوية . لانك انت اله الرحمة والرأفة والمحبـة للبشر والمريد لكل الناس ان يخلصوا . ولك نرسل المجـد ايهـا الآب والابن والروح القدس الآن وكل اوان والى دهر الداهرين آمين » .

ثم قال اثناسيوس : قف حسناً قف بخوف وأيد امـام انجيل المخلص وصليبه الكريم الميثاق المعطى منك . فنهض بطرس وقال : اني اتعهد متكلا على الله بالمحافظة الثابتة على الايمان الجامع المستقيم الرأي الذي اعتقد به الآن برضاي كاملا وبدون زيغ حتى آخر نسمة من حياتي . وباتمام وصاياه برغبة وفرح وان أصون قلبي ما استطعت من كل دنس . وتأييداً لتعهدي هـذا هوذا اقبل اقوال مخلصي وصليبه . ثم قبّل الانجيل والصليب . فقال اثناسيوس : تبارك الله الذي يريد الناس كلهم ان يخلصوا والى معرفة الحق يقبلوا . هـو مبارك الى الدهور . فجاوب مصف المرتلين آمين . ثم خاطب بطرس قائـلا : احن ركبتيك امام الرب الاله الذي اعترفت به وستأخـذ مغفرة خطاياك . فحنى بطرس ركبتيه ورأسه وقرأ اثناسيوس عليه ما يأتي :

« الرب يسوع المسيح الهنا الذي سلم الرسل مفاتيح ملكوت السماوات واعطاهم لهم ولخلفائهم بعدهم سلطان ربط الخطايا للناس وحلها فليغفر لك ايهـا الاخ الاسقف بطرس بواسطتي انا رئيس الكهنة الغير المستحق وليحلك من عقال اليمين ومن كل خطاياك . وانا بالسلطة المعطاة لي منه تعالى أجعلك متحداً بالكنيسة الارثوذكسية وآتي بك الى مناولة الاسرار الالهية الكنائسية . واباركك باسم الآب والابن والروح القدس آمين » .

ثم بدأ المرتلون « بتون ذيسبوتين » واخـذ السيدان معاً كيروناً ودخلا الى الهيكل . فرش اثناسيوس بطرس بالماء المقدس من الصينيـة المتضمنة ذخائر

الاربعين اصحاب المقام وبعدئذ تصافحا ولبسا جلـــل رئاسة الكهنوت وخدمـــا الاسرار الالهية معاً . وكان بطرس يعاون اثناسيوس في بعض الاعلانات . وبعد الاستحالة أشهر الاسقف اعترافه برئاسة البطريرك غريغوريوس الرابع .

وبعد المناولة هنأ اثناسيوس بطرس بخطاب ملؤه الحب والتنشيط فأجاب بطرس بخطاب طويل اهم ما جاء فيـــه قوله ان اسباب التباعد بين الكنائس الشرقية لم تكن ايمانية وان الوقت حان لاتحاد هذه الفرق تحت لواء الارثوذكسية وانـــه ما فتىء منذ ان لمس التقوى الحقيقية في نفوس الحجاج الروس يفكر في العودة الى احضان الكنيسة الام وان هذا الميل ظل ينمو فيـــه حتى اسعده الحظ بمعرفة اثناسيوس الذي اضاف الى استقامة الرأي العمل الصالح (١) .

روفائيل مطران حلب : (١٩١٢) وشغر كرسي حلب بعـــد استقالة استفانوس كما سبق وأشرنـــا فرشح الحلبيون الارشمندريت انطونيوس مبيض من حمص والارشمندريت باسيليوس صيداوي من دمشق والقس روفائيل نمـــر من زحلة . وقدموا بذلك مضبطة الى البطريرك . فكتب راعي الرعاة في السابع عشر من تموز سنة ١٩١٢ الى المطارنة ان ينتخبوا احد الثلاثة ليسميه مطراناً وأمهلهم في ذلك خمسة عشر يوماً .

وفي السابع والعشرين من ايلول اجتمع في نـــادي البطريرك في دير سيدة البلمند ، وكان غبطته لا يزال مقيماً في هذا الدير مدبراً شؤون مدرسته الاكليريكية ، ارسانيوس متروبوليت اللاذقية والكسندروس متروبوليت طرابلس . وانحـــدر الحبران بأمر غبطته الى كنيسة السيدة . ونزل الشماس صفرونيوس (بشارة) حاملا السجل البطريركي . وبعد الصلاة وضع الحبران بطاقات الانتخاب على المائـــدة المقدسة ثم نقلاها الى طاولة في منتصف الخورص . وفتحت البطاقات المختومـــة فأحرز روفائيل ثمانية اصوات . فسطر ذلك في السجل ووقع السيدان المشرفان . واطلع البطريرك فأعلن انتخاب روفائيـــل . وفي السادس من تشرين الاول صار

١) مجلة النعمة : اذار ١٩١٢ ص ٨٥١ — ٨٥٩ .

الانتداب الاسقفي وتمّ بحسب الرسوم المتبعـــة في كنيسة السيدة الكبرى في دير البلمند بواسطة السيدين ارسانيوس اللاذقيـــة وجرمانوس سلفكياس . وتسجل اعتراف المنتخب في السجل البطريركي تحت امضائه بحضور سيادتهما وشهادتهما عليه . وتمت سيامة روفائيل يوم الاحـــد في السابع من تشرين الاول برئاسة البطريرك واشتراك السادة ارسانيوس اللاذقية والكسندروس طرابلس وجرمانوس سلفكياس وحضور ممثلي ابرشية حلب (١) .

الدستور وامتيازات النصارى : وعلى اثر اعلان الدستور العثماني اثارت صحافة الأستانة وغيرها قضية امتيازات النصارى موجبة الغاءها عملا بمبدأ المساواة بين جميع العثمانيين . فهب النواب المسيحيون يسعون للمحافظة على هذه الامتيازات مؤكدين ان الانقلاب السياسي لا يستدعي الغاءهـــا وان مصلحة المملكة تقضي بالمحافظة عليهـــا . وأهم ما جاء في جرائد الاستانة في هـــذا الموضوع ما نشرته جريدة النيوغولوص اليونانية بقلم صاحبها ورئيس تحريرهـــا ستافروس فوتيراس شيخ الصحفيين في العاصمة . وكان غطاس قندلفت مدير مدرسة البلمند ينقل هذه المقالات الى العربية وينشرها في جريدة الحوادث الطرابلسية . فلما تمت نشرها على حدة بعنوان « امتيازات الجماعات المسيحية في المملكة العثمانيـــة » فجاءت سفراً ممتعاً فيه الخبر الشافي عن هذه الامتيازات وكيفية نشوئها وسدت فراغاً في الخزانة المسيحية العربية .

رد على الماديين : ونقل الشماس فوطيوس الخوري في هذه الآونة نفسها من اليونانية الى العربية كتاب بطرس ارمـــاني في الرد على الدهريين فأسمـــاه : شموس الحقائق في اثبات الروح والخالق « واثبت فيه بالعلوم العقلية والطبيعية ان في الانسان روحاً او نفساً ناطقة تدبر الجسد وتستنبط العلوم وان للعالم صانعاً ازلياً ضابط الكل وواضع الشرائع الطبيعية واله الارواح والاجسام ومدبر البرايا ومعتن بكل افرادها واجزائها » . وكان الدافع لنقل هـــذا الكتاب الى العربية

١) مجلة النعمة : تشرين الاول ١٩١٢ ص ٤١٦ — ٤١٨ . طلب البراكسيس البطريركي في هـــذا الموضوع في النعمة ايضاً ١٩١٢ ص ٥٩٦ — ٦٠٢ .

ارشاد من ضل السبيل بمغالطة المتفلسفين وتحرضات المارقـين عن ظلمات الريب الى صبح اليقين (١) .

الأدلة الغراء : وكـان ضاهر خيرالله الشويري اللبناني يستظهر على اصدقائه البروتستانتيين الشويريين، وبعضهم من اساتذة جامعة بيروت الاميريكية فيستعين بدليل العقل والنقل لـيرد على آرائهم في العقيدة المسيحية . فأخرج في السنة ١٩١٢ كتابه « الادلة الغراء على سمو شأن مريم العذراء » فنبه الى ما وقع في ترجمـة الكتاب المقدس البروتستانتية من التحريف في مواضع متعددة . وطارد موسهم وأظهر تحامله . ودافع عن الطقوس مظهراً «تلاعب الدكتور هارفي بورتر في الروايات » . واستشهد باقوال السيد نفسه ليدحض زعم البروتستانت ان السيد له المجد يستاء من اكرام القديسين . ورد على الدعوى بأن الخلاص انما هو بالايمان فقط دون الاعمال . وأجاد في الكلام عن التقليد وانـه كان معروفاً في الكنيسة منذ نشأتها وانه ضروري لتفسير النصوص الالهية .

البطريرك والسلطان : (١٩١٣) ورغب آل رومانوف في الاحتفـال بمرور ثلاث مئة عام على اعتلائهم عرش روسية . فكتبوا الى البطريرك يستقدمونه الى روسية ليرأس الحفلات الدينية لهذه المناسبة . فلبى الدعوة وأصدر في الثامن من شباط سنة ١٩١٣ منشوراً بطريركياً أفاد به ان واجبات التابعية للدولة العلية أهابت بـه ليبادر الى المثول امام الذات الشاهانية ليظهر شفاهاً تعلقــه وتعلق المطارنة والشعب بأهداب الطاعة وانه كان وكانوا وما زالوا جميعــاً منتمين الى الدولة العثمانية بملء الافتخار لا تزيدهم الأيام الا امانة في الانقياد واخلاصاً في المعاملات وغيرة في الشدائد وانه حظي في الخامس من شباط ١٩١٣ بالمأذونيـة العالية مجيزة له اتمام هذه الامنية وانه عزم ان يبرح مقره البطريركي في السادس من شباط قاصداً بيروت ومنها الى دار السعادة (٢) .

ولما كانت مهام البطريركية عديدة ومتنوعة عهد بها بطرس بطريركي

---

١) طبع في طرابلس في المطبعة الوطنية لصاحبها لطف الله خلاط سنة ١٩١٢
٢) مجلة النعمة ١٩١٣ ص ٦٧٣ – ٦٧٦

الى ارسانيوس متروبوليت اللاذقية بالوكالة عنه في مدة غيابه . وحدد البطريرك هذه المهام في هذا الطرس نفسه فجاءت هكذا :

« اولا تشتمل على جميع المراجعات بين البطريركية والحكوميـة بالشؤون الخصوصية التي للبطريركية كانتخاب اعضاء مجلس الادارة واحوال التجنيد والنظر في الاعتداءات على الاوقاف . اما ما هو من خصائص القوميسيون الزمني فمعاملاته تتم من هيئته القانونية التي يتولى نيابة الرئاسة فيها ولدنا كير ميخائيل شحاده الجزيل بره بروتوسينجلوس كرسينا البطريركي المقدس في غيابكم ويحضر الجلسة التي تترأسونها . والشؤون المستعجلة التي يخابركم بها القوميسيون للبحث بشأنها مع الحكومة تجرونها باتفاق الرأي مع تلك الهيئة الموقرة وما تلزم مطالعتنا فيه ترفعونه الينا . والمحكمة الروحية مستقلة في معاملاتها ونائب رئاستها ولدنا اول الكهنة فيليمون بشاره الجزيل الورع . وما يعرض من شؤونها لسيادتكم تحولونه اليها . واحكامها القانونية تجاز من طرف سيادتكم. وما يلزم اطلاعنا عليه ترفعونه الينا ايضاً .

« ثانياً تنظرون في امر الزيجات وترجعون في ما يلتبس امره الى المحكمة الروحية لمسؤوليـة اعضائها ابنائنا كهنة الشعب بشأنها .

« ثالثاً الشؤون التي ترجع بها الابرشيات المنضوية الى كرسينا المقدس الى منصتنا الرسولية تشملها وكالتكم ايضاً . وما كان منها محتمل التأجيل تراجعوننا بشأنه . وما كان الاسراع بـه واجباً تتصرفون به بملء الحكمة وترفعون الينا عن كل شيء بياناً بما توقع لنكون على بصيرة بالشؤون ونكتب اليكم بما نستحسنه .

« هذا ما نكلف اخوتكم ان تعتمدوه في شؤون الوكالة عنا بمدة غيابنا نكتب لكم عنه رسمياً . وقد وكلنا سيادة الاخ المطران زخريا مطران حوران الجليل بوكالة المدرسة الاكليريكية البلمندية العامرة وبالسيطرة على الاديرة البطريركية الشريفة يتفقدها وينظر في شؤونها وحساباتهـا ويخابرنا بشأنها رأساً . وسيادة الاخ المطران استفانوس الجليل يبقى له اسم النائب ويساعدكم في الشغل الذي ترونه . وكذلك لديكم ولدنا البروتوسينجيلوس كير ميخائيل شحاده للنيابة عنكم في ترؤس جلسات القوميسيون في غيابكم ووجوده معكم في الجلسات بحضوركم وللاعتماد عليه في اشغال القرى الراجع امرها لمقرنا البطريركي .

« وولدنا الشماس كير فكتور ابو عسلي الجزيل بره يعتمد وكيلا للخرج ولاشغال مصلحة الجند ونحوها من المراجعات في باب الحكومة السنية وللخدمة في الكنيسة شماساً . وولدنا الشماس اندراوس معيقل الجزيل بره للخدمة في المطبعة البطريركية وليكون مرتلا في الكنيسة الكاتدرائيـة . وولدنا وكاتم سرنا امين افندي ظاهر خيرالله لادارة وانشاء مجلة البطريركية الرسمية مجلة النعمة ولحسابها وكل شؤونها .

« فكونوا كما نعهد بكم من الحكمة والتقوى والروية والهمة والنشاط والاستقامة مثالا للشركاء

في الخدمة وقدوة للرعية . والمولى سبحانه وتعالى يأخذ بيدكم ويآجركم باجل مكافأة ويرينا وجهكم بخير وعافية . ونعمته الغزيرة فلتكن معنا وفيا بيننا . اخوكم في المسيح بطريرك انطاكيــة وسائر المشرق غريغوريوس » (١) .

وفي فجر السبت تاسع شهر شباط سنة ١٩١٣ قــام البطريرك والحاشية البطريركية الى بــيروت ومنها الى ظهر الباخرة توفيقية فشيعه الرجال الرسميون والوجهاء والاكليروس. وانضم اليه في بيروت الكسندروس متروبوليت طرابلس ورست السفينة في مياه ازمير فاقبلت من البر سفينة صغيرة تقل وفــداً حكومياً رسمياً ووفداً ملياً ارثوذكسياً . فــدعا الوفدان البطريرك لزيارة ازمير . فلبى الدعوة وزار الوالي ثم كنيسة ازمير الكاتدرائية . فاستقبله عنــد مدخل الكنيسة خريسوستوموس متروبوليت ازمير وكهنته وشعبه . فدخل الكنيسة وصلى وبارك ثم عاد الى الباخرة .

ثم رست التوفيقية في مرفأ الآستانة فرحب به باسم الحكومة طلعت بك مأمور التشريفات ومهمندار (٢) البطريرك الانطاكي وحتي بك مميز قــلم نظارة العدلية وكمال بك قزح وكيل البطريرك الانطاكي في « دار السعادة » ووفد سفارة روسية ووكيل البطريرك الاوروشليمي . فسارت العربات الى بيرا بالاس حيث حــل البطريرك ضيفاً على الحكومة السنية . وبعد الاستراحة سار البطريرك الى وزارة العدلية والمذاهب فالصدارة العظمى حيث قابــل الصدر الاعظم محمود شوكت باشا . وسار من هنالك الى دار البطريركية المسكونية فلقيه المطارنــة والاكليروس بالحلل الحبراوية وساروا امامه الى الكنيسة الكاتدرائية فعانق فيهــا قداسة بطريرك المسكونة جرمانوس الخامس وصلى وبارك وعاد الى بيرا بالاس. وفي السادس عشر من شباط حظي البطريرك بمقابلــة السلطان محمد رشاد وبمعيته الكسندروس متروبوليت طرابلس والحاجة سوسان شقيقة غبطته وكمال بك قزح الوكيل البطريركي . « ففاضت الاحسانات الشاهانية من القريحــة السلطانية » بالوسام العثماني المرصع للبطريرك وبالمجيدي الثــاني لمتروبوليت طرابلس وبوسام

١) مجلة النعمة : ١٩١٣ ص ٦٧٧ – ٦٧٩

٢) المرافق في اثناء الزيارة

الشفقة الثاني للحاجة سوسان وبالعثماني الثالث لوكيل البطريرك (١) .

البطريرك الانطاكي في جرائد روسية : ونشرت جرائد روسية خبر قدوم البطريرك الانطاكي ونقلت برنامج استقباله. وذكرت سيرته الحسنة وورعه وتقواه وفصاحته وجهاده وصموده في وجــه التيارات الكاثوليكية والبروتستانتية والماسونية . واكدت وجوب استقباله في مقر المجمع الروسي المقدس في بطرسبرج بقرع الاجراس والصليب والهيئات الاكليريكية بحللها وبرئاسة اسقف (٢) .

البطريرك في روسية : (١٩١٣) وجاء في رسالة للبطريرك غريغوريوس وجهها الى البروتوسينجيلوس مخائيــل شحاده في الثالث والعشرين من شباط سنة ١٩١٣ انه وصل الى مدينة بطرسبرج « على اجنحة الحب التي لا تتعب » وانــه لاقاه جمع غفير من علية القوم في طليعتهم متروبوليت بطرسبرج ووكيل القيصر في المجمع المقدس وانــه بعد صلاة الشكر في كنيسة دير اسكندر نفسكي توجه الى كنيسة قبور القياصرة فقبل الصليب من يده القيصر ووالدته . وانه بدأ بالتبريك واشترك معــه متروبوليت العاصمة ومتروبوليت الصرب ومتروبوليت كيف . واضاف البطريرك انه سمع القداس الالهي في اليوم التالي في كنيسة سيدة كازان الفخيمة وانه خرج بعد الظهر لاقامة الدعاء لابساً حلــة رئاسة الكهنوت والتاج والعكاز تقدمة القيصر فاستقبله القيصر والقيصرتان وولي العهد فافتتح الصلاة وقرأ الانجيل باللغة العربية .

ثم قابل البطريرك القيصر والقيصرتين وولي العهــد في القصر الشتوي « فنطق بمسامع جلالته كلمات لندورة العيد » وقدم الايقونة المحفوظة من الجيل الخامس لتكون البركة للبيت القيصري ، فقبلها القيصر وأجاب شاكراً . ثم خدم القداس الالهي في الكاتدرائية وتناول طعام العشاء في القصر الامبراطوري « فنال من الفرح ما يرجوه الارثوذكسي » وربط فؤاده باللطف سفير الدولــة العثمانية دولتو طرخان باشا . (٣)

١) الوسام المرصع العثماني لكمال قزح : النعمة ١٩١٣ ص ٧١٩ – ٧٢١ .

٢) نقلا عن ترجمة ما جاء في العدد ١٣٢٧١ من جريدة نوفويــه فريميا الصادر في ٢٠ شباط سنة ١٩١٣ .

٣) مجلة النعمة ١٩١٣ ص ٨٠٣ – ٨٠٤

نكرم باقنومك سلطان الكنيسة الاعلى : وخاطب انطونيوس رئيس اساقفة فولين البطريرك الانطاكي باسم كنيسة روسية فقال : لقد مضى زمن ينيف عن مئتي سنة منذ فقدت كنيستنا راعيها الاعلى ونحو ٢٥٠ سنة منذ انقطع حماة الارثوذكسية المسكونية عن زيارتنا . وها نحن الان ننظر اليك بتخشع وسرور فنرى فيك بهجات الكنيسة المسيحية بأجملها لانك باقنومك الرسولي تترأس اعلى قممها . اننا نكرم باقنومك سلطان الكنيسة الاعلى بجذل روحي ممتاز . وان يكن كرسيك خالياً من غناه السابق ومن المجد الخارجي فانه مملوء من ذلك المجد الذي لا يبلى مجد لهجك بكلمة الخلاص وجهادك عن ايماننا الالهي بقلب طاهر وعزيمة ماضية وتعرف حكيم . ونحن لا نكرم رئاسة الكهنوت لاتحادها بالغنى والابهة وانما نكرمها لجهادها بانكار الذات . ولهذا نستجلي في شخصك لمعان بطرس رئيس كنيسة انطاكية الاول ولمعان القديس الشهير اغناطيوس حامل الاله ومعلمي المسكونة ملاتيوس وافستاثيوس وغيرهم من منتخبي الله الكثيري العدد الذين زينوا الكنيسة بصفاتهم المتسامية . والشعب الروسي الذي يحترم الجهاد الرسولي الذي تسلسل منذ عهد التلاميذ الاولين الى الان في كاتدرائيتك المقدسة يرى فيك حامل هذا المجد الكنائسي مجد اتفاق الارض مع السماء اتفاق الكنيسة مع المسيح . وهو يرفع صوته الى الله بالتسابيح لانه اصبح اهلاً ان يشاهد اقنومك الكلي الطوبى . ثم ركع انطونيوس جاثياً وقال : « وها هو ساجد امام قدميك يرحب بك وهو جاث ابتهاجاً بدخولك الى دير العاصمة الشمالية المقدس» (١) .

مقابلة القيصر : وقابل القيصر ضيفه البطريرك مقابلة الفسالسة البزنطيين لبطاركة القسطنطينية . فلبس البطريرك المنذية والقيصر بزته الرسمية . ولدى دخول البطريرك نزل القيصر عن عرشه وانحنى امامه فباركه البطريرك وقبله في كتفه . واما القيصر فقبل رأس البطريرك اولا ثم يده اليمنى . وبقي الاثنان واقفين وبعد ان هنأ القيصر البطريرك بسلامة الوصول وسمع جوابه أجلسه على مقعد الى جانب العرش . ثم صعد الى عرشه وقال : « سمعت منذ زمان عن عزمك على

١) النعمة : ٨٨٨ — ٨٨٩

المجيء اليّ وتمنيت كثيراً ان أراك . واني لعارف برك وتقواك فأرجو منك ان تتوسل الى الله العلي وتصليّ لاجلي » . فقال البطريرك : « انني رجل خاطىء يا مولاي . ولكن فليعطك الرب مثل قلبك وحسب ايمانك ويتمم كل آمالك ويؤيد عرشك الى الابد » . فلما سمع القيصر هذا الجواب المتضمن كلام داود في مزاميره سرّ وتخشع ونزل عن عرشه وقبّل يمين البطريرك مرة ثانية .

اليوبيل : واحتفل في السادس من اذار سنة ١٩١٣ باليوبيل الملكي في كاتدرائية سيدة قازان . فارتدى البطريرك الحلة الاسقفية الذهبية التي اهداها اليه القيصر . وجلس البطريرك على منصة والى يمينه القيصر واسرته والى يساره جمهور الاكليروس فبدأ بصلاة الدعاء باليونانية ولكنه قرأ الانجيل بالعربية .

الكنيسة الروسية والكنيسة المنحازة : وانتهز البطريرك فرصة وجوده في روسية لازالة سوء التفاهم بين الفرقة الروسية المساة بالمنحازة وبين الكنيسة الروسية الارثوذكسية ولا سيما وان الاختلاف بينهما كان في الترتيبات لا في العقائد . فالبركة مثلا تعطى عند الكنيسة المنحازة باصبعين فقط اشارة الى ان المسيح اله كامل وانسان كامل .

الكسي اسقف تخيفين : وكان المجمع الروسي المقدس قد أقر ترقية الارشمندريت الكسي الى رتبة الاسقفية فطلب الى البطريرك الانطاكي ان يتولى السيامة . ففعل وسام الكسي اسقفاً على تيخيفين . وفي السنة ١٩١٧ انهار في روسية عالم قديم ليحل مكانه عهد جديد . وكان الاسقف الكسي قد اصبح اسقفاً على امبورغ فجعل مساعداً للقائمقام البطريركي في موسكو المتربوليت سرجيوس ثم وكيل مطرانية نوفوغورود ثم متروبوليتاً على لينيغراد في السنة ١٩٣٣ . فخدمها اثني عشر عاماً بنشاط رعائي نادر . وحين حاصر النازيون لينينغراد في اثناء الحرب العالمية الثانية . حلت بها المصائب والنكبات . فكان السيد الكسي اباً رحوماً وبطلا صنديداً مجازفاً بحياته في سبيل الشعب . وتوفي البطريرك سرجيوس في السنة ١٩٤٥ فانتخب المجمع الروسي المقدس السيد الكسي متروبوليت لينينغراد خلفاً له .

ولا يزال هذا الحبر الجليل الذي يرعى ملايين المؤمنين في روسية ويقودهم في طريق الخلاص يحن الى كنيسة انطاكية ويعتبر نفسه اخاً لاساقفتها . وكنيسة انطاكية تغبط بدورها شقيقتها الكبرى كنيسة موسكو على ما يتحلى بـه حبرها العظيم من حرارة في الايمان واستقامة في الرأي وسعة في الاطلاع وحكمة في الادارة وقد طفحت مدة رئاسته بالجهود الاداريـة المثمرة والاخوة الحقـة والمساعي الصادقة في سبيل السلام العالمي . أمد الله بعمره سنداً للكنيسة في روسية وفي سائر انحاء المسكونة .

الاوسمة : ومنح القيصر الامبراطور نقولا الثـاني البطريرك الانطاكي النوط الذهبي المضروب لتذكار اليوبيل . واهداه ايضاً وسـام القديس اسكندر نيفسكي من الرتبة الاولى وهو من اعظم الاوسمة الروسية وقدم له صليباً مرصعاً بالالماس لكي يعلق على مقدمـة اللاطية فوق الجبين . ومنـح الكسندروس متروبوليت طرابلس نوط اليوبيل الفضي ووسام القديسـة حنة من الرتبـة الاولى . وشمل عطفه سائر افراد الحاشية البطريركية وغيرهم من وجهاء الطائفة في دمشق (١) .

العودة : وودع البطريرك صاحبي الجلالة القيصر نقولا الثاني والقيصرة الكسندرة في السادس عشر مـن نيسان وبرح بطرسبرج الى دير اللافرا فاعجب بنشاط رهبانـه ثم زار انطونيوس في جيتومر وانتقـل منها الى بيسكوف وتساروروس منتهياً الى نوفوغورود وبقي الكسندروس متروبوليت طرابلس في بطرسبرج لشؤون خصوصية .

دير مارالياس الشوير : ولدى عودة البطريرك الى كرسيه استقدم بضعة عشر راهباً روسياً ووكل اليهم ادارة دير مارالياس الشوير البطريركي . فأعجب نصارى المنطقة بورع هؤلاء الرهبان وزهدهم ووداعتهم ومحبتهم المسيحيـة الطاهرة ونشاطهم . ولكنهم عادوا فتركوا لبنان في السنة ١٩١٥ بسبب الحرب العالمية الاولى .

١) مجلة النعمة : ١٩١٣ ص ٨٩٠ — ٨٩١

غريغوريوس والحرب : (١٩١٤ ـ ١٩١٨) وقتل ولي عهـد النمسة وقرينته في سيراجيفو في الثامن والعشرين من حزيران سنة ١٩١٤ . وبعد شهر اعلنت النمسة الحرب على صربية فجرت وراءها حرباً عالمية . وما طلع هـلال تشرين الثاني سنة ١٩١٤ حتى اعلنت تركية انضمامها الى الدول المركزية .

وطغى العنصر التركي في عاصمة الدولة العثمانية . واستأثر الثلاثة الكبـار بالسلطة ومضوا يسعون بما لديهم من وسائل لصهر العناصر غـير التركية ببوتقة تركية جديدة فطاردوا طلاب اللامركزية من ابناء العرب . ولم يروا في المسيحيين مـادة سهلة الاندماج فذبحوا الارمن وجوعوا اللبنانيين . وطالت الحرب وقلت المواد الغذائية في المانية والنمسة فحصر الاتراك هذه المواد في كل مكان ولا سيا في سهول سورية وصدروها الى اوروبة الوسطى . وجـاء الجراد في ربيع السنة ١٩١٥ فاكل الاخضر واليابس . فقلت المواد الغذائية في سورية ولبنان وارتفعت اسعارها . وأصدر جمـال باشا امراً مشدداً بوجوب ابعاد المؤن والغلال والحاصلات والعربات والحيوانات وسائر مسببات النقل من الساحل الى الداخلية خشية نزول العدو في الشواطىء فأصبح الساحل بلا قوت ! وطبع الثلاثـة الكبار الملايين من «الورق التركي» وسعّروا ليرتهم الورقية بمئة وثمانية غروش واكرهوا الناس على قبولها . فابتدأت المضاربـة بالورق . وسقط سعره فارتفعت الاسعار ارتفاعاً فاحشاً . وتفشت الامراض في صفوف العساكر واشدهـا هولا حمى التيفوس وانتشرت بين الاهلين . ثم جاء الجدري والهواء الاصفر فماتت العساكر بالعشرات وتركت جثثها في الاحراش والوديـان . وهجر اللبنانيون تلالهم الى البقاع والداخلية بالالوف فماتوا فيها .

وقرع اللبنانيون باب البطريركية في دمشق فرقت لهم كبد البطريرك ولان لهم فؤاده وحنت عليهم اضلاعه . وكـان رحب الصدر بسيط الكفّ سخي النفس يخفُّ للمعروف ويهتز للعطاء فتسخى وتندّى وابتذل مالـه بالانفاق . ولم يفرّق في عطائه بين مسلم او درزي او نصراني . فنفد ماله فاستدان . ومـا فتىء يأخذ ديناً ويُفيّح عطاء حتى بلغ ما اقترضه من المـال لهذه الغاية النبيلة عشرين الف ذهبية او اكثر !

ولم يرَ جمال باشا واعوانه اكرم من غريغوريوس اخلاقاً ولا أنبل فطرة ولا أطيب عنصراً ولا أخلص جوهراً فاحترموه وسهلوا امـوره . وبادلهم الاخلاص والاحترام ولكنه لم يبذل لهم قياده ولم يكن لهم مطواعاً لا يخالف لهم امراً ولا نهياً . فانه لما طغى حسن حسني رئيس شعبة اخذ العسكر في بيروت وتجبر وقاومه في ذلك جراسيموس متروبوليتها وطلب الوالي عزمي بـك عزل جراسيموس أبى البطريرك وامتنع ونبذ الأمر وراء ظهره !

فيصل الاول : (١٩٢٠) وقُضي الأمر في طول كرم في التاسع عشر من ايلول سنة ١٩١٨ فأخلى الأتراك والالمان فلسطين الشماليـة واعتزموا الدفاع عن دمشق وما يليها في جبهة تمتد من سمخ حتى شاطىء طبرية الجنوبي الشرقي فالحولة. ثم فوجئوا باحتلال سمخ في الرابع والعشرين من ايلول فأجلوا عن طبرية وعقدوا النية على الصمود وراء خط دفاعي يمتد من عين صوفر حتى الزبداني ماراً بقب الياس وشتورا وتعنايل وعنجر . وفوضوا مصطفى كامل باشا بذلك . ولكن طائرات الانكليز حلقت فوق رياق في التاسع والعشرين من ايلول سنـة ١٩١٨ فأمطرت قنابلها على مستودعات الذخائر فلم تبق منها ولم تذر . وتباطأ الانكليز في احتلال دمشق وما يليها من الشمال ليفسحوا المجال لفيصل وركبه . ودخلت دمشق في حوزتهم في الثاني من تشرين الاول فأوعزوا بالابراق الى بلدية بيروت لرفع « علم الشريف » فوق السرايا مؤملين بذلك كله مجابهة الافرنسيين بالامر الواقع او محاولين الخروج من مأزق كانوا قد نسجوا خيوطه بأيديهم عندمـا تصنعوا للعرب في المودة وتملقوا الافرنسيين قاطعين وعوداً للطرفين متعارضـة متعاكسة او غامضة تحتمل أكثر من تفسير واحد .

وقامت حكومة افرنسية في الساحل وحكومة عربية في الداخل . وذهب الخلاف بينهما كل مذهب . وتعارضت اهواء السكان وتشعبت آراؤهم ولا سيما وان ولسن كان قد أعلن حق الشعوب في تقرير مصيرها ونبذ الاستعمار وطرقه وأساليبه . واستبدل ساسة الغرب الاستعمار بالانتداب وقالوا بحق تقرير المصير واقترح ولسن ارسال لجنة تقف على رغائب السوريين واللبنانيين . فجاءت لجنة

كنغ ــ كراين الاميركيـة في صيف السنة ١٩١٩ وجابت البلاد طولاً وعرضاً فأجمع السوريون على الاستقلال ولم يرضوا عن انتداب فرنسة . وجهر البطريرك بتأييد السوريين في ما ذهبوا اليه ووافقه في ذلك معظم أبناء طائفته . فدخل في عراك مع الافرنسيين دام طويلا ! ثم دعا فيصل الوجهاء والأعيان الى مؤتمر في دمشق في ربيع السنة ١٩٢٠ فنادوا باستقلال سورية بحدودها الطبيعية وبايعوا فيصلا ملكاً عليها . فكان البطريرك في طليعة المبايعين . ثم جاءت معركة ميسلون في الثاني والعشرين من تموز سنة ١٩٢٠ واضطر فيصل ان يبرح دمشق فلم يعبـأ البطريرك بما انطوى عليـه نصر ميسلون . وكان كريم العهد ثابت العقـد فحفظ لفيصل عهده وأبر بيمينه فخرج لوداعه في أحرج الأوقات . ولعله انفرد بهذا الوداع فتميز به .

المجمع المقدس واميركة : (١٩٢١ ــ ١٩٢٣) وكان ما كان من أمر الثورة في روسية . فرأى المجمع الانطاكي المقدس ان يقيم في الاميركيتين الشمالية والجنوبية رئيسين روحيين يرعيـان نفوس المهاجرين الارثوذكسيين في تلك الاصقاع النائية . فانتخب في اول تشرين الاول من سنة ١٩٢١ ميخائيل شحاده اسقفاً على ريو دي جنيرو وسائر البرازيل وانتخب في السابع من كانون الاول سنة ١٩٢٣ فيكتور يعقوب مطراناً على ابرشية نيويورك .

ثيودوسيوس متروبوليت صيدا وصور : (١٩٢٣) وسافر ايليا (ديب) متروبوليت صور وصيدا الى اميركة الجنوبية في السنة ١٩١١ واستقر في تشيلي . فاجتمع المجمع الانطاكي المقدس في دير مار الياس الشوير وعالج شغور الكرسي في صور وصيدا ونظر في أمر المرشحين الثلاثة الارشمندريت ثيودوسيوس ابو رجيلي والارشمندريت بنيامين حداد والارشمندريت يوسف ابي طبر فانتخب الارشمندريت ثيودوسيوس (ابورجيلي) مطراناً على هذه الابرشية . وصارت سيامته من يد البطريرك غريغوريوس في كنيسة الدير المذكور في الثلاثين من كانون الاول سنة ١٩٢٣ .

أبصر ثيودوسيوس النور في مدينـة بيروت في السنة ١٨٨٩ من والدين كريمين تقيين سليم ابو رجيلي ولبيبه بدران . وتلقى علومه الابتدائية في مدرستي

الثلاثة الاقمار والفرير . وحين بلغ سن اليفع شعر بميل شديد الى الحياة الرهبانية . فانتقل الى دمشق وعاش في الدار البطريركية في كنف المثلث الرحمات البطريرك ملاتيوس الثاني وتابع دروسه في الآسية . وأنس البطريرك من تلميذه ميلا الى الزهد والترهب فأرسله الى مدرسة دير البلمند . « فكان فيها رصيناً هادئاً وقوراً لا يمشي بسرعة ولا يتكلم بصوت مرتفع ولا يشارك الطلبة في اللعب ولا يتسلى بالمزاح ، وكان على نحول جسمه وشحوب وجهه ينـام على فراش من القش بعد ان ازاح بيده فراشه القطني الناعم . فنال احترام الطلبة والاساتذة » (١)

وانهى دروسه في السنة ١٩٠٥ فسامه غريغوريوس الرابع شماساً انجيلياً . وفي السنة ١٩٠٨ أرسله البطريرك الى ديار بكر لمساعدة متروبوليتها سلفستروس (درعوني) . فسافر اليها بدون تذمر على الرغم من بعدها وشظف العيش فيها . وبعد وفاة راعيها بقي وكيلا عليها حتى انتخاب ملاتيوس (قطيني) سنة ١٩١٢ خلفاً لسلفسترس . وعاد الى دمشق يجيد التركية التي اتقنها وهو في ديار بكر ، فأرسله البطريرك غريغوريوس الى مدرسة الجنس في القسطنطينية . فنال شهادتها ثم انتقل الى كلية خالكي اللاهوتية . فقضى في هذه اربع سنوات اجاد في اثنائها اليونانية والعلوم اللاهوتية . وفي السنة ١٩١٥ سيم قساً فارشمندريتاً . ثم عاد الى دمشق واضعاً مواهبه النادرة ومقدرته في اللغات العربية واليونانية والتركية والمامه بالانكليزية والسريانية تحت تصرف البطريرك غريغوريوس بصفـة كاتم سر خصوصي لغبطته وممثلا لدى السلطات .

ورعى السيد ثيودوسيوس ابرشية صور وصيدا بأمانة وطهر واخلاص خمساً وعشرين سنة . وفي السنة ١٩٤٨ خضع لقرار المجمع المقدس الذي اتخـذ بالاجماع وقبل ، بعد رجاء والحاح شديدين ، نقلـه الى ابرشية طرابلس فكان فيها مثالا للراعي الصالح الامين المنقطع الى عبادة ربه وخدمة الرعية .

وفي السابع عشر من حزيران سنة ١٩٥٨ انتقل المثلث الرحمـات السعيد الذكر البطريرك الكسندروس الثالث الى دار البقاء فخلا مكانه فانتخب صاحب

١) كيريوس الكسندروس ، متروبوليت حمص ، جريدة حمص ، ٢٨ تشرين الثاني ١٩٥٨

الترجمـة قائمقاماً بطريركياً . وفي الرابع عشر من تشرين الثاني من السنة نفسها انتخب بالاجماع خليفة للرسولين بطرس وبولس وبطريركاً على انطاكيـة باسم ثيودوسيوس السادس أمدّ الله بعمره ونفعنا بعلمه ونزاهته وترفعه وبركة دعائه .

نيفون متروبوليت بعلبك وزحلة : (١٩٢٥) وانتقى البطريرك والمجمع المقدس خلفاً لجرمانوس متروبوليت سلفكياس الارشمندريت نيفون (سابا وكيل مطرانية حماة) وذلك في التاسع من اذار سنة ١٩٢٥ . وسيم نيفون مطراناً على يد البطريرك ويدي باسيليوس متروبوليت عكـار وروفائيل متروبوليت حلب . ودخل السيد نيفون زحلة مركز ابرشيتـه يوم سيامته في الثالث والعشرين من شهر اذار .

وهو ابن الاكسرخوس حنا سابا وحنة زماريا . أبصر النور في السويدية (سلفكية انطاكية) في ١٧ اذار سنـة ١٨٩٠ . ونذره والده لخدمـة الكنيسة فارتدى الثوب الاكليريكي الابتدائي من ارسانيوس متروبوليت اللاذقية في ٢٦ تشرين الاول سنة ١٩٠٥ . ثم التحق بمدرسـة البلمند الاكليريكية وتخرج على اساتذتها غطاس قندلفت والارشمندريتين الياس اسطفان وغفرائيل كردوس . وفي السنة ١٩٠٩ سيم شماساً انجيلياً في اللاذقيـة . واصبح في السنـة ١٩١٤ ارشدياكون هذه الابرشية . ونفي الاتراك اهلـه مع بعض سكان السويدية . وأمر هو ان يكون بعيداً عن البحر عشرين كيلومتراً . فكان بمعية باسيليوس متروبوليت عكار في حلبا . ثم جاء الانكليز في السنة ١٩١٨ فابعدوه الى حلب مع قسطنطين يني والخوري عيسى اسعد وعمر الاتاسي . ثم عاد فعينه البطريرك وكيلا لمطرانية حماة بسبب شيخوخة مطرانها . وترك في هذه الابرشية مآثر قيمة يذكرها الحمويون مـع الشكر وخصوصاً زمن ثورة جبـل العلويين ومهاجرة اليونان من الاناضول .

اغناطيوس متروبوليت حماه : (١٩٢٥) وفي السادس والعشرين مـن شباط سنة ١٩٢٥ انتقل الى الاخدار السماوية غريغوريوس (جبارة) متروبوليت حماه . فانتدب البطريرك غريغوريوس الرابع الارشمندريت اغناطيوس (حريكة)

وكيلاً بطريركياً للابرشية المترملة . ولم يمضِ بضعة اشهر على تولي هـذه المهمة حتى اجمعت كلمة ابناء الابرشية على اختيار الوكيل البطريركي مطراناً عليهم . فتم انتخابه في السادس من تموز من السنة نفسها . وجرت سيامته مطراناً على حماه في الثالث عشر من الشهر نفسه .

ولد صاحب الترجمة في ٦ آب سنة ١٨٩٤ من ابويه عبدالله حنا جريكه وزوجته فوتين ابراهيم جريج في قرية بترومين الكورة لبنان الشمالي وتناول علومه الابتدائية في القريـة اولا ثم في المدرسة الروسية في اسكلة طرابلس بعهد مديرها خريستوفوروس عاقل . وفي سنة ١٩٠٦ ادخلـه المثلث الرحمات البطريرك غريغوريوس الى مدرسة البلمند . وفي سنة ١٩٠٩ حينما عادت العلاقات ودية بين البطريركية المسكونية بعهد البطريرك يواكيم الثالث وبـين البطريركية الانطاكية كان صاحب الترجمة بين التلاميذ الثلاثة الذين ارسلهم البطريرك غريغوريوس الى مدرسة خالكي اللاهوتية في الاستانة . وفي صيف سنة ١٩١٤ سيم شماساً انجيلياً في دير سيدة البلمند وعاد الى مدرسته وبينما هو في البحر اعلنت الحرب العالميـة الاولى واغلقت مضايق الدردنيل فحاول مع رفاقه ان يصلوا الى اسطنبول بواسطة دده اغاج المينا البلغاري ثم بواسطة ازمير فلم يفلحوا وهكذا بقي نحو ثلاثة اشهر يتجول بين اثينا وسلانيك وجبل اثوس انتظاراً لنهاية الحرب ولم تبين له انهـا ستطول عاد الى لبنان وبقي بضعة اشهر في دير البلمند الى ان دعاه سنة ١٩١٥ مطران حلب رفائيل ليتولى مديرية المدارس الملية هناك وليكون نائباً اسقفياً فلبى بأمر غبطة البطريرك وظل في حلب حتى نهايـة سنة ١٩١٧ . وفي سنة ١٩١٨ انتقلت البطريركية الاورشليمية بأمر القائد التركي جمـال باشا من القدس الى دمشق لاقتراب جيوش الحلفاء اليها فدعا البطريرك غريغوريوس صاحب الترجمة وكان قد رقي الى رتبة ارشمندريت ليكون مضيفاً ومرافقاً للبطريرك الاورشليمي داميانوس واعضاء مجمعه وفي اواخر تلك السنة انتدبـه البطريرك غريغوريوس ليكون مفتشاً على دير مار جرجس الحميراء بعهـد رئيسه الارشمندريت ايصائيا عبود واستطاع اثناء مهمته هذه ان انقذ املاك الدير وكانت قد حجزتها الحكومة التركية بحجة انها املاك محلولة .

وبعد نهايـة الحرب العالمية الاولى عين رئيساً لدير سيدة البلمند فأعاد المدرسة التي كانت قد تعطلت اثناء الحرب وبقي في هذه المهمة ثلاث سنوات الى ان عينه البطريرك غريغوريوس وكيلا بطريركياً لابرشية كيليكيا (مرسين) سنة ١٩٢١ فلم يسعه الذهاب اليها بسبب الحوادث بـين الترك والافرنسيين وبقي في الاسكندرونة مـع صديقه الارشمندريت حنانيا كساب واسسا هناك اول مطبعة واول جريدة باسم الخليج في هـذا اللواء . وفي سنة ١٩٢٤ دعاه البطريرك غريغوريوس الى دمشق وولاه الوكالة البطريركية .

ابيفانيوس متروبوليت حمص : (١٩٢٥) وشغر ايضـاً كرسي حمص بوفاة السعيد الذكر اثناسيوس (عطاالله) فانتخب المجمـع الانطاكي المقدس في الثامن والعشرين من آب سنة ١٩٢٥ ابيفانيوس (زائـد) متروبوليتاً على حمص وتوابعها . وتأخرت شرطونيته بسبب ثورة جبل الدروز الى صباح الخميس في اول كانون الثاني سنة ١٩٢٦ فتمت في كتدرائيـة دمشق برئاسـة البطريرك غريغوريوس .

هو خليل بن موسى يوسف الزائد ووردة الخوري سليمان من دير عطية سوريا ولد فيها في ٤ آب سنة ١٨٩٠ . تلقى دروسه الاولى في المدرسة الروسية وفي صيف سنة ١٩٠٤ بينما هو مع والده في الكنيسة المريمية في دمشق لفت اليه نظر المثلث الرحمة البطريرك ملاتيوس فقال لـه الا تذهب يا بـني الى المدرسة الاكليريكية في دير البلمند فتتعلم وتصير مطراناً . فلبى الدعوة وبعد شهر وجهه غبطته الى الدير المذكور فتلقى دروسـه اللاهوتية هناك وكان مـن الناجحين الاولين . وفي سنة ١٩٠٩ وجهه المثلث الرحمة البطريرك غريغوريوس الى موسكو وبعد سنة ونصف احـرز شهادة التصوير الكنسي في دير القديس سرجيوس قرب موسكو وعاد الى سوريا فسيم شماساً انجيلياً في ٢٤ ايلول سنة ١٩١١ وعاد الى موسكو ليخدم في الامطوش الانطاكي هناك ويدرس الفنون الجميلـة في اكاديمية موسكو . وفي سنة ١٩١٤ عاد الى سوريا ثم تعذر عليه الرجوع الى موسكو لاحراز شهادته بسبب نشوب الحرب الكبرى . وفي سنة ١٩١٨ رقاه البطريرك

غريغوريوس الى رتبة رئيس شمامسة وتعين مدرساً للآداب العربية في المدرسة التجهيزية الارثوذكسية في دمشق ومديراً لمدارس الطائفة في الميدان وكان وقتئذ يعمل في صفوف الوطنيين والادباء ويحرر مع نخبة منهم « مجلة الرابطة الادبية » وفي اثناء ذلك انتخبه المجمع العلمي العربي في دمشق عضواً في لجنته الفنية .

ايليا اسقف معاون لمتروبوليت بيروت : (١٩٢٦) واصبحت بيروت بعد دخول الافرنسيين الى سوريـة ولبنان مركز سلطـة الانتداب فاكتظت بالسكان وتنوعت مهام متروبوليتها الطيب الذكر جراسيموس (مسرة) . وكان قد تقدم في السن وانتابه المرض فرأى من الواجب ان يرقي نائبه الارشمندريت ايليا (الصليبي) الى رتبة الاسقفية. وتفوق الارشمندريت ايليا بصوت رخيم وترتيل وقور وباستمساك شديد بالتقاليد الارثوذكسية والمحافظة عليها وبالدراية والحكمة في تدبير الامور وبشخصية بارزة توجب الاحترام. فوافق المجمع الانطاكي المقدس على اقتراح راعي ابرشية بيروت وسيم ايليا اسقفاً معاوناً لراعي ابرشية بيروت في الخامس من نيسان سنة ١٩٢٦ (١) .

ولد ايليا من ابوين تقيين ارثوذكسيين في سوق الغرب في اول حزيران حساباً شرقياً في السنة ١٨٨١ . والتحق في السنة ١٨٩٣ بمدرسة بيروت الاكيريكية . فرعاه راعيها غفرائيل برعايته وألبسه الاسكيم في السنة ١٨٩٤ . ثم سامه جراسيموس شماساً انجيلياً في السنة ١٩٠٧ . وفي السنة ١٩٠٩ أصبح ارشدياكوناً لكرسي بيروت . وسافر في السنة ١٩١٣ الى اسطنبول بمعية رئيسه جراسيموس فقابل معه السلطان محمد رشاد ونال جراسيموس العثماني الاول وايليا المجيدي الثالث . فكان ذلك بدء سلسلة من الاعترافات بخدمات سيادته من الحكومات المحلية والاجنبية وشحذ صدره فضاق لها على اتساعه ورحابته .

وفي الخامس من نيسان السنة ١٩٢٦ سيم اسقفاً معاوناً لمتروبوليت بيروت كما سبق واشرنا. وبعد وفاة البطريرك غريغوريوس في اواخر السنة ١٩٢٨

١) مجلة النور (١٩٦٠)

رقي في الخامس عشر من اذار سنة ١٩٢٩ الى رتبة رئيس اساقفة . وفي التاسع والعشرين من ايلول سنة ١٩٣٦ انتخب متروبوليتاً لابرشية بيروت وخلفاً لمعلمه جراسيموس وتمت سيامته في دمشق على يد الطيب الذكر البطريرك الكسندروس .

غريغوريوس والانتداب الفرنسي : (١٩٢٠ ـ ١٩٢٨) وحمل الافرنسيون انتدابين الى سوريـة ولبنان انتداباً دولياً باسم عصبة الامم الجالسة في جنيف وانتداباً كاثولوكياً تاريخياً باسم فرنسة ابنة الكنيسة البكر . فسفراء فرنسة وقناصلها كانوا طوال العصور الحديثة حماة الاكليريكيين الكاثوليكيين الاجانب المقيمين في الاراضي العثمانية او المتجولين في ارجائها وذلك بنصوص رسمية متبادلة بين حكومات فرنسة والفاتيكان وبالامتيازات الخصوصية التي اعترفت بها الحكومة العثمانية لممثلي فرنسة في ولاياتها الاسيوية والافريقية . ويلاحظ هنا ان حماية الاكليريكيين الكاثوليكيين الاجانب المقيمين في ولاية الدولة العثمانية الاوروبية كانت منوطة بممثلي امبراطور النمسة والمجر . واعاد الفاتيكان النظر في العهود السابقة بينه وبين حكومات فرنسة على ضوء الظروف السياسية الجديدة التي نشأت عن تقلص ظل الاتراك واعلان الانتداب والغاء الامتيازات الاجنبية فوقع في الرابع من كانون الاول سنة ١٩٢٦ معاهدة جديدة (كونكورداتوم) مع الحكومة الافرنسية جدد بموجبها اكرام الجمهورية الافرنسية وممثليها في قداديس رسمية معينة تقام في كنائس كاثوليكية معينة في الاراضي الاسيوية التي انسلخت عن جسم الدولة العثمانية (١) .

وبدا من غريغوريوس في عهد فيصل ما أنكرته عليه سلطات الانتداب فاستوحشت من ناحيته وخيل اليها منه الغدر . فأظلم الجو بين الطرفين وتباعدا . ورقب الآباء اليسوعيون الامر ، وكلهم يقظة وشدة ، فاستغلوا ظرف الانتداب ودفعوا بمن ائتمنوا من حملة شهاداتهم الى أهم المراكز وأدقها . وحذا حذوهم العازاريون والاخوة الافرنسيون فكثر عدد الموظفين المسيحيين الغربيين في دوائر

1) *Oriente Moderno, VII, 61 - 63*

الانتداب والحكومات المحلية وقل عدد الارثوذكسيين. واستتب الامر للافرنسيين في البلاد وعلى الرغم من هذا كله البطريرك فان أبرق يؤيد انتدابهم ولكنهم ظلوا يرون فيه رجلا بغيضاً .

ولم يجمع البطريرك « ذو الخلال » بين محاسن التصدق وحكمة التدبير (المالي) فتراكم الدين وضاق طوق وجهاء الطائفة في دمشق . وجرأت السلطات الافرنسية بعض العناصر على البطريرك فشغبوا وشاغبوا فابتعد البطريرك عن الشر والفتنة وقام الى لبنان واقام فيه . ثم أظلم بصره فاضطر ان يبقى في لبنان للمعالجة .

وفاته : وبينما كان يوشك ان يختم المجمع السادس الأخير في سوق الغرب اعمال استأثرت بالبطريرك رحمه الله وهو يقوم بواجباته الرئيسية دون تضجر او ملل وعلى الرغم من انحراف صحته وضعف بصره. ويروى انه قال وهو يحتضر: «لقد صبرت حتى النهاية!» وكانت وفاته في الثاني عشر من كانون الاول سنة ١٩٢٨ . فنقل جثمانه الطاهر بموكب نادر المثال الى بيروت حيث عرض للتبرك . ثم نُقل الى دمشق ودفن في مدافن البطاركة امام الكاتدرائية المريمية .

* * *

الفصل الخامس والخمسون

النظم والقوانين

لجنة السنة ١٨٩٠ : وكان ما كان من امر الخط الهمايوني الذي دخل في صلب معاهدة باريز سنة ١٨٥٦ . وقد سبقت الاشارة اليه فلتراجع في محلها . ثم وضع قوميسيون الروم نظاماً خاصاً لبطريركية القسطنطينية واعترفت الحكومة العثمانية به وادخلته في دستور قوانينها (١) وطبقت مبادئه العامة على سائر البطريركيات والكنائس المستقلة القائمة ضمن حدودها .

واستعفى جراسيموس البطريرك الانطاكي وحل محله اسبيريدون . فرغب اعضاء المجمع الانطاكي المقدس والشعب عموماً في وضع نظام للكرسي يمنع المداخلات غير القانونية في انتخاب البطريرك ويرتب شؤونه على طريقة موافقة للقوانين الكنسية الشريفة ولمقتضيات العصر . وتقرر وضع هذا النظام في المجمع المنعقد سنة ١٨٩٠ لمناسبة انتخاب اسبيريدون . وتعينت لذلك لجنة من المطارنة واخذت هذه اللجنة تتداول بشأنه . ولكن الظروف لم تساعدها على اخراجه فظلت كنيسة انطاكية خاضعة لاسس النظام القسطنطيني .

لجنة السنة ١٨٩٨ : وفي اوائل شباط سنة ١٨٩٨ رفع الشعب الانطاكي عريضتين احداهما الى المجمع الانطاكي المقدس والاخرى الى الباب العالي التمس بموجبها ان يؤذن للكرسي الانطاكي بوضع نظام على غرار النظام القسطنطيني . فاستجاب الباب العالي هذا الطلب وامر والي سورية ان يساعد على اتمامه . وفي الرابع عشر من اذار سنة ١٨٩٨ أعلن الوالي موافقة الباب العالي فقرر المجمع الانطاكي في السادس عشر من الشهر نفسه ان يصير الاهتمام بوضع

١) الدستور لنوفل نوفل ج ٢ ص ٨١٣ — ٨٤٨ .

النظام المرغوب . وانتدب لذلك لجنة مؤلفة من اربعة مطارنة برئاسة البطريرك ملاتيوس واشتراك بعض اصحاب الخبرة من الشعب . وكان المطارنة المنتدبون لهذا العمل اثناسيوس حمص وغريغوريوس حماة وغريغوريوس طرابلس وجراسيموس سلفكياس . وكان في طليعة الأعضاء العلمانيين غطاس قندلفت . واجتمعت هذه اللجنة في جلسات متتالية وانجزت عملها في السنة ١٩٠١ . وصدق المجمع الانطاكي المقدس هذا القانون دون ان يعرضه على الحكومة .

وبعد وفاة ملاتيوس اجتمع المجلس الترشيحي برئاسة اثناسيوس متروبوليت حمص وعدّل هذا القانون فحذف من مادته الأخيرة العبارة التي توجب عرض القانون على الحكومة للحصول على موافقتها . وعليه جرى انتخاب غريغوريوس في ٥ حزيران سنة ١٩٠٦ .

قانون السنة ١٩٠٦ : وجاء هذا القانون في فصول عشرة وفي اربع وستين مادة . وهاك نصه بالضبط :

المادة الاولى : مركز البطريركية الارثوذكسية الانطاكية الرسمي مدينة دمشق (وهو محل اقامة البطريرك) واسقف او اثنين فخريين منهما الوكيل البطريركي وسائر المعية البطريركية وفيه يجتمع المجمع البطريركي والمحكمة الروحية والمجلس المختلط والقومسيون الزمني .

الفصل الاول : المادة الثانية : في صفات الذوات المرشحين للبطريركية ان الشخص المرشح لتبوء الكرسي البطريركي يجب ان يكون من مصف مطارنة الكرسي الانطاكي الموجودين في رعاية احدى ابرشياته والقائمين بها حق القيام .

المادة الثالثة : يجب ان يكون المرشح للبطريركية سالماً من الشوائب في الآداب والاخلاق متضلعاً في العلوم والمعارف الدينية والادبية ومتفقهاً في بقية الفنون ما امكن ومبرهناً في سلوكه السابق انه من الذين يحافظون اشد المحافظة على العقائد الدينية والتعاليم الشريفة . وبما انه احد رؤساء الكنيسة الارثوذكسية

واب روحي لجميع الارثوذكسيين التابعين للكرسي البطريركي الانطاكي وهو رابطة اتحاد جميع المطارنة المنضوين الى كنيسة انطاكية الارثوذكسية مع سائر الكنائس المستقلة الأرثوذكسية يجب ايضاً ان يكون كفوءاً لان يحامي ويناضل بحرارة عن الإيمان في القول والفعل في كل مكان وزمان وحال حسبما تقتضيه الواجبات الدينية المفروضة على صاحب هذه الرتبة .

المادة الرابعة : لما كان البطريرك من كبار الرؤساء الروحيين في الكنيسة الارثوذكسية في المملكة العثمانية وجب ان يكون عثمانياً ابناً عن جد مستكملا للأوصاف المبينة في المادة السابقة وحائزاً على ثقة الدولة العلية وذا اطلاع على الاصول والقوانين ومتصفاً بصفات تليق بمقامه الى غير ذلك مما يستجلب ثقة واعتبار الشعب ليقوم باجراء ما تؤكده البراءة الشريفة والامتيازات المحسن بها من السلاطين العظام وبجميع شؤون الملة الروحية والادارية .

الفصل الثاني : في بيان هيئة المجلس العمومي الذي يتشكل لأجل انتخاب البطريرك .

المادة الخامسة : ان مجلس الانتخاب العمومي للترشيح والتفريق مؤلف من اكليروس وعوام .

المادة السادسة : الاكليروس الذين يلزم وجودهم في مجلس الانتخاب العمومي هم جميع مطارنة الابرشيات العاملين والنائب البطريركي في انطاكية او في ابرشية مترملة او وكلاؤهم ونائبا اكليروس دمشق والوكيل البطريركي والكاهن المنتخب بحسب المادة الحادية عشرة الآتية .

المادة السابعة : العوام الذي يلزم وجودهم في مجلس الانتخاب العمومي هم عشرة ذوات ثمانية وكلاء عن شعب دمشق وواحد عن محلة الميدان وواحد ايضاً عن شعب انطاكية .

المادة الثامنة : الوكيل عن الشعب يجب ان يكون عمره أكثر من

ثلاثين سنة من أبناء الكرسي الانطاكي ومن تبعـــة الدولة العليـــة وحائزاً الاعتبار في محـــله ومعروفاً بحسن السلوك والدراية والاخلاص للكنيسة المقدسة وللدولة العلية .

الفصل الثالث : في بيان صورة انتخاب البطريرك

المادة التاسعة : عندما يقع الحلُ في مسند البطريركية الانطاكيـــة يخبر الوكيل البطريركي جميع مطارنة الكرسي ذوي الأبرشيات والنائب البطريركي في انطاكية بذلك تلغرافياً . وكل منهم يجاوب في خلال عشرة ايام معينـــاً اسم الشخص الذي ينتخبه قائمقاماً من مطارنـــة الكرسي اصحاب الابرشيات وهكذا الكهنة في دمشق يجتمعون وينتخبون ذاتاً والقومسيون الزمني ايضاً يجتمع وينتخب ذاتاً وفي اليوم الحادي عشر يجتمع المطارنة الذين يوجدون في المركز تحت رئاسة الوكيل البطريركي وتفتح اوراق الانتخاب بأجمعها بحضور الهيئة في الجلسة ذاتها ومن يحرز الأكثرية في الانتخاب يعتـــبر قائمقاماً . فاذا تساوت الأصوات بحق ذاتين او اكثر تجري الهيئـــة المذكورة الاقتراع بين المتساويين ومن اصابتـــه القرعة يعتبر قائمقاماً وحينئـــذ تنظم الهيئـــة مضبطة ترفع بواسطة الولاية الجليلة الى الباب العالي لصدور الارادة السنية بالتصديق على القائمقامية .

المادة العاشرة : بعد صدور الارادة السنية بالتصديق يحرر حالا القائمقام تلغرافياً الى المطارنة التابعين لبطريركية انطاكيـــة يدعوهم للحضور بالذات الى دمشق مركز البطريركية في خـــلال اربعين يوماً من تاريخ الـــدعوة لاجراء مقتضيات الانتخاب وان تعذر عليه الحضور بالذات لعذر مشروع له ان يوكل من يشاء من مطارنـــة الكرسي بموجب وكالة قانونيـــة لينوب عنـــه باجراء المعاملات الانتخابية على ما سيتم في المعاملات المذكورة ويحرر القائمقام ايضاً في الوقت عينـــه الى النائب البطريركي في انطاكـــية والى مـــن يكون وكيلا بطريركياً في ابرشية مترملة ليحضروا بالذات او ليرسلوا وكالة عنهم لاحـــد الاكليريكيين لكي يوجـــدوا بدمشق في اليوم المعين لاجـــل اجراء معاملات الترشيـــح والتفريق . وللمطران الذي تفوض وكالـــة او اكثر اصوات بعدد

الوكالات التي تكون فوضت اليه قانونياً سواء اكان في الترشيح او التفريق او في الانتخاب الاخير .

المادة الحادية عشرة : في اليوم الثلاثين من التصديق على القائمقاميـــة يستدعي القائمقام الكهنة والقوميسيون الزمـــني في دمشق لتسمية مائة شخص من معتبري الملة والوجهاء والتجار وارباب الحرف في دمشق وتطبع باسمائهم لائحة ثم يدعوهم القائمقام هم والكهنة ليجتمعوا في اليـــوم الخامس والثلاثـــين تحت رئاسته وينتخبوا تسعة اشخاص لينوبـــوا عن الشعب في معامـــلات الترشيح والتفريق على الاطلاق ويكون احد هؤلاء التسعة شخص من الكهنة والثمانية من العوام ويجب ان يتم انتخاب هؤلاء الوكلاء في الجلسة عينها وتحرر مضبطـــة انتخابهم ويوقع عليها الحاضرون والقائمقام البطريركي وهكذا يحرر القائمقام الى كهنة محلة الميدان ان يجمعوا وجهاء الملة في محلتهم وينتخبوا شخصاً منهم بموجب مضبطة بيده منهم ليكون وكيلا عن شعب تلك المحلة في معاملات الترشيح والتفريق وفي اليوم الاربعين يدعو القائمقام مجلس الانتخاب العمومي اي المطارنـــة الذين حضروا الى دمشق عن اصحاب الابرشيات والوكيل البطريركي في دمشق والوكلاء العشرة المذكورين ووكيلي انطاكية والوكيل عن ابرشية مترملة للاجتماع في البطريركية في اليوم الحادي والاربعين ومتى تم اجتماع ثلثي المدعوين تفتح الجلسة برئاسته حسب الرسوم ويصير التحقيق عن هوية المدعوين والمصادقة عليها ويقيد كل عضو اسمه في جدول الحضور بخط يده بحسب الاصالة والوكالة وتغلق كل الابواب ويعطى كل واحد ورقة ليحرر فيها سرّياً اسم من يشاء ويراه حائزاً على الصفات المطلوبة لمسند البطريركية من مطارنـــة الكرسي الانطاكي فقط اصحاب الابرشيات بحسب المواد المقررة لذلك ويقوم كل عضو فيضع ورقتـــه في الصينية الموضوعة في منتصف المنتدى ثم يتقدم كاتب المجمع فيضع اوراق الترشيح امام الهيئة ويفتحها اثنان من اعضاء هذا المجلس ينتخبان بالصوت الحي ويعلنان الأسماء المكتوبـــة فيها واي من ظهر اسمه في هـــذه الاوراق بقطع النظر عن كثرة الاصوات او قلتها يحسب من المرشحين للانتخاب فتحرر قائمة بأسماء هؤلاء المرشحين ومضبطة

بالعمل يوقع عليها القائمقام وجميع اعضاء مجلس الانتخاب ويجري تسجيل ذلك كله في السجل البطريركي .

المادة الثانية عشرة : القائمـــة والمضبطة المذكورتان آنفا تقدمان حالا الى الولاية لترفعا بواسطتها الى الباب العالي حتى اذا وجـــد بالفرض اشخاص من الذوات المحررة اسماؤهم في هذه القائمة لا ترى فيهم الاهلية بالنظر الى الامور الملكية يتعرف عنهم من جانب الباب العالي الى البطريركية بواسطة الولاية الجليلة ليصير استثناؤهم ويجري الانتخاب على الباقي .

المادة الثالثة عشرة : حالما يتبلغ القائمقام من الولاية الجليلة بتحريرات رسمية جواب الباب العالي المشار اليه يدعو مجلس الانتخاب العمومي الى حالتـــه الاولى الى جلسة رسمية في البطريركية في يوم معين وعند اجتماع الهيئـــة قانونياً تتلى تحريرات الولايـــة الجليلة المشار اليها ويحرر القائمقام وكل عضو في المجلس المذكور من الاكليروس والعوام بما له من حق الرأي في ورقة سرية اسماء ثلاثة من المطارنـــة الذين لم يصر استثناؤهم من قبل الباب العالي ثم تجمع الأوراق وتضبط في جدول الاسماء المدونـــة فيها كما جرى في الجلسة السابقة وتراجع بالتدقيق ويوقـــع على الجدول العضوان المعينان وكاتب المجمع المقدس ويخصص بالبيان اسماء المطارنة الثلاثة الذين حازوا الأكثرية واذا وجد حين ضبط الأسماء تساو في الاصوات يزيد به عدد رابحي الاكثرية عن الثلاثة فيؤخذ العـــدد اللازم على قاعدة القرعة بين المتساويين ثم يقيد العمل في السجل البطريركي ويوقع عليه جميع افراد الهيئة .

المادة الرابعة عشرة : بعد اجراء مقتضيات المادة السابعة تصعد هيئـــة المجمع المقدس المؤلفـــة من المطارنة اصحاب الأبرشيات العاملين الى الكنيسة الكاتدرائية المقدسة يتبعهم كاتب المجمع ومعه سجل الانتخابات وتذكرة بأسماء الثلاثة الذين ربحوا اخيراً الأكثرية وتقفـــل الأبواب وبعد اجراء الصلاة حسب طقسها المعين يتقدم كل من أعضاء المجمع اصالة او وكالة عن مطران ابرشية

غائب ويضع في صينية على المائدة المقدسة بطاقة مكتوباً فيها اسم من ينتخبه من المرشحين الثلاثة وبعد ذلك يؤتى بالصينية الى الخورس وهناك يضبط عدد الأوراق ثم يفتحها احد المطارنة ويطلع عليها الآخرين وكاتب المجمـــع يضبط جدولا بالأصوات فمن ربح اكثر من نصف أصوات المنتخبين يكون هو البطريرك واذا لم يحرز أحد هؤلاء المرشحين تلك الأكثرية يعاد الانتخاب في الوقت ذاته الى ان يربح أحدهم الأكثرية المذكورة ولا يبرح أحد من هيئـــة المجمع الكنيسة المقدسة حتى يـــتم الانتخاب ويسجل عمله حالا في سجل الانتخابات المذكورة ويوقع عليه كل من المطارنة بالاصالة والوكالة ويختمه بختمه . وعلى الأقليـــة ان توقع على العمل في السجل المذكور بدون اقل ملاحظـــة ثم تقام صلاة الشكر وتفتح أبواب الكنيسة ويتلو كاتب المجمع العمل الانتخابي على مسمع الجمهور ثم تجمع هيئة مجلس الانتخاب العمومي في قاعة البطريركية وتنظم مضبطـــة بالعمل يوقع عليها ويختمها كل أعضاء الهيئـــة وترفع بواسطة الولاية الجليلة الى المرجع الايجابي الأعلى لاستصدار الارادة السنية السلطانية بمعرفة المنتخب بطريركاً .

المادة الخامسة عشرة : بعد ان تبلغ الولاية الجليلة البطريركية العامرة رسمياً صدور الارادة السنية المشار اليها في المادة السابقـــة يتقرر بأمر المنتخب للبطريركية اجراء الاحتفـــال بارتقائه الى الكرسي البطريركي الانطاكي حسب الرسوم المفروضـــة في يوم معين وأقدم المطارنة شرطونيـــة بين الموجودين يسلمه عصا البطريركيـــة ومن ثم يباشر البطريرك أعماله مبتدئاً بارسال المنشور البطريركي الرسمي .

الفصل الرابع : في حقوق وواجبات البطريرك

المـــادة السادسة عشرة : البطريرك لـــه التقدم على المطارنة وسائر الاكليروس والرهبـــان التابعين لكرسي بطريركيته وهو الرئيس لمجمع الكرسي الانطاكي المقدس وله الرئاسة العليا على جميع مجالس الملة الزمنية والروحية والولاية على الاديرة المتعلقة بالبطريركية وعلى الكنائس والمدارس والاماكن الخيريـــة

والأوقاف والجمعيات المنسوبة اليها وله حق التمتع بسائر الحقوق الممنوحة من الدولة العلية الابدية القرار بموجب البراءة الشريفة والامتيازات المذهبية .

المادة السابعة عشرة : على البطريرك ان يحافظ مع المجمع المقدس على التعاليم الارثوذكسية ويراعي قوام السنن والاشتراعات المجمعية المسكونية والمكانية وايفاء الفروض والطقوس والتراتيب الكنائسية والحقوق الملية المرعية الاجراء منذ القديم وحسن ادارة الكنائس والمدارس والاديرة البطريركية وان يعتني ويحافظ على المدرسة البطريركية الاكليريكية المنشأة في دير البلمند لتعليم الاكليروس وتهذيبه وان يهتم مع المجلس المختلط والقومسيون الزمني في رؤية الامور والمصالح الجارية بين الحكومة السنية والملة وسواها وان يجري الاحكام بموجب القوانين الدينية والاصول المرعية وان ينفذ القرارات التي تصدر من مجمع الكرسي الانطاكي المقدس والمجمع البطريركي وسائر المجالس الملية الروحية والزمنية على اصولها .

المادة الثامنة عشرة : يعين البطريرك شخصاً لائقاً من الاكليروس البطريركي يقيد في دفتر مخصوص الاواني والامتعة الكنسية والاشياء الثمينة التي في الكاتدرائية وسائر موجوداتها ويحافظ عليها في خزائن الكنيسة وفي دائرتها ويعين ايضاً محافظاً اكليريكياً مقتدراً لمكتبة البطريركية التي هي ضمن دائرتها .

المادة التاسعة عشرة : لما كان البطريرك هو الرئيس والمتقدم بين اكليروس كرسيه وجب بالطبع ان يكون مثالا صالحاً متحداً مع المطارنة لما فيه خير الكرسي محافظاً على حسن سلوك جميع الاكليروس وعلى اتباع القوانين وتنفيذها بالطرق المرعية .

المادة العشرون : على البطريرك عندما يرغب التوجه الى ابرشية ما ان ينبيء مطرانها وسائر المطارنة عن محل قصده واسم وكيله في دمشق .

الفصل الخامس : في الصفات اللازمة لمن ينتخب للاسقفية وفي كيفية انتخاب الأساقفة .

المادة الحادية والعشرون : كل ذات ينتخب للاسقفية يجب اولا ان يكون من تبعة الدولة العلية اباً عن جد وبلا لوم تجاه الدولة والملة . ثانياً : ان يكون أتم السنة الثلاثين من عمره على الأقل وفقاً لقوانين الكنيسة وتام الأعضاء . ثالثاً : ان يكون من الذوات المعروفين في الكنيسة بمعنى ان تكون سبقت له خدمات صادقة في البطريركية او في الأديرة او في معية أحد المطارنة بصفة اكليريكي لا أقل من ثلاث سنوات ليتمكن من احراز المعلومات الكافية في الامور الكنائسية ويتضمن على حسن ادارة الاسقفية . رابعاً : ان يكون قد تلقن العلوم الكنائسية في المدارس الارثوذكسية ونال شهادتها وكان من أصحاب الأخلاق الحسنة والآداب والنزاهة .

المادة الثانية والعشرون : عندما يقع الحل في مسند المطرانية باحدى الأبرشيات يعين البطريرك وكيلا عنه فيها من يراه موافقاً ويفيد عنه الحكومة المحلية لأجل معرفته بالصفة المذكورة وعقيب ذلك يبلغ البطريرك تلك الأبرشية بواسطة الوكيل لكي ترشح ثلاثة ممن أحرزوا الصفات المحررة في المواد السابقة في مدة لا تزيد عن الأربعين يوماً من تاريخ البلاغ ويرفعون تلك الأسماء بمضبطة قانونية الى البطريرك والبطريرك يبلغ ذلك الى جميع مطارنة الأبرشيات العاملين في الكرسي بظرف اسبوع وكل واحد من المطارنة عليه ان يحضر بنفسه وأما ان يرسل بطاقة انتخابه واحداً من الثلاثة المرشحين ضمن مغلف مختوم ضمن تحرير مبين فيه اسم من يرغب توكيله ليوقع عنه في سجل الانتخابات ومتى وردت الاجوبة يسلمها البطريرك الى المطارنة المجتمعين لديه فيأخذون المغلفات المذكورة مصحوبين بكاتب المجمع وسجل الانتخابات الى الكنيسة حيث تقام الصلاة المعتادة ويقدم الحاضرون أصواتهم ثم تفض المغلفات ويؤخذ جدول بالأسماء فالرابح الأكثرية هو المنتخب وان تساوت الأصوات يؤخذ واحد على طريق القرعة ويوضع ذلك في عمل الانتخاب في السجل المذكور ويوقع عليه المطارنة الموجودون بالاصالة والوكالة وبعد ذلك يعودون الى نادي البطريرك ويقدمون له السجل معلنين اسم المنتخب . والبطريرك حينئذ

يخبر المنتخب وبعد ان يرد منه خبر قبوله يعلن ذلك للابرشية ويعين اليوم الذي تجري فيه سيامته .

المادة الثالثة والعشرون : اذا تأخرت الابرشيـة عن تقديم مرشحها ضمن المدة المعينة في المادة السابقة فيحق للبطريرك ان يرشح ثلاثة من الاكليروس الذين يرى فيهم اللياقة ويجري بحقهم مفاد المادة المذكورة .

المادة الرابعة والعشرون : حين اقتضاء اقامـة اسقف فخري يرسل البطريرك اسماء ثلاثة من الاكليروس الرهباني الانطاكي الذين يرى فيهم اللياقة لرئاسة الكهنوت الى مطارنة الابرشيات العاملين ويطلب منهم انتخاب احـد الثلاثة للابرشية القديمـة التي سيسميها فينتخبون وتجري سائر المعاملات على ما ورد في المادة الثانية والعشرين ويحق للاسقف ان يرشح عند وقوع الحل في مسند احدى الابرشيات .

الفصل السادس : في مجمع الكرسي الانطاكي ووظائفه

المادة الخامسـة والعشرون : يتألف مجمـع الكرسـي الانطاكي (السينودوس) من جميع مطارنة الكرسي ذوي الابرشيات ويجتمع ادواراً في كل ثلاث سنوات مدة واحدة في المحل الذي يختاره البطريرك تحت رئاسته في اوائل شهر ايار وفي غير هذا الوقت ايضاً اذا دعت الحاجـة اما التآمـه فبطلب البطريرك ومن يتعذر عن الحضور لعذر مشروع يقم احـد المطارنـة وكيلا رسمياً عنه .

المادة السادسة والعشرون : لمجمع الكرسي الانطاكي المقدس ان يطلع على الخلاصة التي يجب ان تقدم له من المجمع البطريركي معلنة الشؤون التي جرت في السنوات الثلاث السابقة وان ينظر في مسائـل التعليم والوعـظ ونشر الكتب اللازمة لفائدة الملة الدينية والادبية وان يرى ويحل كل المشكلات التي تحال اليه بصفة كونه المرجع الاعلى توفيقاً للقوانين الكنائسية ما عدا الدعاوي التي حكم فيها استئنافياً في المجمع البطريركي او في المجلس المختلط .

المادة السابعة والعشرون : اذا اطلب ثلثا اعضاء مجمع الكرسي الانطاكي عقـد جلسة فوق العادة موضحين الموجب لذلك فعلى البطريرك ان يلبي طلبهم ويعقد تلك الجلسة .

المادة الثامنة والعشرون : اذا وقعت حوادث هامة في الكرسي في غير وقت اجتماع مجمع الكرسي المقدس تقتضي نظر المجمـع فيها ولم يستدع البطريرك المطارنة للاجتماع لاجل ما ذكر وفقاً للمادة الخامسة والعشرين فللمطارنة ان يقدموا اليه بطلب الاجتماع موضحين السبب وعليه ان يلبي طلبهم ويستدعيهم اذا كان الطالبون ثلثي اعضاء المجلس .

المادة التاسعة والعشرون : يعين البطريرك كاتباً اكليريكياً لهـذا المجمع واجباته كواجبات كاتب المجمع البطريركي الوارد ذكرها في المـادة السادسة والاربعين .

الفصل السابع : في حقوق وواجبات المطارنة

المـادة الثلاثون : للمطارنة في ابرشياتهم الحقوق التي تخولهم اياها القوانين الكنائسية والبراءة الشريفة والامتيازات المذهبية ولهم بصفة الرئاسة حق السيطرة في دوائرهم على الجمعيات الخيرية والهيئات العمومية الملية وتدريبهـا والرعية على الاعمال القانونية والثبات والنمو .

المـادة الحادية والثلاثون : على كل مطران في ابرشيته ان يعتني بتعليم ابناء ملته العلوم الدينية والادبية في المدارس الارثوذكسية ويجب على من يتقـدم الى الكهنوت علمانياً كان او راهباً ان يكون متخرجاً في احـدى تلك المدارس ومن تظهر فيه النجابة وحسن الاستعداد يسعى بادخاله في المدارس اللاهوتيـة الارثوذكسية لتحصيل علوم اللاهوت العالية .

المادة الثانية والثلاثون : على المطارنة الاعتناء بالاعمال الخيرية وعضد القائمين بشؤونها ونفقاتها والاهتمام بالمنشئات الخيريـة اللازمة كالملاجيء للايتام والعجزة والمرضى ونحو ذلك .

المادة الثالثة والثلاثون : على كل من المطارنة ان يقيم في ابرشيته وفقاً للقوانين الكنائسية وان يطوف متفقداً احوال رعيته بالـذات او بواسطة من يعتمد عليهم عند وجود عذر مشروع .

المادة الرابعة والثلاثون : يجب على المطارنة ان يوقروا البطريرك بما انـه المتقدم بينهم ورئيس ملتهم وان يحترموا بعضهم بعضاً ويراعوا بعضهم حقوق بعض .

المـادة الخامسة والثلاثون : اذا صدر من احد المطارنة امر مخالف للقوانين الكنائسية او المدنية فيجري التحقيق عنه والحكم فيـه من قبل مجمع الكرسي الانطاكي المقدس تحت رئاسة البطريرك على مقتضى القوانـين الكنائسية والامتيازات المذهبية .

المادة السادسة والثلاثون : اذا رغب احد المطارنـة في الذهاب الى ابرشية ما فعليه ان ينبيء البطريرك ومطران تلك الابرشية عن ذلك .

المادة السابعة والثلاثون : ان جميع الاحكام الملية الروحية التي تصدر في كل ابرشية يقتضي ان تكون نتيجة فحص وتدقيق وقرار المحكمة ذات الاختصاص في تلك الابرشية بحسب الاقتضـاء ضمن دائرة القانون المخصوص المعمول به في دائرة البطريركية الانطاكية .

المادة الثامنة والثلاثون : اذا استعفى أحـد المطارنة من ابرشيته او الأساقفة من خدمته وقبـل استعفاؤه فله ان يقيم في دير نذره او حيثما يعين له البطريرك والمجمع وعلى البطريرك ان يتدارك ما يلزم له من النفقة .

الفصل الثامن : في المجمع البطريركي .

المادة التاسعة والثلاثون : ان المجمع البطريركي يتألف من خمسة أعضاء اثنان منهم من مطارنة الأبرشيات واثنان اسقفان فخريان وارشمندريت او كاهن تحت رئاسة أحدهم المتقدم شرطونية من ذوي الأبرشيات التابعة للكرسي ويصير

تعيينهم من قبل البطريرك بتذكرة مخصوصة ويلبث هذا المجمع ثلاثة أشهر في كل سنة ابتداؤها في اول شهر ايار ويمكن تمديد هـذه المدة الى ستة أشهر بحسب الاقتضاء ولا يصرف النظر عمن يطلب لعضويـة المجمع من المطارنة أصحاب الأبرشيات في دوره الا بسبب عجز سن الشيخوخـة او مرض . على ان يدعى من يكون بعده من المطارنة بحسب الترتيب الآتي :

الدور الاول : عكار وديار بكر

الدور الثاني : حماه وحلب

الدور الثالث : طرابلس واللاذقية

الدور الرابع : بيروت وزحلة

الدور الخامس : حمص ومرسين

الدور السادس : جبيل وصور وصيدا

الدور السابع : ارضروم وحوران

المادة الاربعون : وظيفة هـذا المجمع النظر والحكم في جميع المسائل الروحية والاعتناء بتنظيم حالة الأديرة البطريركية ورؤية حساباتها والتدقيق فيها وترقية شؤونها والنظر في مسائل التعليم والوعظ ونشر الكتب اللازمة لفائدة الملة الدينية والأدبية وترقية شؤون الملة والحكم في المشاكل الملية والدعاوي الروحيـة الافرادية نظـير الزيجات وسواها بصورة استئنافيـة بحسب احكام القوانين الكنائسية وفي الامور التي تقرر في مجمع الكرسي الانطاكي وتُحال اليه من قبـل البطريرك اجراؤها والمناظرة عليها . وفي نهاية كل سنة ينظم مضبطة بخلاصـة الاعمال التي اجراها والأحكام التي أعطاها في تلك المدة لكي تحفظ عنـد كاتب المجمع لتسلم الى مجمع الكرسي الانطاكي مع بقية الأوراق المجمعية الواجب تسليمها له عند التئامه . وقرارات هذا المجمع تعطى بالاتفاق او بالأكثرية .

المادة الحادية والاربعون . يلتئم المجمـع مرتين في الاسبوع واذا مست الحاجة فللبطريرك او للرئيس ان يعقـد جلسات اخرى فوق العـادة وجميع

القرارات التي تصدر يقتضي ان يوقع ويختم عليها كل من الاعضاء بالذات واما الصور التي تعطى عنها عند الايجاب فيصدق الكاتب على مطابقتها للاصل وتختم بختم المجمع .

المادة الثانية والاربعون : يجب التوقيع على كل القرارات المجمعية من الرئيس وسائر الاعضاء ولا يسوغ لأحد منهم الامتناع عن التوقيع بداعي مخالفة القرار لرأيه بل يجب أن يوقع عليه وله ان يبين تحت توقيعه اسباب مخالفته ولا يحق للرئيس ان يوقف سير الجلسة القانوني او يمنع اعطاء القرار فيها. واحكام هذه المادة تشمل جميع جلسات الهيئات القانونية المتعلقة بالكرسي .

المادة الثالثة والاربعون : لا يجوز للبطريرك الانفراد بعمل من الاعمال المختصة بالمجمع البطريركي واذا اقتضت الحال لاجتماع هذا المجمع بعد انقضاء المدة المعينة لاجتماعه فللبطريرك ان يستدعي من يشاء من المطارنة لتشكيل الهيئة القانونية لذلك الخصوص .

المادة الرابعة والاربعون : يعطى من صندوق البطريركية كل من المطرانين صاحبي الابرشيات اللذين يطلبان لعضوية المجمع البطريركي والمجلس المختلط مبلغ عشر ليرات شهرياً بمثابة مصاريف له ويخصص لكل منهما محل لاقامته في دار البطريركية على نفقتها واما من يطلب فوق العادة فتعطى له المصاريف السفرية فقط .

المادة الخامسة والاربعون : ان احكام المواد السالفة تعتبر مرعية الاجراء ايضاً حين خلو المسند البطريركي ووجود قائمقام بطريركي .

المادة السادسة والاربعون : يعين البطريرك كاتباً للمجمع من طغمة الاكليروس وعلى هذا الكاتب ان يضبط معاملات وقرارات المجمع ويقدم لجانب الرئاسة جميع الاوراق والمعروضات المحالة من البطريرك ويحفظ جميع الاوراق المختصة بمعاملات المجمع واحكامه وان يدون اعمال الجلسة وقراراتها في السجلات

المخصوصة ويوقع عليها وهو مسؤول عن صحتها وسلامتها ويجب ان يكون اميناً وكتوماً للسر .

المادة السابعة والاربعون : للمجمع البطريركي ختم مخصوص منقوش عليه العبارة الاتية (المجمع البطريركي الارثوذكسي بالشام سنة ١٩٠٦) تختم به كل الاوراق والأعلامات التي تصدر منه ويحفظ عند الرئيس .

الفصل التاسع : في المجلس المختلط

المادة الثامنة والاربعون : المجلس المختلط يتألف من أربعة أعضاء ورئيس بتذكرة مخصوصة من البطريرك اثنان من أعضاء المجمع البطريركي واثنان من ذوي المعلومات والدراية والاختبار من الشعب بدمشق كلاهما من تبعة للدولة العلية حائزان الاعتبار والثقة وسن كل منهما لا يقل عن ثلاثين سنة ورئيس هذا المجلس يكون رئيس المجمع البطريركي .

المادة التاسعة والاربعون : ان انتخاب العضوين العلمانيين يجري بالصوت السري من قبل المحكمة الروحية والقوميسيون الزمني تحت رئاسة الوكيل البطريركي بحسب الاصول وعند جمع الأصوات يؤخذ للعضوية الاثنان المكتسبان الأكثرية ويحفظ جدول الانتخاب لحين الاقتضاء اما مدة عضويتهما فسنة واحدة ويجوز تجديد انتخابهما .

المادة الخمسون : عند الاقتضاء في غياب المجمع البطريركي يكلف البطريرك من المطارنة من يلزم لاكمال هيئة هذا المجلس .

المادة الحادية والخمسون : يقتضي على كل عضو علماني ان يحضر المجلس ايام جلساته وان يعلم الرئاسة عن غيابه اذا عرض عذر مشروع لكي تستدعي بدلا منه المكتسب الأكثرية في جدول الانتخاب بحيث تكون الجلسات دائماً مكتملة الأعضاء .

المادة الثانية والخمسون : للمجلس المختلط حجرة خصوصية في

البطريركية وخزانة للاوراق والدفاتر والكتب المتعلقة وجميعها باستلام الكاتب وعلى عهدته .

المادة الثالثة والخمسون : يعين البطريرك للمجلس كاتباً براتب مناسب يعطى من واردات المجلس ووظيفته كتابة أعمال المجلس والمحافظة على أوراقه وتنظيم الدفاتر اللازمة ويكون مسؤولا عن كل ذلك وليس له رأي في قرارات المجلس .

المادة الرابعة والخمسون : جميع القرارات التي تصدر من المجلس المختلط يجب ان يوقع عليها كل أفراد الهيئة وتسجل بعد ذلك في سجل خصوصي وبعد ان يوقع عليها في السجل ايضاً تصدر بصورة اعلان بتوقيع الرئيس والكاتب ويختم المجلس موضحاً عليه استيفاء الرسوم .

المادة الخامسة والخمسون : للمجلس المختلط ختم خصوصي منقوش عليه العبارة الآتية (المجلس المختلط لبطريركية الروم الارثوذكس بالشام سنة ١٩٠٦) تختم به كل الأوراق والاعلامات التي تصدر منه ويحفظ عند الرئيس .

المادة السادسة والخمسون : المجلس المختلط يرى استئنافاً كل الدعاوى التي حكم بها بداية في المحاكم البدائية الكائنة في مركز البطريركية وفي ابرشيات الكرسي الانطاكي واستؤنفت وأحيلت اليه من جانب المقام البطريركي .

المادة السابعة والخمسون : تراعى في معاملات المجمع البطريركي والمجلس المختلط احكام قانون اصول المحاكمات المخصوص وسائر القوانين المعمول بها في دائرة الكرسي الانطاكي اما الرسوم الواجب استيفاؤها من ارباب الدعاوي فتكون بمقدار نصف الرسوم المقدرة من قبل دولتنا العلية في نظامها المخصوص .

الفصل العاشر : في تركات البطاركة والمطارنة وسائر الاكليروس والرهبان :

المادة الثامنة والخمسون : ان ما يخلفه البطريرك من امتعة كنائسية وكتب

واثاث وعقار ونقود واوراق مالية يترك كله للكرسي وقفاً عليه والكرسي يلتزم حينئذ بدفع النفقات اللازمة بحسب الرسوم الكنائسية وبالغاء دينه وبتنفيذ وصيته المطابقة للقوانين الكنائسية .

المادة التاسعة والخمسون : ان ما يخلفه المطران ذو المنصب من امتعة كنائسية وكتب واثاث وعقار يلحق بأوقاف ابرشيته وما يبقى من الاموال النقدية او الأوراق المالية فبعد ان تؤخذ منها نفقات جنازته والحسنات اللازمة عن نفسه بحسب رسوم كنيستنا المقدسة ومقدار الدين الذي ثبت بذمته يقسم الباقي بمعرفة البطريرك او وكيله مع اعضاء المحكمة الروحية ومجلس الملة في ابرشيته الى ثلاثة اقسام . الثلث الى البطريرك والثلث الى الورثة من اقربائه والثلث الثالث يشتري به املاك يعود نفعها على الاعمال الخيرية في وطنه .

المادة الستون : فور وقوع وفاة البطريرك يصير الختم على متروكاته من قبل المجمع البطريركي اذا كان ملتئماً والوكيل البطريركي وقومسيون الملة وعلى متروكات المطارنة في الابرشيات من قبل المحكمة الروحية ومجالس الملة في مركز الابرشية وعند عدم وجود مجلس فمن قبل وجهاء الشعب . اما متروكات المطارنة الفخريين فيختم عليها من قبل البطريرك ان كان ذلك في المركز البطريركي او من قبل الرئاسات الروحية المحلية حيثما وجدوا . واما متروكات رؤساء الرهبان ورئيسات الراهبات فيختم من قبل رهبنة الدير ريثما يعرف الرئيس الروحي المتولي على ذلك الدير . واما على متروكات الرهبان والراهبات المنتمين الى الاديرة فمن قبل رؤسائهم ومتقدمي الرهبنة بالاشتراك او ممن يوكلون من قبل رؤسائهم الروحيين ان توفوا بعيدين عن اديرتهم واما الرهبان الموجودون في خدمة البطريرك او في خدمة المطارنة او المقيمون في دوائرهم الروحية فيختم على متروكاتهم من قبل البطريرك او المطارنة او وكلائهم .

المادة الحادية والستون : جميع متروكات رهبان الأديرة ورؤسائها على اختلاف درجاتهم والراهبات ورئيساتهن تعود للاديرة المنتمين هم اليها ما لم تكن

لهم وصية قانونية فتراعى حينئذ شروطها وهذا ايضـاً يشمل الرهبان والراهبات الذين يتوفون وهم داخل الدير والذين يموتون بعيدين عنه حالة كونهم منتمين اليه واما الرهبان على اختلاف درجاتهم فالذين يتوفون وهم في خدمـة البطريرك او خدمة المطارنة او في دوائر ابرشياتهم فكل ما يخلفونه تؤخذ منه نفقة جنازهم والحسنات اللازمة عن نفوسهم وتوفى ديونهم ويقسم الباقي منه الى ثلاثة أقسام الاول لمن يوجدون في خدمته بطريركاً كان او مطراناً والثاني للورثة من أقربائهم والثالث يشترى به املاك يعود ريعها على المحلات الخيرية في أوطانهم وان وجدت لهم وصية قانونية فيعمل بها .

المادة الثانية والستون : بعد تسمية القائمقام البطريركي ينتخب المطارنة الموجودون في دمشق اثنين منهم وينتخب القومسيون اثنين من أعضائه ويباشر الأربعـة تحت رئاسة القائمقام البطريركي تحرير تركة البطريرك المتوفي ورؤية حسابات البطريركية من واردات ومصاريف عن مدة بطريركيته وحينئذ تفض الاختام بحضور الذوات الذين ختموها وتباشر هذه اللجنة عملها ويجري بعد ذلك تنفيذ المعاملات المتعلقة بالتركة بحسب مفاد المادة الثامنة والخمسين بمعرفة الهيئة ذاتها . اما المحررات والاوراق فتحفظ مختومـة لتسلم الى البطريرك الجديد واما باقي التركات فيصير تحريرها ورؤية حساباتها وتنفيـذ معاملاتها بحسب مفاد المادتين التاسعة والخمسين والستين بمعرفة من ختموا عليهـا ومعرفة الرئاسات الروحية .

المادة الثالثة والستون : تحرير تركات العوام وتصفيتها وتوزيعها على الورثة الشرعيين ونصب الأوصياء على القصر والمعتوهين وحفظ نصيب هؤلاء ونصيب الغائبين غيبة منقطعة ومحاسبة الاوصياء وتنفيذ وصيات المؤمنين يجري العمل بشأنها وفقاً للاصول المتبعة ولمقتضى البراءة الشريفة والامتيازات المذهبية بمعرفة البطريرك والمطارنة في دائرة كل منهم .

الخاتمة : المادة الرابعة والستون : يجري العمل بموجب احكام هـذا

القانون من كل من يناط به واذا دعت الحاجة في المستقبل لتعديل او اضافة مادة ما عليه فيجري ذلك برأي مجمع الكرسي البطريركي الانطاكي المقدس .

انتهى في ٣١ ايار شرقي من سنة ١٩٠٦ في قاعة البطريركية . فصدق على هذه النسخة من قبلنا نحن الموضوعة امضاواتنا واختامنا ادناه في ٢١ آب شرقي سنة ١٩٠٦ في قاعة البطريركية العامرة .

بطريرك انطاكية وسائر المشرق
غريغوريوس

مطران حماه وتوابعها
غريغوريوس

مطران اللاذقية وما يليها
ارسانيوس

مطران جبيل والبترون وما يليها
بولس

مطران بيروت وتوابعها
جراسيموس

مطران عكار وما يليها
باسيليوس

مطران كيليكيا
الكسندروس

مطران صيدنايا ومعلولا وزحله وتوابعها
جرمانوس

* * *

الفهارس

سلسلة البطاركة (١٤٥٣-١٩٢٨)

الفهرست الهجائي

سلسلة البطاركة

١٤٥٣ ـ ١٩٢٨

١٣٩	دوروثيوس الثالث	١٤٩٧ ـ ١٥٢٣
١٤٠	ميخائيل الخامس	١٥٢٣ ـ ١٥٤١
١٤١	دورثيوس الرابع	١٥٤١ ـ ١٥٤٣
١٤٢	يواكيم الرابع	١٥٤٣ ـ ١٥٧٦
١٤٣	ميخائيل السادس	١٥٧٧ ـ ١٥٨١
١٥٤	يواكيم الخامس	١٥٨١ ـ ١٥٩٢
١٤٥	يواكيم السادس	١٥٩٣ ـ ١٦٠٤
١٤٦	دوروثيوس الخامس	١٦٠٤ ـ ١٦١١
١٤٧	اثناسيوس الثالث	١٦١١ ـ ١٦١٩
١٤٨	اغناطيوس الثالث	١٦١٩ ـ ١٦٣٤
١٤٩	أفتيميوس الثالث	١٦٣٥ ـ ١٦٣٦
١٥٠	افتيميوس الرابع	١٦٣٦ ـ ١٦٤٨
١٥١	مكاريوس الثالث	١٦٤٨ ـ ١٦٧٢
١٥٢	نيوفيطوس الاول	١٦٧٤ ـ ١٦٨٤
١٥٣	اثناسيوس الرابع	١٦٨٦ ـ ١٦٩٤
١٥٤	كيرلس الثالث	١٦٩٤ ـ ١٧٢٠
١٥٥	اثناضيوس الرابع	١٧٢٠ ـ ١٧٢٤
١٥٦	سلفسترس الاول	١٧٢٤ ـ ١٧٦٦
١٥٧	فيليمون الاول	١٧٦٦ ـ ١٧٦٨
١٥٨	دانيال الاول	١٧٦٧ ـ ١٧٩١
١٥٩	افتيميوس الاول	١٧٩٢ ـ ١٨١٣
١٦٠	سيرافيم الاول	١٨١٣ ـ ١٨٢٣
١٦١	مشوديوس الاول	١٨٧٣ ـ ١٨٥٩
١٦٢	ايروثيوس الاول	١٨٥٠ ـ ١٨٨٥
١٦٣	جراسيموس الاول	١٨٨٥ ـ ١٨٩١
١٦٤	اسبيريدون الاول	١٨٩٢ ـ ١٨٩٨
١٦٥	ملاتيوس الثاني	١٨٩٩ ـ ١٩٠٦
١٦٦	فريغوريوس الرابع	١٩٠٦ ـ ١٩٢٨

• • •

الفهرست الهجائي



EDITION
1988

*

Editions de la LIBRAIRIE St. PAUL

* Beyrouth - Rue du Liban
B.P. 11 - 4459
Tél.: 444973 - 448806 - 449801

* Jounieh - Rue St. Paul
B.P. 125 (LIBAN)
Tél.: 911.561 - 933.052

ASAD
RUSTUM
22

THE CHURCH OF THE CITY OF GOD GREAT ANTIOCH

BY

ASAD J. RUSTUM, M.A., PH. D.

Historian to the Apostolic Thronos of Antioch

« Εἰς μίαν, ἁγίαν, καθολικὴν καὶ ἀποστολικὴν Ἐκκλησίαν »

VOL. III

1453 — 1928 A.D.

EDITIONS ST. PAUL
BEYROUTH & JOUNIEH
(LIBAN)